محمد المختار السوسي

المعسول

٤

المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

القســم الثالــث

من

المعســول

ويشتمل على فصلين :

الاول فى اشياخ الالفييــن من الصوفيــة

الثاني فى اشياخ الالفيين من العلماء ومشاهير القراء

الفصل الاول   وهو ما تضمنه هذا الجزء . فيه :

1 ـ الشيخ سيدي يحيا بن عبد الله الدّوْيْلاّلْتي التملي شيخ سيــدي عبد الله بن سعيد فى التربية

2 ـ العلامة سيدي الحاج الحسين الافراني شيخ سيدي محمد بن عبد الله ابن صالح فى الطريقة الاحمدية

3 ـ الشيخ ماء العينين الصحراوي شيخ سيدي الحاج بلقاسم (تبركا) يوم الم به فى الصحراء .

4 ـ الشيخ سيدي سعيد بن همّو المعدري شيخ سيدي الحاج علي المعلوم بالشيخ الالفي فى الطريقة الدرقاوية

الشيخ يحيا بن عبد الله

الـدَّويْـمَـنْلاَلْـنـِـى

قبـل 945 هـ = نحـو 999 هـ

نسـبـــــه :

يحيا بن عبد الله بن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بـــن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

قبل ان نتكلم حول المترجم ونسبه ، نذكر ما وجدناه بخط سيـــدي محمد ابن القاضي الإِيدِيكْلِي التملي ناقلا عن خط سيدي محمد بن محمـد ابن محمد الشهير ابوه بقاضي دَيْنَمْلاَلْن فى القرن الماضي ـ وستراه امامك ـ مما نقلناه من كناشته ، وقد ذكر فيها فوائد تتعلق بالامكنة التي تبوأهـــا الركراكيون بالسكنى فى ســوس

نص ذلك مختصرا اختصارا تحرى فيه عين المراد ، ونبذ كثير ممـا يتعلق بحكايتهم الآتيـة :

ان لسيدي وَسْمِين « بن يعلى كما وجدته فى محل آخر » الذي هـو رئيس الرچراچيين المدفون فى جبل الحديد بالشياظمة عشرة اولاد ، كلهـم حفظوا القرآن ، وما تزال ذريتهم يحفظونه الى الآن ، ثم ان واحدا من هؤلاء الابناء دفن فى (اِمَنْدْيُون) بهشتوكة ، والثاني فى (أَنْتِيمْلْت) بتحت الرمـال ـ دَيْنَمْلاَلْن ـ فى قبيلة ايت سَمَيْـون ، والثالث بماسـة ، والرابـع فى (تادَّارْت) بالوادي الكبير ، وهشتوكة ايضا ـ كذا ـ والخامـس سيـدي داود فى تِيزْلْمِي ، والسادس فى (وادي نون) فى موضع (تاكَوصْنْت) ، من جهة ريح المطر ـ كذا ـ والاربعة الباقـون فى معمورة بقيع بوادي درعـة ، ذهبوا فى سياحتهم حتى ماتوا هناك رحمهم الله ، ورضي عنهم فأما دفيـن (تِيزْلْمِي) سيدي داود فابنه سيدي موســى فى (تادَايْفْت) بأيت جرار ، وابنه الآخـر مَحمد بماسة ، ثـم ان محمد بن محمـد بـن داود دفـن فى

(تاغنجِيجنت) وله ولد يسمى عيسى بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن داود، دفن فى (تامنـريكاست) فى (وادي نون) وهم بنو الكتانيين ، وهم هناك الآن

وابو الاعلام فاتح وادي افـران فى حياته نـزل فى (زاوية السـِّدرة) – زَّويت نتنْزكرْت –وقد خلف بعده حفيده يعقوب بن محمد بن يوسف ابى الاعلام ، واخوته عبد الكبير وعبد المالك وعبد الكريم ، ثم خلف يعقـوب ولده يوسف ، وعبد الكريم ولده ابا القاسم ، وعبد الملك ولده عبد الرحمان ابن الحاج ، ثم كان اولادهم هناك الى الآن

وعبد الواحد بن الحسن من رچراچة (وهو شارح المدونـة) دفـن فى (اسْرِير) فى وادي نون ، فى قرية المرفقة بقبلتها ، وقد خلف ولده مباركـا المدفون فى (اِصنبوَّيا) فى موضع (اَچنجچال) ببعمرانة

ومن ذرية سيـدي سعيد يبقى الرچراچي علـي بـن احمد دفيـن (اِيسكْرْاد) ببني جرار ، وله خمسـة اولاد ، ابراهيم دفين (تاچادِيرْت) وعبد الله دفين (تفرطت) ، ومحمد بن علي دفيـن (الخرشاون) فى بلـدة (تاحاشت) ، واثنان مدفونان فى أَفَا ببلاد (كاكار) كتب ذلك محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يبورك بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصـم سنة 1253 هـ.

هذا ما نقلناه مختصرا مـن كلام كثير جمع غالب الحكايات الملفقـة حول الرچراچيين ، ومحمد بن محمد بن محمد الذي كتب هذا سنة 1253هـ هو ولد القاضي ، لان والده توفى قبل ذلك ، وسترى ذلك امامك

وبين يدي الآن صحيفة اخرى طويلة ، ملخص ما فيها : ان الرچراچيين من بقية الحواريين ، وانهم انتقلوا من جزيرة الاندلس الى المغرب قبل الاسلام وكانوا يحفظون عن اجدادهم ان نبيا مبعـوث ، فبقوا يترصدون مبعثـه ، فحين اخبروا بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمعوا رؤساء المغرب فسافروا فى جمع عظيم تحت رياسة سبعـة :

1 – وَسْمِيـن 2 – عيسى بوخابية 3 – يعلى 4 – ابو بكـر اَسْمَاس . 5 – صالح بن ابي بكر . 6 – عبد الله اَدْنَاس . 7 – سعيديبقى

ساروا فى مثل الجراد المنتشر ، فى شوق عظيم ، ورجاء كبير ، ففي اثناء الطريق تخلف سعيد ولم يوبه له لعظم الجمع ، وسبب تخلفه ان النصب قيده عن المشي فحفر قبره ، ثم أن الرچراچيين لما اشرفوا على وادي مكة اعلنوا كلمة التوحيد ، فدخلوا بين الجبلين ، وهم يترنمون بهذا النشيد :

بسم الله يا اللهْ	يا رحمان يا رحيم
لا اله الا اللهْ	محمد رسول اللهْ

فاستجابت لهم شعاب الوادي بالاصداء ، فقال اهل مكة ما هذه الرچرچة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الرچراچيون جاءوا مسلمين ، ومن هناك اتصل بهم هذا الاسم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء القوم جاءوا من المغرب ، وما جاءوا الا للاسلام ، ففرحت بهم مكة فرحا عظيما ، وحين قابلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين عظماء مكة ، قال رئيس القوم والمتولي لادارة ذلك الوفد العظيم ، سيدي واسمين مَچِيُچون اِچَانْ رَسُولْ اللّه — من هو منكم رسول الله ؟ — فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تكَين أَتَچَان أَشكَاد — انا هو رسول الله ، فتعالوا الي — ثم سألهم هل وصلوا اجمعون ، فقالوا نعم يا رسول الله ، فقال : لكن اين سيدي سعيد ، فتساءلوا عنه بينهم وفتشوا عنه بين ذلك الجمع العظيم ، فلم يجدوه فرجعوا الى رسول الله ، فقالوا له : (اِبْقَنْ) — بقى وراءنا — فمن هنا جاءه اسم يبقى ، فيقال سعيد يبقى فقال لهم رسول الله وقد استخرجه لهم من عنده بعد ما اتى به مفيثا اياه فى شفير القبر ، بل انه سابق قبلكم ، فسمي سعيدا السابق ، ثم طاب المقام للرچراچيين ، فنوَوْا ان يقطنوا بمكة ، وقد بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن سبعة من الاولياء يتناسلون دائما فى اصلابهم بين احفادهم الى قيام الساعة ، ثم ان جبريل نزل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : مر هؤلاء القوم ان يرجعوا الى بلادهم ليفتحوها للاسلام ، فانه لا يفتح المغرب الا رچراچة ودغوغ وصنهاجة ، فان لم يفتحها هؤلاء فلا تفتح ابدا ، ثم تكرر نزول جبريل بذلك المرة الثانية والثالثة ، موكدا ان الفتح للمغرب لا يكون الا على يدهم ، واما غيرهم فسيرتدون على اعقابهم كفارا ، ثم نزل رابعا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب رسالة عن اذن الله ، ومما فى الرسالة

انتم خلفائي في المغرب كله ، فانما المغرب لبني رچراچة وبني دغوغ وبني صنهاجة ، فقال القائد الاعلى سيدي واسمين : سمعا وطاعة لما يريده الله منا ورسوله .

ثم احل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث المغرب في مقابلة جهادهم عن اذن من الله ايضا نزل به جبريل ، ثم صدر القوم عن مكة وقد فازوا فوزا عظيما تحفهم البركة ، وقد دعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : انا نجهل الطريق الى بلادنا ، فجعل الله لهم ثلاثة انوار تسطع امامهم يعرفون بها السبيل ، فكانت هذه الانوار لرچراچة ودغوغ وصنهاجة ، لكل قبيل نور ، ثم ذهب بهم النور حتى وقف بهم في ساحل بحر عظيم ، فرفعوا الامر الى القائد الاعلى واسمين ، فقال لهم ان دخل النور في البحر فاقتحموا وراءه ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ، ثم تقدم القائد نفسه فنادى البحر ان اسكن ، فسكن بقدرة الله ، فدخل واسمين فاقتفى اثره فمروا سالمين الى ان خوجرا في رباط الفتح ، فتفرقت القبائل الثلاث كل واحدة الى مواطنها ،فأقبلت رچراچة الى الشياظمة وحاحة ، ونورهم لا يزال يسعى بين ايديهم ، ثم لما استقر بهم النوى ، والقوا عصا التيسار في ديارهم ، انقلب ذلك النور غررا في جباههم ، ووسامة متألقة تتلألأ في معارفهم يشاهدها كل واحد ، ثم اعلنوا النداء العام لجميع الناس ان يدخلوا في دين الاسلام وان يعلنوا كلمة التوحيد ، فأجابهم جميع الجن والانس ، فآمن الجميع وبايعوا على نصرة الاسلام بحسب الطاقة ، ثم دلفوا الى جيرانهم ، فمن دخلوا في الدين كان لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، ومن اعرضوا استعرضوا على السيف البتار ، فداموا على ذلك حتى فتحوا كل المغرب ، فصدقت كلمة جبريل ، وكانت كلمة الله هي العليا

اول محل نزل فيه اجدادهم حين اقلتهم سفينة من الجزيرة ــ يعني الاندلس ــ ، مدينة (كُوز) وتسمى ايضا (حورا) فبنوا هناك مسجدا لا يزال ينسب للحواريين ، واسماء الذين نزلوا اولا من السفينة مجًا ــ سكن بكوز ، والثاني علقمة ــ سكن في (تَافنتّاشْت) والثالث اردون ــ سكن في (سكياط) والرابع ارتون ــ سكن في (كيــن الحجر) وكل واحد من الاربعة معروف في محله ، وقد انتشر لهم النسل ، ولم يزالوا على دين عيسى كما هو عليه بلا تبدل ولا تغير حتى اتصلوا بالاسلام

ثم ان رچراچة وصنهاجة ودغوغ ، اقتسموا البلاد بينهم ، فصح لرچراچة ما حول البحر كله الى وادي شيشاوة ، الى فم القاهرة وحاحة والشياظمة واحوازها جميعا ، وسوس كله ، والصحراء الى الساقية الحمراء ، وعددهم اذ ذاك اربعمائة من الاسر ، وعدد من حفظ القرآن والمدونة منهم حينئذ ثلاثمائة رجل ومثلهم من النساء ، واما دغوغ فكان لها من وادي سبو الى جبل مكة ، والى الجبل الاخضر ، ووادي درعة ، وجبل فشتالة الى دمنات ، وعددهم فى ذلك الوقت خمس وسبعون الفا ، وكبيرهم سيدي ابو الاعلام (1) وأما صنهاجة فكان حظها من وادي سبو الى زمور الى رباط الفتح ، وعددهم اذ ذاك خمس وثلاثون الفا ، وكبيرهم ابن البطاح ، روى ذلك الشيخ اليوسي فى دور الرچراچيين عند مشهد سيدي ابي زرقطون ، وقد حضر اذ ذاك خمسمائة من الطلبة والعلماء منهم اليوسي وعبد الله بن محمد الرچراچي ، واحمد بن عباد ، وسعيد بن مَحمد ، وسعيد بن عبد المنعم ، وسيدي الحرير ، وكذلك حفظ القرآن والمدونة من بني دغوغ ستمائة وستة وسبعون رجلا ، ومن النساء خمسمائة صبية ممن اتفق ان اسمهن ممّاس ــ يعني فضلا عمن يسمين بغير ذلك الاسم ــ واسم شيخهن عباد ، وكذلك حفظ القرآن ممن اسمهم احمد او محمد ــ فضلا عمن يسمى بغير الاسمين ــ مائة رجل ومن النساء مثل ذلك ، روى ذلك عن الشريف مولاي احمد بن محمد الاغماتي واليوسي ايضا

ثم ان واسمين لما اشتهر وسمع به سلطان فاس اراد ان ينقله الى فاس للتبرك به ، فكره ذلك بعض اولاده ، فخرج عشرة منهم الى سوس ، فعبد الرحمان ابن احمد بن اسماعيل الخطيب الملقب بوَسّاي فى وادي ماسة فى سيف البحر وهو احدهم ، والثاني علي بن ايوب بن اسماعيل بن يحيا بن واسمين الولي الصالح العالم العلامة ، حطّ رحله فى (كدية البير) ببلدة ايت وادريم ، فبنت له قبائل هشتوكة مسكنه هناك ، فهناك دفن ، وله نسل منه شيوخ كبار ، والثالث عبد الله بن مَحمد ، ينتهي نسبه ايضا الى واسمين ببلد (تِيزْلْمِي) فى موضع يسمى الفهم ــ والفهم من عداد تازروالت (لاتِيزْلْمِي) ــ والرابع عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم فى دْوِيـنْمْلاَلْن ــ تحت الرمال ــ بقبيلة أَمْلْن ، والستة الباقون من العشرة زاهدون فى

---

1) وقد تقدم ان فى رچراچة ءاخر يسمى بالاعلام ، وهو فى افران بسوس

الدنيا حتى ماتوا فى خلواتهم فى احـواز وادي درعة ، وكل ذي مشهد قديم بسوس وحاحة والشياظمة وساحل البحر فرچراچي ، كالشيخ مكـدول بساحـل البحر بحاحـة ــ هو المشهـور اليوم ازاء الصويرة ــ بالدبابات ، واحمد بن سعيد برباط فى طرف الكَسْت ، وسيدي ابي القاسم مع اخوانه بالوادي الكبير ببلد غشانـة ــ ينبغي للقائل ان يراجـع هنا ما كنا قلناه فى الفصل الاول من القسم الثاني ، عند تعرضنـا لنسب آل أَجْنِي إِدْيَّان ــ وغيرهم وهم كثيرون ، كتبه من ادرك اخبارهم فى رجب الفرد 846 هـ محمد ابن احمد من مرابطي هوت الطرفاء ، تاب الله عليه ، وعبد ربه عبد الله بـن سعيد بن احمد التملي . انتهى ما فى الاصـل ، ونقله كما هو فى آخر ربيـع الثاني : 1018 هـ ابراهيم بن محمد بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن ايوب ، وتحت ذلـك كلـه :

اعلم بصحة الفرع فوقه وثبوته ابراهيم بن محمد بن جعفر بن زكرياء لطف الله به ، واعلم به ايضا علي بن الحسن بن مسعود 1148 هـ نقله احمـد ابن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيا بن علي بن ايوب ، لطف الله به ، وقد انتسخ مما تقدم : 1149 هـ ابراهيم بن مَحمد بن الحسن بن مَحمد بن مَحمد بن سعيد بن محمد بن ابي بكر بن يحيا بن علي بن ايوب والحاج محمد ابن الحاج احمد بن محمد بن محمـد بن ابراهيم بـن سعيد بن يبـورك الرچراچي ، ومحمد بن احمد بن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيا بـن علي بن ايوب ، ثـم انتسخ من الاصل ايضا : 1186 هـ .

فأولاد محمد بن احمد بن الحسن بن سعيد بن ابي بكر بن يحيا بن علي ابن ايوب ، وهم محمد بن محمد ، وعلـي بن محمد ، وابراهيم بن محمـد هم من الرچراچيين بلا شك ، وكذلك اولاد محمد ، وكذلك اولاد محمد بن محمد المذكور ، وهم سعيد بن محمد بن محمد ، وعبد الله بن محمد بـن محمد ، وكذلك اولاد بلعيد بن سعيد بن محمد بن محمد ، كلهم رچراچيون ، وهذه انسابهم كما ترى ، فعلى الواقف على ذلك ان يعرف مكانتهم ، كتبـه علي بن عبد الملك الكسيمـي : 1286 هـ ونؤكد على كل من ذكر من احتـرام المذكورين 1315 هـ ابراهيم بن محمد بن احمد بن الحسن لطف الله به

ذلك ملخص صفحات صارت الي ، وهي مشوهة العبارة ، ممسوخـة الخط ، فكأنما تستمد الالفاظ والخط والعبارة من هذه الحكاية التي هـي

كلها امشاج اخلاط ، افك على افك ، فان كون الرچراچيين من الصحابة مردود عند المحققين ولا يقول به الا من لا يمعن النظر والعجيب ان ممن يقول بذلك الشيخ المرغتي وليس ذلك بشيء ، واستحضر أننا مرة فى الدرس فى مجلس شيخنا ابي شعيب الدكالي الصديكي رحمه الله ، جرى ذكر صحابيتهم ، فرده شيخنا ، فقيل له : ان الخفاجي فى شرحه على الشفا ، يقول ذلك ، وساق فى معرض ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بلفات شتى تلك المكالمة المتقدمة بينه وبين الرچراچيين ، فتبسم شيخنا فقال انما الخفاجي نقال ، وهذا لا ننكر انه مذكور ، لكننا نقول انه باطل مكذوب ، ثم قال لو كان الخفاجي الاديب المطلع اتم اطلاع على الاداب وما اليها من العربية، مقتصرا على التغزل والتشبيب بالقدود والخدود والجولان بين الفصون والورود ، لكان ذلك به اولى ، والا فان الحديث لا يكفي فيه النقل حتى يكون ذوقه متربيا فى الانسان .

اقول : عهدي بصاحبنا الكانوني ، قد جمع مؤلفا فى رچراچة ، فاليه يرجع الامر ، لان من درس الموضوع ، لا يمكن ان يساويه امثالنا الذين اطلوا عليه بغتة ، ولذلك نسحب ذلك الحكم الذي اصدرناه حتى يقول المطلعون كلمتهم ، ونحن وان كنا لا نكاد نشك فى ان هذا هو الرأي السديد لكننا نوثر ان يكون العارف بالموضوع المتشبع بما قيل ، هو المصدر للحكم لا من لا يتصدر له

اما هذه الحكاية الخرافية فهي بلاشك موضوعة بصفتها المتقدمة ؛ واحسب ان الدكتور طه حسين ، لو كان اطلع عليها لألم بها فى كتابه (على هامش السيرة) الذي ملأه بأمثالها

والفائدة التي نخرج بها من تلك المسودة ، بعد ان نرمي كل حشفها ظهريا من كل ما يكذبه التاريخ ، ويدفعه الواقع ـ وذلك كله ظاهر للعارف ولا نحتاج الى ان نطول بالتنبيه عليه ـ هي ان نعرف بعض الامكنة التي نزل فيها الرچراچيون ، وان نعرف بعض رجالات منهم لهم مكانة مكينة فى العلوم الاسلامية ونشرها بين البربر ، ونحن نعرف ما مضى لهم من مجد فى جهاد برغواطة ايام ازدهار مدينة (نفيس) ورباط (شاكر) ، فقد مثلوا اعظم دور حتى ايدهم الله باللمتونيين ، فوحدوا الكلمة ، وافرغوا المغرب كله مع غيره

فى قالب واحد ، فكانت وحدة اندمج فيها الرچراچيون وغيرهم ، فلم يبق لهم الا احترامات يستمدونها من اخبار الاباء المجاهدين ولابناء علي بن ايـوب ذكر فى هذا القسم نفسه فانتظـر .

اما عبد الرحمان الماسي الملقب بوسئاي ، فها انتذا تراه يعد مـن الرچراچيين وذلك قول من الاقوال فيـه ، وقيل انه من البكريين مـن آل يعزئي وهندى فقد ذكر بين رجالاتهم ، وقيل ان اصله من رندة بالاندلس ، فيذكره بعضهم بعبد الرحمان الرندى ، وانه عمري عدوي كما عند اولاده الى الآن ، وان ابا نمر المشهور فى (اسضض) ولده ، وعندنا سلسلة نسب تامة فى ذلك ، وذلك هو الصحيح عندنـا .

وعهدي بكتيب تحت هذا العنـوان فى مجموع فى الخزانة المسعوديـة المعدرية ولم اطالعه ، ربما يحتوي على ما يلقى ضوءا على حياتـه وماهيته ، فليفتش عن ذلك (ثم اطلعت على ذلك ، فترجح عندي ما تقدم)

اما كون اليوسي وسعيد بن عبد النعيم ممن تلاقوا فى دور رچراچـة فأكذوبة فاين اليوسي المتوفى سنة 1102 هـ مـن الآخر المتوفى اواسـط العاشر ، وكذلك كون واسمين يبقى من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى ان تؤسس فاس ــ وتأسيسها فى اول العقد الاخير من القرن الثاني ــ اكذوبة اخـرى

والمحصل ان غالب ما فى تلك المسودة اكاذيب ملفقة مكشوفة ، ولكـن العجيب ان المغفلين يتقبلونها كصحيفة من صحف ابراهيم وموسى ، فتراهم حين قراءتها يشهدون مما يشاهدونه من الكرامـات التي تسكن لها البحار ، وتدوي بها الجبال وتستنير بها الاوجه ، وهنا يحمد الله من له بصيص مـن المعارف ، حين انقذه الله بنور العلم (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

ثم انني ظفرت بكلام المرغيتي فى الموضوع ، فاردت ان اسجله هنـا ليطالعه من يظن ان معه ادلة صحيحة ، ونص ما وجدت بخط الشيـخ ابـي فـارس الادوزي

قال الشيخ الامام ، المحدث الهمام ابو عبد الله سيدي محمد بـن سعيد المرغيتي السوسي اصلا ، المراكشـي دارا ، تغمده الله برحمته ،

واسكنه فسيح جنته آمين ، مجيبا عن سؤال عن الصحابة الرچراچيين رضي الله عنهم ما نصه :

واما مسألة سادتنا السبعة الرچراچيين ، الصحابة المرضيين افاض الله علينا وعليكم من بركاتهم شيآبيبها ، والبسنا واياكم من انوارهم جلابيبها ، فلا يخطر لك فى البال فى الحال ولا استقبال ، انكار صحبتهم ، وجحود مزيتهم ، بل تأدب معهم تأدب الشيوخ الصالحين قبلك ، وحسبك الاقتداء بهم ، وان تصل بهم حبلك ، ولا يصدر منك سقوط حرمتهم ، فانها من حرمة نبيهم ونبيك المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحسبك وكفى

واما قولك : لم يذكر اهل السير ، ولا اهل الحديث انه قد وفد احد من اهل المغرب على النبي صلى الله عليه وسلم ، فمردود عليك بأمور ، منها : ان كتب السير انافت على سبعين كتابا كلها من فليت شعري كم رأيت منها ، وكذلك كتب الحديث ، ليت شعري كم قرأت منها ، فهذا امامنا مالك رضي الله عنه ، قال له هارون الرشيد اريد ان احمل الناس على الموطأ ، فأبى مالك فقال : لا والله ، دع الناس فى سعة رحمة الله وتوسعة من دينهم ، فكيف تحمل الناس على الموطأ وقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة الف واربعة وعشرين الفا من الصحابة ، فتفرقوا فى الدنيا ، وعند كل واحد منهم ما يحتمل الا يكون عند جميعهم ، او عند جلهم ، وقد سمع منهم الناس فى اقطار الارض ومشارقها ومغاربها ، فلا تفعل ، ودع الناس فى سعة من دينهم ، فان اختلاف العلماء رحمة لهذه الامة ، فأمسك الرشيد عند ذلك عما عزم عليه .

فأنت يا اخي اقتد بامامك ، واقتد بقوله عز وجل (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) وقوله (وفوق كل ذي علم عليم) وسلم تسلم

ومنها وهو راجع الى ما ذكرنا انه لا يلزم من عدم اطلاعك على موجب صحبتهم الا يطلع عليه غيرك ، واتبع قول القائل (ومن انتم حتى يكون لكم علم) وحسبك ان تقول ما جرت به عادة السلف الصالح اذا بلغهم ما ليس لهم به علم ، وهو قولهم لم يبلغنا هذا ، وفى قولهم ذلك اسوة لمن اراد الاستبراء لدينه والتورع عن التكلم بما لا يعني فيما لا يعني ، لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه

ومنها : اذا فرضنا اطلاعك على جميع كتب السير ولم تجد فيها ذلك ان تعلم انهم فاتهم من علم السيرة شيء كثير، نقله غيرهم وشاهد ذلك ان بعضهم يزيد على بعض وينقل ما لم ينقله احد منهم ، وكم من مسألة في الحديث لم ينقلها احد منهم ، وكذلك العكس ، وكم من علم عند الخاصة ، قد فات العامة ، وكم من علم عند العامة قد فات الخاصة

انظر قصة ابن جريج التابعي رضي الله عنه حين قدم الى المدينة فأدركته الصلاة في بعض شعابها فاراد السترة ، فخط خطا ، فاذا خادم ترعى غنما فصاحت عليه وقالت : حدثتني مولاتي عن امها عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخط باطل ، الخط باطل ، الخط باطل ، فاسترجع ، وقال هذه خادم ترد عليك يا ابن جريج ، فكيف بك اذا التقيت الاحرار ، والعلماء الاخيار ، فنقل ذلك عنه عن الخادم عن مولاتها عن ام سلمة فعمل بها الائمة : مالك وغيره

ومنها : ان صحبتهم اشتهرت في بلاد المغرب اشتهارا يأبى الله ان يكون باطلا بين الخواص منهم والعوام

ومنها ان شيوخنا الذين اعتمدنا عليهم في علم الدين ومعارف اليقين ، تأبدوا على زيارتهم ، مفتنمين بذلك زيارة الصحابة ، محققين ذلك بما تقرر عندهم من علمه ومنهم : شيخنا حافظ المغرب العلامة سيدي ومولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني وغيره من اشراف اهل بلده العلماء ، ومنهم سيدي عبد الواحد بن احمد مفتي الحضرة الحمراء ومفسرها ومدرسها ومؤرخها ،كفى بهذين حجة ـ ومنهم شيخ الشيوخ المغربية سيدي عبد الله بن محمد الرچراچي ، وله في ذلك كلام مفيد لم نستحضره الآن ، ومنهم استاذ المغرب سيدي محمد الترغي وتلميذه استاذ المدينة الحمراء سيدي احمد الكفيف ـ ومن علماء درعة فسوس ففاس فتلمسان جماعة وافرة لم نستحضر اسماءهم ، وشككنا في بعضها فتركنا ذكره

واما الصالحون والاولياء العارفون لا يحصى من رحل منهم لزيارتهم معتقدين فيهم الصحبة وصرح بها اهل الكشف منهم تصريحا ، وادركنا منهم والحمد لله جماعة لاشك في خصوصيتهم ومكاشفتهم ، وحدثنا بها بعضهم

عن بعض ، بواسطة ثقة ، وفى هذا الزمان الاخير لقيت عارفا منهم (1) ، وقد كوشف بأصل المقامات العرفانية احياء واموانا ، كان عزم على الحج ، وقدم زيارة السبعة الرجال ، ولم يزد عليهم من غيرهم احدا ، ورجع سريعا فتهيأ للحج ، فأردت استخباره عن ذلك لاكتسب منه علما بما كوشف به ، وكان كثير الادب مع الله ، ورسوله صلى الله عليه وسلم فقلت له : انت عزمت على الحج ،وقدمت رجراجة ، والصيد كله فى جوف الفرا ، فابتسم وقال يا ابن سعيد اني اجدني استحييت من الله ورسوله ومن الصحابة الذين بالمشرق ، ان تركت خلفي طائفة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فى بلدي تمكنني زيارتهم ، واقصد غيرهم بالسفر البعيد ، وقد فهمت عن الله ان ذلك لا ينبغي ، لان فيه نوعا من الهجران لبعضهم ، وضربا من سوء الادب معهم ليكون ذلك حجة لي فى هذا الباب الذي قصدته فابكاني والله كلامه لما ظهر فيه من الحق والتحقيق ، فودعته وانا ابكي بكاء شديدا ، ثم بشرني ببشارة ، فالله ارجو ان يحققها بفضله ، وكان ايضا فى زماني عارف آخر ممن له اختبار مع الله فى جميع احواله وافعاله لا يزيد (2) وكان يؤكد علي ذلك اذا عزمت على زيارتهم مرة ثالثة ان اعلمه ليزورهم معي : وكان يتشوق لزيارتهم لما كوشف به من حالهم المذكور ، وينتظر الادب فى ذلك ، ولم يفتح لي وله فى ذلك ، فالله نرجو تحقيقه بمنه وكرمه ، وكان شيخنا العلامة المحدث الرواية الحاج المبرور يستخير الله عز وجل قبل رحلته للمشرق اغتناما لزيارة الصحابة فى بلاده ، وتعلق بذلك حتى فتح له فى الاذن فى زيارتهم ولم يتردد ولم نتباطأ ، ولا طلب رفيقا لشدة الرغبة فى ذلك قبل ان يحول بينه وبين ذلك عائق الموت ، فلما رجع رحل الى المشرق رحمه الله ونفعنا به ، وهو شيخنا سيدي ابو بكر السكتاني واظن ان عنده علما اكتسبه من بعض من لقي فى المشرق والله اعلم ، فقد حدثني بلقائهم للنبي صلى الله عليه وسلم وكلامهم معه ، ورده عليه السلام بلغتهم نحو ما ذكره صاحب (المفيد) وزيادة عليه ، وقال الشيخ : قالوا : مَچْچُونْ اِيچْانْ أرْقَاس نرْبِّي ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم تكَن ،أشْكَيْدْ ، وكفى بذلك حجة

---

1) وهو الشيخ التملي الذي الف فى اخباره

2) بياض فى الاصل كالبياض المتقدم

هاك يا اخي اسماءهم فمقدمهم سيدي وَسْمِين فى طرف جبل الحديد ، ثم سيدي ابو بكر اشماس فى (اقرمود) وابنه سيدي صالح وسيدي عبد الله ادناس فى المشهد وسيدي عيسى بوخابية على طرف (تَانسيِفت) وسيدي يعلي بن واصلي فى (امكرز) وسيدي سعيد يبقى فى (طماست) ، فلا تتعرض لما لا تعلم فانك حديث السن ، قليل المطالعة ، وقليل لقاء الناس ، فحسبك ان تقول لا ادري ، فهي عبادة امثالي وامثالك علما ، ودع الناس وما هم عليه ، فانك اذا فعلت ما دللتك عليه سلمت وسلم دينك وصلح يقينك ، لاسيما فى هذا الزمان الصعب الذي قل خيره وكثر شره ، وفاض فيه الجهل ، وغاض فيه العلم وعليك بخويصة نفسك ، (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فاذا فعلت قطعت عن نفسك وعن دينك المحن والفتن ، واياك والدعوى ، فانها بلوى نعوذ بالله من فتنة المحيا والممات آمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اه .

الحمد لله ومن المثلث للجزولي على الرسالة عند قول ابى محمد ابن ابي زيد وافضل الصحابة الخلفاء الراشدون الى ان قال : قال ابو زرعة : توفى رسول الله صلى لله عليه وسلم عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة رأوه ، ولم يذكر احد فيما بلغ علمنا ممن الف فى ذكر الصحابة مثل هذا العدد الذي ذكره ابو زرعة ، ولكن ابو زرعة امام متقن عارف بالحديث والتاريخ وهو من اشياخ مسلم بن الحجاج ، وذكر فى احاديث غريبة ان سبعة رجال من المغرب الاقصى وطوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى المغرب وذكر بعضهم ان واسمين الرجراجي صاحب جبل الحديد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عنه الكتاب الى اهل المغرب ، يدعوهم الى الاسلام ، فجمع وسمين المصامدة على ذلك الكتاب فى موضع (شاكر) وكان سبب اجتماعهم . الى هلم جرا والله اعلم بصحة ذلك . انتهى كما وجد معزوا للكتاب المذكور .

* * *

فلنعطف الآن العنان الى المترجم يحيا بن عبد الله ، فاول ما نتكلم حوله جده عبد الرحمان بن عاصم ، فقد وجدت من خط الحسن بن محمد الدئونملاَلْني الفقيه الذي سنلم به فيما يأتي : ان عبد الرحمان هذا هو الجد الاعلى لجميع الرجراجيين الساكنين هنالك ، وبذلك نعلم ان ما فى هذه

المسودة من ان اول نازل هو عبد الله بن عبد الرحمان ليس بشيء ، لان ما عند اولاده يوخذ منه ما لا يلقيه حتى وهما ما فى تلك المسودة ، ثم قال ان عبد الرحمان تلميذ ابي يحيا الكرسيفي ، وابو يحيا توفي 685 هـ فبذلك نعرف عصره ، وهو ايضا مدفون عند قبر شيخه فى (تادّارت) وقد ذكرنا ان الايديكلييين والساليين الايسيين من الرجراجيين ايضا واخوة ءال عاصم هؤلاء (ويذكر الايديكليون فى القسم الرابع) والساليون (فى هذا القسم نفسه)

رايت فيما تقدم عند ذكر نسب سيدي يحيا انه ، يحيا بن عبد الله ابن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

هكذا نسبه الفقيه الحسن المذكور مرتين ، وقال انه منقول كذلك من خط القاضي احمد بن محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن ابراهيم ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

ثم انني وقفت فى خط بعض المعتنين انه رفع النسب هكذا يحيا ابن عبد الله بن يبورك بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن عاصم ، فما فوق يحيا الى ان تصل عاصما هناك تسعة وما هنا سبعة ، وهذا اختلاف فى رجال النسب بزيادة ونقصان ، وقد اخترنا ما رسمنا اولا لكونه منقولا عن ذلك العالم احمد بن محمد ، وهو الاقرب ان يكون صوابا ، وخصوصا اذا تأملنا ما بين المترجم المتوفى 999 هـ وبين حياة جده الموجود فى آخر القرن السابع ، فاننا اذا تمشينا على قاعدة ابن خلدون التي قال بها ايضا ابن حجر الحافظ ، وايدها من ان رجال الانساب يقسمون ثلاثة ثلاثة فى كل قرن ، فان ذلك مطرد غالبا فنحن اذا اخذنا بما ذكره احمد بن محمد يكون الرجال تسعة من يحيا الى عبد الرحمان بن عاصم ، فيجيء ذلك موافقا للقاعدة ، فهناك القرن الثامن والتاسع والعاشر ، فيقسم عليها التسعة ، بخلاف ما اذا اخذنا بالقول الآخر

اشادة التاريخ بالمترجم

قال العلامة الرسموكي فى الوفيات :

(المرابط الخير الدين سيدي يحيا بن عبد الله من تحت الرمال

(دئوينملا َلن) وينسب لرچراچة ، توفي رحمه الله ببلده اتتيملت في نحو 999 هـ وله مناقب وكرامات كثيرة سنثبتها ان شاء الله عن الثقات ان فتح الله في تجريد اخباره ، وهو المامول في بلوغ السول (لكنه لم يفتح له ان يتم كتابه)

وقال الحضيكي في (طبقاته) مثل ذلك بلا زيادة مهمة

نظرة على ما قال المؤرخان

ان من القى بصره على ما قال صاحب الطبقات ، يدرك انه انما نقل ما قاله صاحب الوفيات ، ولذلك ينحصر كلامنا في الذي قاله الاول

اولا ــ ان قوله فيه المرابط الخير الدين يعلم منه انه امي ، وانه لم يمر بالتعليم لما نعهده من العرف الجاري ان من كان ملما بالعلوم فان وصفه بها يجعل كأساس لاوصافه ، فنخرج من هذه النظرة ، ونحن نوقن ان الشيخ يحيا بن عبد الله امي

ثانيا ــ قوله : انه ينسب لرچراچة ، ربما يستروح منه قارىء انه يتشكك في ذلك ، والواقع ان عبارته بمثل ذلك عرفنا منها بتتبع في محلات ممن ذكرهم في وفياته : ان المقصود انه سمع بذلك ، ولم يقله من عند نفسه، ولا عاين ما يستند اليه ، فيكون واقفا ازاء ما يسمعه وقوف السامع الذي لم يزد ولم يشك ، بل ترك الباب كما وجده مفتوحا ، وقد رأيت مما سقناه نحن انه رچراچي بلا شك ، ومثل هذه العبارة وجدناها له في الاغرّابوئيين ايضا ، حين قال انهم ينتسبون لابن رشد او قال ربما يرفعون اليه نسبهم ــ لم استحضر الان عبارته ــ ، ثم وقفت على ان ذلك غير صحيح

ثالثا ــ انه قال : توفى نحو 999 هـ فيكون شاكا في تعيين تلك السنة بعينها

رابعا ــ انه ذكر ان له مناقب وكرامات ووعد بتجريدها عن الثقات عند تحرير الكتاب ، ولكن ذلك ــ مع الاسف ــ امنية لم تتم ، فلم نعلم له الآن من المناقب والكرامات الا ما ترشح به الاحاديث عنه ، وهي الى الخرافات اقرب لعدم ثبوتها بالسند ، بل لا استحضر انا الآن الا ما تقدم في ترجمة تلميذه

جدنا عبد الله بن سعيد ، وتجد هناك ما تراءى فى وادي (أينمْـور) لتلميذه ، وتجد هنا قضية الفران ، وكل ذلك مما تتسع له حوصلتي انا — ولا اتكفـل بغيري — لو صحت به الرواية ، ولكن حيث خاب رجاء المؤرخ الرسموكـي الذي عزم على سوق ذلك ، فقد سقط البنيان من اساسه ، وذهبت تلـك المناقب والكرامات ادراج الرياح

خامسا — انه بلا شك من اشياخ اواخر القـرن العاشر المقصوديـن للتربية ، ونحن لا نجهل ما لذلك القرن من علو كعب المشيخة حتى ان من اراد ان يتصدى لاحصاء الشيوخ الصوفية البارزيـن فيه ليعتريه عجب مما يراه لا فى سوس فقط بل فى جميع المغرب ، ولكن الذي يقف امامه فى كون مشيخة سيدي يحيا مشهورة شهرة واسعة ، امتد صداها بعد موته الى مسامـع صاحب : (الوفيات) اننا لم نجد له اصحابا ينتسبون اليه الا ما كان من جدنا الشيخ عبد الله بـن سعيد ، والا ما كان مـن المبارك بن مسعود الذي قـال فيـه الرسموكـي :

المبارك بن مسعود بن علي الرسموكي التّاغـَاتِيني ، صاحب المداعبات الشهيرة والمفاكهات الحسان ، صاحب ولي الله سيدي احمد بن موسـى وسيدي يحيا بن عبد الله التملي ، توفى قبيل وفاة المنصور رحمهما اللـه ببلدته ، انتهى ووفاة المنصور 1012 هـ .

هذا كل ما وجدناه من اصحاب سيدي يحيـا ، ويغلب على الظـن ان مناقبه وكراماته التي يعزم مؤلف (الوفيات) الرسموكي ان يوردها فى كتابـه ربما كانت انتشرت هنالك من فى تلميذه المبارك ، وقد ادركها صاحب الوفيات مشهورة ، وربما كان المبارك التاغاتيني قريبا للمؤلف ، فنعلم ان المؤلف من اهل تاغاتيـن ، لاننا نجهل من هو من رسموكـة .

هذه نظرة حول ما قاله الرسموكي فى الشيخ يحيا بن عبد الله ، ولنجل بنظرة عامة حول اسرته ، فان هنالك اجدادا واحفادا ، لنرى كيف تلـك الاسرة والمجد، الا تزال محافظة عليه ، ام القتـه ظهريا ، ولنمـر الجميـع تحت انظارنا بالارقام على عادتنا فى البيوتات ، مع الباس كل واحد ما البسـه التاريخ صلاحا أو علما أو كليهمـا .

1 **عبد الرحمان بن عاصم** : تقدم ما نعرفه عنه من انه تلميذ ابي يحيا المتوفى 685 هـ .

2 **يحيا بن عبد الله** بن يبورك بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم ، وهو المترجم له ، وقد عرفت ما نعرفه عنه ، وما سوى ذلك من زمن ولادته انما حزرناه كما ترى ، واما شيخه فى التصوف فلم نعرفه ، وان كنت احسب انه لا يتجاوز مثل الشيخ احمد بن موسى ، وامثاله اذ ذاك مشهورون كثيرون

3 **عبد الله بن يحيا**

ولد المترجم ، قال فيه فى (الطبقات) عبد الله بن يحيا بن عبد الله التملي من تحت الرمال ـ دْوِنمْلاَلْن ـ كان رحمه الله من كبار الاولياء العباد حسن السمت كريم الخلق ، تؤثر عنه كرامات كثيرة ، اقبل عليه الخلق ، ويثنون عليه ، ويرون له بركة ظاهرة ، وفراسة صادقة ، وتواضعا تاما ، توفى ببلده مريضا سنة 1047 هـ .

واصل الترجمة من (الوفيات) غيران فىهذه زيادة فىالاوصاف التيتراها لكن فى (الوفيات) انه قال : توفى : 1047 هـ. تقريبا ، فلا ندري ، اوقع الحضيكي على جلية الامر فى تحقيق وفاته ، ام سقط لفظ ـ تقريبا ـ فى النسخة التي نقل عنها من (الوفيات)

4 **يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان**

قال فيه صاحب (الوفيات) (الفقيه سيدي يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بن عاصم التملي من تحت الرمال (دْوِنمْلاَلْن) ينتسب لرچراچة ، وهو من العلماء المشهورين ، توفى رحمه الله ببلدة اِنتِمْلْت فى نحو اواخر 999 هـ انتهى ولم يزد صاحب الطبقات شيئا ، بل نقص بعض امور

5 **سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان**

قال عنه فى الطبقات :

سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان التملي من تحت الرمال

ـ دويملالن ـ الفقيــه الشهير الفاضل قاضي بلده ، والد الفقيه سيــدي احمد بن سعيد المذكورة ، توفى رحمه الله سنة : 1017 هـ .

وهنا زيادة قليلة على مــا فى (الوفيات) ولكنها على الحاشية بتمطيط الاوصاف لا غير ، لان صاحب (الوفيات) وصفه بالقاضي ، ثم مطت الكلمة ، ولا شك ان كل قاض فقيه شهير ، وذو فضل ايضا حقيقة او مجازا

6 محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان

قال في الوفيــات :

الفقيه القاضي سيدي محمد بن يعقوب بن سعيد التملي ، تولى قضاء بلده بعد وفاة اخيه سيدي سعيد ، مات عام 1030 هـ

ثم انني فتشت عنه فى نسختي المنسوخة من (الطبقات) فلم اجده ، ولا اخاله الا ساقطا ، والا فما كان مؤلفها ليذره ، ثم لا احسبه يزيد على ما تقدم

7 احمد بن سعيد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان

قال فى (الوفيــات) :

الفقيه القاضي سيدي احمد بن سعيد بــن يعقوب التملي مــن تحت الرمال ـ دئوينملالن ـ هو رجل صالح دين عاصرته ورأيته ، وتوفى رحمه الله ببلدته ، وهو على قضائها عام : 1040 هـ ودفن بموضعه (تحت الرمــال) وهو ممن شكرت سيرته ، واستملحت طريقته ، وصفت سريرته ، رأيتــه مــرة . انتهــى .

وبذلك نفســه ترجمه فى (الطبقات) مع اختصــار المعاصرة والرؤية ، ومثلهما وله العذر ، لانه ما دام مقتصرا علــى ما ينقله عنه فى ذلك العصر ، فكيف يصنع الا ذلك ، وقد رايت له بعض فتاو فى كناشة ، جمعت فتاوي كثيرة عند سيدي محمد بن عبد الله بن القاضي الايديكلي

8 **محمد بن محمد** بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيا بن عبد الله بن يبورك بن محمد بن علي بن محمد بن عبــد الرحمان بن عاصم ،

تقدم لنا ما فى هذه السلسلة ، وان الاخرى هي الصحيحة ، ولولا ان هذا نقله سيدي محمد بن القاضي الايديكلي عن محمد ولد هذا الذي نحن بصدد ذكره ، لما ابهنا به ، ولا جرى به قلمنـا

هذا استاذ جليل ، وعلامة كبير ، كان من علماء املن فى اوائل القـرن الماضي فكان وحده مقصودا فى تلك الجهة ، ثم علم باسم قاضي (دئوينملالن) واحسب انه قاض رسمي على يد سيدي محمد بن يحيا اغنئاج المشهـور خليفة القائد عبد المالك بن بيهي الحاحي ، وقد امتد بجيوش مولانا سليمان الى هذه الجهات فى سنة 1224 هـ فكانت قبيلة املن منضوية تحت ضبنه ، ولذلك قوى ظني بما قلته ، والعادة ان المحتلين يبقون ما كان على ما كـان خصوصا رجال الدين ، ولهذا نجد لشهرته بالقضاء دعامة رسمية ، ولم ادر عمن اخذ ، وان كنت اخال انه من الآخذين عن الهوزيوي الذي ذكر عنه ابـو زيد الجشتيمي لا اعلم الآن ذا علم او مفتيا الا اخذ عنه ، الا نادرا — او كمـا قال — ولهذا مال حسباننا الى ما ذكرناه ، وتوفـي 28—6—1231 هـ وهـذا التاريخ لوفاته منقول من كناشة ابن القاضي الايديكلي ، هذا ما اعرفه عـن محمد بن محمد قاضي (دئوينملالن) كما اشتهر به عنـد الخاصة والعامة ، وقد رايت توقيعه فى فتاو فى الكناشة المذكورة آنفـا

9 محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان

ولد المتقدم ، وقد رايت له آثارا تدل على انه عالم حسن ، وانه ورث من ثراث والده كنزا ثمينا ، ولكن اخباره كما هي غابت عني ، واحسب انه ممن اخذ عن ابي زيد الجشتيمي ، او عن احد العلماء الذين لهم شهرة بعد ان انصرم وباء عام : 1214 هـ وقد رايت له ما يدل على انه لا يزال حيا سنـة 1252 هـ.

10 **احمد بن محمد** بن محمد بن محمد بن محمد (مكرر اربع مرات) ابن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيا بن عبد الله

هو حفيد الذي ذكرناه قبلـه ، وهو اليوم كاتب رسمـي فى مركـز (تافراوت) ، وحين كان ممن اخذ عن الالفيين بالمدرسة الالفية ، فنرجئه الى (القسم الرابع) ان شاء الله

11 احمد بن حسين بن ابي القاسـم

لم اعرف نسبه المرفوع الى الجد الاعلى ، رأيت له فتوى فى الكناشـة المتقدمة وهو حي كما احسب فى الثاني عشر ، ولو كـان علماؤنا يؤرخـون فتاواهم ورسائلهم لما وقع المؤرخ فى التردد بين القرون ، ولم اعرف لـه سـوى ذلـك

12 عبد الرحمان بن احمد من بني محمد ، علامة آخر يظهر مما رأيته له من الفتاوي انه كبير المقام فى العلم ، ولا اعرف عنه شيئا ، واحسبه ممن عاش فى النصف الاول من القرن الماضي ، (ثم علمت انه تأخر عن ذلك العهد، وانه مقتول بيد ايت تازكا ، نحـو 1300 هـ)

13 اخـوه محمـد بن احمـد

ولد نحو : 1235 هـ وتوفي 22ـ6ـ1298 هـ احد الافذاذ المشهوريـن فى القرن الماضي بالصلاح والعبادة والانحياش الى الخير ، ونصيحة العباد ، يسلك الطريقة الناصرية ويهتدي بهديها ، فكـان ممن يعمل اقدامه لارشاد الناس فكثيرا ما يتوجه الى ايت بوعمران ، والى ازاغار .

اخذ عن الشيخ سيدي احمد بن محمد التيمنجيدشتي ، ثم شارط فى مسجد (أداي) فى قبيلة املن 36 سنة ، فاقبـل على تعليم كتاب الله مـع مجاهدة تامة وكان قبل ذلك كما احسب مشارطا فى مدرسة تافراوت ، لانني رأيت ان فقيها يسمى محمد بن احمد الدوينملالني شارط فيها فى اوائـل العقد السابع قبل ان يتصل بها الاستاذ سيـدي محمد بـن القاضي نحو 1267 هـ (ثم علمت ان محمدا هذا المشارط فى المدرسة اخـو محمد المتقدم ، وانهما اثنان وكل واحد منهما قرأ فى تيمكيدشت) احدهما محمد ـ فتحا ـ

كان محمد بن احمد المذكور قيوما على الصلاة على النبي صلى اللـه عليه وسلم وكان يكلف اصحابه ما قدروا عليه منها ، فيذكر كل واحد علـى وسعه ، وربما خرج مع تلاميذه فيدورون على القبيلة ، فيتعهد كل واحد من رجالاتها بما يقدر عليه منها ، وكان ايضا يسكن نائرات الفتن متى اندلعت فى تلـك الجهـات

ومن عاداتــه اذا كان يمشي مع اصحابه فى طريق انهــم يتعهدونهــا باماطة الاذى من الاحجار والشوك ، ولم يكن قط يتأخر عن تِيمْجِّيدْشْتْ ، وهناك يلتقي مع الفقراء والمقدميــن ، فيتواصون بالصبر ، وكان يرى مــن هناك مولعين بالمرائي ، ولكنه هو لا يفضي بشيء ، ولا يتظاهر بأنه من اهل تلك الناحية ، ولم يعرف له ما عرف الا بعد وفاته .

هذه ترجمة القاها الى اناس بالفاظ تماثل هذه ، وهم كثيرون ، ولذلك تركناها كما يعرفون به الرجل ، ووجدت بخط صاحبنا الفقيه سيدي عبد الله بن محمد الكرسيفي الاسكَاوْري ما ياتــي :

(فى يوم السبت الوافي 22ـ6ـ1298 هـ مــات الشيخ الورع الفقيــه الولي الصالــح المرضي الزكي العابد الرافض للدنيا واهلها ، المقبل علــى الآخرة بكليته وعلى ما يعنيه ، المتبرىء من الحول والقوة والرياسة والجاه ، الناصح لعباد الله السيــد محمد بن احمد من بني محمــد من تحت الرمال ، التملي وهو تلميذ الشيخ السيد احمد بن محمــد التيمكيدشتي ، ومناقبه لا تحصى ان اردت ان تعدها وكفى بذلك انني ذرعت فى الكاغــد الذي يكتب فيه رؤياه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدتــه ستة اذرع ، وهو يكتب فى ورقة حتى تكمل ، فيلصق اليها الاخرى حتى تكمــل فكان الكاغد ستة اذرع بلا تخميــن ولا تعصب ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء ، انتهى)

اخبرني بعض اهل أداي التي ابطأ فيها بالمشارطة : انه حين اظله يومــه جمع اهل القرية فودعهم وودع المسجد بأن اذن فى جميع اركانه ، ثم توجه الى داره فقضي عليه ، وكان رحمه الله معروفا عند الناس بسيدي محمد نيت محمد ـ فتحا ـ .

هذا ما وجدته عن الرجل ، ويظهر ان صلاحــه اعظم من علمــه ، والا فمالنا لا نرى أثرا لعلمه ان كان حقيقة عالمـا متمكنـا

14 الحســن بن محمد ـ فتحا ـ

هو الحسن بن محمد ـ فتحا ـ بن احمد بن محمد بن محمد بن احمد ابن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن سعيد بن عبد الرحمان بــن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن عاصم

هكذا بخط يده ومنه انقل ، ثم اتبعه نسبه من جهة ام جده ، فمحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن احمد بن عبد الله بن يحيا الى آخر ما تقدم فى طليعة الترجمة

اخذ عن الشيخ سيدي الحسن التيمكيدشتي ، وقد رايت كتبا انتسخها هناك وهي مؤرخة بسني 1286 هـ منها شروح المتون الصغرى ، ومتن ابن السبكي ، وخطه وسط ، ومما كتبه فى بعض طرر كتاب من كتبه :

ليعلم الواقف ان جل الناس فى هذه البلاد السوسية عيدوا عيد رمضان عام : (1301) هـ بالبارود من غير رؤية الهلال ، نشأ البارود فى ساحل البحر ، وشاع فى الليل من السهل الى الجبل، فكثر من اعتمد عليه، وقل من امسك، ولما وصل موسم سيدي احمد بن موسى فى منتصف غوشت ، نادى مناد يسأل عمن راى الهلال الذي وقع العيد عليه ليلة الشك ، فلم يظهر احد ، فردد الناس النداء مرة بعد مرة ، فلم يبرز احد للشهادة ، فنادى اذ ذاك مناد فى الناس ان لا يصام ولا يعيد الا برؤية الهلال ، او بنقلها عمن راى ، كما يجب شرعا ، فان هذا الزمان لايضبط فيه الناس ولا يبالون بشرائع الاسلام ، نقل ذلك عمن سمع النداء فى الموسم وهي ثقة الضعيف الحسن بن محمد الرمالي التملي الرچراچي لطف الله بـه

وللفقيه الحسن هذا ولد يسمى عمر من افاضل اصحاب الشيخ الالغي من الذين عضوا على طريقته بالثنايا والرباعيات والانياب والضواحك والنواجذ ، ثم جمعوا عليها وراء ذلك شفاههم ، يمصون ضرعها ، وهو اليوم فى نحو الستين من عمره يشارط فى قرية (اِيفِير نْتَارْچَانْت) من قبيلة اَملْن ، لاقيته مرارا ، ويواظب الزيارة لالغ بفناء تام فى المحبة ، ومن اغرب ما رايته له ان فى مجموعة تحت يده قصيدة حسنة فى مدح الشيخ التيجاني ، فكان يتتبع لفظ هذا الشيخ، فيستبدله باسم شيخ الطريقة الدرقاوية الالغي، وربما صادم القافية ، ثم لا يبالي ، توفى والده الحسن سنة 1321 هـ (ثم توفى سيدي عمر نحو : 1370هـ)

هذا ما امكن من هذه الاسرة الدويملالنية بحسب ما نعلم، اعاد الله علينا من بركاتها

سيدى الحاج الحسين الافرانى

نحو 1248 = 4 - 10 - 1328

نسبه :

هو الحسين بن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم

استفق ايها اليراع من سنتك ، وانفض عنك ما اراه على عطفيك منذ الزمت ان تجري فى تراجم اناس لهم من العلوم والمقامات حظوظ غير عظيمة ، ولم يرزقوا فى الازل ان تتلألأ سماوات تراجمهم بكواكب المعارف الوهاجة التي لا تتلألأ التراجم حقا بسواها ، فقد ودعت الآن من كانوا على تلك الصفة ؛ واقبلت على علامة عظيم يميد الخافقان بما اوتيه من معارف زاخرة ، ومناقب باهرة ، ومجد عظيم يخضع له القمران ، ويهتز به المشرقان .

ايه ايها اليراع ايه ، فان الحاج الحسين الافراني لصنو العلامة ابن العربي الادوزي، وأخو الشيخ الامام الحاج احمد بن عبد الرحمان الجشتيمي، علما وجلالة وهمة وتفوقا ، بل له من نواح اخرى ما عجزا عنه لاقتصارهما على الاخذ بسوس خاصة ، فقد ثافن فى فاس ، وكرع فى مصر ، فخلط بين المشرق والمغرب ، فانقاد له فضلهما ، فارنا بحقك ايها اليراع ما يستحقه من هذه بعض صفاته ، كما أريتنا فى ترجمة المتقدمين ما اريتنا

الحاج الحسين الافراني خير علامة خاض العلوم بسوس فى عصره ، لانه ضم الى ما ورثه عن آله ، وارتضعه عن مشايخ جزولة ، ما فاز به اثناء رحلات قام بها خارج جزولة فرجع منها بافهام نادرة ملقحة بالروح الجديدة ، وبكتب نادرة استوعبها مطالعة فاستوعب ما يشده به اقرانه كالاستاذ الادوزي ابن العربي الذي يقول من اين للحاج الحسين ما ياتي به فعندنا من الكتب ما عنده، فكانت كلمة تدل من الاستاذ الادوزي على انه لم يدرك بعد ان كل ما حوته خزائن سوس من الكتب ليس الا كقلامة ظفر ازاء ما اظهرته هذه الاعصار من المطبوعات فضلا عن الآلاف المؤلفة من مخطوطات المكاتب الكبرى فى الحواضر ففاز بذلك من اعمل الرحلة وثافن الرجال وبادل الافكار .

ان للحاج الحسين الافراني ـ والحق يقال ـ لمكانة مكينة فى المعارف على اختلاف انواعها ، ثم كلله الله وراء ذلك بما تلقاه من استاذه الكنسوسي من تصوف هادىء لا ينكر احدا ، ولا يجبه بطريقته طرقة اخرى ، ومعلوم ما للاديب الصالح الكنسوسي من ذلك ، ونظرات فى (الجيش) و (الجواب المسكت) ، واثناء رسائله ، توحي الى صاحبها ان الرجل خلو من التعصب الاعمى ، فذلك هو ما اقتبسه الاستاذ الافراني فضمه الى ما عنده من المعارف فكان له كل ذلك الحسنى وزيادة .

لم ينبت الاستاذ الافراني من منبت سبخ التربة ، ولا تفرع عن شجرة غير مثمرة بل نبت من بلد طيب (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) ، وتفرع عن اسرة تنتمي الى السلالة الهاشمية فيما قاله المترجم نفسه اثناء رسالة الى الشيخ سيدي مسعود المعدري كما حدثني به من راى الرسالة نفسها ، والناس مصدقون فى انسابهم ، ولا يدفع ذلك الا حاسد او متمعلم ، لان علم الانساب قد انتهى بسوس الى الاستاذ المترجم الذي اذا قال فقد قالت حذام ، على ان الفرع ليدل على طيب الاصل ، وجودة الفرند لتدل على جودة النصل ، كما قال زهير :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه ❊ وتغرس الا فى منابتها النخل

وكما قال بشار :

وليس المجد منتحلا ولكن ❊ على اعراقها تجري الجياد

وسمعت ان اسرة المترجم تمت الى اسرة اِدْشَاكُوكْ المجيدة فى تانكرت من افران ،

ثم ان الاستاذ الحاج الحسين ليس اول من اعتنق المعارف من اهله ، بل كان قبله بعض ابناء عمومته طالعين فى آفاقها ، حدثني بذلك احد اهل تلك الجهة ممن يعتني بتتبع الانباء ، واستنباط المسميات من الاسماء ، فلنذكر من ذكرهم لنا اولا ، ثم نتخلص للمترجم

وما عن هوى كان التغزل انما ❊ يسنن قبل الفرض ان يتنفلا

1 ـ عبد الله بن بلقاسم السوقي ،

كان عالما مذكورا فى اواسط القرن الماضي الى اواخره ، وربما طعن فى اول هذا القرن ، وكان قلمه قد يتحرك فى الاحكام ورسوم الشهادة ، قـــال الحاكي ان محررات يده موجودة بكثرة فى تلك الجهة ، وهو على كل حال ليس بذي شهرة كبيرة ، وانما هو وسط فى معارفه ، ثم غمر بين علماء آل اساكا ، وبين سيدي محمد بن ابراهيم ، ذلك كل ما يعرفه عنه من حدثني ، ثم وعدني ان يوافيني بالزيادة ، ولكن اوصد (1) الباب ، فلم يتيســـر ما يراد

2 ـ محمد بن عبد الله بن بلقاسم السوقي •

ولد المتقدم ، لازم فى مسجد السوق الفقيه سيدي محمـد بن علـــي الايفيري التامانارتي نحو 12 سنة ، فبه تخرج حتى كانت له معلومات حسنة وان كانت لا تعدو الوسط ، وكان جيد الخط ، يجول ايضا فى النوازل ، وكان يشارط فى مسجد (تَازَّايْنْتُونْتْ) الذي كان جامعا كبيرا قديما ولم يـزل على حاله ، وهو فى هالة غير متسعة فى العلوم حتى توفي عام 1337 هـ ، ولو كان فى غير افران التي فيها امثال العلامة الطاهر بن محمد ، والعلامة مَحمد ابن الحاج ، والعلامة احمد بن صالح ، لامكن ظهوره ، ولكن المصباح لا يظهر مع الشموس المشرقة (اذا صرصر البازى فلا ديك يصرخ) ولمحمد بن علي وولده احمد الايفيري ذكر فى مكان آخر ان شاء الله .

وقد تواتر عند الناس ان المسجد المذكور مبني فى مركز قديم للمتونيين، وهناك صومعة يقال انها ايضا من آثار مركز اسماعيلى وهناك كان قائد كبير يسمى اَشَغُود ، ذكر لي بعضهم ان بعض الرسائل الاسماعيلية اليه موجودة الى الآن ، والجدران الهائلة التي هناك فى مساكن الاسرائيليين تدل دلالـــة صريحة على عمارة هائلة مرت هناك ، ويقول الاسرائيليون انفسهم ان ذلـــك الملاح اسس قبل البعثة المحمدية بكثير ، وله عند اليهود حرمة فى كافة المغرب (وقد نشر مقال فى احدى المجلات الفرنسية فى الربـــاط حول هــــؤلاء الاسرائيليين)

---

1) كتب هذا فى المنفى الذي ضرب فيه الحصار

3 ـ العلامـة الحـاج الحسيـن .

نشأ هناك فى قرية السوق كما ينشأ ابناء البداوة لا يعبأ له ولا يتنبه الى ما اودعه الله فيه مما ابرزته الايام بعد هذا الحين ، وهكذا ينشأ الاعاظم فى بساطة وخمول ، ثم لا يزال الدهر يعلي شأنهم شيئا فشيئا حتى يصبحوا وهم زينة الحياة الدنيا ، او كالجبال الراسخة فى اكناف الارض تمنعها من ان تميد.

متعلمـه للقـرآن

لابد أن يكون تدرج فى القرآن بين يدي اهله فى قرية (السوق) بادىء ذي بدء كما هي العادة المتبعة ، والعادة قلما تتخلف ، ثم حدثت انه استتم دراسته القرآنية فى مدرسة (اِسنْچرْ ادْ) من ايت جرار عند بعض مشاهير القراء هناك ، ولعل ذلك هو سبب الاتصال الذي رايناه بعد هذا الحين بين الاستاذ وبين آل ايليغ ، لما كان يشاهده من مكانهم من عهد الصغر ، ولعهود الصغر ذكريات لا تنمحي فى الجوانح

اساتذته السوسيون :

1 ـ اول من اخذ عنه المبادىء الاستاذ سعيد بن عبد الله الاساكي الافراني ، ويوتى لي انه اخذ عنه فى مدرسة تانكرت لانه كثيرا ما يشارط فيها، وترجمة هذا الاستاذ توجد بين تراجم اهله فى (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) من هذا الكتاب ان شاء الله

2 ـ احمد بن عدئي العركوبي من اِيغِير مَلُولْن ، وكان يشارط احيانا فى مدرسة تازروالت حتى توفي فيها ، كما كان يشارط ايضا فى مدرسة (ا سكنْرادْ) ، وسيذكر ايضا فى ذلك الفصل مع احد اهله ، هكذا بلغني انه من اساتذته فى المبادىء وان كان شيخنا سيدي الطاهر بن محمد الافراني لا خبر عنده عن ذلك

3 ـ سعيد بن علي الاَنْبرايْمِي اخذ عنه ايضا فى المبادىء ، لاني وجدته لقبه بالشيخوخة اثر القصيدة العينية النبوية لابي العباس الجشتيمي نسخها له ، ولم اعرف عن سعيد هذا الآن شيئا

4 ـ العربي بن ابراهيم الادوزي الامام الكبير ، سمعت استاذنا الطاهر بن محمد الافراني يقول : ان المترجم صاحب استاذه هذا ست سنين.

وقد كان تلقى الطريقة التيجانية قبل ، فامره استاذه المذكور ان لا يشتغل بها ، وان يفرغ جهوده لدروسه ، قال المترجم انه قضى بعد ذلك اذكار تلك السنوات كلها

5 ـ ابو العباس الاستاذ العظيم احمد بن عبد الرحمن الجشتيمي فى مدرستهم، وقد عاشره هناك الاستاذ عبد الرحمان السالمي الايسي ومحمد بن ابراهيم التامانارتي الافراني ، ثم اتصلت صحبتهم بعد ذلك ، ومما يتعلق بهذا قصيدة للاستاذ الجشتيمي خاطب بها تلميذه هذا بعد ما ظهرت مكانته ، ونصها :

على مغنى العلاء ابي علي ... سلام من اخي ود صفي
سلام طيب الانفاس يزري ... بعرف الند والمسك الذكي
ويزري بالوصال اذا تبدى ... بعيد الهجر من حب رضي
ونلت بفضل ربي كل خير ... من الدنيا يؤول لاخروى
وبعد فقد كساك الله فضلا ... ثياب العلم ذي الشرف السني
فاكرمها بتقوى الله فيها ... وحاذر ان تدنسها بشي
وكن ذا همة تعلو الثريا ... ولا تتخط للامر الدني
ولازم نشر ما علمت حتى ... يرى لردا حياتك خير طي
وكن متعوذا فيما جهلتم ... بجنة كل ذي علم تقي
ولا ترهب سقوط الجاه منها ... فتكذب فى الحديث على النبي
وقم بالحق لا يزللك حب ... ولا خوف عن النهج السوي
وكن حرا ولا يسلبك حرص ... على شيء كما الحر الابي
واياك الدنا وغرور وجه ... لها فى اعين الحمقى بهي
فعن قرب تؤول الى فناء ... وتبقى حسرة الصب الغوي
يعض يديه عما كان قدما ... يهيم به كغيلان بمي (1)
فلا تنظر لغير الله فيها ... فافن العمر فى العمل الزكي
ولا تأخذ بدين الله شيئا ... من الدنيا الدنية ياصفيي
ولكن صنه عن تلك الدنايا ... والا جئت بالشيء الفري (2)
واسهم من دعائك كل وقت ... رجوت به الاجابة للغبي

1) المراد بغيلان وبمي ، غيلان بن عقبة الملقب ذا الرمة من عشاق شعراء العرب المشهورين اغرم بمية بنت عاصم ، وشيب بها فى شعره .

2) الشيء الفرى ، المختلق المكذوب المتعجب منه ، قال الله تعالى ، (لقد جئت شيئا فريا)

اخيك المبتلى بالخوض دابا	من الذنب المروع فى اتي (1)
عساه يفوز بالغفران فضلا	واحسانا من البر الولي
بجاه محمد خير البرايا	نبي الرحمة المنجي الحفي
عليه وآله وصحاب صدق	صلاة بالسلام من العلي

فى الحواضر

اعمل الرحلة الى فاس اولا بمصاحبة رفيقيه عبد الرحمان السالمي ، ومحمد بن ابراهيم الافراني ، واخذ كذلك فى مراكش عن العلامة اكنسوس ، ثم بعد ذلك اخذ ايضا فى مصر ، واحسب ذلك وقت حجته الاولى ، وتفاصيل حياة المترجم فى هذه الرحلة العلمية ليست عندي ، ولذلك نوجز عنها فى هذه الفترة. وقد سمعت سيدي الطاهر بن محمد يقول : كان على المترجم وصي فى يده له مال ، فصار ينفق عليه منه حتى اتم دراسته فقال له : لم يبق عندي من مالك الا ما تؤدي به فريضة الحج ، فكانت حجته الاولى

فى سوس متصدرا

تجد فى ترجمة الفقيه سيدي محمد بن بلقاسم التّيّوتي الالغي بطاقة كتبها اليه الاستاذ الافراني هذا مورخة بذي الحجة عام 1285 ه ، وبذلك نستدل على انه اذ ذاك قد استقر فى داره وانه صار يجول فى النوازل من قبل ذلك الحين ويتصل باهلها ، كاحمد بن محمد بن على الايفيري الذي كان اذ ذاك مشهورا فى النوازل ، ثم علمنا ان الاستاذ محمد بن عبد الله الالغي كان اتصل به فى افران قبل 1291 ه حين كان ياخذ فى تلك المدرسة التانكرتية عن العلامة محمد بن ابراهيم ، فقد سمعت انه ربما كان اخذ عنه اذ ذاك بعض اخذ ، ولست فى ذلك على يقين ، وانما الذي اتيقنه انه تلقن منه الطريقة التيجانية ، وذلك يدل على شهرته بتلقينها منذ راجع اهله فاستقر بداره فى قرية (السوق) بتانكرت فى اول العقد التاسع ، وكان اذ ذاك يتردد على مجلس سيدي الحسين بن هاشم ، ومجلسه اذ ذاك بايليغ اعظم مجلس يضم افذاذ علماء الجنوب السوسي ، فهناك سيدي محمد بن عبد الله الاساكي واخوه سيدي سعيد وسيدي احمد بن محمد بن عدي العركوبي ، وسيدي احمد بن ابراهيم السملالي ، وسيدي محمد بن صالح التادارتي الباعمراني وسيدي

1) السيل الاتي ، الآتي من حيث لايدرى .

الحسين العبدلاوي الباعمراني ، وسيدي محمد بن محمد التوماناري الخياطي وسيدي المدني الناصري ، والفقيه سيدي محمد بن بلقاسم الالفي وكثير من نظرائهم الذين يترددون الى ايليغ ، خصوصا فى الرمضانات حيث يقام حفل عظيم للبخاري على العادة ، فكان الاستاذ سيدي الحاج الحسين منتظما فى سلكهم منذ مفتتح العقد التاسع من ذلك القرن ، وقد كان آل الحاج بلقاسم الافرانيون ــ اسرة الاستاذ المترجم ــ عيبة آل ايليغ وكرشهم وانصارهم فى افران ، فكان ذلك من بعض الحوافز للاستاذ حتى يندمج فى ايليغ ، وقد راينا ايضا انه اخذ القرآن فى مدرسة اِيسنجرْ َاد جارة ايليغ فيرى العظمة التي يتمتع بها الرئيس سيدي الحسين بن هشام يعسوب الجنوب اذ ذاك ، ورئيسه الطبيعي الذي منه واليه الاراء صادرة وواردة

نال سيدي الحاج الحسين هناك شفوفا يتزايد مع مرور الايام ، فكانت مكانته فى التحصيل للمعارف ، واتساع اخلاقه ، ودماثة جانبه ، تتسامى به شيئا فشيئا ، فيرتضي فى المهمات ، فاليه رفعت القضية التي كانت بين العلامة احمد السملالي والفقيه التّادْرَارْتي ، كما هو مبين فى تراجم الـتّادْرَارْتِيّين فى (الفصل الاول) من (القسم الرابع) ، وذلك حوالي مجالس رؤساء (أجْرْض) بتامانارت ، و (ايليغ) بتَازْ َارْوالت ، و (أَجْلْمِيم) بوادي نون ، يزيده رفعه شان ، وترددا على الالسنة ، والناس مولعون طبيعة ان يكبروا من رأوه مع الاكابر وان لم تكن له مزايا يكبر بها فكيف بمثل سيدي الحاج الحسين الذي له مؤهلات كثيرة من نواح شتى ، تعلي مقامه فى اوج قلما يناله الا الافذاذ ، ثم ان تردده فى جولانه لم يقتصر على رؤساء الجنوب السوسي فقط ، بل كانت له قدمات على رؤساء (راس الوادي) و (حاحة) والمدن : فقد كان يتردد على شيخه الكنسوسي حين لا يزال حيا ، ولم يتوف الا فى نحو 1294 هـ ، حتى نال من ورائه معاريف كثيرين ، واظن ان وساطته هي التي فتحت الباب للاستاذ حتى اتصل بالدوائر المخزنية ممن كانوا يعتنقون الطريقة الاحمدية التيجانية ، فبذلك كله ينال شفوفا عظيما على غيره من بعض علماء جزولة القابعين فى بيوتهم ولا يكادون يتجاوزونها

دعيني ارد ماء المفاوز ءاجنا … الى حيث ماء المكرمات نمير
فان خطيرات المهالك ضمن … لراكبها ان الجزاء خطير
الم تعلمي ان الثواء هو التوي (1) … وان بيوت العاجزين قبور

1) التوى : الهلاك

من اجل ذلك صار الاستاذ الافراني يتمتع بشهرة طويلة عريضة قبل ان تأفل شمس القرن الماضي ، ويرفل في حلة لحمتها علمه المتين ، وسداها خلقه الرصين ، وطرازها كرمه المعين فكان له في كل ميدان ذكر ، فبين يدي سلسلة من الفتاوي تضم كثيرين من علماء عصره يكون احدهم فيها كلها ، ويجد القارىء ذلك في (المجموعة الفقهية) ، كما يجد ايضا فيها فتوى له حول مسجد جمعة (أدَاي) ، كان قديما بين الديار ، ثم بتطاول الازمنة وقع الجلاء من حول المسجد في اوقات مختلفة الى ان ادى الحال الى ان بقي المسجد نائيا عن الديار ، تكلم في ذلك بين كلام آخرين من أهل عصره ، ولكن لم نقف الا على فتواه فقط ، ففيها نجد اطلاعه وتعاليه الى مصادر عالية بالنسبة الى وسطه ، ثم يتطاول الى الحديث مستدلا به ، وذلك ما لم نعهده عن احد من اهل بلاده ، ثم بينما هو مرسل لقلم الافتاء على هذه الوتيرة اذا به يمد له من ناحية اخرى رواقا متسعا من القضاء ، فيقصده ارباب الخصومات ويرون منه ما لا يرون عند كثيرين من معاصريه من كرم ، يرحب بهم اولا ، ثم يفرش لهم مواطىء لينة ، ومن قلة طمع فيما لديهم من وراء فض نوازلهم ، على حين ان غالب اقرانه يماكسون من يقضون له كما يماكس البائع وراء معروض عرضه في السوق ، فاين هذا من سيدي الحاج الحسين المتساهل الذي لا يطلب ما لم يكن مقدما اليه ؟ ولا يفتح للمماكسة والمساومة حول النازلة بابا ، فبذلك كانت مثابته في افران كانها ورثت مثابات آل (أسَاكا) جيرانه الذين عرفوا بذلك قبل ان يظهر هو في الميدان ، واليك بطاقة كتبها الى معاصره أبي فارس الادوزي حول قضية :

« الفقيه البركة العلامة السيد عبد العزيز بن محمد بن محمد بن احمد المرابط الادوزي امدكم الله برضاه وازاح عرحضرتكم كل مشوش مله عن الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركته ، هذا فلا تنس حق الاخاء ، اما بعد فاعلم اني ارخيت العنان في قضية الحامل وخصمه ، وان الغلل التي ألزَمتها لخصمه سمحوا فيها كما ستقف عليه ان شاء الله واني كلفت الحامل ترك الغلل واعطاء ما دفعه خصمه اليك على ما بيده ، والتزم بذلك ، ولذلك وجهته اليك ، والمسألة بحالها ، وتشاور مع الحامل فيما هو الاصلح لك وله ، ولا نقبل من جهتك ما يضر في الدين والدنيا ، والاشارة اولى في الامر ، والكتم حتى يتم الامر ان شاء الله على حسن الحال ، والسلام ، الحسين بن الحاج احمد الافراني »

اذن هو مفت وقاض ، ولكن هل نال ما نال بالفتوى والقضاء وحدهما ؟ كلا ؛ بل هناك التدريس ايضا ، فقد جال فيه ما شاءَ الله ، فكانت مدارس تازروالت ، وايت رخا ، وسيدي بوعبدلي ، مَجرىً عواليه ، ومجرى سوابقه ، فيكون بالفتوى والقضاء والتدريس حاز ما حاز من الشفوف بين اقرانه الاعلين ، وكانت مكارمه التي احيا بها سنة حاتم تشيد له ان جالت حوله الاحاديث بين المتسامرين ، وبين اصحاب القوافل ـ وكل اهل ذلك العصر اصحاب قوافل لبداءة المواصلات ـ حين يتجاذبون الاحاديث دفعا لسأم المسافات ، ووحشةالطرق ، مالاتشيده له الاقلام والطروس ، وتقريراته العليا بين الدروس ، والناس مولعون باطراء من لحظته عين السعد ومن طبيعة ابن آدم ان يقرأ مئاثر الناس فى الصحاف الطافحة بالالوان المتخيرة ، اكثر مما يقرأ عنهم فى الصحف المحبرة ، وكثيرا ما ليم المترجم على جوده الفياض الذي لا يزال يوليه ويواليه ، ودبت اليه الانفس الكزة توسعه عتبا بحججها التي قال فيها الشاعر

وللبخيل على امواله علل   يوسعنه ابدا ذما وتبكيتا

وكما قال بعض الالغيين :

دعوني دعوني ان فى القلب لوعة   تاجج لا تهدأ بغير ندى الجود
اذا كان موجود البخيل بكنزه   فان الذي انفقت كنزي وموجودي
اليكم فبحر الجود بحر سفينتي   بهوحده تجرىفترسى علىالجودى

ومن كثرة اتصاله باهل البيوتات الماجدة فى سوس عَلاَ لَهُ شأن حتى كان كذلك عند البيوتات خارج سوس ، فقد كان للاكلاويين فيه اعتقاد ، وهو استاذهم فى الطريقة التجانية الاحمدية كما هو استاذ امثالهم فيها فى سوس ، وبهذه الاتصالات تتوالى اليه الهدايا من الجميع ، كما يختار ان يتصدر فى المجامع ، فقد جاءت يوما رسالة حكومية فى شأن خلاف جرى بين الجرايين واهل (ايليغ) فكان هو الذي تولى قراءتها فى المجمع ، فقطعت جهيزة قول كل خطيب .

محنته الاولى

يا لله من محن الدهر التي لا توَكل الا باعاظم الرجال ، وعرانين الشرف، فقلما تجد صاعقة محنة ساقطة الا على راس عال من بين الاخيار ، فان كان

(فرانكلان) (1) المخترع الاميركي الشهير اكتشف لاقطة الصواعق الجوية ، فليت شعري من يكتشف لنا ما يدرأ عن الناس صواعق محن الزمان التي لا تفتأ تنقض حينا بعد حين على هامات الافذاذ ، ثم لا يشفق ولا يرثى لهم احد ، الا تكلفا من اصدقاء امس ، والا مراءاة من اعداء امس واليوم الذين يقلب بعضهم لسانه بالتفجع وان كان قلبه مليئا بالتشفي والشماتة ، فلو تكشفت الصدور عن سرائرها للانسان لتجلى له مصداق قول الله تعالى (وما تخفي صدورهم اكبر) .

كانت للاستاذ الافراني تلك المكانة المتقدمة فى قلوب الناس ، فكان لاشك قذى فى بعض الاعين ، فى الوقت الذي كان فيه قرة لبعضها الآخر ، فقد كان له اتصال بايليغ كما رايت ، وحين رجع سيدي محمد بن الحسين الايليغي من عند السلطان مولانا الحسن بقيادة قبائل منها افران ، وكان آل الاستاذ ــ آل الحاج بلقاسم ــ صاغية (ايليغ) من قبل هذا العصر ، كان لابد ان الاستاذ من اهله على نمط ما قال دريد بن الصمة :

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

فشاع فى افق (تانكرت) ان الاستاذ جاد فى تطلب تنفيذ كلام سلطان البلاد ، وان يتم ما صدر به امره الشريف ، ومعنى ذلك ان تكون هناك مغارم وسجن من اهل (ايليغ) ذلك ما يعتقده آل (تانكرت) الذين كانوا قلبوا ظهر المجن لايليغ من يوم حوصر فيه سيدي الحسين بن هاشم عام 1302 هـ ، ذلك الحصار الذي هتك سجف هيبته ، وما كان احد من اهل عصره يظن انه سيهتك ، لولا ان الله ما رفع شيئا الا وضعه ، فمن ذلك اليوم انقلب آل (تانكرت) على (ايليغ) بعد ان كانوا يتفيأون ما شاء الله من عقود السنين ظله الوريف ، انقلبوا بانقلاب الدهر ، وقلما يبقى الوفاء من كثيرين ممن تعرفهم منك واليك ان لم يبق لك ما كانوا يعرفونك به ، وذكر الله ابن الخطيب برحمة عطرة اذ يقول :

تلون اخواني علي وقد جنت على خطوب جمة ذات الوان
وما كنت ادري قبل ان يتنكروا بان خواني كان مجمع خوان

1) هو بنجمان فرانكلان السياسي ، الرياضي ، الاديب ، الاميركي ، ولد فى بوسطن عام 1706 م ، ومات فى 1790

كانت (تانكرت) دائما فى عداد انصار (ايليغ) الى ان ثارت القبائل كلها ضد (ايليغ عام 1302 هـ) فكانت احداها ، ولذلك يفهم اهلها من الظهير الذي توصل به صاحب (ايليغ) المتضمن للاستيلاء على (تانكرت) ان المقصود به اخذ الثأر ، فثار ثائرهم لذلك ، فحين كان ءال الاستاذ المترجم لا يزالون يفون لايليغ اتهمهم اهل (تانكرت) بانهم يعملون لتنفيذ ما فى الظهير المذكور ، وهذا هو السبب حتى غادر المترجم واهله ديارهم الى (تَاغَنْجِيْجِنْت) حيث بقوا ما شاء الله ، وهناك زاره الاستاذ علي بن عبد الله الالفي فى طلبته مادا اليه يد الاعانة باحمال من الحبوب ، وذلك عام 1306 هـ ، وفى مرجعه من عنده صادف امامه الشيخ سيدي المدني متوفى فغسله بيده ثم كان ممن صلوا عليه ، بهذا حدثني العم ابراهيم

اختلف الذين يحدثونني عن الاستاذ المترجم ، فمنهم من يقول ان له حقيقة يدا خفية او علنية فى كل تلك الهزاهز التي يصاب فيها ويجلى بسببها عن مثواه ، ومنهم من يقول انما يظلم الاستاذ ويحسده جيرانه على النعمة التي اضفاها الله عليه ، فيتخذون امثال هذه الامور ذريعة الى النيل منه ، وانا ممن يميل الى هذا الراي الثاني ، لاني آنست بنفسي كيف يظلم الناس البرءى وكيف تنحط النفوس البشرية الى الحضيض فتتطلب ما هو اوهى مما عند العنكبوت فتقنع ان تنسج منه حججا وبراهين تكون هي نفسها اول مومن بانها آفكة فيما تدعى ، وكاذبة فيما تحاول ، ولكن مقصودها ما وراء ذلك من حاجة فى نفس يعقوب ، ذلك ما ترجح لدي عن الاستاذ ، وانه ما كان ليخوض على كل حال مع الخائضين من اهله ، الا اذا صدرت منه كلمة او اضطره المناوئون حتى يفعل ما فعل الحارث بن عباد :

قربا مربط النعامة مني	لقحت حرب وائل عن حيال
لم اكن من جناتها علم الله	وانى بحرها اليوم صال

نعم ان للاستاذ نظرة عامة فاق بها فقهاء عصره كافة ، وهي انه لا يريد الا ان يكون دائما فى كفة الحكومة كيفما كان الامر ، ويسعى فى تنفيذ اوامرها ، وبهذا عرف طوال حياته .

مراجعة الاستاذ لداره

كذبت آل (تانكرت) انفسهم الاثيمة ، فان الاستاذ ليس لهم وحدهم ، وما مجده مثل مجد ابن حجوب احد رؤسائهم الذين يخبون ويضعون بين

الذين يناوئون الاستاذ ، لان للاستاذ من وراء علمه وسؤدده واتباعه فى الطريقة الاحمدية التيجانية لانصارا لو صمدوا الى ما بين قريتي (السوق) و (تيفرْسنت لنسفوه نسفا ، ولكن امثال الاستاذ ممن يقابلون الحوادث بالصبر ويتلقى المقدور بالرضا ، ويترك الماضفين لعرضه ، والمتوسعين مما سينالونه وراءه بسببه لمن هو لكل ظالم بالمرصاد ، وسيطلع الصبح باخذ الثار منهم من حيث لا يحتسب الناس ، اليس الصبح بقريب ؟

اتخذت وسائط فثاب الاستاذ الى داره ، فراجع ما كان له من كرم حافل ، ومن وفود تنتابه من كل جهة ، فاقبل على شأنه ، واحسب أن مشارطته فى تلك المدارس كانت فى هذا الطور ليرتاش فيسترد بعض ما كان لابد ان يضيع بسبب الجلاء ، فافاض الله عليه نعمه تترى ، وسالت اليه السيول من كل بطحاء ، فكان لا يهتبل الا بالكتب ، وقد بدأت المطابع تستخرج دفائن الخزائن ، وتستنبط من قرائح العلماء الجدد ، فكان زهده فى الممتلكات المعهودة منصبا فى نهمه بالكتب ، فلا تقع عينه على مطبوع أو مخطوط ــ وما اكثر المخطوطات اذ ذاك فى صقعه ــ الا اشتراه ان امكن ، مع حسن الاختيار ، فينتقي ما يفيد ، ثم لم يزل ذلك هجيراه حتى كانت خزانته اعظم خزانة فى جهته التي يسكنها وكان ايضا يتردد الى الحواضر لايغب زيارتها ، فيزداد تعرفا باكابر المغرب الحاضرين والبادين ، فادرك فى هذا الطور عظمة ما مثلها عظمة بالنسبة اليه والى وسطه، فقد بدأت الطريقة الاحمدية التيجانية تنتشر عنه بكثرة ، وكان وحده قطب رحاها فى الجنوب ، وهناك ءاخرون تصدروا فيها ولكنهم لم يسعدوا سعده ، وقد رايت القائد المدني الاكلاوي وامثاله اتصلوا به فى ذلك الحين فتلقنوا منه الطريقة ، وكذلك بعض رؤساء (حاحة) فتكون له فى القلوب ناموس وشهرة عم اندية ما بين فاس والحمراء الى وادي نون ، فالعلماء يذكرونه بعلمه الواسع ، والرؤساء ماخوذون بسؤدده الذي يبهرهم منه اذا جلسوا اليه مما لا يجدونه فى كثير من علماء قطره ، واتباعه ومعتقدوه يشيدون بما يرونه منه من ارشاد لطيف ونصائح هينة لينة تضع الهناء مواضع النقب ، ومن بعض كرامات وكشوفات ياثرونها عنه .

كذلك كان الاستاذ سيدي الحاج الحسين الافراني قرة كل عين ، وذكرا معسولا على كل لسان ، فكأن تلك المحنة انما زادت شأنه فوق ما كان عليه ، وهكذا الذهب الابريز لا يزداد بكثرة عرضه على الصلاء الا صفاء ولمعانا وجودة .

القنى فى لظى فان غيرتني فتيقن ان لست بالياقوت

في الحجاز

«احقا لشمس العصر عزم على الشرو ق للشرق أم اقاول الناس بهتان ؟
فان صح فهي شمس غرب تشرقت وحانت قيامة الندى ، ليتهم مانوا
فبالله لا تقم قيامة معشر حياتهم كانت يداك وان بانوا »

« الجواب من بعض الالغيين عن لسان حال الاستاذ »

اشرق حقا كي تبل حشاشتي ويرقأ دمع بالتشوق هتان
ازور ربوعا ليس يعتاد زورها سوى من له فى الدين سر واعلان
فاصدر ايضا نحوكم فترونني كأن لم اكن ممن عن الربع قد بانوا

ذلك ما خاطب به الاستاذ سيدي محمد بن مسعود الاستاذ المترجم حين سمع بانه عازم على الحج ، وذاك ما يجيبه به بلسان الحال .

سمعت مما مر انه كان حج الحجة الاولى ، ولسنا على يقين عن السنة التي كانت حجته فيها ، وانما الذي نتيقنه هو انه حج ايضا نحو سنة 1314 ه فى رفقة القائد الحاج احمد التامانارتي ، وكان للاستاذ اتصال قديم كما رايت برؤساء (تامانارت) الذين هم اخوة الايليغيين فى الرئاسة ، يتساندون مع رؤساء (أَچِلْمِيم) فيقتادون القبائل التي تنتمي لعصبية (تَاچُوزْولت) فلذلك تكون الديار الثلاث بكل من تامانارت واچليميم وايليغ تنظرنظرة واحدة حتى الى العلماء الكبار ، كالاستاذ المترجم ، وكانت العادة جارية من قديم ان احد العظماء اذا اراد أن يحج فانه يستصحب معه افاضل علماء وعبادا وامثالهم من الاخيار ، وتلك عادة حاتمية كان آخر من مثل دورها فى هذا الوقت القائد العيادي الرحماني الذي انفق على اربعين، ونفقة اليوم وما ادراك ما هي ، تدل على كرم متأصل الجذور ، وكان آل تامانارت الكرماء قديما وحديثا يمثلون ذلك الدور مرات ، ولذلك تشرفوا بمصاحبة الاستاذ الافراني رحمه الله ، وبئاخرين كبعض افاضل مرابطينا (سيدي الحاج صالح) وقد حج المترجم ثلاث مرات

مـع الچيلـــولـــي

كانت حجة الاستاذ مغناطيس شرفه العظيم ، فلم يكد يرجع (ان كان حج فى آخر 1314 هـ ، ورجع فى 1315 هـ كما اظنه) حتى تبسمت له السعادة عن ثغر معسول فشاهد ثاره من التانكرتيين يوخذ ، وقد رأى من اعدائه امس من يبصبصون امامه ليكون لهم خير شفيع الى القائد الچلولي الذي القى كلكله اذ ذاك على قبائل الجنوب ، فنهب بعضها ، فكانت (تانكرت) من المنهوبات ، ولم يسلم فيماسمعت ، منهاكلها من حدها الاسفل ـ قريةالسوق ـ الى حدها الاعلى ـ تِيفِرْسِنْت ـ الا دار الاستاذ المترجم ، ودار سيدي الطاهر بن محمد الافراني استاذنا ، ودار الناصريين ، لا غير ، فاتت دولة الاستاذ ، وكانت هيبته ومعرفته فى الدوائر العليا تملي على القائد الچِلئولي ما تملي ، مـــن احترامه ، فجالت يد القائد سيدي احمد بن محمد بن الحسين التازاروالتي فى القبائل التي فى مرسوم والده الحسني ، فكانت (تانكرت) تؤدي الاتاوةوهي صاغرة ، ويوخذ منها الثأر مما فعلته قبل اليوم نحو (ايليغ) وشيعة ايليغ ، وكان مركز (دار أحَدَادُو) مثوى جند حارس حاحى يسمي رئيسه علي أمَارِير ، فكان للاستاذ عنده جاه كبير ، فمال الناس الـى دار الاستـــــاذ للاستشفاع ، اخبرني بعض التِّيمْولاَئِيِّين ان احد كبرائهم اذ ذاك اسر فى قصبة أحَدَادُو ، وأرسل به الى تيزنيت فاهرع اهله الى الاستاذ يتطلبون وساطته عند رئيس المركز ، فذبحوا امام داره كبشا ، وقدموا له كيسا مـــن السكر ، وكذلك كانت عادة الاستشفاع والاستحرام اذ ذاك ، فقدم معهم الى المركز فادى ما عليه ، وعلى ذلك فليقس القارىء ، وكان احد آله من آل الحاج بلقاسم هو الرئيس الرسمي على بعض آل تانكرت ، فزرع فى صدور جيرانه ما زرع مما لابد منه لجمع الجبايا التي تفرضها القيادة العليا بتيزنيت ، فضغنوا عليه وعلى الاستاذ ثانيا ضغنا مضاعفا استثير به القديم

محنتـــــه الثانيـــة

نغل الجرح فى صدور التانكرتيين ، وتاججت نيرتهم على الاستاذ الذي رأوه يتمتع بما يتمتع به ، وزاد ذلك ما لابد ان يفعله ابن عمه الرئيس ، وربما كان ايضا صهره على ابنته ، فتمت الحجج على الاستاذ ، وصح ان ينسب له كل شيء ، والظواهر كلها ضده ، ثم ما كادت الجيوش الچيلولية تنزاح عـــن سوس اوائل عام 1318 هـ ، حتى قامت (تانكرت) تفعل فعل القبائل كلهـــا

برؤسائها الرسميين ، فمالوا الى دار الاستاذ فجعلوا عاليها سافلها ، فنهبوا من المتاع والكتب شيئا كثيرا ، واظن اني سمعت من ينمى الى الاستـــاذ ان عددها ست عشرة مائة مجلد ، وهي التي تاسف عليها ، فالتحق هو بمأمنه ونجاه الله من كيد الماكرين ، وقد حرص الناس خصوصا الطلبة ان يجمعوا هذه الكتب من ايدي الناهبين او ايدي من وصلهم عن طريق الناهبين فردوا غالبها الى صاحبها هذا ، وهناك من أمثال أبي فارس الادوزي من يشنون (1) باقلامهم غارة على الاستاذ لما اصيب بما اصيب به ، فكانوا مع الدهر عليه ، والمعاصرة تمنع المناصرة .

فــي تيــزنيـــت

التحق الاستاذ بتيزنيت فعرفت له الحكومة انه ما اصيب الا من اجل موالاته لها ، فاقطعته دارا امضى فيها ما بقي من حياته ، فثوى هنالك فى دار عز ورفاهية ، ونقله الله من بين من يتربصون به الدوائر، فاقبلت اليه الاعانات من كل جهة ، وعبدت السبل الى داره من باب دار كل قائد ، وخصوصا حين كان هناك النفلوسيون الذين خلفوا الجيلوليين المذكورين ، وهكذا دائما تكون محن من اراد الله بهم خيرا ، فانه يكنز لهم مما اصابهم خيرا يجدونه فى الحياة الدائمة يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، ثم يرون ايضا عيانا ان الخير فيما وقع ، وانه ليس فى الامكان ابدع مما كان كما قيل ، حتى ليعاينون من النتائج المحمودة ما يحمدون به حتى المقدمات (ودون اجتناء النحل ما جنت النحل) ، وان بالمشقات نيل السيادات (لولا المشقة ساد الناس كلهم) ، وعلاوة على ذلك يفوز بطابع الايمان الذي هو الفتنة المحمودة العقبى (احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

مـــع أنــفـلــــوس

تغلغلت جيوش انفلوس ، فاستولت بسرعة على جميع القبائل التي كان استولى عليها ابن عمه الجيلولي قبله ، وقد كان الرئيس الاعلـى تيجانـــي الطريقة ، وكان قاضيه سيدي الحسين التاحنبوستي كذلك ، فتفتحـــت الابواب من كل جهة للاستاذ ، فترادفت اليه الهدايا ، وطفحت الى غديــــره

---

1) تجد بعض مايدل على ذلك فى بعض كنانيشه الذي ذكر فيها قصة الجلولي

السيول ، فكانت شفاعته مقبولة وان كانت الجريمة ما كانت ، وكان وجهه عند اولئك الناس نورا يستضاء به ، وقد سكن الآن جوار قائدهم الاعلى فكانت عتبة بابه كعبة الآمال من كل ذي آمال ، فكان قواد الجنوب كلهم اجمعون اكتعون يترددون اليه تزلفا ، وكذلك رؤساء ازاغار ، فتسابقوا الى مصاهرته تقويا بمركزه ، فتزوج من عنده القائد مبارك البنيراني، والقائد سعيد المجاطي، وكان القائد احمد بن محمد بن الحسين الايليفي ممن خطب اليه ايضا ، هكذا يتسابق اليه ذوو الاطماع ، وهو يماشي كل واحد بما يليق به ، ومقبل على شانه ، ينشر الطريقة الاحمدية التيجانية ، بسمعته وبقلمه وبكرمه ، وقد اسس زاويته بتيزنيت ، فطارت في هذا الطور شهرته الى كل المعتنقين لتلك الطريقة ، فيردون اليه تبركا ، ولمشاهدة صاحب تلك الكرامات التي يتداولها اصحابه ، فممن سافر اليه اناس من فاس ما اقتحموا المشقة الا لرؤيته لاغير، وقد كانت له في فاس مكانة عند اهل الطريقة التيجانية الاحمدية يرونه من اجل عمدها فيسند اليه عليتهم سندها الى الشيخ الاكبر مولاي احمد التيجاني رضي الله عنه

وهكذا كانت سكناه بحاضرة تيزنيت خير اعلان لمنصبه وافضل مذياع لفضائله ، ثم انه وان نال ما نال مما يغبطه عليه الغابطون ، وتتمزع به الافئدة ممن هم لنعمته غامطون ،لم يتجاوز منطقة التواضع الذي عرف به يوم لم يكن له هذا الشان العظيم ، والنفوس الشريفة لا تزداد بالرفعة الا تواضعا

عبرة على ارتحال الاستاذ من تانكرت

اذا كان اولئك النفاليس المفاليس في (تانكرت) يصفقون فرحا وابتهاجا يوم يرون دار الاستاذ سيدي الحاج الحسين في قرية (السوق) بلقعا يبابا ، فان هناك من يمر بتلك الدار مرور الشريف الرضى بالربوع التي قال فيها

ولقد امر على ربوعهم	وطلولها بيد البلى نهب
فوقفت حتى ضج من لغب	نضوى ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت	عنها الطلول تلفت القلب

ذلك هو الشاعر الاستاذ سيدي الطاهر بن محمد الافراني بلبل (تانكرت) الصداح وقمريها الفريد ، فهو الذي تلفت قلبه بعد ان خفيت حضرة استاذه عن عينه ، فكتب اليه بهذه الابيات بعد ان تلقى منه رسالتين

اتت فاشتفت من لثمها الكبد الحرى ... رسالة مولى لم يزل بالعلا احـرى
امام جرى فى شـاو كـل فضيلـة ... ففاز بخصل السبق دون الورى طرا
وحاز مـن العليـاء والعـز رفعـة ... غدت اعين الآمال من دونها حسرى
واعلى منار المكرمـات فاصبحـت ... عفاة الندى سعيـا الى بابها تترى
هو العلم المرفوع والوارث الـذي ... افاض الندى والعلم والفضل والسرا
هو الشيخ مولانا الامام الرضا ابـو ... علي الذي اضحى بأفق الهدى بدرا
عليـه سـلام طيـب مـن متيـم ... يحـن للقيـاه ولـو مـرة اخـرى
اخي لوعة ما اسأرت مـن ذمائـه ... سوى الكبد الحراء والمقلة العبرى
رمته النوى ـ شلت يمين النوى ـ فما ... امض على العشـاق موقعها المـرا
يمر على الربع الذي بـان بـدره ... فكاد الجوى يقضـي عليه اذا مـرا
يردد ان جاشـت بـوادر دمعـه ... مقالة من اوعي الهوى قلبه جمـرا
« كفى حزنا للهائم الصب ان يرى ... منازل من يهـوى معطلة قفـرا
فنسأل مـن نرجـو لكـل ملمـة ... يمن بجمع الشمـل فى كنف السرا
فتنشر اسرار وتقضـي مئـارب ... ويحدث بعد العسر ـ من فضله ـ يسرا

الامام الذي تاتم الهداة به كانه علم فى راسه نار ، والهمام الذي غـرر مناقبه مثل النجم الذي يسرى به السار ، الشيخ الذي تجمعت به متفرقات الفضائل ، والبدر الذي نور سائر الكواكب بمقابلته متضائل ، والجبل الراسخ الذي لاتزلزله الزعازع ، والهزبر الذي ما هو من رزء وان جل جازع ، والسيد الذي ليس فى سيادته منازع ، شيخنا بركة الدنيا والدين ، وبقيـة الايمـة المهتدين ، وحجة الله القائمة على المردة المعتدين ، نور مقلة الفضائل وانسانها ، وعتبة عوارف المعارف ولسانها ، سيدي ابو علي الافراني ادام الله هالة شمس فضله التي لا تخفى بكل مكان ، وابقاه منارا للدين يهتدي به حيثما كان ، وسلام عليه سلام مسلوب الفؤاد ، بطول البعاد ، مشوق الى لثم تلك الراحة ، ورحمة الله وبركاته ، عن خير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وقد وردت رسالة سيدي الاولى ثم الثانية فارتاض الفكر فى رياضها ، وكرع من حياضها ، وسكر من حميا الفاظها ، وغازلته حور معانيها بالحاظها ، وجنى من ادبها الغض ، وسبح فى بحر بيانها المرفض ، الى ما سطع من اردانها مـن ساطع التفويض لله والتسليم ، وتلقى الوارد بالقلب السليم ، شيمة مثلكم من كل عارف ، الذي هو من بحار الحقيقة غارف ، فسبحان من يجمع مقامات

اليقين ، لمن شاء من عباده المتقين ، ثم ان العبد يعتذر الى مولاه عن ابطاء الجواب ، المنافي لجميع طرق الآداب ، باني ما أخرته فى الاولى والثانية الا لعزمي فى كل جمعة على القدوم على حضرة سيدي لاغتنام زيارته ، والتشفي من وهج الشوق ومرارته ، فلم يزل الدهر على عادته يماطل ، ويعارض الحق الواجب بالباطل ، فكتبت هذه العجالة نفثة مصدور ، وهبة مقل غير معذور تبث بعض ما فى القلب من لاعج الاشواق ، التي ضاقت عن زفراتها الاطواق ، واني ان شاء الله لم ازل على ذلك العزم متى سمح الدهر البخيل ، وسح عارض اسعاده المخيل ، ومن الله تعالى نرجو تقريبه ، كما نساله تعالى كشف هذه الحوادث المريبة ، ثم ان هذه النواحي لم تزل على ما فى علم سيدي من الهرج والاضطراب ، وتوالي الحوادث الغراب ، كغنم نام راعيها فتولى رعيها الاسد (1) ، فعثى ما شاء وافسد .

امور يضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها الحليم

وكيف لا وقد قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم كما فى مسامرة الشيخ الاكبر ما معناه : ما انتهك قوم حرمة عالمهم الا انتهك الله حرمتهم . وما نحن بينهم ـ والله يلطف بنا ـ الا كالجمل الاجرب ، يشتم او يطرد او يضرب ، ويرحم الله البستي اذ قال :

واني غريب بين بست واهلها وان كان فيها جيرتي وبها اهلي
وما غربة الانسان فى شقة النوى ولكنها والله فى عدم الشكل

على ان من جملة النعم علينا ، التي لا نزال نقر بها عينا ، حضورنا ببال سيدي واهتمامه ، وانخراطنا فى زمامه ، فنسأل الله الذي بفضله تتم الصالحات ان يديمها لنا ، وان يبلغ منها املنا ، ويجمع على بساط المسرة شملنا ، ويصل بالتعلق به حبلنا ، ثم ان حاجة الفقير التي لا أهم له منها ، ولا محيد لطلبه عنها ، الدعاء من سيدي بصلاح الحال والانقاذ من هذه الاوحال ، والسلامة للدين والدنيا من الفتن والاهوال ، والسعي فيما يرضى ، واللطف فى كل مقضى ، ثم ان الاخ الارضى سيدي العربي بن محمد يسلم على سيدي سلام الصب الهائم ، ذي الحب الراسي والود الدائم ، ويسأل صالح الدعاء

1) اقتباس من قول الشاعر
ومن رعى غنما بارض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد

وينهي الى سيدي أن ليس عنده جزء من الحلبية (1) ، والسفر الذي عنده المتضمن لمنطقية الفاسي مع الحامل فخذه منه ، وليسامح سيدي فى كل تقصير ، وليمتعنا بما حدث من أمر المخزن ، والله المسؤول فى تعجيل الفرج ، وازالة الحرج ، بجاه النبي صلى الله عليه وسلم 14 ذي الحجة 1321 هـ ولدكم على الدوام ، الفقير الى الله ، الطاهر بن محمد بن ابراهيم التامانارتي، امنه الله بمنه » .

ومما كتب به اليه ايضا الى تيزنيت فى اثناء رسالة :

سلام يزدري صوب الولي	على شيخ الشيوخ ابي علي
على البحر الخضم العارف العا	لم العلم الامام اللوذعي
منار المهتدين محط رحل العفـ	ـاة المرشد البر الحفي
سلام متيم يرجو وصالا	يبرد غلة القلب الشجي
وبعد ففي فؤاد العبد شوق	الى رؤيا محياك البهي
فحبك خير مذخور اذا ما	تباهى الناس بالذخر السني
وانت اجل معتمد واهدى ،	اذا ضلوا ، الى النهج السوي

فى الحضرة الحفيظية

اثت الاواصر بين الاستاذ وبين الدوائر المخزنية العليا بسبب ما قاساه من تلك المحن من أجل موالاته للحكومة ، فكان ذلك سبب اتصاله بمسامع الجالس على العرش فى الدولة العزيزية ، وباذنه اقطعت له الدار المذكورة آنفا بتزنيت ، ثم لما ترقى المولى عبد الحفيظ الى العرش ، تسابق الناس الى بيعته، فقام المترجم مع التيزنيتيين بذلك ، وهاك نص بيعتهم ــ بعد ذكر الشهود الموقعين عليها ــ .

« بسم الله الرحمان الرحيم ، (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه اجرا عظيما) فسبحان من لا يرضى لعباده الكفر ويرضى منهم الايمان ، والحمد لله الذي جعل الخلافة زينة للدنيا والدين ، وفصم بها

1) لعله يعني السيرة الحلبية .

عرا العداة المعتدين ، وحقن بها الاعراض والدماء والاموال ، وانتصف بها من البغاة والعداة الهائمين فى اودية الضلال ، وهيأ للخلق من تكون لهم به الحماية فى اصلاح احوالها وتلافيها

لـولا الخلافـة لم تامـن لنا سبل   وكـان اضعفنـا نهبا لاقوانـا

والصلاة والسلام على من ملأ نوره الآفاق ، وطبق سره السبع الطباق ، واخبر ان الله تعالى خص بهذا الامر قريشا ، وانزل عليه فى ذلك (والله يوتي ملكه من يشاء) ، والرضا عن ءاله الذين ظاهروه على اقامة الحق الساطـع الانوار ، وصحبه القائمين بعده الحامين للذمار ، اما بعد ، فلما كانت الامامة العظمى قطبا يدور عليها ناموس الاسلام ، وعقدا محررا ضابطا كفيلا بصلاح الخاص والعام ، كان منصبها اعظم واشرف المناصب ، واسمى نظام الخطط الدينية واسنى المراتب ، ولذلك وقع الاجماع من اهل الحل والعقد مـن اصحاب الكلام ، فيما قل وجل وولاة الامور والحكام ، وارباب المناصـب والاحكام ، وحملة العلم من الاعلام ، وحماة السيوف والاقلام ، من مدينـة تيزنيت ، واجتمع اجماعهم على بيعة من حاز اشتات الفضائل والفواضل ، واعترف بجلالته وعلو منصبه كل فاضل ، العالم المشارك المتفنن الفهامـة النحرير المتقن ، شريف العلماء ، وعالم الشرفاء ، الهمام الهصور المقدام ، ذي الرأي والتدبيـر ، والسماحة والمجد الشهير ابو السعود والسعادات ، سيدنا ومولانا عبد الحفيظ ابن سيدنا ومولانا الحسن ابن سيدنا ومولانـا محمد ابن سيدنا ومولانا عبد الرحمان، فانعقد الاجماع بهذه المدينة التيزنيتية على بيعته ، وبايعوه اسعد الله ايامه ، ونشر للعدل الويته واعلامه ، وحضرها وجوه الاعيان وغيرهم من المسطرين اعلاه ، بيعة جارية على السنة والجماعة ، سالمة من كل كلفة وتباعة ، رضى الكل بها وارتضاها ، والتزم حكمها بالسمع والطاعة وامضاها ، لايبغي بها الا وجه الله الكريم ، بيعة لايحل عقدها ، ولاينبذ عهدها ، لازمة جازمة ، دائبة دائمة ، تامة عامة ، شاملة كاملة ، صحيحـة صريحة ، كما التزم المقلد ايده الله القيام بها على حسب ما تقتضيه الشريعة المطهرة ، بمفاخره المنتشرة المسطرة ، اشهدوا على انفسهم وكفى بالله شهيدا فلياخذ سيدنا رضي الله عنه وايده هذه الامانة باليمين ، وليتلقها تلقي الخلفاء الراشدين ، عاملا بحديث جده سيد ولد عدنان ، صلى الله عليـه وسلـم (المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمان) ، اللهم يسر له الفتوحات وانصر جيوشه ، واجعل فيما يرضيك ويرضي رسولك صلى الله

عليه وسلم موارده ومصادره ، فمن حضر اولئك الجمهور ، وسمع الكلام المسطور ، على الوجه المذكور ، قيده شاهدا به عليهم باتمه ، فى الثالث والعشرين من رمضان عام 1325 هـ »

ثم وفد على الملك الجديد بنفسه ، فقدم بين يديه هذه القصيدة وهي من انشاء استاذنا الطاهر الافراني ، اوعز اليه استاذه المترجم ان يقولها عن فيه ، وقد قدمها بقوله تعالى (نصر من الله وفتح قريب) وهي

لاحت تباشير الهنا لما سرى ... من نحو نعمان النسيم مبشرا
هبت بانفاس الحمى من بعد ما ... نزع الفؤاد عن الصبا فتذكرا
ادت الى قلب المشوق رسالة ... اورت جوى بضلوعه فتسعرا
فتصوبت عبراته وتصعدت ... زفراته والزند ان يقدح ورى
شوقا الى من لا ابوح بسرها ... الا بفيض دم الشئون اذا جرى
نفسي الفداء لها وان ضنت فما ... احرى بها عند اللقا ان تسفرا
كملت معانيها فما شمس الضحى ... تحكي محاسنها ولا ظبي العرا
بدر على غصن على دعص فما ... خلقت سوى شرك لالباب الورى
عجبا لها وهي المنى لم لا ترى ... اطفاء وجد لم يزل متسعرا
لم لا تبل غليل قلب شفه ... برح الهوى من قبل ان يتعذرا
ان الهوى غل القلوب فما لمن ... قد صار من اسراه ان يتخيرا
« يا قلب كيف وقعت فى اشراكه ... ولقد عهدتك قبل ذا متبصرا » (1)
فاصبر على حكم الهوى وهوانه ... رغما عليك وان جرى ما قد جرى
او مل الى ظل الهدى المولى اميـ ... ـر المومنين ودع سواه الى ورا
ملك تولى الله حفظ كماله ... وحمى به الدين الحنيف وطهرا
وجلا ببيعته عن الاسلام ما ... غبى محاسن وجنتيه وغبرا
يا بيعة قد احكمت ابرامها ... كف العناية فاغتدت وثقى العرى
لا تختشي نقصا ولا نكثا فهل ... رد لما عقد القضاء وقدرا ؟
ورد البشير بكتبها فكانه ... قد فت فى الارجاء مسكا اذ فرا
ملك تكنفت السعادة ظله ... مذ كان لم تسبق ولم تتأخرا
وافى الخلافة فاستقامت بعد ان ... عفى مراسمها الضياع وغيرا

---

1) بيت قديم فيه بعض تحوير ، واصله :
يا قلب كيف وقعت فى اشراكهم ... ولقد عهدتك تحذر الاشراكا

وافى وقد مد الضلال الى الهدى ... كف الردى فدعا به مستنصرا

لبى صريخ الدين بالعزم الذي ... لا تنثني جنباته انى انبرى

وبدا بتطهير البلاد مدافعا ... عنها عدوا قد طغى وتكبرا

ويل الفرنسيس الكفور اما درى ... ان قد اتيح لحربه اسد الشرى

إندى الملوك يدا وابهاهم سنى ... واعزهم ركنا واعلى مفخرا

واشدهم بأسا اذا احتدم الوغى ... واسدهم رأيا اذا ما دبرا

الرعب يقدم جنده قبل اللقا ... والسعد يكفيه اذا خطب عرا

ورث الملوك الصيد من ءابائه ... وحوى علاهم فارتدى وتأزرا

لا غرو ان جمعت له شتى العلا ... فردا ، فكل الصيد في جوف الفرى(1)

دانت لهمته الصعاب وذللت ... شوس المكارم فامتطى منها القرى(2)

واتت لبيعته الوفود وطأطأت ... اعناقها طوعا له شم الذرى

فاذا سمعت بناقص قد صده ... عنه الشقاء فقل له (اطرق كرى) (3)

ابشر امير المومنين بغاية الـ ... ـنصر الذي سنى الاله ويسرا

ولتهنأ الدنيا بملكك انه ... مسك به ردن الزمان تعطرا

فلسوف تملكها كما تبغيه من ... سوس الى مصر الى ام القرى

فلانت اولى باجتنا صفو المنى ... في الملك من كسرى ومن اسكندرا

ودت مماليك البلاد لو انها ... حازتك كي تحظى بسعد اكبرا

ولو انها قدرت سعت شوقا الى ... مراكش مثوى علاك لتظفرا

سمعت بك الدنيا واهلوها فلو ... نطق الزمان لما عدا ان يشكرا

وعليك يا تاج الملوك تحية ... تزري بعرف نسيم روض نورا

وعلى جدودك سادة الاشراف من ... زكاهم نص الكتاب وطهرا

وصلاة رب العرش دائمة على ... خير الورى ما لاح نجم او سرى

وعلى صحابته الكرام وكل من ... قد ناصح الدين الحنيف وءازرا

---

1) تضمين المثل المعروف (كل الصيد في جوف الفرى) .

2) القرى بالفتح الظهر .

3) تضمين المثل المعروف : (اطرق كرى ، ان النعام في القرى) ، الاطراق خفض النظر ، والكرى طائر صغير ، او هو الكروان ، شبهوا به الذليل الحقير ، وشبهوا الكبراء بالنعام ، وذلك اذا حضر الكبراء وتكلم الحقراء في امر لا يتكلم فيه امثالهم مع حضور من هم اعلى منهم .

وكتب مع القصيدة هذين البيتين المتضمنين لتاريخ قيامه

نـصـر امير المـومـنيـن … بـه العـدا اللـه يغيـظ
قـد قلـت فى تـاريـخـه … تصِـر (مـولاي الحفيـظ

فذلك 1325 هـ ، باسقاط همزة الوصل

وفى عام 1326 هـ ، عاود الاستاذ سيدي الحاج الحسين الكـرة الـى الحضرة الحفيظية ، فقدم ايضا هذه القصيدة التي هي صنو تلك أبا وأما ، وهـــي :

تبسم ثغر البرق من جانبي نجـد … فاذكر عهد الجزع قدس من عهد
واذكى رسيس الوجد من بعدما بدت … بوارق صبح الشيب من مشرق الفود(1)
وجدد تذكـار الحمـى ونعيمـه … وغزلانه اللائي يبحن حمى الاسـد
من اللاء يصبين الخلى ويسبين الـ … ـحليم ويصددن المنيب عن القصد
بـاقمـار تم فى ظـلام ذوائـب … وكثبان ردف فوقها قضب القـد
يفوقن عن قوس الحواجب اسهم الـ … ـلحاظ فيصمين البرىء على عمد
ويبسمن عن سمطى لئال تضمنـا … رضابا كطل الزهر قد شيب بالشهد
على مثلها يحلو التهتك صبـوة … ويحسن فى شرع الهوى الزهد فى الزهد(2)
رعى الله عهد الجزع ما مر ذكـره … على القلب الا ازداد وقدا على وقد
نأى فنأى قلب المشـوق رهينـة … به ، وشرى النوم المهنأ بالسهـد
فيالك من قلب تبـذل فى الهـوى … وابدل غـي الهزل من رشد الجد
تذلل بين الصحو والسكـر ضلـة … وبين الرضا والسخط والوصل والصد
ولم يرع حق الشيب والشيب وازع … يرد عن الايضاع فى سنن الوجـد
ايجمل من بعد المشيـب وحملـه … تذكر سعدي او حنين الـى هند ؟
تهيم بها من بعد مـا هـي فـارك … وذو الوجد بعد الشيب فى غاية الرد
اما فى سنا الشيب الملـم هدايـة … تبصر بالرجعى الى الفوز او تهدي ؟
تدل على حسن التخلص من يد الـ … ـبطالة او هون الهوى والصبا المردى
كما بامير المومنيـن ونـوره اهتـ … ـدى الناس من بعد الغواية للرشد

1) الفـود : جانب الراس .
2) وللقاضـي عبـد الوهـاب من قطعـة :
فقالوا الـم نخبـر بانـك زاهـد … فقلت بلى ما زلت ازهـد فى الزهـد

امام الانام المرتضى الناصر الرشيـ ـد (عبدالحفيظ) ابن الرضى الحسن المهدي
امام انام الناس فى ظل عدلـه كما نام مقموط يهدأ فى المهد
حسام على هام العداة مجرد غمام ندى انجى العفاة من الجهد
منار لمستهد ونور لمقتد غياث لمستعد وغيث لمستجد
مجير غريب الدين مؤوى طريده مجدد رسم الدين بالسيف والرفد
حمى بيضة الدين الحنيفى بعدما تطاول لاستلحامها الكفر بالايدي
وجاهد فى الله العظيم عدوه بهمة لا وان ولا برم نكد
ونور يقين مشرق وعزيمة كما سل مسنون الغرارين من غمد
ورأى اذا طاش الحليم واخرس الـ فصيح مضى من حيث تنبو ظبى الهند
ونصر من الله العزيز مبشر بفتح مبين جاء بالبشر والسعد
هو الملك المنصور بالرعب والقنا وبالجند جند الله ناهيك من جند
خليفة رب العرش وابن رسوله وصفوة ءال البيت ذي الشرف العد
وافضل من تزجى لرؤية وجهه الـ ـكريم مطايا الوفد بالنص والوخد
من القوم اما حبهم فعقيدة ونصرتهم فى الله كالشرط فى العقد
واما ولاهم فهو خير وسيلة الى الفوز بالرضوان فى جنة الخلد
مناقبهم ابهى من الشمس فى الضحى واربى لدى الاحصا على النجم فى العد
وفضلهم نص الكتاب ابانه وهل فى كتاب الله غمز لذي جحد ؟
وجودهم امن العباد من الردى وجودهم البحر الروا الدائم المد
خلافتهم زين وبيعتهم تقى ووصلهم ينجي وبغضهم يردي
هم العلويون العريقون فى العلا ذوو النسب الوضاح والعز والمجد
خلاصة مولانا الشريف ونخبة الـ غضنفر اسماعيل واسطة العقد
بهم فخر الغرب البلاد فاذعنت لعزتهم ارجاء فارس والهند

❊ ❊ ❊

فيا ملكا عم البرية عدله وبارى ندى راحاته صيب العهد
وياكعبة الآمال يا حرم اللجا ويا ملجأ العاني ويا غنية المكدي
وياخير من ساس الخلافة بالندى وبالبأس والتدبير والجد والجد
لك الظفر المشهور والعسكر الذي له العلم المنصوب بالرعب من بعد
حميت امير المومنين حمى الهدى وقمت بحق الواحد الاحد الفرد
وصنت بحق دين جدك مخلصا ببيض المواضي او بسمر القنا الملد

ودافعت من جنس الفرنسيس زاخرا … تلاطم عجبا بالتكاثر والكيد
اتى كظلام الليل يحسب انه … بباطله يرمي جبالك بالهد
ثبت له حتى اذا حان حينه … وثبت اليه وثبة الاسد الورد
فولى وحل الويل فيه محله … وعممته بالقتل والاسر والطرد
وملأته ذعرا وزلزلت كيده … من السيف والبارودبالبرق والرعد
وارسلت جند الله ينقض خلفه … بزاة على القبّ السلاهبة الجرد(1)
شفيت صدور المومنين بخزيه … واذهبت غيظا كان مستعر الوقد
جزاك اله قمت فى نصر دينه … جزاء رضا يكفي المهمات من بعد

ثم ان العلامة سيدي الطاهر كتب الى المترجم بعد رجوعه من هذه السفرة عام 1326 هـ :

بشرى لنا برجوع بدر الغيهب … من سفرة اوفت بكل المطلب
من بعد ان شرفت به مراكش … وزهت فزاحمت السماء بمنكب
وتبركت اعلامها بوروده … واستبشرت بندى يديه الصيب
وتيمنت بلوائح النور التي … لاحت على ذاك الجبين الطيب
وارت به البحر الخضم تموجا … بفرائد العلم الغريب المعجب
وشمائلا كنسيم وهن قد سرى … باللطف من جنبات روض معشب(2)
قامت له رؤساؤها وترجلوا … ادبا اليه واوسعوه بمرحب
خرجوا الى لقياه اجلالا له … وتسابقوا سبق الظما للمشرب
وتكانفوه محبة فكانه … شمس الظهيرة وسط ذاك الموكب
تلك المفاخر والمناقب والعلا … لا بالمئاكل والحلي والمركب
لا غرو ان خضعوا له وتضاءلوا … لما راوه فهو شمس المغرب
والشمس لا يبدو اذا ما اشرقت … انوارها فى الجو نور الكوكب
ثم انثنى لما قضى غرض المنى … شوقا الى وطن اليه محبب
فطوى المراحل سائرا وتفاخرت … بلقاه سكان القرى والسبسب (3)
حتى اناخ ركابه بردانة … حيث المنى والسؤل للمتغرب
حيث الرياض المونقات تشقها الـ … ـأنهار تجري فى الفضاء المخصب

---

1) القَبَبُ : دقة الخصر وضمور البطن . والسلهب كجعفر من الخيل : ما عظم وطالت عظامه ، وفرس اجرد : قليل الشعر رقيقه .

2) الوهن كفَلْس : ما حوالى نصف الليل .

3) السبسب كجعفر : القفر .

والغصن يرقص للنسيم اذا سرى   والورق تشدو كالمغنى المطرب
والزهر يبسم ثغره فرحا بـه   فكأنه ثغر الحبيب الاشنب
حيث الصداقة والمحبة والندى   والحسن والاحسان والعز الابي
وغدا ففارقها وسار كما سرى   وبل الغمام الى المكان المجدب
واتى فاشرقت الدنا وتطلقت   ارجاء هذا القطر بعد تقطب
وسعت عفاة المكرمات لبابه   والكل ءامل رفده المترقب
وتزاحمت وراد ماء نواله   كالهيم حول المشرب المستعذب
وتتابع الوفد المهنىء بكرة   وعشية مثل القطا المتسرب
صدروا جميعا شاكرين وكلهم   مثنى الحقائب باللسان المطنب

* * *

يا ايها البدر المنير سناه او   يا ايها العلم الرفيع المنصب
يا ذا الذي سارت بطيب سنائه الـ   ـركبان بين مشرق ومغرب
لك فى القلوب محبة ومهابة   فلذا اتتك لمرغب او مرهب
خضعت لك الاقيال لما شاهدوا   بسناك سرا لائحا لم يحجب
هاتيك انوار التقى لاحت ومن   خاف المهيمن واتقاه يحبب
هنئتها من سفرة مقرونة   بسعادة لسواكم لم توهب
واليكها عن صدق ود مخلص   من منتم لعلاكم متعصب
وعليك يا بدر الكمال تحية   تزري بودق بالعشى محلّب (1)
وصلاة رب العرش دائمة على المـ   ـختار سيدنا محمد النبي
وعلى الكرام ذوي السيادة ءاله   والصحب والتالي بذاك المذهب

حقيقة ، ان الشاعرالافراني لمخلص الود للعلامة الحاج الحسين. ومشيد لجنابه الفخيم ، ومتعصب له من بين اهل ذلك الوادي الذين فعلوا به فعلتهم وانتهبوا داره ، فقام هو يلقى فى ساحة التاريخ هذا المديح الرائق الذي هو كدر منتثر تنتهبه اسماع المصيخين ، وشاعرنا قديم الاتصال ببلديه وشيخه وجاره الحاج الحسين   فهذه قطعة كان ارسلها اليه عام 1314 ه من الصويرة حين توجه الى فاس مع رفيقه سيدي العربي

---

1) رعد مجلب بالجيم مصوت . والودق المحلب بالحاء مثله قال امرء القيس
خفاهن من انفاقهن كانما   خفاهن ودق فى عشى محلب

احمل اعباء النسيم سلاما ... الى من غدا بالمكرمات اماما
الى خير من قد شاد رسم العلا ابي ... علي الذي سامى النجوم مقاما
كريم بني رسم السيادة بالندى ... واعرق حينا صيته واشاما
فاصبح شمسا يستضاء بنوره ... واقعد فى دست العلا واقاما
ادام به الرحمان نفع عباده ... وابلغه مما اراد مراما

ذلك ما يقوله شاعر افران الاستاذ الطاهر بن محمد فى سيدي الحاج الحسين ، وهل لشعراء الغ فيه من اقوال ، نعم قال شاعر منهم فيه ـ وضمن اشطارا من معلقة امرء القيس ـ :

بحقك ان جئت الامام فقبل ... جبين محياه السني المتهلل
ومس لنا تلك الخلال فانها ... (نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل)
تعرضن للانظار من كل جانب ... تعرض (اثناء الوشاح المفصل)
فما فى الورى من فاق علما وحكمة ... وجاها وحسن السمت غير ابى علي
بافران قلبي الصب يثوى تعلقا ... بسكانه لا (بالدخول فحومل)
فان يذكر الفرد الحسين محبر ... وافران يذكر خير (حب ومنزل)
عليه سلام الله ما حن شيق ... لراحته يشتاق خير مقبل
وما خطرت ذكراه فى قلب مرضع ... فتلهو بها (عن ذي تمائم محول)

متفرقات عنه

اضفى الله على الشيخ السيد الحاج الحسين نعمه الوافرة الوافية من كل ناحية ، فبعد ان اسبغ عليه حلة العلم ، وتوجه بتاج التقوى ، والقى عليه رداء فضفاضا من الشهرة والقبول ، هيأ له وراء ذلك من الاخلاق الزكية ما رفع له شأنا ءاخر لا ترتفع دعائمه الا على الاخلاق ، فما شئت من مخالقة يستل بها الضغينة من الصدور سل الشعرة من العجين الرطب ، ومن كرم يتدفق سيله حتى لا يبقى ولا يذر ، فله فى ذلك اخبار غريبة قلما يصدقها من ليس مطلعا على حالة الشيخ ، فقد خرج يوما من داره وعليه جبة ورداء وسلهام ، وكلها مما احكمت صنعه بنات بلدة (بزو) الصنع الايدي ، فسلم عليه شخص وقال له اني شريف ، معرضا بذلك للسؤال ، والكريم يكفي عنده التعريض

واذا طلبت الى كريم حاجة ... فلقاؤه يكفيك والتسليم

فناوله السلهام ، ثم اقبل سائل ثان ، فناوله الرداء البزيوي الناصع البياض ، الرقيق كانه الفِرْقِيء (1) ، ثم اقبل ثالث ايضا فناوله الجبة ، وكان ما يزال واقفا على عتبة الزاوية التيجانية بتيزنيت وقد قصدها بين الظهرين لالقاء درسه العادي ، فبقى فى القميص والفرجية لا غير ، ثم اقبل على درسه والمحفل مكتظ ، فما قام الى العصر حتى جاء رسول قاضي القائد أَتَفَلُوس بحلة وافية كاملة ، فقدمها اليه ، فانفتل الى بويت فى عرض الزاوية فلبسها فيه ، فعجل له بذلك بعض اجره ، (وما عند الله خير وابقى) ، وهي واقعة حقيقة حدث بها بعض من حضر ، واهوى مرة اخرى الى الدخول الى داره فقال له انسان ان كنت تحب ءال البيت فاكسني ، فاستتر خلف الباب وجعل يلقي الى السائل بثيابه ثوبا فثوبا حتى السراويل ، ثم اغلق عليه بابه وذهب السائل بالثياب ، وهي حكاية مشتهرة عنه ايضا رحمه الله ، وحدثني انسان انه لا قاه يوما فى الهاجرة وقد دخل من تحت برج من ابراج سور تيزنيت يعتاد الجلوس فيه فى الضحى ، فصاحبه الى داره فقال لخادم له انظر عند من تستدين لنا قالبا من السكر، وجلس مع الحاكي وآخرين ، فاقبل على محادثته المعروفة ، وهي تمتزج بالحديث والايات والنوادر ، وطبعه اريحي فكه ، فهيأ لهم الاتاي بيده ، وكان من عادته ان يهيئه بيده لخاصة اصحابه ، ثم قال لهم خذوا راحتكم هنا فهذه قيلولة ، وسنصلي ان شاء الله الظهر هنا جماعة ، وطلب من صاحبه الفقيه الراضي ان يصلي بالناس فى الزاوية ، وكان الابان صيفا ، قال الحاكي ، وفى اثناء ذلك وغل واغل من الباب الخارجي وصار ينادي يا ابن الحاج بلقاسم انني محتاج الى السكر فلا اخرج الا به ، يرفع صوته بذلك ويصرخ ، وكان هذا الواغل معتوها مشهورا ، ففتح الشيخ نافذة من علية له ، فناول المعتوه قالب السكر ، وماكان ينقصه الا ماشربناه منه ، ثم رد النافذة ، فصار الخادم الذي استدان صباحا يتأفف ، ويقول اما انا فوالله لا استدين ثانيا ، فلما خرج الشيخ عند الظهر امر الخادم باغلاء الماء ، وتنظيف الاواني ، فصلى بنا الظهر ، وقد غلى الماء ووضعت الاواني ، فتناول الشيخ كتابا يسرد علينا منه ما يتعلق بان فضل الله واسع ، وبعد هنيهة سمعنا دقا بالباب الخارجي ، فاطل الخادم فاذا به يجد اعوانا من قبل باشا تارودانت احمد بن علي الكابا ،فناولوه رسالة مع مائتي ريال (فضية خالصة) ومعهم خمس بغال موقورة سكرا وزيتا وسميدا ، فاغرورقت عينا

1) الفِرقِيء بكسرتين : القشرة الرقيقة التي تلتصق من تحت القشرة الغليظة من البيضة

الشيخ ، وبعد ان ادخل ذلك الى الدار رجع يخبرنا بان اهله بقوا يوما كاملا بلا ذواق ، وانهم قد حرموا ايضا من القالب المشترى صباحا ، ثم ان ذلك فضل الله ، فعد له ذلك من الكرامات المشهورة الماثورة ، وهذه نماذج من احواله ، فانه لا يبخل بما يملك ، ولا يهتم لتاثيل الاملاك ولا لمستقبل اولاده، وكم ليم فى ذلك فقال : الله موجود فى كل حين ، وفى رجوعه المرة الثانية من الحضرة الحفيظية ، ـ وهي التي خلدها الشاعر الافراني فى بائيتـــه المتقدمة ـ دخل داره بخيرات من كل نوع ، البسة ودراهم ونفائس ، فما زالت يده تروح وتغدو فى ذلك كله حتى اتى عليه فى اقرب حين ، وقـــد وصله السلطان هذه المرة باربعة ءالاف ريال ، وهي مال مهم جدا اذ ذاك يكفي من يرغب فى الدنيا ان يؤثل به ما يكون له ولعياله عدة وذخرا

وكان رحمه الله ءالفا مالوفا ، له اليد مع كل احد ، مع الحكوميين ومع رؤساء القبائل ، ومع الفقهاء المفتين ، وبذلك نال ما نال ، ولكنه مع كل ما ناله متواضع لا يترفع عن احد ، ولا يتكبر على احد ، وقد لبس ناموس التصوف لمكانته من رئاسة الطريقة التيجانية ، ولكنه مع ذلك ملتحم مع رؤساء الطرق الاخرى ،كالشيخ الحاج المدني الناصري ، والشيخ الحاج علي الالغي الدرقاوي ، وكان مزورا للجميع حين كان فى افـــران وحين حـــل بتزنيت ، وقد زاره الشيخ الالغي مع العلامة على بن عبد الله فى كلا المحلين، وفى بعض زياراتهما له بافران نزلا فى دار الشاعر الافراني ، فخلد نزولهما عنده بقوله

هنيئا لقلبي والهنـــاء علـــى مثلـــي	يحق وقـــد جادت موالي بالوصل
رأى الدهر ذلي واستعـــار صبابتي	فرق واولى الفضل منه على بخـــل
فانشد قول ابن الحسين واننـــــي	لاولى به والشكل يذكر بالشكـــل
وليس الذي يطَّلَّب الويل رائدا	كمن جاءه فى داره رائـــد الوبـــل »

كما ان سيدي محمد ابن الاستاذ الطاهر الافراني رحب به ايضا فى احدى وفداته الى (تانكرت) منذ صالحه اهلها عام 1324 هـ ، بقوله

شموس الهدى ابدت ضياء لمن يرى	فبرج العلا فى المجد فى فلك البشـــر
بطلعة بدر المدلهمات شيـــخ مـــن	بقلب صدوق يبتغي منهـــج الخير
امام الورى حامي الشريعة من ردى الـ	جهالة اذ مدت لهـــا راحة الضـــر
ومنجد من يسعى اليه مؤمــــــلا	ندى كفه المزري على لجـــة البحر

ومحيي قلوب دارسات بها طـــل	من العلم احياء الربا وابل القطـر
محيا له زهر النجوم تضاءلـــت	وخلق كمـا فاحت معطرة النشــر
امولاي اهلا بالقدوم قدومك الــ	ـمبارك يا مغنى المنظم والنثــر
امـولاي جـد للمستهام بدعــوة	تكون امانـا للفـؤاد مـن الذعـر
سلام على مثواك ما هيجت صبـا	غرام اخي شوق اليكم مدى الدهر

مـراسـلات رسميـة اليـه :

كتب اليه الوزير المدني الكلاوي :

« محبنا الارضى ، السيد المرتضى ، الفقيه البركة الباذل جهده فى سبيل الله ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، امنك الله وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله ، وبعد وصل كتابك الاعز ، وخطابك الرائق الاوجز ، جوابا عما كتبنا به لك فى شان التنبيه لما حدث فى ايت باعمران ، بانك وجهت من يستقصي اخبار تلك الناحية وتحذير من يروم وقوع الفتنة بين المسلمين ، وتمليك ارضهم واولادهم لطغاة الكافرين ، ووقوفـك فى حسم مواد الفساد ، وان تلك القبائل قامت على ساق الجد والاجتهاد وان الكل والحمد لله على غاية ما يكون من السكون والاطمئنان لاهجين بدعوة مولانا السلطان ، ولم تطمح نفوسهم فيما لا يرضى الملك الديان ، عدا البعض من هَصْبَاوَة ، ذكرت ان نارهم لا تخمد الا بتخييم مدد شريف بتيزنيت ، وان القائد صالحا الشاوي يصلح للتكليف على العسكر هناك ، وصرنا من ذلك ببال ، فالحمد لله على وجودكم بتلك الناحية ، لقد ظهرت بركتكم فيها ظهور الشمس الضاحية فى السماء الصافية، وانجلى منها ما كان صدى عليها ، فجزاكم الله احسن الجزاء ، بجاه من شفاعته ترجى ، صلى الله عليه وسلم ، ولا تعدم اجازة بحول الله من الله ورسوله ومن سيدنا اعزه الله ، فلتزد على عملك ، فلا يضيع لك ذلك بحول الله ، ويصلك طيه كتاب بتكليف القائد صالح على العسكر وجمع اشتاته ، واعلمنا بالمتحصل بعـــدده ، والكتاب الذي وجهته لمولانا المؤيد بالله قد وجهناه طي مكاتيبنا الى جلالته، فلتدم فى وقوفك واعتنائك بامور المسلمين ، ولا تغيب عنا خبرا ، وعلـــى صميم المحبة والسلام ، فى 17 صفر الخير عام 1327 هـ ، المدني بن احمد امنه الله »

وكتب اليه ايضا :

« محبنا الارضى الفقيه المرتضى البركة الاجل السيد الحاج الحسين الافراني امنك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد وصلت مكاتيبك جوابا عما قدمناه لك بانذار تلك القبائل وردها للجادة ، وعدم مصارفتهم مع الاجانب الذين يريدون التسلط على القطر السوسي بوسائلهم التي لا تحمد حالا ولا مئالا ، وان سيادتك قامت فى ذلك على ساق ، ووجهت المكاتيب لاربابها ، وحذرت وانذرت ، واوقعت الموعظة فى القلوب موضعها ، فجزاكم الله خيرا فى الذب عن بيضة الاسلام ، واثابكم بمنه بجاه خير الانام ، عليه من الله افضل الصلاة وازكى السلام ، وقد كتبنا لمولانا ايده الله فى شأن وقوفك واهتمامك بامور المسلمين ، ووجهنا لمولانا ما كتبت به الينا فى ذلك ، فلا يضيع لك بحول الله وقوفك ، فزد على ما انت عليه ، ولا تقصر كما هو الظن بك ، والمقصود منك ، وبالغ جهدك فى اطفاء نار الفتن ، فاننا والحمد لله فى غاية الاطمئنان بوجودك فى تلك الناحية ، وما يطلبه القائد صالح الشرادي من تنفيذ المؤنله ولمن معه من العسكر فسيرد قريبا بحول الله ، فقد كتبنا لمولانا ايده الله فى ذلك ، وقد كتبنا لك هذا من مخيمنا بسيدي ابي عثمان من بلد الرحامنة نفع الله به ، بصدد التوجه للحضرة الشريفة اصحبنا الله السلامة والعافية فى الذهاب والاياب ، فلا تنسونا من صالح ادعيتكم المستطابة ، التي لا شك انها مستجابة ، وعلى صميم المحبة الى لقاء الله والسلام ، فى 5 ربيع النبوي عام 1327 هـ ، المدني بن احمد الله وليه ».

وكتب اليه القائد عبد السلام الجراري

الى جميل اعتقادنا ، وخالص ودنا ، الفقيه الشهير ، العلم الكبير ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، امدكم الله من اسراره وافاض عليكم من انواره ، اما بعد فقد رجع الينا جوابكم الكريم باعذار عاقت عن القدوم، وحالت عن المشافهة التي هي المرام المعلوم ، فعذرناكم لذلك ، والخير فيما اختاره الله ، وها مبيضة بشاننا صحبة الحامل ان شاء الله ، فما ظهر لسيادتكم فيها من زيد او نقص فاعمل بمقتضى نظرك المصيب ، وبقي على سيادتك ان تكتب للفقيه سيدي محمد بن ابراهيم السباعي التكروري بكتابته هو للحضرة الشريفة على شأن ايت برا يّيم المشار له فى المبيضة ، فقد بنينا معه على ذلك كلامنا وشرط ان يرى خطك المبارك المعهود لديه ، فلا بد ان يصلنا مع المبيضة وكذا حفيدنا القائد عمر الدليمي اكد غاية ان

تكتب للحضرة الوزيرية بولايته على هشتوكة كافة ، بما لا يخفى على سيادتكم ، ويصل مع الحامل ، واما تعيين السفر ان شاء الله ، فالى عشرة ايام فما دون ، والله يتولى امورنا جميعا ، وينزلنا كنفا منيعا ، وتشير اشارة لطيفة لجانب الوزير بتعجيل اوبتنا من غير طول لبث ان شاء الله ، كما تومىء اليه ان يلزم على ولاية ايت برائيم ان تيسرت يكون عندما يكون المدد ان شاء الله بتيزنيت ، وعلى المحبة والاخوة والسلام ، فى 9 جمادى الاولى عام 1328 هـ ، عبد السلام بن محمد الجراري لطف الله به »

ونبه ايضا الفقيه السباعي بان ما وقع من كتابة الظهير لعياد لم يكن عن قصد منه ولا ارادة ، وانما ذلك سهو وغفلة للقاعدة التي فى المبيضة، وتكتب ايضا الى الحاج التهامي بمراكش ان يصحبنا بكتاب منه الى اخيه الوزير موصيا له بجانبنا ان شاَ الله ، ولم يوجد من الكاغد اللائق الا القليل الواصل ، والسلام

نعم واما خبر هشتوكة وحاحة فقد توسط فى صلحهم الشيخ ماء العينين ، فانفصل الفريقان ، واما ناحية المخزن اعزه الله فلم يتجدد لنا عنها خبر يقين ، وسمعنا ان المتوكي واهله قاموا بحركتهم فى (فم امْسكرْوض) اغاثة ليحيا ، وان الشدَّاح طلب الاغاثة من هشتوكة ولم ير فى الحال ذلك »

اقول ان ما يتعلق بعبَد السلام وما كتبه له المترجم يوجد فى ترجمته فى (القسم الخامس) بحول الله

آثـــاره :

ان للاستاذ حقا آثارا قيمة فى كل انواع العلوم التي حذقها ، بله فتاوي رايت بعضها ، وفى (المجموعة الفقهية) فتوى له تتعلق بمسجد (اداي) اكثر فيها النقولوسلك فيها مسلكا لم يعهد مناقرانه ، فقد تعالىالى الاستدلال بالحديث وتلك منقبة تعرف له فتشكر ، وهناك ذكر له فى فتاو اخرى ، وآسف على ضياع فتاوي امثاله ، والا فانها لتدل حق الدلالة على سمو فقهه ، وكان جيد الفقه مستحضرا للنصوص ، فهذا سيدي المحفوظ الادوزي يخبرنا انه فتش يوما على نص فلم يجده ، فاعمل الرحلة من مْشَارَطِه مدرسة (سيدي بُوعْبْدْلّي) الى (اَدَوز) ليسأل الاستاذ محمد

ابن العربي ، فلاقى المترجم فى موسم (تَادَايِنْت) فاستنزله ، فافضى اليه باستعجاله ، وان مسألة كذا قد اعوزه محلها ، فقال له انزل فانها فى المعيار فى الباب الفلاني منه ، قال فتعجبت لاني انتخلت المعيار بزعمي ، ثم وجدها كما قال له المترجم ، وبهذا اتصل ما بينهما ، وان كان ما بين السيد الحاج الحسين والادوزيين ليس بذاك على ما هو معروف عن المتعاصرين ، والسيد الحاج الحسين هو الذي اوعز الى الابرائِيمَيين ان يشارطوا سيدي المحفوظ فى مدرسة (سيدي بوعبدلي) بعد انخرج هو منها ، ولكون سيدي المحفوظ يصله يناله لوم من الاستاذ ابي فارس فى ابيات ذكرت فى محل آخر رحم الله الجميع

وكان الافتاء والقضاء يحومان دائما حول الحاج الحسين الى ان مات، وكان فى ايام أَتَفَلُوس احد اركان القضاَ بتيزنيت ، ولكنه على كل حال ليس فى مسلاخ كثيرين من اقرانه الذين يمتصون بذلك اموال الخصم ، ثم غمرت شهرته حتى علا مقامه عن ذلك ، والا فقد كان فى (افران) وفى مدرسة (تازاروالت) وفى مدرسة (سيدي بُوعَبْدَلِّي) قطب النوازل والفتيا يقصد من جهات بعيدة ، وكان فى (ايليغ) معروفا من قديم ، فقد حدثني بعضهم انه هو الذي يتولى التقدم فى كل مجامع القبائل عند الشريف الايليغي ، فبذلك كانت آثاره فى النوازل كثيرة ، والاتصال بالرؤساء مما يعظم به الفقيه اذ ذاك .

فمن آثاره ما ينشده ويتمثل به فى رسائله ، فقد تمثل فى رسالة الى استاذنا سيدي الطاهر الافراني بقول صفوان بن ادريس الاندلسي

« واخوان صدق لوقضيت حقوقهم ... لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
ولوكنت اقضي حق نفسي ، ولم اكن ، ... لما بت استحلي فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة ... وهل تسجيز العين ان تفقد الشفرا؟
قضى الله ان تنأى بي الدار عنهم ... اراد بذاك الله ان اعتب الدهرا
ووالله لو نلت المنى ما حمدته ... وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا»

وكتب فى رسالة اخرى اليه متمثلا

« ولا تلق بالاخبار من غير خبرة ... ولا تاخذ الاخبار عن كل مخبر

ومن آثاره ايضا رسائل لم يمكن لنا اليوم ان نقف منها الا على ما وجدناه فى خزانات الالغيين ، وهاك ما تيسر

1

كتب الى الاستاذ محمد بن عبد الله الالغي مؤسس مدرسة الغ ، وهو اذ ذاك بمدرسة بومروان

« ازكى التحايا وانماها ، وابرد البركات واشهاها ، على من هو بمنزلة الروح من الجسد ، ومن استحكم واستمسك فى الصدر بحبل من مسد ، مظهر من مظاهر الحق ، وينبوع من ينابع الصدق ، ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن صالح البومرواني ، هذا

سلام على الاخوان والصحب والرهط ... يفوح شذاه بالعنابر والقسط
رزقنا واياكم سلامة ديننا ... ودنيا من الاهوال والمكر والسخط
فان تسألوا عن حالنا بعد بعدكم ... فانا بحمد الله فى غاية البسط
وصحة جسم واغتنام قراءة ... بلا كلفة ما بين صحبي ولا شرط
تركنا الهموم كلها من ورائنا ... فلا شغل غير الرفع للشوق والحط

على ان محبتكم قد استولت على القلوب ، بشهادة علام الغيوب ، ونحن على ما قال سيد العشاق عمر بن الفارض فى قوله

اخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي ... يضركم لو كان عندكم الكل

واحوالنا بخير والحمد لله ، بيد ما ينزل بساحتنا من الاوغاد الاجلاف ، والحثالة الخفاف ، اصحاب التكالب على الدنيا عصمنا الله من هذه الغربة

وما غربة الانسان فى شقة النوى ... ولكنها والله فى عدم الشكل

والخبر لا يفهم الا بالمشافهة ، وقد وصلت الينا هديتكم على يد التوماناري فمكنته من الاجزاء الثلاثة الكائنة عندنا ، والنسخة البخارية اخذها من لدنا سيدي سعيد بن عبد الله لكونه مشارطا برخاوة ، والثاني

منها قد استولى عليه من كان عندنا من التلاميـــذ ـ الى ان قـــال ـ واصحب الينا معك شرح المحقق ابن زكرى على الفريدة ، والسلام »

2

وكتب اليه ايضـــــا

نحمد الله على ان هدانا واياكم للايمان ، حتى امتدت منا اليـــه الايمان (1) ونشكره على ما انعم به من صحة وعافية ، وارى من نطفـــة صافية ، واسلم على الفقيه الاجل المحترم المبجل ابي عبد الله سيدي محمد ابن عبد الله ، وعلى والده الرجل الصالح الطيب الجوانح ، وعلى جميع من ضمه المجلس السعيد ، من كل من منه يستفيد ، اما بعد

فطـب نفســا وقــر بذاك عينـــا ... فسوف ترى الامور كما تمنـــى

فلـولا الـدر منتقــل بكـــف ... لكـف مــا راى عــزا وصونـــا

ولا مـس النحور مـن الغوانـي ... ولا تاجـا يـرصـع فيـه زينـا

فـان المـاء ياسـن فى غـديـــر ... الى ان يفتدى حمـأً فسنـا (2)

اذا لـم يجـر او تضربـه ريـــح ... مطيبـة لـه ذوقـا ولونـــا

فذا مثل الرجـال فمـن تجـده ... اخـا نقـل تجد عزما مسنـا (3)

وامـا الداجنـون فمثـل شـــاء ... عجاف هـزل فالقـوم زمنـــى

فهـم جســم بـلا عزم وحـــزم ... وان تبصـر لهـم عينـا واذنـا

اجل لا تبتئس من مدرسة ابي مروان ، فان تصريف الاقدار ليس للمرء فى تحويله كما يريد يدان ، وسوف ترى انك بخروجك من بلـــدك ، وانتيائك للمعينين ليدك ، تكتسب عزما ، وتعرف كيف تتحمل وحدك هما.

وانما رجـل الدنيـا وواحدهـا ... من لا يعول فى الدنيا علـى رجـل

فالتجارب مِسَنٌ العقل حتى يحنك ، وان فارقك التجريب فى شرخ

---

1) الايمان الاولى بكسر الهمز ، المعتقـد ، والثانية بفتحه : جميـع يميـن اليـد .
2) حمأ ـ محركا ـ الطيـن الرقيـق ، والمسنون المتغيـر
3) المِسَنُّ : ءالة الشحْذ ، بكسر الميـم وفتح السين .

شبابك فاقرع على عمرك سنك ، ولو اطلعت على الغيب لما شككت فى حكمة الله تعالى ، ويجب على المومن ان يمرن نفسه على الرضا بكل ما قدر ، يسر فى نظره او عسر ، فالامور عند مواردها تتشابه ، ولكنها عند مصادرها تتبين حتى يستحسن احدنا ما كان اولا عابه ، (فالله يعلم وانتم لا تعلمون) ، (وهو احكم الحاكمين) ، حفظك الله بما حفظ به الذكر الحكيم، واخذ بيدك حتى لا تنزلق فيما تاتيه فتلَيم ، بمنه وكرمه

قد رشحوك لامر ان فطنت له فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

• • • • • •

فكن رجلا رجله فى الثرى وهمة هامته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا ة دون اراقة ماء المحيا

ولا تنسنا من دعائك فى كل وقت

3

وكتب اليه ايضا

« اخونا الفقيه النبيه الارضى سيدي محمد بن عبد الله الالفي ثم البومرواني وعليك السلام ورحمة الله ما تنبه وسنان ، ووسن يقظان، هذا، فليفرخ روعك (1) ، وليلتئم صدعك ، فما انت اول محسود ، ولا انت اول سيد ينغض اليه (2) راسه المسود ، فلتغتبط بما جرى ، فلولا نعمتك ما عراك ما عرا ، وذلك افشى للسمعة ، والقَطْ اضوأ للشمعة

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقديما قيل لا يرمى الا شجر له ثمر ، ولله در ابي حيان اذ قال:

عداتي لهم فضل علي ومنة فلا ابعد الرحمان عني الاعاديا
هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

1) اي فليزل فزعك .
2) انفاض الراس : تحريكه

وبعرك النوائب ، تخصب التجارب ، وفى الاكدار ، تظهر الاحرار ، وعلى البصائر غشاوة لا تنكشف الا بالخطوب ، وخوض الكروب

جزى الله الشدائد كل خيـــــر   وان كانـت تغصصنـي بريقـــي
فما شكري لهـا مدحـا ولكـــن   عرفت بها عدوي من صديقــــي

ومعلوم فى كل عصر فى التاريخ حسد الفقهاء بعضهم لبعض (1) ، لان كل واحد منهم لا يريد ان يكون غيره سماء وهو له أرض ، حتى نصوا على عدم قبول التجريح بين المتعاصرين ، لانهم غالبا غير متناصرين ، غير انك وان بليت يجب عليك التجلد ، فقد يغنى احيانا التبلد

ولقـد امر علـى اللئيـم يسبني   فاعـف ثم اقـول لا ينبغـي

• • • • • •

لو كل كلب عوى القمتــه حجـرا   لاصبح الصخــر مثقالا بدينــار

والنهاية فى ذلك للمومن قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) فالمخالقة اصل معاشرة الناس ، فبهـا يتقي منهم كثير من الناس ، وانما اكثرت عليك لتغتنم شبابك ، وتعـــرف كيف توصد وتفتح بابك ، فلك علينا حق النصيحة ، والنفوس اليوم بمحض النصح شحيحة ، ثم انهذه الرسالة لا احل لك انيقرأها احد ، لئلا يفسد ما هو بيننا وبين ذلك الفقيه ممتد ، والحزم اس الامور ، والله يلطف بنا فيما جرى به المقدور »

4

وكتب ايضا الى الاستاذ علي بن عبد الله الالغي ، واحسب انها مكتوبة فى نحو 1306 هـ .

نسمـات السـلام والبـركـات   كاريـج الحدائـق العطـــرات
تتوالـى علـى مقـامـك فى كـــل زمـان لديـك ملتزمـات

1) فى كتاب العلم لابن عبد البر بـاب واسـع فى ذلـك .

الفقيه الذي له فى قلوبنا مودة راسخة الاصول ، واخونا الذي له فينا ما يكون للاصول والفصول ، من هو لدينا مكين الاخاء ، شجرة مورقة بالعلم والادب والسخاء ، ابو الحسن سيدي علي بن عبد الله ، امام التدريس ، والحائز والحمد لله من العلوم ما حازه محمد ابن ادريس ، الى عقل غادرته التجارب مصقولا ، وكيف لا يزداد عقلا من حاز الى المعقول منقولا ، وبعد فارانا الله واياكم سلامة الدين والدنيا ، وجعلنا من الذين بايعوا الله ثم لا يعقب بيعهم ثنيا ، اما احوالنا هنا بعد انتقالنا فيظهر انها سائرة على وفق المرام ، ربما نكون احيانا فى عنفوان البشر كانما نحن على تعاطي المدام ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وهو الفعال وكل فعله مختار ، فقد وصلنا ما ارسلته اخلف الله عليك ، وجعل كل ما تامله منساقا اليك ، على انني لا احب منك ان تتكلف ، لاننا بصفاء القلوب لا بما فى الجيوب نتعرف ، لكنك لله درك ابيت الا ان توفي للمروءة حقها من كل جانب ، حتى تكون لكل من له بك اتصال اكثر اداء للحقوق واعطف من الاقارب

نزلت على ءال المهلـب شاتيـا   غريبا عن الاوطان فى زمـن المحـل
نما زال بي احسانهم وافتقادهـم   وبرهم حتى حسبتهـم اهلـي

فلا تنسونا يا سيدي من دعواتكم ، لاسيما بعد ان تقرؤوا فى الاوراد وظيفاتكم ، فاراكم الله من اولاذكم قرة الاعين وبهجة الصدور ، وخذ من الحامل ما هو شبه هدية واعذرنا فمثلك من يعذر يا ابا الحسن ، والسلام عليك وعلى الشيخ الحاج علي والاهل جميعا »

ظفرنا بهذه الرسالة عند من لا يحسب ان تكون عنده ، والحمد لله على ذلك ، ويالله كيف يفرط فى آثار ادبائنا الكرام

5

وكتب اليه ايضا

الاخ فى الله الفقيه العلامة الاديب سيدي علي بن عبد الله الالفي ، السلام عليك ورحمة الله وبركته ، اما بعد ، فنحن على خير نجر الذيل مما يفيض الله عينا من الخير العميم ، ومن اضرب النعيم ، والانسان اذا فكر

فى احواله يجده يرفل فى نعم الله العظيمة ، من الصحة وهي اجلها ومن الامن
على نفسه وعن ماله وولده ، ومن صحت له هذه النعم ثم لا يعترف انـه
يسبح فى نعماء الله فانه لنكود شديد المحال واما انتم فكيف احوالكم
وكيف انتم مع ذلك الانسان الذي اخبرتموني باخباره قبل اليوم ، فهل
انفصلت الدعوى بينكما بخير ، او طاف الدهر على عادته فى الكرام بضير
واوصي سيدي بالمخالقة ، فان المخالقة فى هذا العصر بل فى كل عصر من
احصن الحصون ، فمن احتمى بها فسيكفي من ان يتطاول اليه الدون
وفى الحديث انا لنبش فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم ، وفى القـــرءان
(ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
كفلك الله بما كفل به اصفياءه المحفوظين ، وجعلك سيد اقرانك وان كانوا
غابطين او مُحفظِين (1) ، وقد مر بنا الشيخ سيدي علي بن احمد فاخبرنا
عنكم بخير ، والسلام »

6

وكتب الى صاحبه فى الطريقة ، الفقيه السيد عبد الله التامانارتي
اليزيدي واصحابه هناك

اخونا فى ذات الله عز وجل ، المقد مالبركة السيد الحاج عبد الله
ابن محمد التامانارتي الجِرّْضاوي وجميع الفقراء التيجانيين من تلك
الناحية ، امدكم الله برضاه الاكبر ، وافاض عليكم من الفيوض الختمية ،
والاسرار الكتمية ، ما يغنيكم فى الدنيا والآخرة ، وسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ، هذا فلا تنسوا حق الاخاء ، أما بعد ، فاعلموا من هذا الكتاب انكم
ظفرتم بفضل الله والحمد لله بسبب متين من السعادة فتمسكوا به ، فانه
يكفيكم جميع المهمات الدينية والدنيوية ، وهو عهد سيدنا الشيخ التيجاني
رضي الله عنه ، فقد افاض الله عليه وعلى اتباعه فيضة عظيمة من السعادة
فقد الحقت أهل هذا الزمان بمن قبلهم بلا مشقة ، لما علم سبحانه عجزهم
عن سلوك الطريق على الوجه المطلوب المصطلح عليه ، اخذ بايمانهم فاوقفهم
بالباب ، وطوى لهم المسافات التي لاتقطع فى الاعمار ، جعلنا الله واياكم ممن
شملتهم هذه الرحمة ، واظلتهم هذه المنة ، وايضا اعلموا ان بحر الذنوب قد

---

1) احفظه ، اغضبه .

طما وكثرت امواجه ، وتراكمت ظلماته ، حتى عجز الخلق عن الخروج منه الا صديقا او اجل منه او من يقارب مقامه ، وما عدا هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم عن الخروج عن الذنوب ، وان الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لاحد عن الانفصال عنها ، فانها تنصب على الناس كالمطر الغزير ، لكن اكثروا من مكفرات الذنوب ، وآكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق ، فانها لاتترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، كصلاة التسبيح الواردة في الحديث ، فاوصيكم ونفسي بما اوصانا الله به وامر به من حفظ الحدود ومراعاة الامر والنهي على حسب جهدكم واستطاعتكم ، فان هذا زمن انهدمت فيه قواعد الامر الالهي جملة وتفصيلا ، وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا واخرى ، بحيث لا رجوع ولا يقظة لما يرد القلب الى الله ، وللوقوف على حدود الله امرا ونهيا ، ولا طاقة لاحد بتوفية امر الله من كل وجه في هذا الوقت الا لمن لبس حلة المعرفة بالله تعالى او قاربها ، ولكن حيث كان الامر كما ذكر ، ولم يجد العبد مصرفا عما اقامه الله فيه ، فالابقع خير من الاسود كله ، فاتركوا مخالفة امر الله ما استطعتم ، وقوموا بامره على حسب الطاقة ، واجعلوا لانفسكم عدة من مكفرات الذنوب في كل يوم وليلة ، وهي أمور كثيرة وآكدها (الفاتح لما اغلق) كما تقدم ، ومن ذلك المسبعات العشر لمن اتخذها وردا صباحا ومساء ، ومنها (الفاتح لما اغلق) ، واقلها مائة في الصباح والمساء ، فلا يلحقها في هذا الميدان عمل من أي عامل ، ولا ينتهي الى غايتها امل من أي آمال ، والسلام »

وكتب ايضا شبه ما تقدم الى شخص يسمى محمد بن القرشي ، واحسبه القائد الاوريكي

« اخونا في ذات الله تعالى ، خديم الاعتاب الشريفة السيد محمد بن القرشي ادام الله توفيقكم واغناكم عن الناس ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عن خير مولانا ادام الله نصره ، اما بعد فاعلم ايها الاخ ان بحر الذنوب قد طم وكثرت امواجه وتراكمت ظلماته ، حتى عجز الخلق عن الخروج عنه الا صديقا او اجل منه ، او من يقارب مقامه ، ومن عدا هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم ، ولا قدرة لاحد على الانفصال عن الذنوب في هذا الزمان ، فانها تنصب على الناس كالمطر الغزيز ، فليشتغل العاقل بعد تصحيح صلاة فرضه بمكفرات الذنوب وليكثر منها ، وآكد ذلك صلاة الفاتح لما اغلق ، فانها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، وصلاة التسبيح

الواردة فى الحديث ، وان كل معصية لابد لها من عقوبتين ، عقوبة دنياوية وعقوبة اخروية ، اما العقوبة الدنيوية فلا ترفع عنه الا باحد امرين الاول اخراج صدقة لله يعدها من مال حلال أو كالحلال فيما يرفع بلاء المعصية، والثاني من الامرين الرجوع الى باب الله بالضراعة والابتهال ، والـــذل والانكسار ، والتضرع بالدعاء بطلب العفو منه سبحانه وتعالى وبطلب رفع بلية تلك الذنوب ، فانها ترفع بسبب ذلك عنه ، واما العقوبة الاخروية فلا ترفع عنه ولا بد منها الا ان يعفو عنه سبحانه وتعالى اما بسبب واما بغير سبب ، واسباب العفو كثيرة ، تطلب فى كتب الحديث، ومما هو من المكفرات ملازمة الانسان كل يوم ثلاث مرات

« اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ، ورحمتك ارجى عندي من عملي » ، ولذلك تعين على كل عبد ان يسعى فيما يخلص مهجته من النيران بالتوبة الصادقة من ذنوبه ان قدر ، والا فبالاكثار من الذكر وغيره من الاعمـــال الصالحـة كما قـال البوصيري

فتزود التقوى فان لـم تستطـــع ... فمن الصلاة علـى النبـي تــزود
صلى عليه اللـه ان صــلاة مــن ... صلى عليه ذخيـــرة لاتنفـــذ

فان الاعمال الصالحة تخففها او تجعلها مغفورة عملا بقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات » الآية ، وبالجملة ، فأكثر أيها الاخ مـــن مكفرات الذنوب راجيا المغفرة ، معتقدا ان الله لا يخيب لك املا ، ولا تقنط ولا تياس من روح الله (انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافـــرون) (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) ، هذا وعليكم بالاكثار من الفاتح لما أغلق فانها الكنز الاعظم فى هذا الباب ، والسلام ، 6 من جمادى الاولـى عام 1327 »

عمدا نوعنا بين آثار الاستاذ المترجم ، فاتينا بئاثاره الادبية وغيرها ليطلع القارىء على ما امكن من نواحيه المتعددة ، لاننا نعد انفسنا جانين على حياته اذا لم نشد الا بناحية واحدة منها واغفال غيرها مع امكان ايضاحها ، والمؤرخ ينبغي أن يكون كالنور الذي يجلي الالوان كما هي ، والا فانه مقصر ما دام ذلك ممكنا

ثم بين أيدينا رسائل له أخرى الى الالغيين ليست لها فى نظر الاديب تلك النظرة التي يلقيها على ما تقدم من الرسائل الاولى ، ولا للمؤرخ المتتبع لحياة المترجم فيها ما يراه فى الاخيرة فطويناها

كبراء أصحابه فى الطريقة

للشيخ الحاج الحسين كما ترى مقام محمود فى كل ناحية ، فاينما توجه يخدمه السعد ، ويقتاد راحلته التوفيق ، ولعل أعظم منقبة اشتهر بها عند أصحابه كونه سببا لانتشار الطريقة التيجانية فى كل جوانب سوس ، فاننا نعرف من أصحابه من تقدموا فيها فكانوا اطنابها واوتادها وعمدها اليوم، وفى مقدمتهم الفقيهان الالغيان الاستاذ محمد ابن عبد الله واخوه علي بن عبد الله ، فقد اجازهما فى ذلك اجازة محفوظة عند اولادهما اليوم ، ولم يتيسر لنا ان نعرضها على القارىء ومن أصحابه ايضا الفقيه ابراهيم بن محمد بن حسين الطاطائي ، فقد أخذ عنه الحديث والطريقة واجازه فيهما معا ــ ولعلنا نذكر تلك الاجازة متى تعرضنا لترجمة هذا الفقيه بين الطاطائيين بين تراجم التيمچدشتيين ــ ومنهم الاستاذ محمد بن علي المعروف باءِيچِّيچْ (وتعريبها الرعد) ، ومنهم العلامة استاذنا الشاعر الطاهر بن محمد الافراني ، وناهيك به فى كل وصف من أوصافه ، ومنهم سيدي سعيد بن الطيب الاچْماري ناشر هذه الطريقة فى ذلك الوادي ، ومنهم الشيخ مَحمد ــ فتحا ــ النظيفي نزيل مراكش ، فانه من اشياخه الذين اعتمد عليهم فى الطريقة وقد قال فى ذلك من رجز

ثم اجازني بها الرباني	حسين نجل احمد الافراني
بحر زخير كرما وعلما	لله دره ابا واما
فما له من الشبيه والنظير	فى قطرنا السوسي من غير نكير
رايته فى عالم الاموات	وقال لي مالك عندي ياتي
يا رب فاحفظه من الشيطان	وحزبه من انس او من جان

ومن اصحابه الفقيه سيدي ابراهيم من اَچْنِي المَضا من رسموكة وسيذكر ان شاء الله بين اهله المضائيين فى هذا القسم نفسه

ومن اصحابه سيدي الراضي خليفته فى زاويته بتيزنيت من بعده ، وهو مذكور بخير عند عارفيه ، توفى ، بعد ان واظب على ذلك زمنا ، فى

8-10-1348 هـ ، ومنهم سيدي احمد امَنجوض (تعريبها الاقرع) الفقيه الماسي الذي ذكر فى عداد اليعقوبيين ، ومنهم سيدي علي الإيسيچي الذي تصدر فى هذه الطريقة ، وقد رأيت له تأليفا فى كراريس حول الشيخ المترجم ، مررت عليه مرورا بلا قراءة ، فلم ادر كيف هو ، وانما احسبه لم يوف للشيخ ما يستحقه مقامه ، وانه معذور فى ذلك ، ومن اصحابه ايضا الاستاذ الحاج الاحسن بن ابي جمعة الباعقيلي الذي تصدر اخيرا بالبيضاء ــ يقول انه من اصحابه ، ولكنني سمعت من استاذنا الثقة الطاهر الافراني انكار ذلك ــ وهناك من اصحابه ءاخرون منتشرون فى الجنوب يحملون الوية تلك الطريقة اعان الله الجميع على ما فيه خير

وقد كان المترجم يعرف كيف يساير ، حتى ان الذين حاولوا مجادلته كالاستاذ احمد بن مَحمد الالياسي الماسي الذي انتقد بعض امور فى الطريقة لم يعد ان اجابه بحوار حسن ، وسيرى القارىء ذلك فى (القسم الخامس) فى ترجمته ، وكذلك الشيخ ماء العينين اذ وقعت بينه وبينه مراداة ، لان ماء العينين كان يلقن اورادا عدة من جملتها التيجانية ، وذلك مما لا يقبل عند اصحاب هذه الطريقة لانهم يرونها اعلى من ان تجتمع مع طريقة اخرى وانها تغنى عما سواها من الطرق ، ولسعة صدر المترجم لم يعد ان بين للشيخ ماء العينين شروط الطريقة فى ذلك ، ولم يتأثرا بما وقع بينهما ، حتى أنه أَبَّنه الشيخ ماء العينين احسن تأبين لما صلى عليه يوم توفى كما سترى ذلك ووقع مثل ذلك ايضا بينه وبين الاستاذ محمد بن العربي الادوزي ولكن كل ذلك لم يخرجه عن وقاره

((ترياق القلوب))

للشيخ الحاج الحسين الافراني مؤلفات منها فيما يتعلق بالتصوف كتاب سماه (ترياق القلوب) وقد قرظه شيخنا الاستاذ ابو محمد الطّاهر بن محمد الافراني بقوله :

اذا اضنى الحجا داء الذنوب	فلذ بكتاب ((ترياق القلوب)
كتاب حاز من تحرير علم الـ	ـطريق الاحمدى اوفى نصيب
فنظم من (جواهره) عقودا	ابانت (بغية) الفطن اللبيب
وسدد نحو منكره (رماحا)	يذل لوقعها انف المريب (1)

1) فى ذلك تورية بكتب فى الطريقة سميت بهذه الاسماء

حوى مـا قـد تفـرق فى سـواه ... مـن الآداب والسـر الغـريـب

فأصبـح جامعـا راقـت حـلاه ... مـن التحقيـق والنصـح العجيب

تفجر مـن عيـون القـوم عينـا ... يـروي كـل ذي قلـب جـديب

ببيـن ، فلفظه قـد صيـغ تبـرا ... بلبـة غـادة خـود لعـوب

تضـوع مـن خـلال حـلاه معنى ... يـروق كمـا تنفـس نفـح طيب

حلا ذوقـا وفـاح شـذى وازرى ... بوشـي قدامـة وابـن الخطيـب

ولم لا وهـو مـن امـلاء شيـخ ... رمـى القرطاس بالسهـم المصيب

حـوى كـل العـلا فغـدا امامـا ... لاهـل العصـر شبـان وشيـب

وطبق صيتـه الدنيـا فاسـرى ... بهـا مسـرى شمـال او جنـوب

هـو البحـر الخضـم فمـن اتاه ... افـاض له بدلـو بـل ذنـوب (1)

هو الشيخ الامـام ابـو علي ابـ ... ـن احمد صاحب البـاع الرحيب

مفاخر كالنجـوم الزهـر حسنـا ... واخلاقـا كمـا الروض الخصيب

هو المولى الـذي مـا زال حبـي ... لجانبـه لـه حكـم الوجـوب

فمن لي ان يحيط لسان مدحـي ... بكنـه ثنائـه الغـض الرطيـب

فـلا لـو انني جاريت فيـه ... مديح ابى نـواس فى الخصيب (2)

فأبقـاه الـلـه الخلـق كهفـا ... يُـلاَذُ بـه لتفريـج الكـروب

بجـاه اجـل مـن يلجـأ اليـه ... اذا مـا اكثرت نـوب الخطـوب

رسول اللـه افضـل مـن نرجـي ... شفاعتـه لـدى اليـوم العصيب

عليه ما سرى سحَرا عليـل الـ ... ـنسيم صـلاة عـلام الغيـوب

وءالـه والصحـاب الغـر طـرا ... وكـل فتـى الى التقـوى قريب

وازكـى رحمـة واتـم روح ... على قطب الهـدى غـوث الكئيب

ابـى العبـاس احمـد مـن تجلت ... بـه عنـا غيابـة كـل حـوب

عليـه سحائب الرضـوان ما حـ ... ـن مشتـاق الـى لقيـا حبيـب

وقرظه ايضا بعض الالفيين ، ولعله الاستاذ علي بن عبد الله ، بقوله :

هـذا لعمـري سيـد الكتـب ... فـانـه التريـاق للقلـب

يجـد فيـه كـل مـا يبتغـي ... صـاحـب قلب بالهـدى صـب

فيه (الرماح) و (الجواهر) و (الـ ... ـنفحـة) يحـوي الكل فى الجيب

---

1) الـذنـوب بالفتـح الـدلو المـلاى .

2) يشير الاستاذ الافراني الى القصائد الرائعة التي مدح بها ابو نواس الخصيب بن عبد الحميد العجمي المرادي عامل العباسيين على مصر .

ما شئت من ادوية وصفت — من حاذق فى علمه طَب
ابى على شيخ سوس ومن — انجب من اكابر نجب
نِطَاسيُّ القلوب يعرف ما — يحجبها عن حضرة الرب
يدعو الى الله فيقصده — صديان يقصد الى العذب
ادامه الله لنا هاديا — ومنقذا من عمق الجب
بجاه شيخ الكل احمد شمـ — ـس الدين فى المشرق والغرب

احسب ان هذه القطعة للاستاذ الذي نسبنا اليه ، وقد نقلتها من اوراق التيَاسينتي .

وفاة المترجم

اذا تم شيء بدا نقصه — ترقب زوالا اذا قيل تم

دخلت سنة 1328 هـ. على الشيخ السيد الحاج الحسين ، فوجدته فى شفوف وعظمة ومقام سام الى الغاية ، وقد واتته السكنى بتيزنيت فاستراح من التانكرتيين ومن مجاذبتهم الحبال ، فأقام فى تلك البلدة الطيبة محترما من كل طبقات الناس ، وكان له اصحاب من الرؤساء كالباشا احمد ابن علي الكَابَّا باشا تارودانت ، ورؤساء تِيِيّيُوتْ الذين صارت بعد ذلك الوقت قيادة جانب كبير من سوس الى السيد محمد بن ابراهيم منهم ، وامثالهم ممن يتسابقون الى خدمته بكل ما تتوقف عليه الحياة ، فاستطاب شيخوخته التي اوفى فيها على الثمانين ، ثم مالت شمسه الى الافول اعظم ما كانت اشعاعا واستنارة واشراقا ، فقد ختمت انفاسه رحمه الله يوم السبت رابع شوال عام 1328 هـ ، فكانت له جنازة حافلة ، وكان امام الصلاة عليه ضيف تيزنيت اذ ذاك الشيخ ماء العينين ، ثم ابَّنه بخطبة ارتجالية بين يدي جنازته ، مضمنها الاشادة بقدر الرجل وتنبيه التيزنيتيين على هذه النعمة المعنوية المسبلة على مدينتهم الجديدة حيث يتنابها اعاظم العلماء ساكنين ، ثم يثوون فيها مقبورين ، وكأنه رحمه الله يتكلم حول نفسه ، لانه التحق بمن صلى عليه بعد اسابيع قليلة ، وكانت تلك السنة والسنة التي قبلها مدرجة لعلماء كبار من هذه الجهات فقد رحل الشيخ احمد بن عبد الرحمان الجشتيمي فى سنة 1327 هـ ، وفى هذه 1328 يرحل

المترجم فيتلوه الشيخ ماء العينين فالشيخ الحاج علي بن احمد الالفي ، وذلك ما حدا شاعر سوس ابا محمد الافراني الى ان يقول فى مرثيته للشيخ ماء العينين :

ءاه فقد الشيوخ اهلة الـ ـاسلام ماتوا فاستطال الفيهب
نضب المعين وغاضت الامواه قل لي كيف نبقى بعد ما هي تنضب
ذهبالالى اكتسبالهدى بوجودهم عزا فأصبح خائفا يترقب

كذلك راحت من الشيخ الحاج الحسين غزالة وهاجة فى افق الجنوب سنوات كثيرة ، وعقبى كل شمس وان اشرقت ان يكون منتهاها الافول

مراثيه :

قال فيه ابو محمد الطاهر الافراني

اليك فقد اودى فتى العلم والندى وبدرالهدى الشيخالحسين بناحمدا
توى فتوى فرد هو الكل همة وعزا واقداما وعزما وسؤددا (1)
فقل لعفاة المكرمات تحيروا فقد ذهب المعروف وانقشع الندى
وللكتب قرن فى القماطر حسرة وللحبر مات الحبر فلتتبددا (2)
وللدين والدنيا وكل رئاسة مضى طبك الآسي فصبرا لكل دا
هو البدر لما حاز وصف كماله بهاء رمته بالسرار يد الردى
فتبا لدهر ما رعى إلّ سيد تأزر بالعلياء والمجد وارتدى
وانفق فى كسب الفضائل جاهدا مدى عمره حتى غدى غاية المدى
وحاز من المجد الموثل ما يقيـ ـه لو ان مجدا خلد الدهر سيدا
فكم هجر الاوطان فى طلب العلا وكم خاض من بحر وكم جاب فدفدا
وكم من هجير صامه متعبدا وكم سحر قد قامه متجهدا
وكم غاص بحرالعلم يبغي(جواهر الـ ـمعاني) فحابته بما ملا اليدا
وجاد بـ (ترياق القلوب) فلم يدع صدى قلب من قد جاءه يشتكيالصدى
وكم ذاد عن ورد الطريقة من قذى رمته بها كيما تكدرها العدا
وسل الظبى يفري غلاصم ذي العنا د فريا ويردي من تعدى والحدا

1) توى : هلك .
2) الحبر الاولى بالكسر ومعناها المداد ، والثانية بالكسر والفتح والمراد بها العالم الصالح .

الى ان غـدا والحمد للـه وردهـا بتهذيبـه اصفـى واعـذب مـوردا
وحاز وراثـة الخلافة فاستـــوى على عرشها يسدي الرغائب والجدا
الى همـة تعلو علـى زحـل فلـم تـرم مطلبـا الا واقبـل مسعـدا
وعـزة نفـس لا تليـن قنـاتهـا لغمـز ولا ترضـى الدنيـة والردى
وزهد واعراض عن العرض الـــذي يعيد نقى الدين والعـرض اسـودا
وجـد وحلـم واحتمـال وعفــة وصـون وعـزم كالحسام مجـردا
وخلق كمـا هب النسيـم معطـرا وجود كمـا طـم العبـاب وازبـدا
فللـه منـه عالـم طالمـا هــدى الى الحق طلاب الكمـال وارشـدا
وانقذ بالعلميـن طـرا ذوى عمـى واغنى واقنى كل من راح واغتـدى
وحل عويص المشكـلات وقيـد الـ ـشريد فكم روى الحديث واسندا
الى ان دعـاه الله للفـوز بالرضـى فلبى ومن جد السرى حمد الفـدا
فخلف وجـدا لا يريـم وحيـرة كما حار ظام فى الفلا شفه الصـدى
فمـا رزؤه الا كـرزء سميـــه الـ ـشريف كوى كل القلوب واكمد (1)
فلو قبـل الموت الفدا لاشتهى جميـ ـعنا وتمنـى ان يكـون لـه الفـدا
فقدس رب العرش فى الخلد روحـه وبـوأه رضـوانـه وتغمـدا
وجازاه فى الفردوس افضل ما جزى اماما هدى للرشد من بعد ما اهتدى
وارضاه عنـا من خزائـن فضلـه وثبتنـا قـولا وفعـلا ومقصـدا
بجاه رسـول الله صلـى عليه ربـ ـه ابـدا ازكـى صـلاة واحمـدا
وجاه ابي العباس قطب الوجود شيـ ـخنا احمد اعلـى المشايخ مصعـدا
عليه سـلام يمـلأ الكـون طيبـه مقامـا ثـوى فيه كريمـا ومقعـدا

وقال تلميذ له اسمه محمد بن عبد الله ـ كما نقلته من كناشة بعض اصحابنا ـ ولا ادري الآن من هو محمد بن عبد الله هذا ، والقصيدة اكبر مما اوردنا ، وقد اخترنا منها ما يظهـر انـه مقبـول

كسف البدر فى السمـا والنجـوم فدمـوع الاجفان طـرا سجـوم
اظلم الليـل بالدياجـي فايـن الـ ـبدر يا ناظـرون ايـن النجـوم
اصحيح ان قد توفـى شيخـي يا لحزن بين الضلـوع يـدوم
كـان لـي والصحـاب طرا كظـل وارف تتقـى لدنـه السمـوم

---

1) بالشريف سميـه : سيدنـا الحسيـن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهمـا .

رتــوي فى المعيــن بيــن يديـــه مـــن طريقتنــا عليـــه نحـــوم
فصــل المجمــلات وضــح اشكــا لا نــرانــا فى جــانبيـــه نهيـــم
ها هو الشيـخ قد مضى فمــن الها دي لنــا فى طريقنـــا يستقيـــم
من يبيــن لنــا المقاصد مــن يــر وي اذا جاءنــا الظمــاءُ الهيــم
عجبا كيف يحمــل الشبــر طودا كلــه همــة الهـــدى والعلـــوم
كم عيــون مفتحــات بــه ، كــم مهــج اُحْظِيَت بمــا قــد تــروم

هاتان المرثيتان ما اعرفه فى الشيخ سيدي الحاج الحسين الافرانــي ولم نقف للادباءالالفيين فيه على شيء، ولعلهم رثوهفلمنقف على مراثيهم فيه.

اولاده

رزق الاستاذ بنات متعددات ، تزوجت اثنتان منهن فى تانكرت ، واخرى عند القائد سعيد المجاطي ، واخرى عند القائد مبارك البنيراني ، واخرى عند الفقيه البركة سيدي احمد بن محمد المزواري الرسموكــي نزيل تازمــوت بضاحية تارودانت ، واخرى فى ماسة ، وهناك اخريات ، اما ذكــور اولاده وكلهم من السراري ، فأكبرهم سيدي محمد الذي هنأ الاستــاذ الطاهـــر الافراني والده يوم ولادته بقولــه :

هنيئا بنجــم زار افقــك يــا بدر تضيء بــه الآمال مــا بقي الدهـــر
بدا بعد ما ءالت رســـوم العلا الــى عفاء فــدام الانس واتصل البشـــر
وقرت به عيــن السيادة واشتفت صدور الهدى واهتز انسا به الفخر
وقامتشوادي السعد تشدوخطيبة تقول هنيئـــا قد بــدا الولد البــر
وليد اتى من بعد ما قــد تشوقت اليه العلا شوقا يضيق به الصــدر
دعت فاجــاب الله جــل جلالــه دعاها كما شاءت ، لهالحمدوالشكر
فيا ايهــا البحر الخضمُ ومن بــه يزان اذا ما حبــر النظــم والنثـــر
بقيت وذاك النجل حتى يقــال فى كما لكما شمس الظهيــرة والبــدر
ولا زالت الدنيـــا وانت امامهـــا تواليك بــرا لا يحيــط به حصـــر
ولا زال كــل الكون يثنــي لسانــه عليك كما يثنى على الوابل الزهـــر

كما هنأه الاستاذ ابو الحسن علي بن عبد الله الالفي بأخرى هي

هنيت يــا شيخ المشايــخ بالتقــى　　وبمــن على اعــلام علــم مرتقــي
وبكنــز كــل فضيلـــة ومزيـــة　　وبمقلد الســر المصــون المغلــق
وبحبــر امتـــه وبحــر زاخـــر　　بنفيــس علــم والعــلا متدفــق
وببغية العجــلان والندب الــذي　　تعنــو لعزتــه وجــوه السبــق
وبقــرة العيــن النجيــب محمــد　　مغنى المجــادة والكمــال المونــق
ان كان زهرا ناضرا فمقــره الــر　　وض الاريــض وغصن ايك مــورق
او كان عينا فهــو عيــن العلــم او　　بدرا ففي بــرج السيــادة يرتقــى
او كان درا فهو مــن بحر التقــى　　او كان بدرا فهو من افــق رقــي
ابقــاك مــن ارقــاك اوج سيــادة　　يا عــون عــان عفــو عــان مملــق
حتــى تعاينــه بعيــن مهــابـــة　　من جمع اخوتــه الكــرام اللحــق
وترى الزمــان واهلــه فى خدمــة　　لــولاء نعمتــه كمولــى مُعْتَــق
باجــل خيــر الخلــق صلى ربــه　　ازكى الصلاة عليه مــا دهر بقــي
وعلى مجادة ءالــه الشم الــذرى　　وعلى صحابتــه الكــرام الصــدق

وكان سيدي محمد هذا قد التحق بالاستاذ سيدي الطاهر يأخذ عنـه وعن ولده سيدي محمد ، ولكن لم يتمش كثيرا فى معلوماته ، ثم رجع الى دار ابيه فوجد من الاحترام ما قد يفتر به امثاله ، ثم لم تزل به بركة والده الى ان استقام فكان عميد زاوية والده فى تزنيت ولم يزل على ذلك الى ان توفى يوم السبت سادس عشر من صفر الخير عــام ثمانيـــة وستيـــن وثلاثمائـــة والف (1358 هـ)

قال فيه المؤرخ ابـن الحبيب السكرادي فيــه :

« ومنهم الفقيه العلامة المرشد المقدم المفيد ابو عبد الله سدي محمد بن الحاج الحسين الافراني ، جلس على كرسي ابيــه فى التعظيم والوقــار ، وصادق المحبة والوداد للناس كافة ، مع رسوخ قدمه فى الطريقة التيجانية ، احد فضلائها ، ذا جد واجتهاد فى سلوك طريقة الرشاد ، سخي كريم مقبــل على شأنــه تارك ما لا يعنيــه »

ثم اخوه احمد الذي كان رفيقنا بمدرسة تانكرت ما شاء الله ، الا انه ايضا لم يتمش كثيرا ، وكان من الطف الناس اخلاقا ومعاشرة ، ثم ان الباشا الحاج التهامي الاكلاوي صاحبه معه لما كان فى تزنيت عام 1335 هـ الى مراكش

على نية ان يستتم تعلمه فى مدرسة أخليج ، غير ان ذلك لم يقدر له ، ثم خالط طبقا تمن الرؤساء وصار يحضر مجالس انسهم فجره السيل فى مجر البطالة والملذات ما شاء الله ، الا انه يحافظ على صلاته وعلى ورد والده وكثيرا ما يزورني بمراكش فيجدني مغمورا بالدروس فيقول لي هنيئا لك ما انعم الله به عليك ، واما انا ففي حمأة ، ثم يحكي متأسفا ما يراه من اولئك الرؤساء ، وكان من اجود الناس ، لا يبقى ولا يذر ، فلا يزال محتاجا ، مع ان اولئك الرؤساء يعينونه دائما ، وله صحبة مع الباشا الحاج التهامي الاكلاوي فمَن دونه كثال الحاجي من الشياظمة ، وءال قائد تكنافة ، والوريكيين ، ثم تزوج فى مراكش ، وكانت له جولات مع القائد محمد بن ابراهيم التيوتي ، الى ان عزل الحاج حماد بن حيدة بن ميس عن باشوية تارودانت على يد القبطان الفرنسي بُور ْكِينيُون ، ثم لما مات اخوه محمد انتقل الى تيزنيت حيث استقر ، وتحسنت سيرته الى ان توفي منذ سنتين

قال المؤرخ علي بن الحبيب السكرادي فى حقه :

« ومنهم اخوه الفاضل والسيد الكامل ابو العباس سيدي احمد بن الحاج الحسين الافراني ، لما ترعرع تحول الى مراكش واقام بها

ان الكريم اذا اقام ببلدة سأل النضار بها وقام الماء

ثم اخوهما الاديب السيد محمد الحبيب ، قد قدر الله له من بين اخوته ان يضم الى ما ورثه عن والده من مكانة سامية متوارثة ما لا يقل عنها سموا مما اكتسبه بالنزوح للحواضر ومخالطة افاضلها ، فقد تمكن من اللغة العربية واطلع على ادابها ، والم باللغة الفرنسية ، فمن اجل ذلك ، ومن اجل ما هو مطبوع عليه من حسن الخلق وخفة الروح والتيقظ وصفاء الطوية والنظر البعيد الصائب ، استطاع ان يجعل لنفسه مكانة فى الحواضر ، اذ استطاع ان يكون مسيرا للناحية الداخلية فى معهد جسوس الذي اسسه السيد الحاج احمد بَّلافريج بالرباط ، فسيره على احسن ما يكون مما تتطلبه المدارس العصرية بنظام وحزم وصرامة واستقامة ، الى ان كانت حوادث سنة 1937 م التي اعتقل فيها السيد الحاج احمد بَلافريج وغيره من الوطنيين ونفي الى كورسيكا فاحتل الجند الفرنسي المدرسة ، فاخرجوا

منها السيد محمد الحبيب بعد ما ناله منهم ما لابد منه لامثاله من الاهانة فى تلك المواقف ، فانتقل الى الدار البيضاء ، فتيسر له ان يشتغل فيها بالتجارة ما شاء الله ، وكان فيها من الاريحية وحسن الخلق والنشاط كما كان فى المدرسة حتى اذا خلت دار والده من اكابر اخوته انتقل اليها فعمرها ولما من الله على المغرب بالاستقلال وعاود معهد جسوس نشاطه من جديد ، كان من اول من فكر المعهد فى استرجاعه ، فاستقدم من تيزنيت لهذا الفرض وما يزال هناك الى الآن 1379 هـ ، اعانه الله ووفقه

قولة المؤرخ ابن الحبيب فيه :

ومنهم اخوه قطب الدائرة ، وعليه مدار فلك الفضل وبه الامثال السائرة ، الفقيه الاجل ، العالم الامثل ، سيدي محمد الحبيب بن الحاج الحسين الافراني ، صدر الاسرار ، ومركز دائرة الفضل فى تلك الاقطار ، لم يفتخر بئابائه ، ولم يبتهج بنضارة اصله ونمائه ، اذا نسج حلله على منوالها فهو من الطراز الاول ، او نظم الشعر فهو مهلهل ، ولم يزل مقيما برباط الفتح وقد امتطى فيه ظهر المجد ، ونزل فيه ببطن تهامة ونجد وأوى لها حيث لا عاصم اليوم من الخطوب ، الا ذلك الحصن المحبوب ، (1) ولا زال به يدرس دروسه ، ويحطب فى حباله بطبع الذ من محادثة الحبيب ، واعذب من مفاكهة الصديق الاريب ، فلم تزل السعود فى خدمته قائمة ، وعيون النوائب عن معاليه نائمة

اشرب هنيئا ان فهمت حديثنا انت الكليم وذلك الميقات

اقوال المؤرخين فيه :

قولة الرفاكي فى المترجم سيدي الحاج الحسين الافراني

اذا كنت ايها القارىء لهذه الترجمة التي سنحت من قلم من لم يعرف الاستاذ ولم يعاشره ، وانما كان معتمده على ما تلقفه من الالسنة ، والتقطه من بين الاحاديث ، فاليك ترجمته ممن عرفه حق المعرفة وعاصره ، وهو مع

1) يظن ان من فى الرباط ناج من اهوال الاستعمار التي اجتاحت المغرب كله حتى وصلت الى امثال هؤلاء فى مخابئهم فى الاكواخ والقرى السوسية ، مع انه ربما كان من فى المدن اكثر تضررا بها من غيره ، خصوصا من كان فى اعشاش الوطنية كالسيد محمد الحبيب

ذلك مولع بالقاء الحقائق مكشوفة كما هي لا يرحم احدا ، ولا يبالي بالمجاملات والمداريات ، فاصغ اليه لعلك تجد في كلامه ما يؤيد ما ذهبنا اليه ، بل ربما يأتي بما لم نلم به ، قال :

ومنهم شيخ الطريقة التيجانية ، المربى بالمنح الصمدانية ، الشيخ الفقيه ، المحدث النبيه ، الراوية المسند ، الثقة المرشد ، المفتي الحكم ، الضابط الناطق بالحكم ، النسابة الذي يحق له اللقاء ، والبحر الذي لا تكدره الدلاء ، معظم الشرفاء ، المعدود من الظرفاء ، سيدي الحاج الحسين الافراني ، الذي ليس له في الكرم ثاني ، مجلسه روض ذو ازهار ، وحديثه أشهى من ضرب الانوار (1) ، لا يمله جليسه ، ولا يستثقل فكاهته انيسه ، يقطع الغدو والاصيل ، بمجالسة كل فاضل جليل ، لا يخلو من عالم يوضح الحلك ، او صالح يحتلب منه الحشك (2)، ايامه من غفلات الدهر مختلسات، وانتظم فيها شمل طالما منى بالشتات ، سوقه ممتلىء بالافاضل ، يملئون الحقب بالفضائل والفواضل ، الى كتب غريبة ، وانقال مصيبة ، الا ان الدهر المشتت ازاله من مقره ، واحاله عن محل نفره ، اكلت داره بافران ، ومزق ما فيها مما لا تعد له اثمان ، فاخذ في مدينة (تيزنيت) المقر ، وبها بنى زاويته واستقر ، وحاله ينشد ، بقلب حرد :

يا سائلي عن مزعجي عن وطني	ما ضاق بي جنابه ولا نبا
قلت القضاء مالك امر الفتى	من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألني واسأل المقدار هل	يعصم منه وزر او مدرى
لابد ان يلقى امرؤ ما خطه	ذو العرش ، مما هو لاق ، ووحى

بينه وبين سيدي محمد بن العربي الادوزي منافسة ، قال فيه الحاج الحسين (ان ابن العربي لمن حكّمه كتيسّيت (تعريبها العنكبوت) اذا صادت ذبابا ، فانها تأكل كل ما في جوفه) ، وقال الحاج الحسين (ان الحاج الحسين ممن قال الله فيهم : ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين) وهذا مثل قول ابى زيد الجشتيمي في التّيمنجّيد شتي :

---

1) الضرب بفتح الراء : العسل ، ومعروف أنه من الانوار .
2) الحشك محركة : شدة الدرة في الضرع او سرعة تجمعه .

يا من يــرد فى الناس اداسْ كرْزْنِي   مقامــه عنــد الالــه اِميــــزْيِ

(يعني يا من يريد من الناس ان يحرثوا له ، ان مقامه عند الله صغير)

فقال فيــه التيمچيدشتــي :

يا مــن يــرد فى الناس اداسن احكــم   مقامــه عنــد الالــه ايمــزي

(اي من يريد من الناس ان يحكم لهم ، مقامه عند الاله صغير)

او كما قال ، لقد طال عهدي به ، وهذا من باب (من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) رحم الله الجميع وسامحه ، فكلهم على هدى مــن ربهم ، ومع ذلك فنعم الله على صاحب الترجمة تتــرى ، اينما حــل فعليــه تطرا ، تاتيه الوفود من كل وجهة ، من فاس ان تنظر وجهه ، فيعطي لكـــل زائر حقه ، ويمده بما يملأ حقه ، ولو انه احتل بين الفرقدين ، لادى للمساكين ما له عليهم فضلا من الدين ، مائدة الله فى ارضه ، ومقر الاضياف فى طولـه وعرضه ، لا ملك له على الحقيقة ، وانما يفرق للنزال المفروض سكره ودقيقه ، وعلى ذلك استمر اعوام ، الى ان اتاه ملك الختام ، فناداه على رؤوس الاعيان ، فاجاب النداء من غير توان ، فترك الاكباد فى احتراق ، والانصار لافتراق ، فانفض الجمع الذي لا يخال ينفض ، وانحل سلك فرائده ومجلسه أقَض ، ولم يعقب الا من عمره بالبرابط (1) ، وبكــاه الشريف والمرابط ، ولا يعقب الجمرة الا الرماد ، ولا النّفاق الا الكســاد ، ولا النوم الا السهاد ، ولاسيما اولاد الاموان (2) ، فمغناطيس السواد يجرهم للهوان ، والناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، قضى نحبه ، واجاب ربه ، فى الرابع من شوال ، ودفن بعد الزوال ، يوم السبت ، الدال على السبت ، عام 1328 هـ ، وصلى عليه الشيخ ماء العينيــن ، ودعاه لمجرد صلاته عليه للحيــن ، فلبث بعـده الى الثاني والعشرين من شوال ، فحضر الدعوة عند الكبير المتعال

يــا صاحبــي لا تفتـــرر بتنعــم   فالعمــر ينفــد والنعيــم يــزول
واذا حملت الــى القبــور جنــازة   فاعلــم بانــك بعدهــا محمـــول

---

1) جمــع بربــط : عود الطرب
2) مــن جمــوع كلمــة امـــة .

فبقى المسلمون عليهما فى البكاء ، وايقنوا جميعا ان لا منجى من الفناء ، فتتابعت الرزايا على المسلمين فى هذا العام ، وانكسفت شمس الاعلام ، وانقض الجهل والظلام ، قرأ رحمه الله على شيخ الجماعة سيدي العربي الادوزي ، ثم على ابي العباس الجشتيمي ، ثم انتقل لفاس ، فاخذ عن علمائها ، وسلب الارادة لسيدي محمد بن احمد اكنسوس المراكشي وعليه عمدته ، قال له بعض اصحابه ان هذا السكر فيه اتلاف المال ، فلو اقتصرت على شربه مرتين غدوا وعشيا ، فقال له : ان الله عودني التفضل علي ، وعودته التفضل على من لجأ الي ، فخفت ان قطعت العادة ، قطع عني المادة ، واصل هذا الكلام لعبد الله بن جعفر رحم الله الجميع بمنه ويمنه ، الى ان قال فلما مات ابي رحمة الله عليه فى ذي القعدة عام 1326 هـ ، عزاني الشيخ الافراني برسالة طير بها عن القلب زنابير الهموم ، وفض عنه الغموم ، فكلامه اكسير الفرح ، ونور قلمه يجوب الترح ، فنبه القلب من رقدته ، وانقذه من غمائم غفلته ، وابى رحمه الله من جملة احبابه ، يعده من اصحاب ركابه ، وان كان حزبه مفارقا لحزبه ، بحيث لا يعده من سربه ، فكتبت اليه هذه الابيات ، والقلب عن الفتيتات :

سيدي حسين ان حبك ذاهب	تلقاه يوم العرض والحسبان
فاسمح له مستمطرا من ربه	اتحافه بالعفو والغفران
لا تنسه وقت الانابة فى الدعا	لينال امنة ضغطة القبران
انت الذي منيته وحبوته	بالبشر والاعطاء والاحسان
فلذاك كنت خدينه وعريفه	وقرينه فى النوم واليقظان
فحنينه وشكاته تصغى لها	اصفاء من سادوا من الذكران
عودته الرحمى حياته ان قطعـ	ـتها فى المماك ففاية الخسران
والظن بل منى اليقين بانكم	لا تبخلوا بالروح والدمعان
عزيتني وازلت شجوى يا لها	من منة تتلى على الازمان
لم اقرأ من احد سواك نفاثة	انفى بها ما حل فى القلبان
فجزاك مولانا الحفى فسركم	يشفى ، اطالك ربنا العمران

ذلك ما ذكره عنه الرفاكي ، وقد نقلنا كلامه كما هو بالفاظه (وجموعه) قولة المؤرخ علي بن الحبيب السكرادي فيه

« ومنهم شيخ الاسلام ، وعلم الاعلام ، صاحب الرياضيات ، المفتــوح
عليه في سائر العبادات ، من تظاهرت الآيات والاخبار ، وتواترت الآثار ، وتطابقت
الدلائل الصريحة ، وتوافقت على فضله الالسنة الفصيحة ، الفقيـه الامـام
والشيخ الهمام ، مربي المريدين ، وتاج العارفين ، قطب زمانه ، وواحد اوانه
الشريف سيدنا ومولانا الحاج الحسين ابن سيدنا ومولانا الحاج احمد ابن
سيدنا ومولانا الحاج بلقاسم الافراني قدس سره ، قد جمع الله في هذا السيد
مجامع السعادة ، العلم والدين والعقل والادب وحسن السمعة والتودد الى
الناس ورفع الكلفة عنهم ، ولاشك انه من وراث الشريعة وحملة احكامها
يعلمها الناس ، وبه وصل الواصلون الى الله تعالى ، ولي الله على الحقيقة ،
وحرمته محفوظة عند الخليقة ، اعلم الناس وافضلهم ، اعز الله به مقام
الدين في القطر السوسي وشيد به اركان الملة المحمدية الاحمدية ، وجمع
الله به وبانجاله وراثة شمل الدين ، وارشد بـه اهل الفلاح واليقين
امد الله روحه بفيوضات رضاه ، وبمشاهدة وجه مولاه ، هذا السيد
رحمه الله ورضى عنه ، مناقبه ومعاليه ومزايـاه اشهر من قفا نبكي
واعين المعاهد بوطنه تبكي ، اذ هو الدرة المكنونة في الجيوب ، ومغناطيس
القلوب ، مروي حيازم الفدوم ، حتى طاوعته المعاني والفهـوم ، واني وان
لم ارو من مزن علمه الهتان ، فان الاذن تعشق قبل الاذن في بعض الاحيان
المكين حقا ، المحسن للمعاني دقا ، فاننا نستمطـر من بحر جوده حلة
فضفاضة ، وشربة مفاضة ، ادركناه وعاصرناه وفاوضناه في بعض المسائل
العلمية ، ونحن في ذلك الوقت بصدد العلم مشغولون ، وبتقييد اوابده
متهيئون ، حتى فاتنا الري من معيـن اسراره ، مباشرة وان لم يفتنا
والحمد لله من وراثـه وانصـاره

كان اماما في الفقه والتفسير والحديث ، متبحرا في العلـوم النقلية
والعقلية ، ادبه حدث عن البحر ولا حرج ، وله تصانيف منها المؤلف المشهور
(ترياق القلوب) ، كتاب جليل في مجلدين في التصوف ، و (الخواتم الذهبية)
في سفر ، وشرح عجيب لقصيدته التي رد بها على المنتقد الماسي ، وكان
رحمه الله عالما باللغة والاصول والانساب ، صبورا جوادا ، بلغ في الجود
غاية المدى ، عارفا بالله ، حاملا للواء النـور الاحمدي التيجاني ، اذ هو
رضي الله عنه من خاصة اولياء الله الكبار ، واصفيائه الابرار ، وجدير
بمن ردد اخباره ، واستمع اثاره ، ان يدخل ديره ، وينال بره ، والتعلق

بأهل الله ، والانحياش اليهم تعلق بجناب الله ، فأخبارهم وسيرهم هدى ونور ، وشفاء لما فى الصدور ، ودواء للقلوب ، وجلاء للكروب ، اذ هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الصحبة المعنوية ، ومعجزاته الباقية افنى عمره فى طاعة الله ، وحج بيت الله الحرام ثلاث حجج

ومن مناقبه الغريبة رضي الله عنه معرفة اسم الله العظيم الاعظم الباطن الخاص بالمحبوبين من اوليائه الكبار ، وقد اخبرني بعض العلماء من خاصته انه استفاد منه انه تحصل له المشاهدة لذات عين الرحمة صلى الله عليه وسلم يقظة ، وغير مستغرب فى هذا الزمان ان يهب الله لاصحاب القطب المكتوم مع قليل من العمل ما لا يدركه غيرهم مع كثرة الاجتهاد لانها طريقة الفضل

فما هو الا البحر بالسر قد جرى — وفى كل روح فى الورى ينفث السرا
احاط باسرار المعارف كلها — فصار يرى من بين اهل الهدى بحرا
وحاز من العرفان كل لطيفة — فأضحى لنا فى كل داج يرى بدرا
له نظرة يشفى بها كل معضل — وعن كل قلب بالهدى يكشف الضرا
ومهما تبدي بين قوم بمحفل — تراهم كأن الطير فى رأسهم قرا
له تخضع الهام العظام مهابة — وان يره ليث طغى فى وغى فرا
اذا ذكر الحكام بالعدل فى الورى — لعمرك تلفيه هو الآية الكبرى
فمذ شب لم يعدلعن الحق والتقى — ولم يقض الا بالهدى للورى طرا
وبين يديه فى العلا نشرت له — من العدل رايات تقلده الفخرا
ولو ان ما يأتي ببعض مديحه — وابدى من المدح المحالات ما اطرى
واني عن ايفاء مدح جنابه — ارى عاجزا لا استطيع له حصرا
وحسب اعتذاري عنه بالعجز دائما — وظني فيه انه يقبل العذرا

وقائعه مع شيخه السائحي لا يحاط بها كثرة ، فانظر مناقبه فقد جمعها تلميذه البركة ، المحمود فى السكون والحركة ، الفقيه علي بن احمد الايساچي امتع الله به وجعل النفع بعلمه وادبه ترى العجب العجاب

وافران قبيلة وافرة قديمة ، يقال ان وادي افران عمر قبل زمن موسى عليه السلام ، والمترجم رضي الله عنه شريف النسب ، افراني

الدار ، وبها ولد عام ثمانية واربعين ومائتيـــن والف ، ووفاته يوم السبت الرابع من شوال عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة والف

وكان رحمه الله كثيرا مــا يكتب فى اول رسائله لبعض احبته هذيـــن البيتـــــن

ماذا ترى فى محب مـــا ذكرت لـــه   الا بكى او شكـــى او حـــن طربـــا
يرى خيالـــك فى المـــاء الـــزلال اذا   رام الشراب فيروى وهوماشربا(1)

وقد زار الاديب سيدي محمد سِيدَاتي زاويته فانشد عند ضريحه، وهو غيـــر سِيدَاتي برودانـــة

حلت بمثـــواك المحـــل الا رفعـــا   زاويـــة فيهـــا الكمـــال تجمعـــا
حسنتهـــا حيـــا وميتـــا ايهـــا الـــ   ـــندب الحسين بما شذاه تضوعـــا
بالعلم والتقـــوى وحب المصطفـــى   ولحب ءال المصطفـــى كنت الوعـــا
بالعلـــم والايثـــار تغبـــط دائمـــا   وببـــذل حكمتكم وحكمكـــم معـــا
وخصصت من سر التيجاني بالذي   يخفى وبالنـــور المبيـــن تشعشعـــا
بالله يـــا اهـــل المكـــارم والعـــلا   منوا على مـــن جاءكم مستشفعـــا

وقال الفقيه سيدي محمد بن عبد اللـــه الالفـــي يصف تيزنيت ويضمن قوله وجود المترجم (2) فيهـــا

انظـــر الـــى تيـــزنيت فى قاعهـــا   كأنهـــا الجـــوزاء وســـط السمـــا
كيـــف وحســـن حسيـــن حفهـــا   وملـــك سوسنـــا بهـــا قد سمـــا

ذلك ما تيسر لنا فى ترجمة هذا الشيخ الجليـــل ، العلامة النبيل سيدي الحاج الحسين الافراني ، الذي غرب ذكره وشـــرق ، واتهـــم واعرق ، واستولى مقامه على السبع الطباق ، وهو بعد ذلك ما زال ينشد بلســان الحـــال

بلغنا السماء مجدنا وجدودنـــــا   وانا لنرجو فوق ذلك مظهـــــرا

---

1) من قصيـــدة لابـــن سهـــل
2) توفى محمد الالفي قبل ان ينزل المترجم فى تزنيت . والمقصود المعروف هو الحسن الملـــك بانيهـــا . وهكذا البيت الموزون :
كيـــف وحُسْـــن حَسَـــن حفّهـــا   وملـــك سوسنـــا بـــه قـــد سمـــا

الشيخ ماء العينين الصحراوي

17 – 8 – 1246 هـ = ليلة 21 – 10 – 1328 هـ

نسبـــــه :

ماء العينيـــن بن قاضل بن مامين بن الجيه ، الى ءاخر سلسلة النسب المعلومـــة

هذا الشيخ من الشيوخ العظام الذين تمت لهم شهرة فائقة عظيمة مـن نحو 1270 هـ. فقد اسعده الحظ فنال مـا ربما اذا سمعـه من لا يعرفـه يستغربه او يعده من البهتان ، وشهرته ترتكز على اربعـة امور بل خمسة اولها ان ذلك وراثة عن ابائه الشم الفطاريف الذين تسلسل فيهم العلـم والصلاح ابا عن جد ، منذ اجيال متعددة ولا شك ان الاحفاد العظاميين اذا حافظوا على اسس الاجداد فبنوا عليها فان بناءهم يكون امتن واشرف مـن بناء غيرهم من العصاميين

انّ الســرى اذا ســرا فبنفســه وابـن السرى اذا سرا اسراهمـا

لان من كان عصاميا عظاميا لايمكن انيساويه من كانعصاميافقط ،وثانيهما انه ادرك من المشاركة فى العلوم ادراكا عظيما تدل عليه تئاليفه التي ماغادرت علما من العلوم الا اقتبست منه حديثا وتفسيرا وعربيـة واصولا وبيانا بله التصوف الذي هو عش ذلك البيت ، فعليـه تأسس من اول يوم ، وبـه اشمخر بناؤه ولا اقرب من الشهرة للعلماء المشاركين الذيـن نفـذوا فى العلوم ، متى واتاهم الحظ واسعدهم الدهر وثالثها انـه شيخ من شيوخ الصوفية الذين لهم يد عليا فى ذلك الفن علما وعملا ، ولا ادل على ذلك مـن ذلك الجم الغفير الذين تلمذوا له من فطاحل الصوفية والعلماء الكبار مـن الصحراويين فقد بلغ اخيرا من حلقوا حوله فى (الصمارة) عشرة ءالاف بين ذكور وانـاث يتدارسون العلوم ويعمرون الاوقات بالاذكار مع حصـول

النفع التام لهم بـه وكل من احنت له علماء قطره هاماتهم مـن اشيـاخ الصوفية فانه ظافر وراء ذلك باستتباع الدهماء التي لا تعرف غالبا الا تقليد الجم الغفير من العلماء ، ومتى سالت الاباطح بالخاصة والعامة الـى انسان فان هناك من الشهرة الطنانة ما يملا الخافقين ، ويغمر المسامع ورابعها انه اتصل من قديم بملوك المغرب فكان يفد عليهم باصحابه مـن الصحـراء ، فقد وفد على مولاي عبد الرحمن سنة 1274 هـ في طريقه الى الحـج فمولاي محمد بن عبد الرحمن ، فمولاي الحسن ، فمولاي عبد العزيز فمولاي عبد الحفيظ اخيرا ، فكان يصدر عن تجلة عظيمة واكرام لا نهاية له ، خصوصا في الدولة العزيزية ايام الوزير احمد بن موسى ، فكانت الدولة تهتز له متى ورد الى المغرب والناس اتباع الملوك ، واصداء لاصواتهم ، فمن تقرب اليه الملوك شبرا تقرب اليه الناس باعـا ومن كانت اليه منهم لفتة ترى الرعية تكاد تسجد لجهته ، فقد كان السلطان مولاي الحسن منذ لفت وجهتـه السياسية الى الصحراء يوالي عليه الاعانات التي لا انقطاع لها ، ويقصـد بذلك ما يقصده السياسيون في امثال تلك الاحترامات ، ثم جاء احمد بـن موسى فوصلت درجة احترام ماء العينين في الحكومة بسببه الى مقام لا مزيد عليه ، ويكفيك ان السفن المغربية تتوالى الى الطرفاء اعانة للشيخ بالحبوب وبالكسا الفاخرة وبكل ما يكتسى به كل من مع الشيخ ، حتى انهم كلهـم يتمخطون لا في الكتان فقط بل وفي الملف ايضا وفي الثياب العليا واما اذا توجه بركابه الى مراكش فان المغرب يقوم ويقعد في الاحتفالات به بايعـاز مـن الحكـومـة وبغيـر ايعـاز منهـا فان للرجـل مكانـة مكينـة في القلـوب كلهـا قلـوب الخاصـة والعامـة لدينـه وعلمـه وشرفـه وسنـه حتـى اذا اطـل على الحمـراء تركب الحكـومـة عن ءاخرهـا للاقاته ثم يتسابق الناس في الاهداء اليه كما تتسابق الشريفات من دار المخزن للفوز بغسل ثوب من ثيابه تبركا واما احمد الوزير فانه يظل قائما على راسه اعتقادا له حسنا في الشيخ ثم لا يرد له طلبة قدمها اليه فهذا الامر الرابع اجل الامور التي اشتهر بها الشيخ ماء العينين تلك الشهرة الغريبة. حتى صار من انقطعوا اليه من المريدين ءالافا كما قالـه الامين الشنكيطي في مؤلفه (الوسيط) ، وخامسها تطاول سنه وتعميره عقودا كثيرة من السنين ومجده مطرد وحظه في ازدياد ، ودهره يتقرب اليه في مطلع شمس كل يوم بحظوة جديدة مع كرمه الجم وزهده في الاقتناء الا ما كان من الكتب فان له نهما غريبا في تحصيلها والشيخ ممدح كثيرا من الصحراويين ومـن

الحضريين الفاسيين فمن دونهم وقد جمع الشيخ النعمــة في مجلدين (1)
هذه الامداح من زهاء 520 شاعر فبهذه الامور الخمسة التي تأتت للشيــخ
ماء العينين طارت له تلك الشهرة الهائلة في اواسط المغرب كله ثم لمـا اختتم
عمره بالهجرة امام المحتلين الى سوس كان ذلك كطفرة اخرى في ميـــدان
شهرته ولكنه ما كاد يتنفس من الجنـوب بمغادرته للصحراء . حتـــى
صدمته تلك الصدمة في بسيط تادلة وهو متوجه الى حضرة مولاي عبـــد
الحفيظ فردته الصدمة رغم انفه ولم يجد طريقا يجتاز فيه الى فاس
كما لم يجد ايضا طريقا يرجع فيه الى الحمراء فاضطر ان يركب متـــن
الاطلس ، وان يقطعه عرضا حتى نزل براس الـوادي الى مثـواه بتزنيت
بعد ما صالح بين قبائل هشتوكة فهكذا ابى الله الا ان يرى في ءاخر عمره
ما يعرف به ان الدهر قلب وان حظه حول وان اللــه ما رفــع شيئا الا
وضعه سنة الله التي لاتتبدل امضى رضي الله عنه حياته كلها في العلم وفي
تدريسه والتأليف في عالم الفنون حتى نظم (المزهر) وحتى تعالى الى جميع ما
اتفق علبه الفقهاء فانتشرت به علوم جمة وتخرج به فطاحل عظام مـــن
الصحراويين وتجمعت له اعظم خزانة صحراويــة فكــان مثواه المتنقل في
الصحراء مدرسة حافلة ، وزاوية متنقلة لها دوي بالذكر يسمع من بعيد كما
لعلمائها اشتغال بالمباحثة في العلوم ، تتعطر به السنة المحدثين ، وتطير بــه
الركبان ، فلولا ان الله اعقب بالشتات ذلك الجمع العظيم من اصحابه ، وتلك
الخزانة الهائلة التي يصاحبها معه في تنقلاتــه لكان لذلك تأثير عظيم بعده
ولكن هبت السياسة باعصارها الصداع على كل ذلك فنسفته فصار هبــاء
منثورا ونعوذ بالله من ساس يسوس سياسة ، كما يقول الاستاذ الامـام
محمد عبده . حدثني الباشا ادريس منو قال ورد مرة الشيخ ماء العينيــن
الى الحمراء في الدولة العزيزية فلقي بترحيب عظيم ، واكرام نادر ، وقــد
اهدى اليه كل من يجول في الحكومة من اصغر عون الى السلطان الاعلى كـل
بمقداره ، لان للناس فيه من الاعتقــاد ما لا يكيف ، ومن لم يقــدر الا على
الحمالة التي يتقلد بها فانه ينزعها من عاتقه فيزور بهـا منه والاعـراب
اصحابه ينشرون بلا حد كرامات كنا اذ ذاك نصدقها كلها ، فيزداد الشيخ في
اعيننا تقديســا (اقول) . في تلك المرة شفع في الشيخ سيدي محمد بن عبــد
الكبير الكتاني فسرح من الحمراء بعد نكبته المعلومة بعد استنطاقه بيــن
يدي العلماء حتى تاب فجاء الشيخ ماء العينين فكانت يده هي التي سرحته

(1) يوجد ذلك كلــه في الخزانــة العامــة بالربــاط .

الى فاس وفى تلك المرة ايضا تعرض له فى الطريق رؤساء القبيلة السباعية ، فاستشفعوا به ان يطلق الوزير احمد بن موسى اخاهم الفقيه محمد بن ابراهيم السباعي ، حكى لي صاحبنا ابن القائد محمد بن بلاّ الرحماني قال كنت اذ ذاك مسجونا مع السباعي فدخل ولده مولاي احمد الى السجن ؛ فأرسل الي فبشرني بان الشيخ ماء العينين شفع فى الفقيه فدخلت ابشر الفقيه بذلك فطلبت منه ان يرسل تحية الى ماء العينين يشكره على ما قام به . فثار فى وجهي فقال لا والله لا اشكر الا الله وحده فافاض علي بالتقريع على حثه لشكر غير الله حتى ندمت على ما قلت له ، ثم ان السباعي لم يطلق الا بعد سفر ماء العينين ، لان احمد قال له ان من السياسة تأخير اطلاقه الى ان تذهب ، والا فان الناس سيكبون عليك فى الاستشفاع حتى يتجاوزوا الحد .

وحدثني الباشا منثو ايضا قال رجع الشيخ ماء العينين الى مراكش ايضا حين كان مولاي عبد الحفيظ خليفة اخيه هناك فوجدنا هبت علينا نسمات من الحياة الجديدة العصرية وقد تزلزلت اعتقاداتنا فيه وفى امثاله وقد بدأت اعيننا تتفتح فكنا نتتبع ءاثاره بالانتقاد ، فانفتح لنا ما كان مغلقا بالاعتقاد وكان معنا بعض الشنكيطيين كالشيخ محمد الخضر، فهم الذين يخبون فى ذلك ويضعون ، ومن جملة ما اثاروه انه يصلي قبل غروب الشفق فرأقبنا ذلك حتى صح عندنا (قلت) ان صلاة الشيخ ماء العينين العشاء قبل غيبوبة الشفق امر مشهور عنه وقد رأيت فى ذلك تأليفا او تأليفين ، وذلك امر معلوم حكمه فى الفقه لا نطيل به . قال الباشا ومن الشنكيطيين عالم ورع الى الغاية لم اعهده يرسل لسانه فى احد يسمى محمداً الاغضف وهو من الذين يصاحبهم الخليفة مولاي عبد الحفيظ ، ويؤلفون له ويذاكرهم فى مجالسه العلمية ، وحين اكثر الناس فى انتقاد الشيخ ماء العينين ، اقبلت اسائله عن احواله فأشار الي ان اشتغل بذات نفسي وان اضع رجائي فى الله وحده ولم يعد ان لوح لي ، ولم يصرح ، بعد ان امرني ان لا اذكر ما افضى به الي لاحد ايا كان ثم مر فى تلك المرة حتى لاقى السلطان فرجع ، وذلك قبل ان ينتقل الى سوس وفى احدى هذه المرار حوالى 1314 هـ نزل امام المدرسة البونعمانية فأخذ عنه العلامة ابن مسعود ولكنه اعرض عن ورده بعد حين قائلا لم اجد فيه ما اتطلبه من الذوق الصوفي العالي الا ما كان من القناعة باقل طعام

هذا ما ادركته منه والواقع انه لم يقدر له الفتح على يده والا فانه من
اعظم المشايخ رضي الله عنه . وكانت الحكومة اقامت للشيخ زاوية فى الطلعة
بفاس حسنة انقطع اليها زمنا الشيخ احمد الشمس حتى انتقل الى الحجاز
حيث فاظت نفسه كما اقامت له اخرى فى رياض الزيتون ويوجد هناك
امام دار ابن داوود ضريح لاحد اولاد الشيخ شيدته الحكومة وهناك
اخرى فى مكناس ردتها حكومة الاحتلال مركز البريد فى المدينة القديمة فى
(دار السمن) كما توجد ايضا كتب مطبوعة على نفقة الحكومة بفاس وكل
ذلك فى ايام احمد بن موسى الذي له اعظم اعتقاد فى الشيخ . حتى ليقال انه
نال بركته فى تمائم كتبها له بها نال ما نال من الشفوف يقال ذلك والله
اعلم بصحته . والشيخ معروف باتقان سر الحرف كما يظهر من كتبه وكانت
مثابة الشيخ بالصحراء ملجأ الخائفين فى ذلك الحين ، فهذا الكاتب ابن
الاعرابية كان مسجونا بالصويرة ثم هرب منها بأن لبس لبسة حسنة دسها اليه
بعض الناس فتمشت الحيلة على الحراس فأفلت على رجليه الى ان لحق
بالصحراء . فرجع الى مكانته بشفاعة الشيخ . ثم لم يزل الى ان استتب
الامر لمولانا عبد الحفيظ فانتظم بين كتاب حضرته بفاس ثم سجن لزلة اخذت
عنه قال الباشا منو : كانت مني يوما نوبة الحراسة حين اشتد علينا
الحصار من البربر لفاس . وقد ثار مولاي الزين بمكناس فصرت ادور مع
اصحابي فرأينا اناسا يحصدون غربي فاس ، وبينهم انسان يتقدمهم كثيرا
الى جهة مربط البربر فأوعزت الى الاعوان فأتوني به وشاهدته القى
من يده منجلا فارتبت فتناولت المنجل فأزلت نصابه فاذا برسالة مكتوبة
بيد عارف للامور ، ذرب حاضر الذهن يعرف كيف توكل الكتف يوصي
فيه مولاي الزين والبربر ويريهم كيف يصنعون ان ارادوا ان يتغلبوا على
مولاي عبد الحفيظ . فدلهم على عورات وحاك لهم حبالات واوصاهم
وصايات . فعل السياسي اللبق فأرسلت صاحب المنجل الى السجن ،
واتيت بالرسالة الى السلطان فما كاد يتمها حتى قال ما هذه الا رسالة ابن
الاعرابية المسجون ثم استنطقنا صاحب المنجل فقال اعطاها لي رجل
فى السجن فأسل اليه السلطان فجاء فى هياة حسنة ووجه طلق ، يقطر
بشرا ، وهو ذو وجاهة تأخذ العين قال الباشا منو فقلت للسلطان ما هذا
بوجه المنافق . وبعيد ان يكون الرجل من اصطنع الرسالة فقال السلطان
سترى ، ثم ادناه اليه فانطلق لسانه يقول الحمد لله الذي منحني ما اتمناه
دائما، ففي هذه الساعة ادركت كل مناي اذ مثلت بين يدي سلطان عظيم امتزجت

محبته بقلبي ، وتتوجت بأبهى اكليل حين التفت الي ، فانا العبد الامين والخادم المطيع فليقترح سيدي على عبده كل ما شاء ليراه قبل ان يرتد اليه طرفه ، فيا طالما جرى الوشاة بيني وبينه ، وفى اليوم يفصون بريقهم ويموتون كمدا ، فاسترسل ما شاء الله فى ذلك الكلام العذب برباطة جأش ، وذلاقة لسان فقلت فى نفسي لا والله ليس صاحب هذه الهيأة الجميلة وصاحب هذا اللسان الرطب بالثناء الا ذا قلب سليم ، وطوية نقية فتركه السلطان حتى قال كل ما اراد . فقال له بملاطفة وقد اراه الرسالة اقرأ هذه وامعن فيها فصار يقرأها بوجه غير منتقع محافظ على سحنته ، ولم يظهر عليه ادنى تأثر ، فكان كلما ابصر جملة من جمل الرسالة التي تحتوي عليه ، يقول لعن الله من ينصب لسيدنا الحبائل ، ومزق الله صدر من لم يفعم بولاء لسيدنا السلطان العظيم العديم النظير، فسكت عنه السلطان حتى استتم الرسالة ، فقال له ايمكن ان تعرف لمن هذا الخط ؟ فقال له وقد اكثر التأمل لم يظهر لي الآن انني اعرف من يخط مثل هذا الخط ، فقال له السلطان اولا يمكن ان يكون خطك انت ؟ فقال كلا يا سيدي معاذ الله ان يقف مثلي الذي امضى كل حياته فى خدمتكم مثل هذا الموقف وان اصرف بنانا طالما صرفته فى ارضاء سيدنا فيما يسخطه . فكرر عليه السلطان . وهو ينكر انكارا تاما وهو متثبت لا يحوم حوله دهش فقال له السلطان ، انني ءامرك ان تقف بين صفي الكتاب هنالك ، وسأستدعي من يزعم انه يعرفك ويقول انك الذي مكنته الرسالة ، فان ميزك بنفسك بين الكتاب فتيقن ان هذا ءاخر يوم من حياتك وان تخطاك فاعتقد ان هذا اول يوم من ايام سعادتك ، فتثبت ولا تظهر اي دهش فانني برىء من دمك يقول له السلطان ذلك ، ثم امره والكتاب ان يصطفوا من بعيد ، فأمر بذلك الرسول وقد كان عزل وحده فى محل ان يوتى به فأمره ان يأخذ بين الوافقين من مكنه الرسالة ، فذهب مستقيما حتى تناول ذيله ، فأمر به السلطان فاما له لفيف من الجند فأطلقوا عليه فذهب ضحية الخيانة يوم لا يجد الشيخ ماء العينين ولا تغني عنه شفاعته شيئا وانما طولت فى قضية ابن الاعرابية لانها غريبة ، ولانه مشهور بين الكتاب مذكور بينهم فى مؤلف غريط الجديد ، ولم يلم بهذه القضية التي بها اختتمت انفاسه

وحدثني الشيخ سيدي ابراهيم بن مبارك البصير الاخصاصي التادلي. قال كنت مرة انا واخي سيدي محمد عند الشيخ ماء العينين بالصحراء. فجاذبته

الكلام يوما : فى حكاية سنذكرها برمتها ان شاء الله فى ترجمة سيدي ابراهيم هذا فى (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) فقال ان اولاد الشيخ ماء العينين ذلك بهم بين قائد وامير ، قال سيدي ابراهيم فلم يمض غير قليل حتى رايت ذلك فصحت مكاشفة اخي سيدي محمد وكان معروفا بالكشف ، لـه فيه غرائب ، وحدث القائد حيدة ان الذي حداه اولا حتى كان من اول المستجيبين الى الهيبة ، ان الشيخ ماء العينين قال له وقد بات عنده سنة 1328 ه مرجعه من تادلة مردودا عن فاس وقد نزل على داره من قمم الاطلس الكبير ان سمعت عن ولده الهيبة خبرا فكن له خير معين ، وحدث ايضا القائد موسى الوجاني ان الشيخ ماء العينين قال له ايضا ان توقف عليك اولادي بشيء فلا تفرط فيهم فكان ذلك هو السبب حتى ءاواهم اليه يوم اخرجوا من تيزنيت ومن هنا يعرف القاريء انفكرة الثورة علىالعرش المغربي ليست بنت وقتها سنة 1330 ه بل كانت مما تدوول قبل ذلك العام وان كان كشف الشيخ لا يتهم فيه بشيء . الا انه اخبر بالواقع ، ولا شك ان هذه الثورة محمودة لانها دفاع عن الوطن ضد الاجانب ، ولا اكاد اصدق ان الشيخ ماء العينين يميل الى مثل الثورات المعهودة ضد الحكومات ويبعد ذلك عنه كل البعد ، وانما الذي يشرئب الى ذلك باديء بدء هم اولاده فان صح عن الشيخ انه تلفظ باشارة من ذلك فانه يحمل على ان ذلك كشف بالواقع لاتطلع اليه وشتان ما بينهما

الشيخ الالفي وماء العينين

حل الشيخ وطائفة كبيرة تناهز بكل من انضاف اليها من غير المتجردين 150 بتزنيت فى ربيع الاول سنة 1328 ه ففي يوم ذهب هو ومن معه من الفقراء ومن انضم اليهم من فقراء (تزنيت) والوافدين عليه من الضواحي وبينهم العلامة ابن مسعود الذي امره الشيخ ان يقول قصيدة يخاطب بها الشيخ ماء العينين ، واخرى فى مخاطبة كبير اولاده مولاي احمد الهيبة ؛ كان امره بذلك فى الهاجرة فأمره ان توجدا قريبا فقال قائل للشيخ او لم يضق هذا الوقت عن قوله للقصيدتين فقال ان النظم اسهل على ابن مسعود من شرب الماء ، او كما قال ثم خرج الشيخ قبل الزوال من محله الذي نزل فيه من دار سيدي محمد بن الفقيه احمد بن مبارك الطاحوني وامامه هذا الجمهور العظيم من الفقراء فاعلنوا بذكر (الله الله الله لا اله الا الله) على

عادتهم بصيفة يقولونها جهرا بلسان واحد ، فيرتج الجو بذلك ارتجاجا هائلا. ولذلك الذكر بتلك الصيفة تأثير غريب ، فعلى هذه الكيفية دخلة الشيخ واصحابه على الشيخ ماء العينين الذي كان فى انتظارهم ، وقد جلس لهم في مستظل كبير هيأوه من الطنافس والحنابل على اعمدة طويلة فى براح متسع لكثرة الناس جدا وقد احتشد اليه تلاميذه هو ايضا ، فاصطف الفقراء بين يدي مجلسه فدخل الشيخ وولده سيدي محمد ، والعلامة ابن مسعود. فسلموا على الشيخ ماء العينين ، وهو مستند لكبر سنه فرحب بهم ثم تلا الشيخ الالفي عليه هذه القطعة من انشائه

اقول نجوم بل بدور سواطع — تبصر خليلي بل شموس طوالع
بافق خلافة الرسول محمد — فنارت بنورها النواحي الشواسع
فزالت غياهب الضلال عن الورى — بها اذ حوتها فى الربيع المرابع
وذاك مجدد وغوث وقطبنا — فمن مائه جرت عيون نوابع
لكونه ما العينين عين شريعة — وعين حقيقة فليس منازع
فقد وافق اسمه المسمى فرد زلا — له فهو برزخ لبحرين جامع
فجمع وفرق والفنا والبقا معا — فعنده للكمال كله طابع
ومن هيبة له تقبل نجله — وفى شبه له اباه بدائع
علي المديح من علي الى العلي — عال فريضة ومل الاصابع
سلام اله العرش منهمر على — سيادتكم فادعوا فربي سامع

ثم القى عليه الاستاذ ابن مسعود قصيدة لم يحضر عندي منها الا ما ياتي

سرى فى الدجى فالتاح من وجهها بدر — لانواره توارت الانجم الزهر
فهام بها قلب الخلي بنظرة — علاه بها من الجوى السقم والضر
فكيف بمن غذاه من سكرة الهوى — لبان ولم يفطمه عن حبه صبر
متى لاح برق او سرى طيب نسمة — من الجزع هاجه لكاظمة الذكر

ثم خرجوا من عنده فاعلن الفقراء ذكرهم ءائبين الى منزلهم وقد حدثني بعض اصحاب ماء العينين انه قال لمن معه بعد خروج الشيخ من عنده ، من سره ان يرى احد المشايخ الكمال وفردا من افراد الصوفية الافذاذ فلير الشيخ سيدي الحاج علي يقول ذلك وقد رأى من اصحابه هيأة صوفية

قديمة ترجع بذهنه الى ما يذكر صاحب (الرائية) ادب جم وسكون ومرقعة وسبحة وعكازة وتهذب وفناء فى الطريقة فكان ذلك ما حمله على ما قال او ربما ظهر له شيء ءاخر فلا يعرف الصوفي الا الصوفي وحكى ايضا بعض خلصاء المترجم انه قال لهم لو كشف الغطاء عن حال هذا الشيخ السوسي لما تبعنا احد فان له لهمة عظيمة وليس الشيخ الالغي هو الالغي الوحيد الذي اتصل بالشيخ ماء العينين فقد كان الحاج بلقاسم الالغي اتصل به فى الصحراء قبل هذا الوقت بكثير ، وببركة اشارته تيسر له ما تيسر هنالك كما ذكرناه فى ترجمته من القسم الاول. وهو شيخه فى التصوف (ولهذا ذكرناه هنا تبركا)

فى ذلك الوقت حض الشيخ الالغي ءال تزنيت على الاحتفال بهذا الشيخ النازل بين ظهرانيهم ، المهاجر من بلده الى بلدهم وكان له بين التزنيتيين صاغية ، فنفعت تلك الوصية فى الضيف ، فقوبل بكل تجلة زائدة عما كان له . فرضى الله عن الجميع .

نبذة اخرى مما يتعلق به

قال شيخنا سيدي سعيد التناني لم يكن فى عصر الشيخ ماء العينين من له مثل تصريفه فى الارواح ، فان له يدا طولى ، ويوجد من بين كتبه مثل (نعت البدايات) ما يدل على انه اتقن ايضا ما يسمى بسر الحرف وهو علم قديم ذكره ابن خلدون ، ثم الم بذكره ايضا فريد وجدي فى (دائرة المعارف) فحكى حكاية غريبة حضرها الجم الغفير، تدل على ان لذلك عارفين لا يزالون فى مصر احياء واما نزعة المترجم فى الطرق فانه لما رأى تشاكس اصحابها وتناطح [illegible]هم فيما بينهم اراد ان يمزج ما بينها وان يواخي بين اصحابها فكان يلقن اذكار كل الطرق قاطبة حتى الاحمدية المعروفة بأنها وحيدة لا تقبل الشريك فبذلك ثارت مكالمة بينه وبين العلامة الحاج الحسين الافراني ، ولكن الشيخ سائر فى طريقه غير باعل بكل من ينتقد عليه ذلك

ثم ان لاصحابه ايضا فيه اعتقادا ربما يتجاوز عند بعضهم الحد كما يقع من اتباع كل شيخ ذي شهرة مشرقة ومغربة. وقلما تسمع من اتباعهم عند ذكره الا (شيخنا وشيكم ماء العينين) فجعلوه شيخا لكل احد على رغم

الانوف . وعادة اصحابه ان يلووا سبحهم على معاصمهم ، وقلما يتقلدون بها.
ولهم ولوع برفع الصوت بلا اله الا الله وحدانا فـلا تمر بمنـزل ينزلونـه الا
سمعت لهم زجلا ممتزج الاصوات بذلك وغالبهم اناس تظهر عليهم سيمى
الخير ، والاشتغال بما يعني ، والاقبال على ما هم بصدده من مدارسة العلوم ،
او الاشتغال بالاذكار والحاصـل ان لهم احـوالا فى بـاب العلم والاذكـار
انفردوا بهـا

ومن عادة الشيخ ماء العينيـن انه مزواج كثيرا فكان كلما ولدت
له زوجة يفردها بخيمة ويدر عليها مئونتها سـواء بقيت تحته او طلقها
فبذلك ترك كثيرين من الاولاد ذكورا واناثا ، وكثرة الـزواج والطلاق عنـد
الصحراويين غير مستهجن ولا قادح فى المروءة بل هو عندهم امر عادي.
فقد رأينا من اتباع الشيخ ومن ءاله حين انتشارهـم بسوس كثرة التزوج
والطلاق فقلما ينزل احدهم فى قبيلة بالسكنى الا تزوج فيها ولو لم ينـو
المقام فيها الا قليلا ـ ثم انه ان واتته الزوجة صاحبها معـه والا طلقها
فربما يغادر اولاده ثم ينساهم فلا يعود للبحث عنهـم

وللشيخ ماء العينين كرامات كثيرة يأثرها اصحابه واخبار كثيـرة
واختيارات فى مسائل علمية والحاصل انه كان شخصية عظيمة الى الغايـة
فى عصره وفى مصره واخوف ما اخاف بعد ان تشتت اصحابه وانتهبت
خزانته ان يبقى غفلا من تاريخ خاص مسهب يستوفي من اخبار حياتـه
الطويلة ما لا ينبغي ان يحرمه التاريخ . فقد كنت رأيت لبعض اصحابه تراجم
له فى بعض مؤلفات فيه وجيزة . ولكن مثل ذلك غير كاف فى مثله . ولا ادري
ايوجد اليوم من بين اصحابه الباقين من يقوم بمثل هذه المهمة ام اقفرت
الخيم وطويت الهمم وطرح القلم وقد سمعت ان لبعض اهله كتابا فى
كلماته المأثورة وءاخر فى كراماته ولم ارهما وذلك ناحيـة فقط من نواحيه
واعظم ما سيعرفه به المستقبل انفته الاسلامية من الانضواء الى الاجانب
فكان هو الرقم الاول فى اعاديهم فى الصحراء وطالما حاول مقاومتهم هناك
على يد مولاي عبد العزيز ولكن اتى الوادي فطم على القرى

بعض اعمالـه فى الصحـراء

حدثني بعد ما كتبت كل ما تقدم الحاجب السيد محمد بن ادريس بن
يعيش الذي هو من اتبـاع الشيخ قـال

ان والدي القائد ادريس بن يعيش هو الذي كان اخذ عن الشيـخ
هو والوزير احمد بن موسى فى وفدته الاولى على الملك مولاي الحسن نحو 1304هـ
وذلك فى مراكش والثانية كانت فى سنة 1314هـ على مولاي عبد العزيز وكان الشيخ
نازلا على والدي فى دارنا فى القنارية باذن من الملك ثم اتصلت المواصلات
بين الملك وبين الشيخ بالهدايا والمؤن بكل انواعهـا دقيقا وحبوبا وسكرا
يرسل ذلك على القوافل من الصويرة الى السـاقية الحمراء ثم لما تهيـأت
الطرفاية للسفن بعد ما اخرج منها الانكليزي الذي كان بنى فيها دارا انزل
مولاي عبد العزيز فيها القائد حميدة الديلمي الشرادي ومعه جند . واميـن
يسمى الطاهر بن عبد الملك ـ وهو الذي يسمى بعد هذا العهد الطاهر الخطية.
وقد تولى التدريس فى ابن يوسف الى ان توفي ـ فاذ ذاك صارت السفـن
تحمل من الصويرة رأس كل ستة اشهر هذه المئونـة الى الشيخ والى مـن
هناك من الجند ومن هناك تنقل على جمال الشيخ الى السـاقية الحمراء
قال حدث اصحاب الشيخ ان الشيخ تحمل من السـاقية الحمراء . ليفد على
الملك مولاي الحسن وبعد ان سار ليلتين امر بالرجوع فتعجب من معه
ولم يقدروا ان يسألوه هيبة له عن السـبب ثم تبين ان الله اطلعه علـى
وفاة الملك وقد كان مولاي الحسن حين كان فى اكليم سنة 1303 هـ كتب
اثناء رسالـة الى الشيـخ

وابـرح ما يكـون الشـوق يومـا اذا دنت الديـار مـن الديـار

ثم لما استقر مولاي عبد العزيز بمراكش مرجعه من فاس 1314 هـ ،
وفد عليه الشيخ . فاهتبل به الملك اهتبالا عظيما فاتخذه شيخا فتلقن منه
ورده بايعاز من احمد فامر ببناء زاويتين له فى مراكش وفى فاس وبنى
اصحابه اخرى فى سلا ثم تكررت وفادات الشيخ على مولاي عبد العزيز
ثلاث فى عهد احمد بن موسى والرابعة بعد موته قبل ان يتوجه الملك الى
فاس ثم ثلاث مرات وهو فى فاس والذي يحفزه على كثرة هذه الوفدات
قضية الاحتلال الذي يهدد تلك الناحية الصحراوية

قال ان الشيخ لم ينزل من (السـاقية الحمـراء) فى (الصمـارة) الا فى
عهد مولاي الحسن ثم احدث 1316 هـ دورا فى (الصمارة) فأرسل اليـه
مولاي عبد العزيز حين كان يبنيها ما يحتاج اليه البناء واما ما قبل ذلـك
فلم يكن يسكن الا فى الخيام يوم كان فى (السـاقية الحمراء) قال : كانت امـي

حاملا بي حين وفد وفدته عام 1304 هـ فسأله والدي كيف يصنع فقد خاف على امي ان يأخذها الطلق فى اثناء الطريق الى مكناس والملك اذ ذاك متهيىء للسفر اليها فاشار اليه الشيخ ان يصاحبها معه فسلمها الله فولدت بعد دخولهم مكناس بليلتين ثم تبركت بالشيخ عن اذن والدي فى احدى وفاداته على مولاي عبدالعزيز بمراكش وكان ينزل فى رياض احمدبن موسى وقد كان والدي سماني محمدا الحسن اقتداء بالشيخ حين سمى احد اولاده بهذا الاسم والمسمى به مات فى فاس ودفن فى الزاوية فى الطالعة وله مكانة فى الورع قال : كنت يوما امام الشيخ وانا صغير فقال لي يا محمد الحسن اين وصلت لوحتك فقلت له حزب (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) فوجدت بركة الشيخ من بين اخوتي فحفظت القرءان وحدي وقد كانوا حضروا حين سألني ولم يسألهم عن شيء قال ثم اننا شاهدنا من احترام المخزن كله للشيخ عجبا فقد كان الوزراء يخرجون عن اذن الملك لملاقاته فخرج فى عهد مولاي الحسن محمد الصغير الجامعي العلاف ـ وزيرالحرب ـ والفقيه علي المسفيوي وزير الشكايات وفضول غريط وزير البحر ـ وزير الخارجية ـ وابن العلام قائد المشور فيخرج الكل فى العسكر فيلاقون الشيخ فى باب الرب ثم اذا اصطف الناس امام الشيخ يدعو معهم ثم يمال به الى محل النزول والكل معه والنفقة على خزينة الدولة ثم تكون الملاقاة مع الملك يوم الجمعة بعد الصلاة والشيخ يصلي ازاء الملك وهذه هي العادة فى عهد مولاي الحسن وفى عهد مولاي عبد العزيز وفى عهد مولاي عبد الحفيظ اثر ما بويع فى مراكش . وقد صادف الحال الشيخ ءاتيا ليزور مولاي عبد العزيز ومعه كبار الصحراء من بين القبائل ، فاذا بمولاي عبد الحفيظ يبايع فارسل مولاي عبدالعزيز محمدا الفاضل بن يعيش ـ اخا هذا الحاكي ـ الى الشيخ ان يمر بمولاي عبد الحفيظ لعله يرجع عما ادعاه وله الامن ولكن لما وصل الشيخ الى هذا وجد الامر قد تم فكان احد انصار هذا الامير عند الناس فلم يمكن الا ان يكون احد الناس فرجع وقد اكرمه الامير الجديد غاية الاكرام وقد كان مولاي عبد العزيز اشار على الشيخ لما ضاقت به الصحراء واتسع فيها الخرق على الراقع ان ينتقل الى تزنيت. فأقطعه دار المخزن هناك

قال واما تفصيل ما وقع فى الصحراء فانه كثير وملخص ذلك

ان الشيخ لما ضاق به وبكل ما هناك الفضاء على اتساعه بدبيب الاحتلال اليهم من الجنوب صاروا يتطلبون السلاح من مولاي عبد العزيز فى حياة احمد بن موسى فنوى الملك ان يرسله ليتسلح به رجال القبائل. فانذرت فرانسة الملك انه ان ارسل السلاح وهجم علينا هناك مهاجمون فاننا سنعتبر ذلك اعلانا للحرب مع المغرب ، فسنقابلكم بالمثل فى جميع النواحي فحين رأى احمد بن موسى الداهية ما يجره ذلك صار يماطل اهل الصحراء مع الحاج الشيخ عليه فى ذلك ثم لما مات احمد بن موسى وتولى غريط كان عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية فتجاذب مع چايار قنصل فرانسة فى فاس امر الصحراء فادعى چايار ان قبائل الصحراء لا يد للمغرب عليها فارادت الحكومة ان تكذبه فوقعت المكاتبة مع الشيخ فى ذلك فأعلن الشيخ ان جميع قبائل الصحراء بايعت الملك مولاي عبد العزيز الى ما وراء شنكيط والآن لابد ان يجيئنا خليفة السلطان مع ظهائر القواد الذين يتكلمون عن القبائل الكبرى . قال الحاكي : فاذ ذاك فى سنة 1323 هـ ذهب مولاي ادريس ابن عبد الرحمن حفيد مولاي سليمان ومعه الفقيه الغرفي وزيره والمدني الصحراوي كاتبه ومعهم هذا السيد الذي يحكي لنا وفى يده ظهائر تصل اربعة عشر لكبار القبائل بأنهم قواد على قبائلهم قال ومعي سرا 500 بندقية مع ذخيرتها فى باخرة اسبانية ركبناها من الصويرة. حيث وجدنا السيد عبد الرحمن بركاش باشا هناك فخرجنا فى الطرفاية وقد صاحبنا معنا كل شيء يتوقف عليه الحي حتى الماء الذي يفقد فى الطرفاية (1) وقد اكترينا وحدنا الباخرة على ايدي الامناء من الصويرة ثم واعدنا الباخرة لتقلنا فى الرجوع موقتين لذلك وقتا معينا ثم التقينا هناك مع ثلاثين جملا مع خيول وبعد ستة ايام وصلنا الصمارة قال وقد كان الرسول خرج قبلنا من فاس الى الشيخ ليوجد لنا ما نتوقف عليه هناك فذهبنا من فاس الى العرائش ثم الى الصويرة بحرا

وصلنا منزل الشيخ فاجتمع كبار القبائل فتوصلوا بظهائرهم فقال لهم الشيخ ادفعوا لخليفة السلطان ما فى ذممكم من الزكاة فاجتمع من ذلك احد عشر مائة من الابل فارسل الى (ندر) فبيعت هناك ثم ذهب مولاي

(1) فالحمد لله الذي يسر الماء هناك بعد استرجاع المكان من اسبانية بعد الاستقلال حتى تمكن منه اهله .

ادريس الخليفة الى المحل المسمى (تِجكَنجَا) قال واذ ذاك انكف الفرنسيون عن مهاجمة تلك القبائل بعد ما ابلغوا رسميا طاعة اهل تلك الجهة لخليفة السلطان . ولم يزل مولاي ادريس هناك الى اواخر ايام مولاي عبد الحفيظ ثم رجع فسكن فى مراكش الى ان توفى نحو 1340 هـ . ولا يزال ولد له يسمى محمدا حيا الى السنوات الاخيرة

ثم ان الشيخ نفذ اشارة مولاي عبد العزيز فتحول الى تزنيت وقد تمكن مولاي عبد الحفيظ ودخل فاسا فسافر الشيخ الى فاس محاذيا سفح الاطلس لانه لا يأمن فى السهول فارسل الفرنسيون المحتلون للبيضاء وما اليها الى الملك بفاس ينذرونه بأنهم يعدون كل من يمد يده الى ماء العينين عدوا لهم يعلنون عليه الحرب . فاما ان يعتقل فى فاس ان جاء اليها واما ان يرد على عقبه فأوعز الملك الى عبد الله بن يعيش اخى الحاكي بان يتلقى الشيخ فى الطريق برسالة من الملك ليرجع عن فاس ثم لما وصل الشيخ تادلة اراد الفرنسيون ان يتسربوا اليه ليلا ليستحوذوا عليه ولكن الله حفظه منهم فنشأت عن ذلك حرب بين اهل تادلة وبين الفرنسيين اصطلى فيها هؤلاء بنار مستعرة فى يوم مذكور . ثم رجع الشيخ متوقلا للاطلس فطلع من ايت عتاب الى ان نزل على رأس الوادي بسوس فحط رحله فى تزنيت . حيث لفظ نفسه الاخير وشيكا

ملخص حياته

بعد ما كتبت ما تقدم ظفرت بكتاب كبير فى حياة الشيخ وفى كل ما يتعلق به لمربيه ربه فلخصت منه ما ياتي :

ولد الشيخ ماء العينين فى الحوض فى القبلة يوم الثلاثاء 27 شعبان 1246 هـ. ثم لازم والده ملازمة المريد لشيخه لا ملازمة الولد لابيه ولا التلميذ لاستاذه فبذلك نال ما نال من العلوم العجيبة ، وتئاليفه الكثيرة المختلفة فى الفنون تشهد له (وقد عدها مؤلف الكتاب) فلما كان له 28 عاما توجه الى الحج وقد فارق اباه الذي هو شيخه الوحيد فى العلوم وفى التربية يوم الخميس 12 جمادى الاولى 1274 هـ خرج من الحوض فمر بشنجيط وبأدرار الى وادي نون فالى الصويرة فمراكش حيث ولى العهد سيدي محمد ابن عبد الرحمن فلاقاه واكرمه . ثم دخل مكناس ليلة 27 رمضان من السنة

فتلقاه مولاي عبد الرحمن ملك الوقت بكل اجلال ثم امره ان يركب من طنجة بعد ما اكرمه عامل طنجة بمثل ذلك فدخل مكة عند الفجر يوم الاحد 22 من ذي القعدة فوجد هناك شيخا كبيرا من الصوفية يسمى عبد الرحمن افندي فأكرمه غاية الاكرام وحدثه بأنه كان يعرف مكانة والده قبل بل اعطاه اوصاف جسمه كأنه عاشره وقد حرص الشيخ ماء العينين فى حجته ان يتتبع كل الاثار فى الحرمين معا فقيد كل ذلك بتدقيق فى (رحلته) وقد خرج من مكة يوم الخميس 18 من ذي الحجة الى المدينة فدخلها يوم الاحد 5 المحرم 1275 هـ. فلم يبق هناك الا ثلاث ليال ثم غادر المدينة 8 المحرم فتوجه الى مصر فحين حل فى الاسكندرية اصابه الجدري فبقى هناك ازيد من خمسة اشهر ثم ركب البحر الى طنجة فدخلها فى 24 من شعبان 1375 هـ ثم مر بمكناس حيث امر الملك ان يكرم غاية الاكرام وان يكتري له ولمن معه الى مراكش بعد ما لبث فى مكناس خمسة ايام ويوم دخوله لمراكش يوم الاثنين 28 من رمضان فصلى صلاة العيد مع ولي العهد وقد رحب به فزار الشيخ ءاثار المدينة كصومعة الكتبية وذرعها . ثم بقى فى مراكش الى ان غادرها 12 من ذي القعدة ثم دخل الصحراءفمر اولا بمدينة (تيندوف) حيث عالمها محمد المختار الجاكاني فطالع من خزانته وتشرف به مسجد المدينة الذي كان بانبه محمد المختار يتمنى قبل اليوم ان يحل به الشيخ ثم صار يتقلب فى قبائل تلك الصحراء فتلقاه بكل احترام وفى شوال من سنة 1276 هـ كان فى وادي نون وفى رجب 1277 هـ. فارق تاجاكانت وقد زار ايضا أدرار كما كما زار الرئيس احمد بن عايدَّة وزار احمد بن علي فى ءال الفاغ الخطاط وتزوج منهم والدة مربيه ربه فى شعبان 1277 هـ وعدد من تزوجهن الشيخ مائة وست عشرة امراة وفى ذي القعدة من هذا العام مر بالسيد محمد الكنتي. وفى ذي الحجة قدم على العرُوسيِّين بالساقية الحمراء. فأسكنوه وشاركوه فى اموالهم وقد تزوج منهم وحدهم اثنتى عشرة امراة وفى عام 1281 هـ. زار اباه بعد سبعة اعوام فارقه فيها ثم ودعه بعد ليلتين فرجع الى الساقية الحمراء وفى 1286 هـ. توفى والده وفى 1294 هـ. ولد له احمد الهيبة فى مفتتح رمضان . وزار اذ ذاك والدته ثم رجع الى تيرس واذ ذاك وقعت غزوة فى نصارى الداخلة وقدم عليه احمد بن محمد بن عايدَّة فى شأن العدو وحين كان مولاي الحسن فى وادي نون 1303 هـ. استدعاه اليه فكان من جملة الرسالة

وابـــرح مـــا يكون الشـــوق يومـــــا   اذا دنـــت الديـــار مـــن الديـــار

ومـــنـــهـــــا

ولكـــن للعيـــــان لطيـــف معنـــــى   لـــذا ســـأل المعـــاينـــة الكليـــم

ثم سافر سنة 1304 ه الى مراكش فتلقاه الملك بالاجلال فحيـن جالسه الشيخ قال له اني زرت جدك مولاي عبد الرحمن فجعلني ابنا واباك فجعلني اخا فقال له مولاي الحسن وانا اجعلك ابا ثم رجع وسكن فى الساقية الحمراء حيث كان قبل واذ ذاك ابتدأت المعارك والمجـاذبات بين العدو وبين اهل تلكالجهة. والشيخ يصمد فى الكفاح. ويضمد الجراح. وقد اسند له الملك النظر فى تلك الناحية فى الطرفاية والداخلـة وما بينهما. وفى سنة 1311 ه. تأهب لزيارة الملك ثم رجع فى الطريق فظهر ان الملـك توفى وفى سنة 1314 ه. ارسل اليه ايضا فزار مراكش وتلقاه المولى عبد العزيز واحمد بن موسى بكل اجلال كما كانت القبائل تتلقاه فى الطريق من وادي نون الى مراكش وقد قدر ما اجازه به الملك هو ومن معه بمليون درهم قديم زيادة على المئونة الدائمة التي تصلـه الى الصحراء وفى هـذه السفرة سرح الشيخ محمد الكتاني والفقيه السباعي على يده وعدة اسفار الشيخ الى الحكومة فى العهد العزيزي سبعـة اربعة الى مراكش وثلاثـة الى فاس . ثم واحدة الى مولاي عبد الحفيظ اول ما بويع وفى السنة التي سافرها 1322 (رحلة") كتبها مربيه ربه وقد سافر معه فى هذه الاسفـار كلها التي كانت بعد 1314 ه. وهناك ديوان من القصائـد تلقـى الادبـاء الحضريون الشيخ بها وقد ركب البحر مرتين فى رجوعـه الى الصحـراء من الصويرة الى الطرفايـة وفى سنـة 1326 ه. كـان الجهـاد فى ادرار ونواحيه وهناك اسماء غزوات كغزوة دامان وغزوة ابـي ضرس وغزوة اكجوجت وغزوة ابو الرجيمات وغيـر هذه

وفى سنة 1327 ه ارسل الشيخ ابنه احمد الهيبة الى مولاي عبد الحفيظ بفاس واذ ذاك اطلق على يد الهيبة الشيخ عبد الحي الكتاني من السجن بعد قتل اخيه الشيخ وبعد رجوعه الىالشيخ ابيه هاجرالىتزنيت فدخلها اوائل ربيع الاول 1328 ه وذلك باذن الحكومة ثم تابع سفره بقصد فاسا فاذا به منع من وصولها على طريق تادلة فرجع على طريق الاطلس

إلى ان نزل فى سوس بموضع يسمى بوچنّاز فمر بدار القائد حميدة فى اوائل شوال فوافاه اجله ليلة 21 من شوال وقد كان صحيحا صلى المغربين مع الناس على العادة . وهو نشيط منبسط . ثم نام قليلا فقام لتهجده المعتاد. فخرجت من عنده خادم ثم رجعت فاذا بـه التحق بالرفيق الاعلى بغتة وهو وحده

هذا مختصر حياة الشيخ لخصته جدا من كتاب لابنه مربيه ربه رحمه الله ورضي عنه وقد اعتنى فيه باخباره وكراماته ، وهناك كتاب ءاخر يسمى (مجمع البحرين) فى اخباره أيضا ، ويظهر ان اهله اعتنوا بكل ما يتعلق بالشيخ ، فذهب عنا بعض ما كنا نخافه ــ كما ذكرنا قبل ــ من ذهاب الشيخ واخباره فى غفلة الناس .

تأبينه

لانتعرض هنا لتأبينه من أصحابه الصحراويين فذلك غير داخل فى مهمتنا ولسنا مسؤولين عنه . على اننا لو تطاولنا اليه لما وجدناه الآن بين أيدينا وانما مقصودنا ان نذكر ما عسى ان تسمح به قرائح سوس فقد قام العلامة الافراني بهذه المهمة والقى بعد وفاته هذه القصيدة من غير ان يكون بينهما معرفة الا لحمة العلم وكفى بها رحما قال

المجد يعول والسيادة تندب ... والعلم ما عينيه حزنا يسكب
قال العواذل ماله فاجبتهم ... والحزن يخرس والمدامع تعرب
لما توى شيخ الشيوخ وعالم الا ... سلام ما العينين ناح المغرب
العالم العلم الامام المرتضى ... بدر الهدى وسراجه المتلهب
بحر طما غيث همي ليث حمى ... دين الهدى ناب له والمخلب
هادي الانام مجدد الاسلام مأ ... وى الفضل والنور الذي لا يحجب
رب التأليف العديدات التي ... صار الركاب بها تقاد وتجنب
كم قد رءاها جاحد فغدا على ... رغم يطيل بمدحها او يطنب
مدد سرى من فيض سر الله ليـ ... ـس يناله بجهاده متطلب
تلك المكارم والمفاخر لا كما ... يعني بجمع حطامه من يلعب
ارث النبوة اشرقت انواره ... فيها فصار بها يجيء ويذهب
فلذلك اذعن كل جبار له ... مهما بدا وعنا له المتغلب

حتى دعاه الى المفاز الاهـــه ما كان الا مثل علق تاهبته
فاجاب مسرورا بما يتطلب ــه يد الحوادث والنفائس تنهب
قل للعفاة أولي الحوائج مات ركـ ــن الدين ما العينين فابكوا وانحبوا
مات الامام المستضاء بنوره مهما دجا ليل الضلال المكرب
مات الذي امواله وعلومه لذوي الخصاصة والجهالة توهب
عجبا لقبر ضم سودده وقد ضاق الفضاء به وضاق السبسب
ايضم شبر القبر بحرا ما له حد يقدر ان ذاك لمعجب
ءاه على فقد الشيوخ أهلة الاســ ــلام ماتوا فاستطال الغيهب
نضب المعين وغاضت الامواه قل لي كيف نبقى بعد ما هي تنضب
ذهب الالى اكتسب الهدى بوجودهم عزا فاصبح خائفا يترقب
مات الامام ابو علي اليفرني المرتضى غيث العلوم الصيب
ذو المكرمات الفر والفضل الذي ما ان يحيط به البليغ المسهب
وباثره فى شهره شوال قد اودت بذا الشيخ الامام النوب (1)
شمس وبدر منيا بالخسف فى شهر معا فليعجب المتعجب
حقا لانهما قريعا سؤدد ماتا فوالدة العلا لا تنجب
فالله يجبر صدع ملة احمد بالفضل منه فصدعها متشعب
ويرد كيد عدوها ويحوطها ويسد ثلمة دينها او يراب
بنبيها صلى عليه الله ما هاجت كمين الشوق ورق تندب

وكان العلامة الحاج الحسين الافراني توفى قبل المترجم بايام فصلى عليه كما تقدم فى ترجمته ثم لحق به وذلك ما ذكره فى اثناء القصيدة ، ولشاعرنا ايضا بيتان فى هذا المعنى ارخ بهما وفاة العلامتين وهما

مات الامام الشيخ ما العينين بعد وفاة اليَفرَنِى الحسين
وكان ذاك عام ــ حط الشرف ــ فاصبحت عين العلوم تذرف

وكانت وفاته ليلة الجمعة 17 شوال 1328 هـ وصلى عليه سيدي عبد الله التمراوي امام مسجد تزنيت اذ ذاك كما وجدته مقيدا بخط احد المعتنين ، وهذا ما تيسر من ترجمة الشيخ

---

1) النوب كغرف بتخفيف الواو . ولكن الشاعر قد شددها

اولاده

ان الشيخ احمد الهيبة واخوته مربيه ربه والشيخ النعمة والشاعر الفحل محمدا الامام وابن العتيك والمحفوظ سبطا ماء العينين ليدخلون تحت شرط كتابنا هذا فى (القسم الخامس) لانهم من اصدقاء اهالينا عند تصدرهم فى الرياسة ، فاحببت ان اجمعهم هنا فى ظل ترجمة والدهم الكريم ليجتمع ما اعرفه عن هذه الاسرة العالمة فى صعيد واحد فلذلك مزية لا ينكرها المطالع وءاسف كل الاسف حين لم اتصل الآن بما يفيدني كثيرا عن النواحي التي تتراءى مجهولة من هؤلاء الافراد ولكن يجب ان لا يقف ذلك امامنا حجر عثرة فلنقدم على ذلك مكتفين بما وجد فلعل ما نستقله الآن فيما نذكره عنهم ربما لا يجده القارىء مجتمعا فى كتاب ءاخر عربي قبل هذا من هذه الناحية التي نعتني بها (ثم اني اتصلت بهم بعد فاقتبست منهم ما اريده باختصار) .

احمد الهيبة

ولد ليلة الاثنين الاولى من رمضان سنة 1294 ه كما حدث به بنفسه وقد وجدت انا بخط والده فى طرة نسخة من الاستقصاء كانت فى ملكه ازاء ما ذكره المؤلف احمد بن خالد من ان ولده محمد العربي ولد مختونا ما معناه (كذلك ولد لي ولد سميته احمد الهيبة مختونا ايضا) هكذا عبارته او ما يقارب ذلك . وقد طال العهد برؤية ما رايت

تربى أحسن تربية . وحصل على ابيه وعلماء حضرته فى العلوم تحصيلا حسنا ، خصوصا العلوم الادبية فانه من افاضل الادباء . يقول فى النسيب وفى غيره فيحسن وربما يتطاول احيانا الى الاجادة ، وفى ملحقات كتاب (نعت البدايات) المطبوع اشعار له يظهر منها نفسه وقد سمعت شيخنا العلامة سيدي الطاهر الافراني يثني احسن ثناء على ذوقه الادبي

كان يفد مع والده الى الحواضر فهناك تعرف بالناس وتعرفوا به. فقد حكى لي الباشا منو انه كانت له به معرفة اذ ذاك ربما كانت خاصة (ومنو من حاشية مولاي عبد الحفيظ من صغره الى كبره) فبسببها كانت له دالة عليه يوم احتلاله الحمراء وقد عرف الهيبة من بين اخوته بدماثة الاخلاق وبالكرم . وبتطلعه الى ان يشغل مركزا تشير اليه به الاصابع ،

كما كان ايضا لوالده نحوه عاطفة خاصة فهم منها اصحابه انه خليفته من بعده رغم ان هنالك من يكبره سنا من اخوته

حدثني سيدي ابراهيم ابن البصير الاخصاصي ثم التادلي وكان ممن يفد كثيرا على الشيخ ماء العينين بداره التي بناها فى وسط الصحراء فى (الصمارة) فعرف من احوالهم ما لا يعرفه الا من له بهم اختلاط قال ان كثيرا من اولاد الشيخ لمقبلون على التمول من طريق والدهم بسبب ان والدهم الشيخ يجود بكل ما عنده حتى لا يبقى عنده شيء فيستدين بوساطة اولاده وكانوا يسلفونه من عندهم فيخيلون له انهم تسلفوا من الاباعد ثم اذا رد السلف يزيد الشيخ كثيرا من عنده فيستغلون كرمه فى ذلك فيمعنون فى تاثيل الاموال قال وربما كان احمد الهيبة ممن نجا بينهم من ذلك فاحبه والده لهذه الخلة المحمودة فكان يوثره بالنفائس وبالعطايا فيخلف الله عليه فيبارك له فيما تحت يده ، مع فوزه بالشفوف على اخوته فقد رايت عند زيارة الشيخ الالفي اياه وحده دون اخوته ان الحامل عى ذلك هو شهرته من بينهم

بعد وفاة والده

اغمض ذلك الشيخ الجليل عينه فى (تزنيت) فصلى عليه اصحابه المئون مع الناس الحاضرين ، وكان الشيح احمد الهيبة هو أمام الصلاة فيما ذكر لي بعضهم عن ظن ولم يتحقق او كان الامام الشيخ الحضرمي زوج بنته ، او الفقيه سيدي عبدالله التمراوي — كما تقدم — اقوال لم نمحصها ، ثم ووري ازاء دار المخزن هناك حيث سكن مع ءاله فى حياته وقد نزلوها باذن من ءال السلطان عبد الحفيظ اقطاعا كما فى رسم ذلك عندهم فنصبوا خيمهم وفساطيطهم فى براحاتها ، ثم التف اصحاب الشيخ على ولده احمد الهيبة . فقدموه بين اخوته وقد قاموا له بكل ما كانوا يقومون به لوالده من الاجلال والاعظام فلا يقوم الا اذا جاء اعرابيان يكتنفانه من جنبيه فيضع ذراعه على عاتق كل واحد منهما حسبما كان يفعل بالشيخ ماء العينين المسن الضعيف الجسم فى ءاخر حياته ولما كان لتلك الهيأة من التجلة لوزمت ايضا فى مجلس ولده الهيبة ايضا وان كان لا يزال شابا جلدا قوي العضلات ثم اذا وصل يوم الجمعة يخرج بين اصحابه وقد اكتنفوه بجمع كبير . حتى يصلي . فيرجعون به على تلك

الهيأة وتلك الباكورة التي اجتناها اثر وفاة والده من ءاخر سنة 1328 ه ثم صاروا يتدرجون فى ذلك شيئا فشيئا حتى كانوا يحملون السلاح الى المسجد فيتمشون امامه صفوفا احيانا على هيأة مخزنية ليست بمعتادة عند الناس فى تلك البيئة وقد حدثني ابن عمنا الفقيه عبد الله بن مسعود ان الهيبة كان فى جهة (تامانارت) 1329 ه فمر بأداي فى ثلاثين راكبا

ارهاصات امارته والحوافز اليها

لاشك ان سنوات 1328 ه سنوات قاتمة الجو من ناحية السياسة المغربية فهناك احتلال البيضاء وهو حادث عظيم الواقع على المغرب ارتجفت له كل الفرائص وتشنجت له كل الاعصاب ثم ثورة مولاي عبد الحفيظ ، فكان الناس يبنون عليها ءامالا عظيمة ردت بغض السكون والطمانينة الى الافئدة ولاسيما حين انتصر على ابي حمارة الزرهوني فظن الناس ان الدولة الحفيظية دولة راسخة. يمكن ان يعتمد على سياجها الذي يحسبه الناس منيعا سميكا لا يتخطى ولا ينفذ فيه ولكن سرعان ما انهار ذلك يوم طوقت فاس بالحصار البربري المشهور ، فازدادت أرجاء المغرب واوصاله تفككا ، فرجعت المخاوف جذعة الى النفوس، فساد القلق. فصار الناس لاحساسهم بموقع المغرب بين الدول العظام التي تتجاذبه يقلبون ابصارهم فى الافق لعلهم يرون بارقة جديدة يمكن ان ترد السكينة الى القلوب ولو الى حين ثم زاد الجو اعتكارا بدعاية سيئة ينشرها المفرضون المندسون من جواسيس العدو عن شخصية مولاي عبد الحفيظ، من انه - وحاشاه - ذو جبروت والحاد واستهتار ونبذ لشرائع الدين فأثرت تلك الدعاية الكاذبة فى الشعب الجاهل الغر المتدين بالجهل ، الغافل عن سنن الكون وعما يتطلبه هذا العصر من القوة والعقل الحصيف ، وكانه يجهل ما لرجال الدولة العلوية من الغيرة على الاخلاق والدين والمغرب فتحت هذه الدياجي الكثيفة الظلام صار الاعراب يتناجون فى اخبيتهم فى (تزنيت) فيرون من انفسهم مقدرة على انقاذ الموقف ويتصورون انهم يقفون فى ميادين الابطال وانهم اهل للبروز بجمع كلمة الامة ببركة الشيخ الذي ينتمون اليه رضي الله عنه ولهذا الايمان العميق فى القوم امكن استغلالهم من حيث لا يشعرون ، ولم يكن اهل النظر البعيد من السوسيين يرون لهؤلاء السادة الافاضل هذه المكانة ، فقد رايت عند

الاخ سيدي محمد رسالة كتبها اليه العلامة ابن مسعود يوصيه اثناءها ان لا يستجيب الى دعوة ان وجهت اليه مـن ءال مـاء العينيـن بتزنيـت والرسالة مكتوبة اواسط سنة 1329 هـ فاما ان يكون ابن مسعود تسربت اليه خفية نبأة من ذلك السر الذي يتناجى به بين ءال الشيخ فى تزنيت وذلك هو القريب واما ان يكون ممن نفذت فراسته اليه ـ وما هو عـن مثل ذلك بمدفوع (اتقوا فراسة المومن) ـ وكيفما كان فلا نشـك فى ان الخطوط الاولى لتلك الحملة التي برزت اواسط سنة 1330 هـ كانت تهيأ من اواسط سنة 1329 هـ وايضا ان للسياسة الخارجية تأثيرا فى بعث ذلك الامل فمنذ حادثة اكادير الشهيرة وهي التي جاءت فيها البارجـة الالمانية فكادت الحرب تندلع بسببها ومنذ قرب اعلان الحماية الفرنسية على المغرب وقد تزعزع جيش مولاي عبد الحفيظ ، دخلت اصبع المانيا الى تلك الجهة تفتش عن جديد تشغل به افكـار الدول ـ فرنسـة واسبانيـة ومن ورائهما انكلترا التي تنافسهما فى المغـرب ـ فنحن نوقن ان ثـورة مولاي عبد الحفيظ نتيجة لهذه المجاذبة الدولية ، وعندنا من ذلك اخبـار محققة ـ لسنا الآن بصدد ذكرها هنا لانها اجنبية عن الموضوع (1) ـ وحين اخفقت تلك الثورة فى النتيجة التي يأملها من اججوا نارها ، اقبلوا يفتشون عن ثائر ءاخر لعلهم ينالون به غرضا من اغراضهم ضد الدولة التي فازت فتهيأت لاعلان حمايتها على المغرب ثم كان ما كان فاحتلت فاس فقضى الامر وتمت لها الصفقة خصوصا بعد المذبحة الفاسية المشهورة وقد كان ءال القائد سعيد الجِيلْوليُون الحاحيون لهم اتصال بالشيخ ماء العينين تبركا به فامتد ذلك الاتصال لاهله الى ما بعـد حياتـه ، كما كانت لهـم حماية من دولة المانيا وكان القائد مبارك منهم هو الذي وصل بها حلقته. فكان الخبراء الالمانيون السريون يجوسون نواحي اكادير الى تارودانـت بسببه ثم لما توفى 1329 هـ خلفه اخوه القائد عبد الرحمن فى تلك السياسة فكان هو الذي وصل الاسلاك بين ءال ماء العينين وبين هـذه الدولـة الاجنبية فبذلك تكونت الجرثومة الاولى التي نبتت بهـا دولة الهيبـة وتقوت به فكرة ثورته حتى خرجت من حيز الفكرة الى حيز العمل وكثير من الناس فى المغرب يجهلون هذا السبب ولكنه موجود بلا ريب .

---

1) وهي مذكـورة فى كتـاب (حول مائدة الغـداء)

كيف بويع

اول ما بدأ به احمد الهيبة هو ما يبدأ به عادة كل من ينوي نيته ، فقد كان اصحابه يستميلون القلوب ويبثون بوساطة من يختلف اليهم من السوسيين وفى طليعتهم بعض ءال تزنيت الدعاية المتسعة ، وتاميل الناس فى الثمرات التي سيجنونها من وراء ذلك زيادة على تثليج الصدور بنصرة الدين والاستماتة فى سبيل الله وقد كانت هذه الدعاية تدعم بغمز قناة امراء الوقت بتفريطهم فصادفت الدعاية من عياد خليفة القائد عبد السلام الجراري وهو المعروف بانحياشه الى الصحراويين دائما ومن بعض اناس قليلين ءاذانا صاغية ، وكان الفقير مبارك أبو الباكور من التزنيتيين هو الذي تولى كبر هذه الدعاية ، واعظم المتحمسين لها وقد صار من الخاصة المنتقاة لدى ابناء الشيخ من الشلحيين — أبناء مَمَّاس — كما يدعوهم به الاعراب فى مداعباتهم معهم — ثم دخلت سنة 1330 ه وقد صارت الدعاية تتسرب الى المجامع وصارت بين قبول ورد فاما من يسمون اذ ذاك العقلاء — وقليل ما هم — فانهم يعرفون ما وراء الاكمة ، وما سيجره ذلك على سوس ، وان السياسة سليسلة بنت سليسلة ، لا يطيق اصطلاءها ابناء سوس الضعاف القليلوا الخبرة بمزاولة ذلك الذي هم عنه بمعزل لا يعرفون فيه كيف يبرمون ولا كيف ينقضون وفى ترجمة شيخنا عبد الله بن محمد الالغي فى (القسم الاول) رسالة تدل على ما لاصحاب هذه الفكرة وهم الذين يسميهم اهالينا العقلاء واما من لا يفكرون فى العواقب (كما يسمونهم اذ ذاك) فانهم اصاخوا لهذه الدعوة واستجابوا لها على ان الحمية الدينية والغيرة الوطنية هما على كل حال الاصل الاصيل فى ذلك والحافز للدهماء ، حتى اندفعوا اندفاعا فى 18 جمادى الاولى فانعقد أول مؤتمر من المستجيبين لهذه الفكرة وهم افراد من بعض القبائل منهم من يعبر عن رايه الخاص ، ومنهم من يعبر عن رأي قبيلته فبعد اخذ ورد انتهوا الى ان مولاي أحمد الهيبة يكون مقدما للناس فقط ، ان اتفق الناس وقاموا للجهاد ، ولم يتجاوزوا اكثر من ذلك ، ولكن بعد تفرق المؤتمر نادى ابو الباكور من عند نفسه جهارا بان الهيبة امير المؤمنين كما أعلن بذلك الاعراب افتياتا على المؤتمر حتى ان الاعراب يوم الجمعة مختتم جمادى الثانية قاموا الى الخطيب الفقيه سيدي محمود التزنيتي فاوعدوه ان لم يعلن بذلك فى الخطبة ، فاستاء كثيرون ممن حضروا المؤتمر ، حين وقع هذا الافتيات عليهم ، بعد ما اعلنوا ما اعلنوا ،

وفى تلك الايام اجتمع فى (تَالعِينْت) مؤتمر آخر من القواد الرسميين والمسنين المتثبتين الذين لم يسلسوا قيادهم الى ما أسلس له أصحاب المؤتمر الاول كالقائد عبد السلام الجراري قائد أولاد جرار فانه كان يخالف خليفته عيادا فى التشييع لتلك الفكرة بتلك السرعة وبينما المؤتمر الثاني يتداول فى ذلك الحادث اذا بركب من علماء هشتوكة قدموا الى تزنيت فى 36 بغلة ، يقدمهم الفقيه سيدي الحاج عابد والاستاذ سيدي محمد أعَنْبُو وقد اجتمعوا اولا فى هشتوكة ، فصالحوا بين الرؤساء هناك في مخالفة يجتمعون اليها بالجيوش ، ثم اقبلوا برياسة سيدي الحاج عابد بحماسة زائدة ، اثارتها منه النخوة الدينية المشهور بها فى الناس ، المنسوبة له ولصالحين بين من وفدوا معه من اصحابه ، وقد جمع همته ، ونزل من الجبل ، فاعلن دعاية عريضة طويلة للهيبة فكان اول بطل من الابطال اذ ذاك ولما كان له بين الهشتوكيين من عظم الحرمة ، وشفوف المنزلة ، لم يتخلف احد منهم عن قبول ذلك فاقبل يقتاد اصحاب الطياليس من العلماء في ركبهم المهيب حتى حطوا ركابهم فى تزنيت وقد اعلن الاعراب وابو الباكور والخطيب سيدي محمود ما اعلنوا ، فاشاد ذلك هو اشادة اثارت من السامعين موجة من الحماسة الدينية ، والنعرة الوطنية ، فاهتز ازغار كله لذلك ، فلم يسع المؤتمرين بتَالعِينْت الا ان ينضموا الى الناس ، وقد جرفهم السيل الطافح الذي اتى فطمَّ على القرى ، وما السيل العرم الجارف الا جيَشان الافكار ضد الاحتلال هكذا تم الامر وصار كل من تأخر كالقائد الحاج محمد الاَغْبَالوِيي الماسي والحاج ابراهيم الايِفْشَانِي الالفي ، والشريف سيدي محمد بن الحسين التازاروالتي وامثالهم امام الامر الواقع ثم تهاطل الناس فى ذلك الاسبوع الى تزنيت فقرأ القراء فى مجلس عام غاص بالحاضرين قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا) فدوت مدافع كانت هناك موجودة فارتج بدويها الجو ، فغلت الدماء فى الشرايين ، وتصور الحاضرون كأنما مدت دولتهم سرادقها على كل المغرب الاقصى ، ثم تفرق الحاضرون على ان يعقد مؤتمر عام آخر يستدعى له الجفلى كل الرؤساء والعلماء ورؤساء الطرق لاجالة قداح الرأي فيما هو المعمول الآن وقد تم الامر وقد نودي فى صلاة الجمعة بالامير الجديد فى آخر جمادى الثانية بعد ما انعقد مؤتمر آخر بتزنيت تحت رياسة الامير الجديد فبعد ان تمت الصفقة عن اتفاق الحاضرين اعلن ان الزحف الى احتلال مراكش هو الذي سيكون باكورة الاعمال ، فاجرى النظام

تعينت الرؤساء على القبائل وكان ذلك ساذجا ، لان الرؤساء هم هم بانفسهم وانما اجرى ذلك كعادة لتوطد قدم الامارة ، وحين كان للفقهاء يد طولى فى هذه الحركة برزوا الى الميدان فكانوا اصحاب الشورى على حين ان القواد الرسميين الذين كانوا اولا هم تبع ، وان قدم بعضهم اليوم قائدا على اخوانه ، وفى ذلك اليوم تعين القائد المدني على الاخصاص واحمد بن الطالب على اخوانه ايت عبلا والقائد سعيد البعقيلي فى وزارة الامير – ثم عين عدد الفرسان الذين سيرافقون الحملة الى مراكش ، فكان ذلك على حسب كبر القبائل وصغرها ، فالكبيرة خمسون فارسا والصغيرة بقدرها ثم تسابقت القبائل تهدي الى الامير الجديد والهدايا هي عربون اعلان الطاعة والهيبة يقابل الجميع بطلاقة الوجه ، وبوعود اوسع من فيافي بني اسد فى صحراء العرب وللبعقيليين جد فى هذا الامر. فلذلك استولوا على الوزارة ، ثم عينوا مائة رجل او اكثر مسلحين يكونون الحرس الخاص فى جوانب الامير حكى لي حاك انه كان اذ ذاك هناك ، فاشتاق الى أن يرى وجه الهيبة ، فقيل له اجلس هنا على راس عال بعد صلاة الجمعة حتى ترى امامك رجالا قصار القامات ، متسخي الثياب متسلحين يقدمون كبكبة من الخيل ، عليها غرابيب سود ممن لبسوا الالبسة السوداء ، ومن بينهم واحد عليه مظلة يرفعها عبد يسمى صَنْبَا فاعلم انه مولاي احمد الهيبة فى حرسه الخاص ، قال وكان اول من اهدى اليه طلبة بعقيلة فى نحو 100 كيسين من السكر فاضافهم فاجازهم بثلاثة اكياس ، فانقلبوا مغتبطين

القبائل تترى الى تزنيت

بين عشية وضحاها اصبح اسم مولاي احمد الهيبة على طرف كل لسان ، وقطب الاحاديث فى كل ندوة ، وحضرته فى تزنيت قبلة كل ءامال. فسالت الطرق اليها من رؤساء القبائل وطلبتها والمتفقرين منها حتى عبدت اليها السبل فى رجب وحتى اصبح المثول بين يدي الامير الجديد مصدرا للشرف يتطاول به السابقون وحافزا عنيفا لمن هم بعدهم لاحقون حتى اصبحت تزنيت كخلية النحل فراجت التجارة ، وفتحت الكنوز واستجدت الالبسة كانما تستمد من الآمال التي استجدت فى الناس بنجاح فكرتهم هذه بهذه السهولة وقد انحشر هنالك من العلماء والرؤساء الاستاذ علي بن عبد الله مع الاخ سيدي محمد الالفيين ،

والشاعر شيخنا الافراني وسيدي البشير بن المدني الناصري وسيدي المحفوظ الادوزي وسيدي ابو بكو الايچيو'ازي الاقاوي والاديب المانوزي وسيدي احمد بن الحاج عبد الحميد الايلا'لني وكل من يحمل بنانه قلما. ولم اعلم ممن تخلف عنه من العلماء المشهورين الا العلامة عبد العزيز الادوزي. والا الاستاذ احمد بن مسعود البونعماني وسيدي سعيد بن الطيب الاچماري وسيدي الهاشم التيميچيدشتي وامثالهم من القليلين الذين عقلتهم الفكرة الصوفية . فقنعوا بما بين ايديهم فلا تجد ميكروبات الطمع من الشهرة متعششا فى ادمغتهم وفكرتهم ان وقت الدفاع عن البلاد قد ازف ولكن يرون ان اهل سوس ليسوا بمثابة تولي العرش المغربي وقد كان الامير الجديد يبسط يده لهؤلاء العلماء الذين لبوا دعوته ويعدهم ويمنيهم ولا اسهل من انقياد علماء الدين اذا عظموا ووعدوا بالمقامات السنية فكان الهيبة حقا يمثل دورا مجيدا من الكرم فكل ما يتوصل به من الرؤساء الذين يقدمون الهدايا ، يعطف به على الطلبة والمتفقرة ، وأمله بذلك ان يستولى على القلوب فى اليقظة ، وعلى الاحلام فى المنام فتم له ذلك. فما شئت من كشوفات واحلام تدوي بها النوادي ، وتتموج بها الاحاديث ، حتى ليصدق من كانت له وقفة ومن يسمع يخل خصوصا من امثال العلامة الصالح سيدي الحاج عابد المسلم المخلص وقد كانت قبائل بعمرانة والاخصاص وافران ومجاط وولتيتة وجبال جزولة واقا وازغار كلها من السابقات بالهدايا ثم لايكتفى فى ذلك بالهدية العامة التي تقدم باسم القبيلة بل كثيرا ما يجتمع اناس فيقدمون باسمهم الخاص هدية تزلفا وتعرفا بالامير الجديد ، وتبركا به وهو فى نظرهم هبة من السماء لانقاذ البلاد وهدي العباد وكذلك ارباب الزوايا قدم الجميع هداياهم واعترافاتهم بالامارة الجديدة. فلم تتأخر منهن زاوية وربما كان من المهدين هؤلاء ما يضحك الثكلى. ويصير طرفة يتندر بها الناس. فمن ذلك ماحدثني به بعضهم قال جلست فى تلك الايام فاذا باناس قصار من ايت صواب ، على رأس كل واحد منهم خنشة صفيرة من الكتان خلقة فيها حفنات من التين اليابس . اتوا بذلك هدية ثم انهم اعلنوا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يتقدمهم بضعة اقزام فلم يبق هناك من لم يغلبه الضحك ورأيت ايضا ءاخرين قدموا باسم قبيلة ايت والياض فى شبه ذلك وقد قدموا ايضا هدية تافهة بصورة مزعجة تستثير الضحك من الحزين ، وجاء ايضا رجل قاميء القامة اهوج من قنن الجبال ما نزل منها قط الا اليوم. فأخذ

بيده حفنة من اللوز ليقدمها بيده الى الامير وهــو مستو على اريكته فى فسطاط فحاول الاعراب ان يحولوا بينه وبين المثول بين يدي الهيبة ولكنه جاذبهم حتى ترك فى ايديهم خرقا من قميص كتان عليه فوصل بيــن يديه ونصفه مكشـوف فلم يبق هناك من له عينان الا غلبه الضحك واقبل ايضا طالب يقدم طائفة من الطلبة بيده علم احمر جميل فوق مفرسه مــن العلو جامور صغير من نحاس ـ ومثل ذلك غريب فى سوس ـ فأسر بعــض الحاضرين من شياطين الطلبة الى بعض الاعراب ان لا يرجع الطالب بعلَمه فان السلطان بمثله اولى فأزيلت الراية من صاحبها مرغما وهــو يبكي فكانت هي الراية الكبرى على راس الامير الجديد ، كأنها (الـدّر َفـس) الراية الفارسية المشهورة واخبرني بحكايات تشبه ذلك . ولو تتبعنا مـــا يهديه البسطاء لاميرهم الجديد لوجدنا حتى الجراد المشــوي ، لانه ممـــا يتهاداه الناس فى وقته وقد تذكرت الآن ما كنت اسمعه من ان بعض القواد الشلحيين السوسيين كانوا يقدمون الى المشهــور ايام مولانـا الحســن فى مراكش فيعلنون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعليهم خنيفات[1] مخطط ما وراءها فيكونون كالسينما الحية هناك ما شاء الله ولكن مولاي الحسن يقابلهم بما يستحقون ويعذرهم ويصبر على جفوتهم وكذلــك يفعل السياسيون الدهاة وما مقصودي بسوق كل هذا هو الاحمـــاض فحسب بل تصوير الحالة ومقدار اهتبال الناس بمن جاءهم كمنقذ للامــة بعد ما مد اليهــا الاحتلال مخالبــه

تحية الادب السوسـي للاميـر الجديـد

لا فض فوك يا ربيب المدرسة الالفية ايها الاستاذ الشاعر المفوه سيدي الطاهر الافراني فقد خلدت الادب الالفي بنفثـاتـك الرائعــة وقضيت للمدرسة التي خرجتك بأنها مدرســة ادب اندلســي حي قبل ان تكــون مدرسة بيوع الاجال ومناسخات الفرائض وجدول الصفة المشبهة

وفد الاستاذ الطاهر فى اول الوافدين مع صاحبه الاديب البشير ابــن المدني الناصري واخيه القرشي فكتب الى الامير يستأذنــه فى الدخــول بهــذه الابيـــات :

---

1) الخنيف : ثوب ابيض غليظ من كتان . كذا فى القاموس . وهو يطلق فى سوس على سلهام اسود غليظ مـن الصـوف

يا خير من مــــدت لــه الاعـــلام ... وتعطـرت بثنائـه الاقـــــلام

واجل من يأوى اذا مـــا راعـــه ... سـرب الضلال لركنه الاســـــلام

بالباب وفـد حثهم شـوق الـى ... رويا سنـا يجلـى بـه الاظـــلام

ولدا ابن ناصر الامـام وطاهــــر ... مــن لم ينلهـم فى هـواك مـلام

فعليك يا تاج الملـــوك ودرة الــ ... ــشرف الاصيل تحية وســلام

ثم لما مثل بين يديه القى على مسامعه هذه القصيدة الرنانة التي لاشك تنبه ادباء ءال ماء العينين الى ان فى سوس ادبا رائقا جزلا يستمد من نفحات اشبيلية يوم كانت لاشبيلية ءاداب

بنود بريح النصر والعـز تخفـق ... والسن بيض الهند بالفتح تنطـق

وروض المنى غض الازاهير مونـق ... ووجه الهدى طلق الاسرة مشـرق

وكوكب سعد الدين باليمن طالـــع ... وبـــرق تباشير الرجـا متالـق

ببيعة نصر احكم السعد عقدهـــا ... واسسهـــا يمــن وراى موفـــق

وابرمهـا امــر مــن الله شــــده ... على الطوع عهد المومنين وموثـق

خلافة سلطان الهدى شمس هالة الــ ... ــسيادة بحـر بالندى يتـدفـق

محط رجاء القصد مــأوى لراغب ... امام هزَبْر العزم يَفرى ويخلق(1)

اجل امرء مدت له راحـة الرجـا ... واكرم من تحدى لجدواه اينـق

رضيع المعالي درة الشرف الــذي ... نماه الى ادريس عــزٌ وٌ محقـق

خليفة رب العرش احمد من عــلا ... محياه انوار الهـدى تترقـــرق

سليل الكرام الصيد اقطاب دارة الــ ... ــمكارم من راقوا واوج العلا رقوا

اهلة افلاك الحقائق من هـــــم ... اذا سوبقوا فى حلبة المجد سبـق

فمن مثل مولانا ابن مامـيــن انـــه ... لدين الهدى تاج به ازدان مفرق

ومن مثل در التاج وارثه الـــذي ... هو المنهل العذب الزلال المصفق(2)

هو الشمس ما العينين مولاي خير من ... لحضرته يهدى الثنـاء المخلـق

عليهم تحية الرضا ما شدا علـــى ... غصون النقا وهنا حمام مطـوق

هم العرب الفر الميامين ان دعـوا ... اجابوا وان هموا بامر تحققـوا

وان عاهدوا وفوا وان قدروا عفوا ... وان ملكوا عفوا ومنوا وارفقـوا

---

1) فَرَى الجلدِ : قطعه. وخلقه : قدركيف يقطعه ، وهو مثل يضرب لمن يعرف كيف يسوس الامـــور

2) تصفيـق الشراب : تصفيتـه

لدى النادي بحور لدى الندى ... سيوف اذا جدوا اسود اذا لقــوا
سئلوا اهتزوا ارتياحا الى الندى ... وان مدحوا غضوا حياء فاطرقــوا
القوم اما حبهـم ففريضـــة ... وبغضهم الكفر الصراح المحقــق
ليل اما عرضهـم فمطهـــر ... واما ثناهم فهو خمر معتـــق
سماء المكرمات تشابهـــوا ... فخارا فكل فى السيــادة معــرق
ان مولانا الخليفة فيهـــم ... كبدر حواليه الكواكب احدقــوا
زادهم فخرا خلافته كمـــا ... يزيد جمال الغصن والغصن مورق
بيعة جأت على خير طائـــر ... وللدين والدنيــا اليــه تشــوق
افتر ثغر الدين وانشرح الهدى ... واعلن بالتكبير غرب ومشـــرق
طلعت فى مشرق العدل شمسها ... وقد كــاد ليل الظلم والكفر يطبق
يد الايمان واليمن عقدهـــا ... واجمع اهلوه عليه واصفقـــوا
دلهم النور المبين عليـك فاستـ ... ـدلوا وهل يخفى من الصبح رونق؟
انت اميـر المومنين المظفـر المـ ... ـطاع واهل الله جند وفيلـــق
وانت احق الناس بالملك من يــرد ... نِواءك فهو فاسد الراي اخـــرق
نخل مقولات الملاحم جانبـــا ... وسَلْ ظبات السيف فالسيف اصدق
قاتل عدو الله فالله ناصـــر ... وحاب بمال الله فالله يـــرزق
وسر ظافرا بالنصر سفيك حيثمـا ... توجهت والحفظ الالهي محـــدق
فكفك مفتاح الاقاليم لــم تــزل ... ترقبها مصر ونجد وجلـــــق
هنيئا امير المومنين ببيعـــــة ... اتتك على شوق تغذ وتعنــق (1)
جمعت بها شمل الهدى بعد شتـه ... ورتقت ثوب الدين وهو ممـــزق
واسقيت روض الملك فاخضل عوده ... وهبت صبا اسحاره وهي تعبـــق
وذدت الردى عن سرح ملة جدك الـ ... ـنبي وعقبان الضـلال تحلــق
سيجزيك يا خير الملوك كما جزى ... ملوكا على ديـن المهيمـن اشفقوا
فانت لدين الله احوط كافـــل ... وانت بعهد الله اوفـى واوفـــق
بقيت بقـاء النيريـن مظفـــرا ... وعقدك مشدود ومدحك مطلـــق
اليك امير المومنيـــن زففتهـــا ... مهنئة لا عـن صبـــوح ترقـــق (2)
فان تك مـن حلـى البلاغـة عاطلا ... ففي اذنها قــرط الثنــاء معلـــق
وان قصرت فى قدر مدحك انـــه ... لبحر وهل ياتي على البحر منطق ؟

الاغـــذاذ والاعنـــاق : من انـــواع الجـــري

الترقيق عن الشيء : التكنية عنه . والصبوح بالفتح : مايشرب صباحــا . وذلك مثـــل والمقصود انه لاغرض له ولا حاجـة

كفاها افتخارا بالعلى ان جيدها   بمدحك يا اندى الملوك مطوق
اذا ما جلاها المنشدون تضوعت   كما ضاع من دارين مسك مفتق

وقـال ايضـا يخاطبـه :

هذي مرابع ليلي قاقض ما وجبا   ونث من سر (ما العينين) ما احتجبا
واربع على الربع واذكر جيرة رحلوا   وخلفوا الوجد والاشواق والكربا
وارو بالدمع ان شح الجياد منـا   ساعد فيها على اللذات شرخ صبا
ايام نلهـو بوصل البان لاعـذل   يخشى ولا كاشح واش ولا رقبـا
من كل غيد اءان شيمت فبدر دجى   وجهاوفرعا وانشمت فنشركبا(1)
اذا انثنت غار غصن البان او بسمت   غار بها الدر او رنت تغـار ظبـا
لله ايامها الاءي سلفـن كمـا   هبت بنفح اللوى والرقمتين صبا
مرت كما مر طيف زار مكتئبـا   فسره نائما فحيـن هبـا صبـا
ما ان تذكره وان سـلا زمنـا   (الا شكى او بكى او حن او طربا(2)
فيا مرابع ليلي هل تعود لنـا   فيك الليالي بامثال الذي سلبـا ؟
ويا مرابع ليلى لابرحـت كمـا   عهدت ملعب غزلان مريـع ربـا
ويا مرابع ليلـى لاعـداك حيـا   كما همي سر (ما العينين) منسكبا
نفع بلا ضرر صفو بلا كـدر   امن بلا حذر ، فيض فما نضبـا
عين الشريعة بل عين الحقيقة بل   هامى الانامل بل بحـر ندى عذبـا
غيث الارامل بل غوث العوالم بـل   انسانها بل سناها الكاشف الحجبا
شيخ هو التاج والاكليل فى رتـب   العليا فزان جمال فضله الرتبـا
فهو المقدم فى كل المظاهر لـم   تلحق بغايتـه الابـدال والنقبـا
بذ السوابق فى علم وفى عمـل   فلـم يصلـه مجل لا ولا كربـا
اما العلوم فبحر طـم زاخـره   لذا رمى جوهر الابحاث منتخبـا
سل عنه تلك التاليف التي بـرزت   ازاهر الروض بل زواهر اشهبـا
له عنا كل من عانـى الفنـون فان   جارى الى غاية مثا احرز القصبـا
ان قيل فقه فمالك وان ذكـروا   نحوا فمنه الخليل يجتدى الطلبـا
وان جرى الشعر والنثر المحبر فالـ   ـبديع من بحره يغترف الادبـا

---

1) الكباء بالكسر : العود الذي يتبخر بـه
2) شطر لابن سهل من قصيدة له مشهورة في ديوانه المطبوع

اما التفاسير والآثار فهــو ابــو	بجدتها واليه تنتمـي نسبــا (1)
لا تيتـم علـم القــوم قاطبــة	فى عصره كان امــا برة وابــا
الى مناقب اجلى منذكاء واكثرمن ال	ــنجم لا ياتـي عليهــا نبــا (2)
لو رام ذو لسن احصاءها لغــدا	بما تواتر منهــا يمــلا الكتبــا
سر كما صاب يوما صوب غاديـة	فانبت الكـلا الملتـف والعشبــا
اذا دعا لمحــب فالهنــاء وان	دعــا على ظالم فحَــرَبٌ ووبــا
احيا من المجد رسما بعد ما دثــرت	منه الطلول وكادت ان تصير هبـا
بهمة لا تنى مهما انبرت لمــدى	الا اذا ادركت من نيله الاربــا
وعزمة حدها امضى وانفــذ مـن	اسنة شرعت لغـرض وظبــا
خط المراحل فى سير القلوب الـى	ان حطءَ فيما وراء الحجب القتبـا
قطب هو الجامع الفرد الذي خضعت	له المراتب وانقاد الذي صعبــا
نور لمقتبس جــدوى لملتمــس	نعمى لمبتئس رحمـى لمـن تكبـا
بث المعارف والاسرار محتسبــا	فليس يظمأ من فى بحره شربــا
وطاب ذاتا وسرا ظاهرا وثنــا	واحرز المدح موروثا ومكتسبــا
وشاد ما اسـه ءابـاؤه وهـم	مـا هم وورثَتَـه ابنـاءه النجبـا
توارثوا نوره من بعـده ففــدا	حيا وكان براي العين قد غربــا
هم الحماة حماة الدين اسد وغـى	سم العدا انجم العليا بحور حبـا
قاموا وقد خذل الانصار وامتعضوا	للدين اذ غيرهم خام فما انتدبا(3)
وقلـدوا امرهـم للـه درهــم	امضاهم فى الوغى سهما اسد شبا
ليث الكريهة من لم تدر راحتـــه	الا الندا واليراع والقنا القضبــا
اندى الملوك يدا اهداهم رشــدا	اعلاهم نسبا اولاهــم حسبــا
اوفاهم ذممــا اعلاهــم هممــا	اسماهم علمـا اقواهــم غلبــا
اعلى بني هاشـم عزا ومن فخرت	بــه البهاليل ءال مَا مِن العَرَبَـا
خير الخلائــف احمد المظفـر منـ	ــصور اللوا خير من اولى ومن وهبا
فالله يسعد مولانــا وينصــره	ما رنحت سحرا ريح الصبا عذبــا
مولاي دونهــا بكــرا اذا بــرزت	تاهت على غادة مقصــورة بخبـا
همت بنشر ثناء الشيخ قدســه	الرحمان حق الثناء لو تمدئبِبَــا

1) المعلوم ابن بجدتهـا لا ابو بجدتها نعم ابو عذرها . ويصلح ابو عذرتها على الاصل لعله هــو المقصود اصالــة .

2) ذكــاء بالضم ممنوعــا من الصرف : الشمــس .

3) خـام عنـه : نكـص وجبـن .

فاقبل واغض وسامح واسترن وصن   فالعذر باد ومن للعير ان يثبـــا ؛
عليكم وعلى الاطهار اصلكـم الـــ   ـــزاكي سلام يوفى قدر ما وجبا
ثم الصلاة على اصل الوجود وعين الـ   ـجود افضل من مشى ومن ركبـا
وءالــه وعلى الصحب الاهلــة مــا   لاحت كواكب غدر ان السما حببا

وقال ايضـــا هــذه النونيـــة

دعت للهوى بعد الصبا اعين العين   فلبيت اذعانا وطوع المهادينـــــى
خرائد ابدى الخدر منهن غـــادة   كشمس على غصن على حقف يبرين
غزالية وحشيـــة غيـــر انهـــــا   تتيه على الغزلان بالدَّل والليـــن
تميس بعطف كالقنا متأطـــــــرا   وتسطو بسيف منظبا اللحظ مسنون
وتسفر عن ابهى من الصبح زانـــه   ازج كعطف القوس او عطفة النون
وتبسم عن احوى اللثات موشّرا   كدر نظيم فى القلادة مكنـــون (1)
خدَلّة ساق علبة الردف بضعـــة   مهفهفة يسلوبها كـل محـــزون (2)
تتيه بافراط الجمال كما زهـــت   بدولة مولانا الرضا خطة الديـــن
امام الهدى بدر الدجنة احمدا بـــ   ـــن مولاي ما العينين من ءال مامين
نجوم توالت فى سماء العلا فيـــا   لهم من نجـــوم مشرقات ميامـين
اضاءت بهم كل البلاد واشرقـــت   بنورهم الصحرا الى مشرق الصين
حووا كل فن من فنون العلا وفزت   من بعدهم بارث تلك الافانيـــــن
هنيئا أمين الله حقا بجمع مـــا   تفرق من ازهـــار تلك البساتيـن
فانك غوث بل وغيـــث فاينمـــا   حللت فثم كل بشـــر وتاميـــن
وانت الامام المرتضـى والخليفـــة   المعان بتايد ونصـر وتمكيـــن
اضاءت بك الدنيا وعم بك الهنـــا   بعز ذوى التقـوى وعز المساكيـن
فاصبح جند الله باللـــه غالبـــــا   بجدع عرانين الاعادي الملاعيـــن
فهاذي مقاليد العبـــاد اليك عـــن   تراض وطوع يا اجل السلاطيـــن
فقم وتوجه حيث شيت فلا تـــرى   سوى كل ما احببت فى كل ما حين
بقيت لدين الله منتصـــرا بـــــه   ومعتصما ءامين ءالاف ءاميـــن
عليك سلام الله ياكعبة النــــدى   كما حل وسمى بروضة نسريـــن

---

1) مقصوده انه مكنون فى الصدف اولا . واحوى اللثات مؤشر هو الثغر وتلك اوصافه . واللثة بالكسر : لحم الانسان ، والحوة هنا : حمرة الى سواد . والاسنان المؤشرة : اذا تساون ولـم يتراكب بعضهـا على بعـض

2) امراة خدلـة : غليظـة السـاق مستديرتهـا .

وازكى صلاة الله ما هبت الصبـــا   على جدك المختار طه وياسيـــن
وإصحابه الزهر الهداة وءالــــه   واتباعه ما شوقت اعين العيـــن

وقال لما جاءت قبيلة ايلالـن للبيعـة

ابا مولاي قـد وافـت هلالــة   فليل السعد قد ابـدى هلالــه
نهم جيل عن الاحكـام اعصـى   وانـأى من ثريـا والغزالــة
ولكـن سعـد مولانـا اذا مـا   رمى غرضا قصا فهـو الحبالـة
ادام اللـه امـرك فى اعتـزاز   تدين له الجبابر لا محالـة

وقال حيـن جاءت هوارة بمائـة فـارس :

نور الهداية والتوفيق قد سطعـا   والنصر بالرعب والتمكين قد جمعا
نقر عينا وطب نفسا فانـت بهـا   اولى وحبك فى الاقطار قد زرعـا
بشرى بدولتك الغرّ او سيرتك الـ   ـمثلى ونجم سعودك الذي طلعـا
فاللـه ينصـر مولانـا ويسعـده   سعدا ويدنى من الامال ما شسعا

وقال ايضا وهو يستأذنـه فى الوداع ليلـمّ بأهلـه

اقسمت بالمجد والعلياء والهمـم   ان الخلافة قد اوت الى حـرم
اوت الى ذروة العز التي فخـرت   بفضلها العرب العربا على الامـم
اهدى الورى رشدا اندى الملوك يدا   اصفى الموارد ارواها لكل ظـم
بدر السعادة درة القـلادة حضـ   ـرة السيادة مغنى العزم والكـرم
اجـل متـزر بالمجـد معتجـر   بالحمد منتصر بالله معتصـم
مولاي احمد محمود السجية مـ   ـشهود المزية بدر كاشف الظلـم
فالله يكلأه حفظـا ويسعـده   حظا وينصره بالسيف والقلـم
ما غرد الطائر الشادي ضحى وحدا   حادي السري سحرا بالاينق الرسم
هذا ورؤياك فى الدنيا هي الفرض الا   قصى وخير المنى وغاية النعـم
فالحمد لله اذا روى بها ظمـاي   والحمد للعيس بعد العزم والهمـم
فانت فى دولة الاقبال شمس هـدى   تاج الملوك ملوك العرب والعجـم
وقد دعاني الى توديع سيدنـا   داعـي الضرورة لامس من السأم
بقيت للدين والدنيا وسيفك منصـ   ـور وسيبك يحكي وابل الديـم

هذا وقد ذكر المؤرخ الرفاكي انه كتب اذاك الى الهيبة بهذه القطعة اول ما ورد عليه :

بيابكم زور عبيد الدار — نسبته حقا الى الاجرار
غرضه من فضلكم مفاوضة — في امر ما اهمه واجرضه
مستحرما به بما العينين — مستشفيا لرمد العينين
عليك منه اطيب الاعراف — ما حن محرم الى الطواف

فأجاب بخط يده

يا مرحبا بكم واهلا مسهلا — ابناءنا وناقة وجملا
يومكم يوم سعيد سلسبيل — لم تره بثينة ولا جميل
غرضكم يقضى بفضل الله — بلا تريث ولا اشتباه
عليكم من السلام اطيبه — افوحه انشره واعذبه

ولبعضهم يوم جاءت قبيلة ايت صواب ـ ولعله سيدي الحبيب السكرادي ـ

لقد عاد الزمان الى الصواب — غداة هدى قبيل بني الصواب
قبيل في جبال شامخات — واوداء عميقات صعاب
وان بلادهم والكل يدري — لا منع من مبيتات العقاب
امير المومنين اتاك كل الا — نام غداة جاء بنو الصواب

وقال الاديب محمد بن محمد التوتلي التملي من ابناء الادب الالغي يهنئ الامير بالبيعة وقدمها اليه في منتصف رجب بعد البيعة العامة :

شمس الهداية اشرقت من مغرب — فمحت ضياء البدر بله الكوكب
قرت بها عين الهوى من بعد ما — قد اصبحت تقذي بحزن مكرب
ذرت ففاض شعاعها واستاصلت — عرق الضلال فزال كل الغيهب
يا طالما ضن الزمان بمثلها — فحكى لدى التمثيل عنقا مغرب
تيها بها يا مغرب قد حزتها — ايها فقد اعطيت خير المنصب
تيهن بفرد كامل ذي همة — قعساء عزت ان تنال بمطلب
خير الخلائف احمد المولى الذي — ما ان له في الكون ثاني المذهب

نجل الكرام السادة الغر الالـــى سادوا الورى طرا بسر معجـــب
ماء العيون ونورهـا وسوادهـــا عين الحقيقة بغيـة المتطلـــب
عقد على جيد الزمان مرصـــع بجواهر الاحسان لا كالمذهـــب
اضحى يتيمته فاصبح سابقـــا كل الورى من محسن او مذنـــب
بحر خضـــم زاخـــر لكنـــه عذب الزلال لِقَصْد فى المشـــرب
ورث المكارم كابرا عـــن كابـــر لا يعتنون بغيـر مجـد انسـب
خلق كما هبت بروض خميلـــة ريح الصبا سحرا بنشر طيـــب
او مثل زهر فتقـــت اكمامـــه در الغمام بطلـــه والصيـــب
حمـدا لمـن اولاهـم وحبـاهـم كل المفاخر دون سعي متعـــب
قد اصبح الدين اكتسى من عدلهـم عزا ومجدا ءامنا من مسلـــب
وبه افتخرت فلم ابال وان يكـــن فخـــر يشين فَهَبْنِ اول مطنـب
عجبا لقلب لا يريـــد تشوقـــا وتشوفـا للقائـــه المستعـذب
دم ناصرا ومجددا ركـن الهـــدى بسيوف بيض الهند رابح مكســب
وارح قلوب المومنين فما عســـى يجدي سوى حزم وعزم اصـــوب
بكتائب كالسحب امـا اقلعـــت كاسود غيل القفـر مهمـا تطلـب
تذر العدا صرعى تحوم حوائم الـ ـعبان تفـري هامهم فى السبسب
من كل قرم للحـروب يـرود مـا يزري لدى الهيجا ببرق خلـــب
يغدو ويصبح للوغى غضبـــان لا يعنى بغير مـدرع ومـــذرئب
ابقيت للدين الحنيفي مسعـــدا وتـذود عنـه كـل داء معطـــب
وتميط عنه بعد لك المقبول مـــا يغشاه من خوف البوار المكـــرب
واليكها حسانـة عـــذراء لـــم تمسس وتأنف غير اكفا الخطـــب
وتميس فى برد الفصاحـة تبتغـي حسن الرضا منكم بثغـم اشنـــب
منسى على مثـواك خيـر تحيـة تذكـو شذاهـا يزدري بالطيب

هذا وقد وقفت على قواف كثيرة للادباء السوسيين وللمترامين منهم على الادب وسأحرص ان اذكر فى ترجمة كل واحد ـ متى تعرضنا لـــه بمناسبة ما ـ ما يمكن تسطيره وان كنا لا نبالي باقوال الفالب التي تعد من سقط المتـــاع

الالفيون عنـد الهيبـــة

اما الاستاذ علي بن عبد الله فانه وفد اليه مع العلامة الافراني فى وفـد كبير من اول وهلة وليس عندنـا ما يستحق الذكر فى ذلك واما الحـــاج

ابراهيم الايفشاني فانه بعد ما توقف مع المتوقفين فى امره فانه سرعان ما اندمج فى الناس من غير ان يفد على تزنيت وانما اوفد احمد ولده ثم رجع فى هشتوكة ولم يسافر الى مراكش فكان من ذيول الرعيل اللاحق على ان تردده فى ذلك لم اعلمه الا من كتاب (الروضة) للرفاكي وانما الذي اعرفه اني وقفت له على رسالة كتب بها الى الفقيه علي بن احمد الاَسْكَاري ثم التهالـي ونصهـــا :

(ومن ابراهيم بن احمد الفشاني الى الفقيه البركة سيدي علي بن احمد چَسْكَار بمدرسة تاهالا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فلا زائد الا الخير والحمد لله هذا واعلمك يا سيدي بأن جميع قبائل السهل وما جاوره من حاحة الى وادي نول بايعوا المولى احمد بن سيدي محمد ماء العينين على الجهاد وغيره من كل ما اراد فيهم وانه سيد معظم ذو بركة فالله ينصره ويجبر كسر المسلمين به ءامين ءامين على ان يخرج اخاه خليفته مع عشرين فارسا لكل قبيلة من الحد الذي ذكرناه يريد مدينة تارودانت فالله ينصره ، وليعلم سيدي ان خبر الغرب وصلنا امس وقد استرجع المسلمون فاسا (1) ويسلم عليكم الفقيه الاجل ـ الذي فى سماء المعالي حل ـ سيدي علي بن عبد الله ويعود سلامنا على الفقيه الشريف سيدي محمد الكثيري وادعوا لنا بخير والسلام)

اما اخونا سيدي محمد الذي هو الثالث فيمن يمثلون الغ اذ ذاك فانه ما ذهب الى مولاي احمد الا بعد ان توطد له الامر وقد كان اذ ذاك صغيرا وانما انساق مع السيل الجارف حكى لي من معه اذ ذاك ان الوقت وقت حصاد ، والاخ مع كل الفقراء المتجردين وينيفون على الثمانين فى المعدر يحصدون زرع الزاوية من هناك . ثم طلعوا الى الزاوية ثم نزل مع الالفيين باستدعاء الامير الجديد برسالة خاصة وقد كان الاخ اشترى فرسا قبل طلوعه الى الغ قال ومن الغ ذهبنا الى تزنيت فى اناس قليلين فوجدنا الاعراب يقيمون الدنيا ويقعدونها بالارجاف بكل من تأخروا عن البيعة كالقائد الحاج محمد الاَغْبَالُويِي وامثاله فدخلنا فى عشية الى فسطاط مولاي احمد . فاستدعاني اليه (يقول ذلك الاخ سيدي محمد ـ وهو اذ ذاك كما بقل عذاره) فصار يمسح على رأسي كما يفعله الاكابر بالاصاغر

---

1) لا صحة لذلك .

ويرحب بي واول ما باداني به ان قال لي قد وجدت والدك الشيخ سيدي الحاج علي كما خرج من عندي الآن .. وانت مني بمنزلة المحب المكرم ولد من بين اولادي . فهذا الامر لا يقوم الا بامثالك فلابد منك وسأجعل لك مقاما عليا . واسنى لك مرتبة لا تتسامى قال الحاكي يقول ذلك لنا ونحن جالسون نسمع فوقع فى قلبي شيء بمجرد ما قال لي ان والدك خرج من عندي . ولست ممن يدفعونه عن تلك الكرامة فانه اهل لكل كرامة ولكن لا ينطق بمثل ذلك مثله الا مغلوبا على حاله. وهو ليس كذلك فى ذلك الوقت ثم انفتلنا من عنده فنسمع الاعراب يقولون ان المدفع الكبير يهلل يسمع نداءه بلا اله الا الله كل سامع قال فذهبت لاكتشف هذه الاكذوبة الحديثة فوجدنا المدفع فى محل بين بابين يلج الريح فى ثقبته فيتكون لها صدى فيموه الاعراب بمايقولون. وربمايختبي احدهم فى علية عليه. تقابل الثقبة فيهلل. فيأتي الصدى من الثقبة فيخدع ضعاف العقول بذلك هكذا حدثني ايضا عن هذا المدفع ثقة صدوق . وهو الشريف سيدي ابراهيم بن محمد بن اليزيد التازروالتي صهري وهو ممن لا يقعقع له بشنان ، ولا يطرق له بالعصا ــ ودينه يمنعه من افتراء امثال هذا . على ان قضية المدفع مستفيضة يتحدث الناس بأكذوبتها . وما يتصنعه جهلة الاعراب بوساطته سمعناها من كثيرين. وانما الذي انفرد به ما حدث به اول كلامه فكانت غريبة من احدى الغرائب المموهات التي ستسمعها امامك

انفتل الاخ من عنده وقد انساق مع الناس وتهيأ مع كل من معه من الفقراء الى ان يصاحبو الامير الى الحمراء فنزلوا بتزنيت فدفع لهم فسطاطين احدهما كبير الى الغاية . يحلق فيه جميع الفقراء . فكانت عدتهم 85 وكلهم من اصحاب الوالد وكبراء الطريقة الدرقاوية وفيهم من الافذاذ امثال شيخنا سيدي سعيد وسيدي مولود . ومن بينهم مبارك بن الحسين (ثائر تافيلالت بعد هذا الوقت) ولا شأن لهؤلاء الفقراء فى زهرة الحياة الدنيا الا انهم مجروفون بالسيل العام متبعون لابن شيخهم فيما يأمرهم به ولم يفارقوا مرقعاتهم وعكاكيزهم وسبحهم . وقد عمروا اوقاتهم باذكارهم لا يبالون بما يموج به معسكر مولاي احمد من حين انخرطوا فيه بتزنيت الى ان تفرقوا شذر مذر فى الحمراء كما سترى

مولاي احمد الهيبة يغادر تزنيت

خرج مولاي احمد من داخل تزنيت فى مختتم رجب الى خارجها فعسكر

امام باب من ابوابها فصارت القبائل تجتمع عليه . وفى كل عشية يجلس بعد العصر المجلس العام متصدرا فوق كرسي فى فسطاط وحاجبه محمد الامين الصحراوي والوزير القائد سعيد البعقيلي واقف وذلك الحرس الذي ذكرناه من بعقيلة قد وقفوا سماطين من باب الفسطاط الى بعيد والاعراب فيما بين اولئك يموجون بلا نظام فكلما قدمت جماعة هدية يعلن الوزير بقوله (يقول لكم سيدي بارك الله فيكم واصلحكم). فيبادر الحرس البعقيلي عند ذكر اسم الامير فيصرخون بلهجتهم الشلحية يقولون بلسان واحد (الله يبارك فى عمر سيدي) وكل ذلك تقليد من الوزير ومن هؤلاء لما كانوا رأوه من السلطان مولانا الحسن. حين زار سوس المرتين ولكن الوزير والحرس يقولون تلك العبارات العربية المصحفة قديما من السن ءال السلطنة برطانة شلحية يرتطنون بها تلك العبارات العربية المسكينة التي بليت مرتين. مرة بتصحيفها على السن الاعوان فى دار المخزن ، كما هو المعتاد . ومرة اخرى حين تلوكها هذه الالسنة الشلحية التي تتكلف النطق بها عن تلقين فيكون ما يدور كذلك فى تلك العشايا مهازل تستخرج الضحكات من اعماق الحناجر كما يحكي الحاضرون العارفون المتندرون الذين لا يعتبرون بما سكر به الناس من نخوة الدين والاستماتة فى الكفاح دون بيضة الامة ، هذا والمدافع فى كل حين ترسل طلقاتها الى عنان السماء فتصطك بها الاصمخة وترتج بها الاعصاب فتزداد بالجيشان بسالة وان ظهر فى بسيط سيدي بو عثمان فيما بعد انها من البسالة التي ذكرها المتنبي

واذا ما خلا الجبان بـــارض طلب الطعن وحـده والنـــزالا

مربيه ربه يتقدم الى الامام

تموج خارج تزنيت بالمتواردين من القبائل حتى كأن الناس كلهم حشروا هنالك . فما شيت من خيل ورجل وفقراء وفقهاء وطوائف الطلبة . واصحاب الالاعيب وقد تذكر الناس ايام السلطان مولانا الحسن فى المرتين اللتين نزل هناك فيهما وان كان الحال كما قال القائل

يا بارقا باعالي الرقتين بـــدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

رأيت فى رسالة الحاج ابراهيم الايفشاني المتقدمة ان القبائل وظفت على نفسها 20 فارسا لكل قبيلة تتقدم مع الخليفة مربيه ربه ليفتتح بهم الطريق.

ليكونوا مقدمة للجيش الذي سيقوده الامير بنفسه وكان مسير مربيه ربه في الرابع والعشرين من رجب قبل ان يخرج الهيبة من داخل تزنيت الى خارجها

القائد حيدة في تزنيت

رأيت الناس يتسابقون الى الاتصال بالامير الجديد وقد كانت حاجة من اوائل الناس المعترفين به ولكن لم يات احد منهم ولا قدم قائد كبير من مشاهيرهم وانما سرب القائد عبد الرحمن الجيلولي الى الامير كل ما يحتاج اليه من المال والفساطيط والاثاث ومثل ذلك في شبه سر وقد نسج الرأي على ان يكونوا ءاخر من يتصل به ظاهرا وان يكون ذلك بمراكش وان تسلك الى مراكش طريق (أَمْسكَرُوض) لا حاجة ولب ذلك كله من تلك اليد الخفية التي تحرك هذا الامر من وراء ستار. تحاول ان لا ينكشف امرها الى ان يتوطد الامر كما يراد وقد اتخذت المانية كل الاحتياطات لهذا السر، حتى انها استخدمت في ذلك ايضا مولاي عبد الحفيظ نفسه فقد جاء اذنه برسول خاص الى الهيبة، ينهي اليه انه مغلوب على امره في فاس فليفعل هو واهله ما يقدرون عليه (حدثني بها ابن يعيش الحاجب وسمى الرسول) وذلك غير بعيد واما رؤساء راس الوادي فانهم بعد ما عرفوا أن قبائل الجنوب استتب امرها صاروا يتسللون الى تزنيت فكان جميع القواد والرؤساء فيها وقلما تخلف واحد منهم كالشيخ الحسن التيبوتي والقائد العربي الضرضوري . وصغار قواد الجهة وكذلك الشيوخ المشهورون لم يتخلف منهم احد ثم لما جاء ولد كَابَّا باشا تارودانت في هيأة مخزنية وروعة تبهر الابصار باللباس والخيل الفارهة والرجل المنظم والقباب الرائقة. اهتزت تزنيت لقدومه . فكانت بيغة باشا تارودانت الممثل الرسمي لحكومة السلطان عبد الحفيظ خير بشارة تحمل البرهان الناصع الى الهيبة بأن امره في سوس قد رسخ . وان امارته قد ضربت اطنابها

وقد قال الاديب سيدي الحسن بن عبد الرحمن الاكراري يوم ورد ابن كَابَّا

الحمد لله قد اشرقت الشمس	وخامر الناس عن اجمعهم انس
وخامر الناس بشر لا نظير له	فانهال منهم الى اميرهم طيس (1)

(1) الطيس : الرمل .

اقبــل بهامتــك العليــــاء بيعتنــا	فالجن قد هــزه لنصــرك الانس
هــذا رئيــس ردانــة اتــــاك وما	تنظره بعــد وهــو للمــلا الـرار
الناس سكــرى ببيعــة الامــام فكم	يعتــاده مــن سكــره الميــس (1)
بقيت للدين حصنا لن تشيــر الى	ســواك فى غربنــا اصابــع خمس

واذ ذاك احس الناس بان القائــد حيدة قد تخلف عن البيعة وامر راس الوادي لا يتم الا به فاما العقلاء ممن يتشيعون للهيبــة فبقــوا في انتظاره على احر من الجمر واما بعض الاعراب فمــال علــى عادته الى الاراجيف ، فيزعم ما كان يزعمه فى القائد الحاج محمد الاَغْبَالُوِيِي فيقول ان الضفادع والذباب قد تسلطت عليه كأن الجراد والقمّــل والضفادع التي كانت فىاول الزمن معجزة نبيالله موسى ماانسأ الله فىءاجال نسلها الاليجعلها فى ءاخر الزمن كرامة تلوكها السنة هؤلاء ثم بعــد ان سافر مربيــه ربه تواردت الانباء بأن القائد حيدة قادم وكان الهيبة على اوفاز ليتبع خليفته. ولكنه تلكأ حين سمع بقدوم حيدة حتى يأتــي

فى يوم طلع القائد العظيم فى زينته وعلى اصحابه رونق انسى النــاس الرونق الذي ءانسوه من اصحاب كَابًا فكانت الخيول المطهمة ، والسروج الموشية ، والبغال الموقرة . والرجال الاماليد الاقوياء والفساطيط الجديدة. مما اعشى الابصار يوم جاء حيدة واصحابه . وقد كان اهل ازغار يعرفون هذه العظمة لحيدة يوم زحف مع القائد انفلوس سنة 1318 هـ فجمعوا ذكرى امس الى ما يشاهدونه ايضا اليوم فكان القائد حيدة مثلا اعلى للمخزني التليد الذي اوتي من العظمة ما اوتي من منظر يستوقف الابصــار ووقــار فى المجالسة يستمد من الخيال . فجلس له الامير فى العشية مجلسا احتفل له. فقدم القائد خيولا مطهمة من نوع الجنائب التي تختار للملوك لتكون زينة لموكب الامير ، وهل يعهد الناس اميرا بلا جنائب تقاد امامه ؟ ثم تقدم بعض الشعراء (ولعله سيدي الحبيب الجراري) الى الامير يهنيه بهذ النصر التام ببيعة القائد حيدة قائد قواد راس الوادي :

ليهنيك يــا مــولاي نصــر مــؤزر	وفــوز بكــل القائديــن معــزز
تواردت القواد حتــى اتــاك مــن	اذا لــم يجيء فالملك اجــذم ابتر
أتى الضرضري مع كــتّب لكن حيدة	به وحده النصــر العظيــم المــؤزر

---

1) كــذا

فحيدة راس الكل والغيــر ارجــل	وحيدة قاموس وغيــره انهــر (1)
له الرأي حقا والسياســة لا يــرى	سوى ما اللبيب الحاذق العقل يبصر
الا ايها المولــى الــذي تــم امــره	ولما يجــل راي ولا جــال عسكــر
لقــد نلت هذا اليوم عــزا ومنعــة	وملكــا عظيمــا شأنــه لا يسطــر
فقم لترى مراكش منــك ضيغمــا	عن المغــرب الاقصى جميعــه يزأر
فانت لنا المهدي لا شــك ويح مــن	لذلك مــن بعد البراهيــن ينكــر

ذلك ما قاله هذا الشاعر الذي لم يكتف ان يكون صاحبه اميرا حتــى صيره المهدي المنتظر وهذا غريب من هذا الشاعر لاننا ما كنا نعرف هذه الفرية يلوكها الا بعض الاعراب . وقد اخبرني مخبر ثقة . انه اجتمع مع محمد الامين الذي كان حاجبا للهيبة ومع ماء العينين الذي اشتهر بعد ذلك فى كتابة القائد المدني الاخصاصي . فقال الاخير منهما اننا لا نشك فى ان هــذا السيد هو المهدي المنتظر وان الدنيا برمتها ستفتــح له ابوابها عن رضا فى اخبار حكاها لي لم استحضر تفاصيلها كيف هي واخبرت ايضا ان بعض الاعراب هبوا الى رباط ماسة حيــن مر هناك فى مسامتته مولاي احمد الهيبة يستخرجون مسجدا مردوما هناك بالرمل وفى الملاحم ان ذاك المسجــد لا يستخرجه الا المهدي واحسب ان هذه الاحاديث هي التي بعثت شيخنــا ابا محمد حتى قال فى القافية المتقدمــة :

فخــل مقــولات الملاحــــم جانبــا	وسل ظبات السيف فالسيف اصدق

حقا قــال ابــو تمام :

السيف اصــدق انباء مــن الكتب	فى حده الحــد بين الجــد واللعب

واخبرني سيدي التهامي بن احمد الايليغي انه كان اذ ذاك صغيــرا فسمع الكبار فى الفائجة يقولون ان المهدي قد خرج فى تزنيت وسيقطــع رأس كل من لا يصلي ، قال فنذهب نحن الصبيان الى المسجد للصلاة خوف القتل.

ثم ان القائد حيدة نال من الامير فى اللحظة مقاما ساميا عظيما حدثني الاخ احمد رحمه الله ان رجلا ممن يداخل القائد حيدة ومن بطانته الخاصة

(1) انهــر يقصد به جمــع نَهر مع ان المعروف ان انهُر جمع نهــار . وانما يجمع نهر بانهار وجمــوع اخــرى ليس فيها انهــر فيمــا نعلــم .

حدثه ان الذي حمل حيدة حتى كان من المتأخرين فى بيعة مولاي احمد انـه كان يعرف اهل سوس ضعافا من كل جهة فلا يقومون بهذا الامر ، مـع معرفته اذ ذاك لاحوال المملكة المغربية وما يتهددها من الخارج وقد ادرك ما هنالك من قوة وعتاد لايمكن فى العقل انيقوم امامهما قائم. قال ولكن لما اكثر الناس فى الهيبة . وانثالوا الى بيعته من كل جهة وصار الواردون والصادرون يقولون ما يقولون . حاك فى نفسه ان الرجل ربما كان ذا سر رباني وذا قوة خارقة للعادة ، وربما يكون قوله وما يدعو اليه صحيحا وما اثر فيه ذلك التأثير الا كثرة اقوال الناس فيما يحكونه عن مولاي احمد ولذلك عـزم اخيرا على ان لا يبقى وحده من بين قواد راس الوادي خوفا على نفسه اولا واغتناما للدخول فى المسلمين ثانيا وقد كان الشيخ ماء العينين حدثه حين مر به فى سنته الاخيرة . انه ان سمع بشيء عن ولده احمد فليكن له خيـر معيـن قال الحاكي : فبهذه الامور جمعنا انفسنا واصحابنا فذهبنا معه فى قوة قل من اتى بها قبلنا من القواد وفى عشية وصولنا استدعاه مـولاي احمد فى الليل فبعد ساعة رجع الينا بغير الوجه الذي ذهب به فقال ءاه علينا وعلى انفسنا وعلى اموالنا وعلى اولادنا فقد اغرقنا الرجل واغـرق نفسه قال الحاكي فقلت له ايه احك لنا ما دار بينك وبين الامير فقـال تعرفون اننا نفتش عمن نتشبث باذياله لينقذنا مما نحن فيه فاذا بهـذا الرجل قال لي اول ما لاقيته مرحبا بك يا فلان فانك منـذ الآن والدي ، وامري كله بيدك فسقط فى يدي فنحن نفتش عمن نستند اليه وهذا الرجل يفتش عمن يستند اليه وذلك دليل على انه صفر من كل ما يقـال فيه . فماذا عسى ان اصنع به انا وانا ارى نفسي محتاجا الى من اسلـم اليه امري . قال هكذا حكى لنا ثم كتمنا امرنا وقد وجدنا انفسنا امـام الامر الواقع فماشينا الامور على مقتضياتها مسايرين للاحوال كما هي ــ هكذا حكى لي ــ والمتأمل لا يفهم باديء ذي بدء مما قالـه الهيبة لحيدة الا كلمة طبيعية فانه لو كان هناك سر خاص ايمنع منه الاستناد الى عاقل مجرب لينفسح الميدان ليظهر السر واضحـا ولكن حيدة الجاهل الغبي فهم مـا فهم

الهيبـة يتهيـأ للخروج من تزنيت الى مراكش

كان اهل تزنيت اول من ابرم امر الهيبة وقد اقطعهم من الوعود مـا اقطعهم اجمالا وتفصيلا منها ان جميع سروج خيولهم ستستبدل بالجديد

بمجرد دخول الحمراء ومنها انهم هم المقربون واهل الشورى وعيبة الاسرار وقد خلف اخاه النعمة على تزنيت فاوصاه باهل تزنيت خيرا وقد نظم هناك القضاء فكان الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالغي وسيدي الحبيب السكرادي البوسليماني وولده الفقيه سيدي علي والفقيه العربي بن محمد بن العربي الادوزي وسيدي المحفوظ الادوزي ، وسيدي الزبير البوعمراني ، وسيدي الحسن بن عبد الرحمن الاكراري والفقيه الحسن العفياني ، والفقيه محمد اعمو التيزنيتيان هؤلاء وءاخرون قضاة يفصلون القضايا الشرعية وعلى رياستهم الفقيه المحفوظ الادوزي . وقد حكى لي الفقيه العفياني التيزنيتي انه كانت له دالة على مولاي احمد فدخل عليه في هذه الايام التي علا فيها كعبه فقال له كيف انت ؟ فقال في امر عظيم فقد نفست السيدة ولا اجد ما انفق فتبسم فامر له بخير كثير من كل نوع وحكى لي ايضا انه دخل عليه ايضا فسامته والمجلس حافل فصار يحرك السبابة والابهام يشير الى الدراهم يفعل ذلك في حجره وهو ينظر اليه من غير ان يراه احد . فتبسم فأعطاه ثانيا قال وسألني مرة محمد بن عبد العزيز — وكان من انقى الناس ككثيرين من هؤلاء السادة الصحراويين ولا يكذب منهم للدعاية الا قليلون — اصحيح انك تأخذ من الخصوم في النوازل ما تأخذه ؟ فقلت له نعم فقال ان ذلك حرام فقلت له ان اولادي تحل لهم الميتة ومن اين المعيشة ؟ نعم ان جعل لنا اميرنا مئونة كافية فاننا نكف عن ذلك فقال اصبروا حتى تفتح المراسي لسيدنا فقلت له ان المصارين المتعودة للعشاء والغداء هي التي لا تعرف الصبر فقال سارد الامر الى سيدنا ثم استدعاني الامير فجرى ذكر ذلك فقال لي مولاي احمد خذ ما كنت تأخذ فانني قد اذنت لك ومن هذه القضايا تعرف نواحي من سياسة هذا الامير الجديد، من المساهلة للاخذ بزمام القلوب.

في طريقه الى الحمراء

جاء القائد حيدة فتسمى كبير المحلة والقائد العربي الضرضوري فتسمى العلاف وكان اعرابي يسمى الطيب هو الامين الكبير وقد خلف الهيبة اخاه الشيخ النعمة على تزنيت وعلى كل القبائل الجنوبية فخرج مولاي احمد ءاخر يوم من رجب او اول شعبان فكانت منازله الى ان دخل مراكش 14 منزلة وفي كل منزل يمون اهلها المحلة . والعام مخصب والخير

كثير ــ والناس فى فرح وبهجة عظيمين وقد انتشوا بنشوتين نشوة الدفاع عن الوطن ونشوة الملك الجديد الذي فىايديهم . وقد تراءى لهم العالم كانه في أكفهم مطويا، وفى كل مبيت تفرق المئونة حتى يكتفي الناس. من كثرة مايقدم الناس عن خواطرهم بلا ازعاج وكثيرا ما يأتي الناس باواني مطبوخة من خبز وطواجين وكسكسو وادام والجيش جراد منتشر وقد انضم اليه كل من اراد ان يعيش تحت ذيل الامير الجديد ثم سار الناس فى امن وطمأنينة ونظام فى الجملة ، لان من وكل اليهم حفظ النظام قد مرنوا على ذلك فى المعسكرات المخزنية . فكان الناس لا ينزلون الا حيث انزلوا تتقدم الاثقال والفساطيط فتنزل اولا ثم يأتي الناس بخيلهم ورجلهم بعد ذلك وقد نظم حيدة ذلك بقدر امكانه وقد سألت بعض من هناك اذ ذاك فقلت له الم يكن لصوص ؟ فقال ان الناس لهجوا بكرامات مولاي احمد حتى انه لمخوف فى شربة ماء . لو نهى الناس عن شرب الماء . فقد كانت تلك الايام كأنها ايام نزهة من كثرة الخير والامان والاماني المعسولة التي يتذوقها الناس سمعت من شيخنا سيدي سعيد التناني رحمه الله يقول اكثر الناس اذ ذاك فى كرامات مولاي احمد . واما انا فلم ار من ذلك الا واحدة ان كانت تعد له كرامة . وهي فقدان الذباب فى المعسكر من لدن خروجنا من تزنيت الى ان دخلنا مراكش . مع ان الفواكه واسباب الذباب موجودة

اما اسماء المنازل التي نزلوها اذ ذاك فهي هذه كما املاها من يعرف الطريق وكان فى الجيش اذ ذاك ــ وعليه العهدة ان وقع فيها غلط ما ــ :

1 ــ اَتبـُّان فى ضواحي تزنيت .

2 ــ فوق وادي ماسة . وهنا وقعت واقعة وذلك ان بارجة ظهرت امام اكادير فارسلت قنابرها عليه . الا ان الله حفظ اكادير ، ولم يصب فيه الا صبيان اثنان ، فبادر الهيبة فأرسل نحو اربعمائة من الفرسان الى اكادير تحت قيادة الحاج مسعود بن ابراهيم البعقيلي ثم لم يحاول من فى البارجة الخروج فرجعت . ثم تابع الملك الجديد سيره . ولا ريب ان الخوف من مهاجمة البواخر فى ساحل حاحة هو احد الاسباب حتى تنكب طريق حاحة الى طريق امسكرْوض .

3 ــ اِدا وْمْحمد بهشتوكة

4 ــ الاثنين باولاد التيمة بهوارة فوق وادي سوس وهناك استأذن عليه شاعر حضرته ابو محمد سيدي الطاهر الافراني بهذه القطعة . لقضاء غرض يحتاج اليه :

يا خليفة ربه يا مجير الدين	يا خير من اتى الوفد بابه
ان بالباب عبدك الخادم الطا	هر يرجو اللقا لينهي خطابه
فعليك السلام يا ملك الار	ض وبحر الندى وبدر الغيابة

وكان يوالي عليه من القطع والقصائد فى طول الطريق وفى وسط الحمراء ولكن غالب ذلك ذهب مأسوفا عليه يوم الهزيمة. فالقى السوسيون كل مامعهم من متاع وزاد حتى القى الاديب ما معه من مسودات ادبياته ، وهذه القطعة نفسها مما ذهب لولا ان واحدا من رفقاء الاستاذ يسمى (أومحمد) قد كان حفظها فأملاها فى الرجوع فكان (اومحمد) سبب تخليدها فليخلد اسمه معها قال الاستاذ سيدي محمد بن الطاهر ابن شاعرنا هذا انه ذهب فى ذلك نحو 500 بيت وفى بعض هذه المنازل جاء باشا تارودانت وهو كابئا من العبيد المخزنيين

5 ـ أمسكرُوض وهناك امر الامير القائد سعيد بن مُحمد الجاطي بأن لايرافقه تنازلا عند رضا المجاطيين الذين اعلنوا انه لايمكن ان يضمه معهم مجلس . ولا يقرنه معهم قرن . وهناك ايضا استدعى الامير الاخ محمدا فطلب منه ان يتخابر مع قبيلة اِدَاوزِيكِي ليفتحوا الطريق للجيش طلب منه ذلك لما اخبر به من ان تلك القبيلة كان عندها الشيخ الالفي مقدسا. ثم قال للاخ انك رئيس تلك القبيلة منذ الآن فجرت المخابرة فأسرعوا الى الاجابة واظهروا كل النصيحة حين سمعوا انهم افلتوا من قبضة القائد المتوكي وخلفائه الذين كانوا منهم فى مغارم اثر مغارم

6 ـ أسِيفْ نِّيجْ ويحسب من ادا وتنان وقد بادرت ايضا هذه القبيلة التي ما كانت تعرف الا العصيان دائما للمخزن الى الدخول فيما دخل فيه الناس ، وكذلك كل تلك الجبال من اِدَا ومَحْمُود وغيرهما وقد اخذ الناس شبه سحر فتهافتوا للمثول امام الامير الجديد ولم يتخلف احد للنعرة الوطنية التي تحركت فى كل القلوب وللنخوة الدينية وكراهة الاستعمار.

7 ـ تيمْزچَادِيوِين فى اثناء قبيلة ادا وزيكي ثم اهتز الحوز كله باخبار الهيبة وقام الناس وقعدوا ، واستطال المحكومون على رؤسائهم من القواد الكبار ، وقد طرق ءاذانهم ان هذا الامير ينادى ان لا قائد على احد فتفتحت عيون العامة وجاشت قوى القواد ولولا خوف القائد المتوكي من العاقبة ولولا انه يخاف ان ينبز بغير الاسلام ، وهو ما لا يرضاه لنفسه بعد ان تظاهر بالصلاح وحب الخير ، واعلان شأن القرءان والعلم وذويهما . لولا

ذلك ما امكن للهيبة ان ينحدر من ثنية اِمِيِنْتَانُوت ، ولكن راى الناس كلهم
قد التفتوا الى تلك الجهة . فلفت عنقه معهم مرغما ولا يعرف ما يصنع
الا ذلك ، وهو يرى عيانا انه لا يمكن ان يعتمد الا على قبيلته متوكة وحدها ،
واما سواها من القبائل التي استولى عليها فقد اشرأبت الى الانفلات من يده
ورأى ان السياسة تقضي مماشاة الحال الى ان يظهر كيف هذا السيل
المتموج من جهة سوس . وقد سبقه صدى هائل مقيم مقعد من الاخبار عن
قوة ملحوظة ، وغير ملحوظة . وقد راعه ان يتفق كل ءال سوس هذا الاتفاق
الغريب . ثم هو ايضا بدوره من الذين يرون ما يرون فى الدار البيضاء وفي
غيرها من الاحتلال ثم الحماية وقد رجع وشيكا من فاس بعد ما ءانس من
ضعف الدولة الحفيظية ، وخصوصا بعد توقيع الحماية فبهذه الاسباب
وعشرات من امثالها راى ان لا يقف صخرة الوادي فى وجه هذا السيل
الطافح لئلا يكون اليوم عرضة للالسن ، وغدا عرضة للعنة التاريخ وللرجل
حقا غيرة اسلامية لا تنكر وقد كان ارسل اولا جواسيسه الى تزنيت حتى
كان على بينة من امر الهيبة ، وذلك على يد مولاي احمد من ءال الشريف
الهشتوكي ولذلك تريث فانساق مع الواقع فأوعز الى خليفته العربي
فلاقى الهيبة فى هذا المنزل ــ تيمزچاديوين ــ فقدم الهدية وادى الطاعة
ثم وقف مع قبيلة اِدَاوزِيكي ليكون هو الدافع للمئونة لانها محسوبة من
قبائلهم فقاومه رجالات منهم فصارحوه الشر فانكمش ثم ان هذا
الذي صنعه المتوكي غاية ما عليه . وكل ما يطلب منه . فهو ثاو بمراكش مع
اقرانه من اساطين قواد الجنوب ولا يمكن له الا ان يرسل احد خلفائه
فها هو ذا الخليفة العربي قد ادى عنه الطاعة . فكان يجب ان يهتبل به . وان
ترعى له حرمته وان ينزل منزلته التي ينزلها ولكن بعض الاعراب
الفوضويين الذين لا يعرفون الا ان يسكروا فيعربدوا من الرشفة الاولى من
هذه الكأس . قد ساموا العربي باهانة عظيمة ما كان ليخنع لها لو كان يجد
الى غيرها من سبيل . فقد صار السفهاء من الاعراب يقابلونه بالشتم وجها
لوجه وينادونه بلقب (المَصْوبْر) اي الراضي بذمة غير المسلمين مع سب
عنيف ، والزيكيون والبَنْسِيرِيثون ينظرون ويسمعون فيشمتون به لانهم
قاسوا على يده ما قاسوا حين كان يحكم عليهم خليفة تحت يد القائد عبد الله
المتوكي والخليفة العربي اشجع رؤساء متوكة وما كان ليطرق اطراق
الشجاع لو راى مساغا لنابيه وهل هذه السياسة من الاعراب الا سياسة
خرقاء فاسدة ؟ وهب ان ذلك من السفهاء فقط فأين السلطة العليا اذن
او ليس ذلك من الادلة الواضحة على الفوضى ؟

8 ـ ثم فى قبيلة انبِنْسِيرْن

9 ـ ثم فى اِمِي نتَانُوت وهنالك قدمت قبائل حوزية طاعتها منها قبيلة كدميوة وقد قدمت للاخ فرسا فتقترح ان تكون منضَمَّةً اليه بادَاوزِيكِي فمن تلك الثَّنية اطل الهيبة وجيشه الى السهل الافيح فى الحوز وما وراءه وهيهات ان يطوى تلك البسائط ويستولي عليها من لم يجل جولة الابطال . ونحن نتذكر الآن تلك الرسالتين اللتين كان الثائر ابو محلى والشيخ يحيا الحاحي تراسلاهما فى (امي‌نتانوت) ثم فصلت القضية بعبارات الاسنة وصفائح الصمصام ، حيث لا تغني العبارات المنمنمة بالاقلام فان كان ثائر اوائل القرن الحادي عشر الشجاع سقط فى احواز (چليز) فسنرى من ثائر اوائل القرن الرابع عشر ذي السبحة والتميمة كيف يكون فى احواز (چليز) وليس بيننا وبين 25 من رمضان الا شهر فقط فنشاهد الواقع ماثلا بين اعيننا ـ ولا جديد تحت الشمس فالوقائع تتشابه ان كانت اسبابها ومقوماتها من وتيرة واحدة

10 ـ فى السباعيين ازاء دار القائد اِرْعَا وقد كان تقدم بطاعته الى الهيبة ، وقد استبشر هو وقبيلته بهذا الاميرالصحراوي الذيسيجدعون به رغما انف المتوكي الشلحي الذي هو عدو السباعيين الوحيد وقد كان لهذه القبيلة تعارف كبير مع ءال الشيخ ماء العينين وكثير من العلماء السباعيين قد اعتنقوا الطريقة الماالعينية من قديم ولذلك ابتهجوا من اعماق صدورهم حين تلقف ولده الهيبة الصولجان وتسنم الامارة يرون من ذلك اماني معسولة كانوا قبل يتذوقونها من بعيد تخيلا ، ولهذا مال الامير وجيشه فنزلوا فى ذلك البسيط . وتنكبوا طريق القاهرة فمزوضة مع انها اسهل واظل باشجارها ، والوقت صيف شديد الحرارة الى الغاية ، وقد ارسلت ساقية ماء من وادي القاهرة نحو منزل الجيش ازاء دار القائد اِرْعَا ولكن لم يصل الماء الا بعد ما مضي هزيع من الليل وقد قاسى الناس من عدم الماء شدة ولاقوا عنتا وقد سمعت ان الخليفة ابو السلام المتوكي تلقى الامير مبايعا فى هذه الدارة

11 ـ فى مزوضة تيامن الامير مع جيشه فى اليوم الثاني الى الدير الذي يوجد فيه الماء حتى نزلوا دار القائد هناك وفى هذه الليلة رئي هلال رمضان وقد هنأ شيخنا الامير بدخول رمضان بقوله

ايا شمس الضحى يا بدر تم — ويا غوث الورى يا سيف عزم
ويا ملكا أعز الدين عزا — افاق به الهدى من غشى هضم
ويا من جوده جود ورؤيا — محياه المنور خير غنم
هنيئا بالفتوح اتتك عفوا — على قدم الرجاء وشهر صوم
هو الشهر العظيم القدر تعطى المنى فيه ويمحى كل جرم
فكم من رحمة تنهل فيه — وكم غيث من الافضال يهمى
وكم من جنة تجلى وجن — يفل وكربة تكفى وهم
فشهر الصوم حصن الله يغني — ويقني من يعظمه ويحمي
ومن ينهك حماه ولم يصنه — رمته اسنة تدمي وتصمي
فما رمضان فى الازمان الا — كمولانا لدى نفع وحطم
يفيث بفضله قوما لنصح — له ويحل نقمته بقوم
ادام الله سعدك يا اماما — احل الدين عزا فوق نجم
تطيع لامره الميمون طوعا — وكرها فرقتا عرب وعجم
ولا زالت صوارمك المواضي — تصيب شياطن الاعدا برجم
عليك من التحية ما يباهى — ذكى الورد والمسك الاحم

وكذلك هنأه الفقيه الرفاكي بقافية اخرى توجد فى ترجمته بين الاچراريين فى (القسم الرابع)

وحكى لي القائد محمد المزوضي الذي هو القائد هنالك اذ ذاك ان الهيبة ما كاد ينزل من اِمي‌نتانوت حتى تمشت الفوضى ، وتتابعت المناداة على الرؤوس انه لا قائد ولا رئيس . فلا تسل عما وقع فى الناس . واما كل من كان قبل ذلك رئيسا فانه اصبح فى حرج شديد وخوف على نفسه وماله . وهذا هو الفساد بعينه ولكن مقصود الهيبة ان تفرح به العامة وان تكون فى صفه فيبقى الرؤساء وحدهم وقد صح له ذلك اياما ثم تعجلت بلوى الفوضى فأصبح الناس فى خوف ونهب الى ان جرف ذلك من مع الهيبة نفسه

12 — **فى فَرْوِجة** نزلوا هناك فى هذا اليوم الاول من رمضان واما مربيه ربه فقد وصل مراكش وفتحت له ابوابها فدخلها

13 — **تَاصَنْفْصافْت** هناك لاقاه رؤساء مراكش والقواد الكبار

منها كما سنبينه وهناك سمع من مع الهيبة ان المراكشيين بايعوا احد ابناء مولاي رشيد ففال رأيهم قريبا فقال شاعر الحضرة الافراني

قد قام نجل رشيدهم	لكن تخطاه الرشد
فاقام يوما او اقل	فلم ينل ما قد قصد
فذكرت بيتا مفردا	فيما تقدم قد ورد
(ما قام عمرٌ وفى الولا	ية قائما حتى قعد)

وهذا الذي سمعه الشاعر ومن معه كذب لا اصل له قطعا فلم تحاول بيعة احد فى مراكش اذ ذاك وانما حاول عسكر قليل مقاومة ثم انضم الى الهيبة بعد ما ثار على رؤسائه

14 – صهريج البقر

15 – مراكش .

هذه هي المنازل التي نزلها الهيبة من تزنيت الى مراكش كما حدثت بها.

كيف فتحت مراكش ابوابها بهذه السهولة ؟

حكى لي باشا مراكش اذ ذاك سيدي ادريس منو قال كان القائد المدني الاكلاوي هو الصدر عند السلطان مولاي عبد الحفيظ منذ بويع وكان عيسى العبدي وزير الخارجية والمتوكي وزير كذا ــ ولم استحضره على التعيين واحسبه المالية ــ ثم سافر السلطان فوقع ما وقع حتى نزل بفاس . وقد هرب منه القائد المتوكي من وادي ام ربيع . وبعد زمن جاء القائد المدني الى مراكش ليشارف امورها ، وليطلع على الباشا الحاج التهامي رئيس الحمراء ثم لما اندحر الجيش العزيزي فى الرحامنة وتمهد الجنوب وقد راجع المتوكي الطاعة الحفيظية بعد ما صاحبه القائد المدني الى فاس فسد ما بين السلطان وبين الوزير المدني بسبب ثورة البربر على السلطان وقد نسب له سببها لما يسومهم به بعض كتابه من المغارم فرجع القائد المدني معزولا الى مراكش ثم ندبني انا السلطان لاتوصل بسلطة الحمراء كلها وقد جعلني باشا الحمراء وكبير القواد فى الجنوب وفوض الي وعزل الباشا الحاج التهامي ثم وقع السلطان الحماية فبدا للسطان ان يرجع

الباشا الجلاوي الى رياسة الحمراء بسبب وساطة بعض رجالات الحماية
فقاومت انا ذلك لانني لم اتوصل برسالة سلطانية الي وقد
عرفت ان السلطان مغلوب على امره ولما بيني وبين الوزير المدني وصنوه
الباشا من شنئان قديم عاندت فى الامر معاندة المستميت المخاطر وفى يوم
جمعة اعلمت بأن الباشا سيقرأ ظهير توليته على الحمراء فاستعددت
واوعزت الى المساجد ان لايقرأ فيها شيء . فبقينا فى هذه المشادة الجنونية
ونحن نسمع بأن السلطان يتزلزل عرشه ، ولما بيني وبين السلطان عبد الحفيظ
من الاخوة وحق التربية ءاثرت المغامرة حتى اسقط كسقوطه قال وفى اثناء
هذه المشادة قام قنصل الدولة الحامية ضدي واعترف انني كنت اعامله
معاملة غير حسنة . على حين ان ما بينه وبين الاجلاويين متلائم الى الغاية
فكنت اتردد فى ارجوحة الله اعلم بها وكنت مع انضمام قواد الحوز الي
والقائد الناجم الرئيس على بعض قبائل الحوز عضدي الايمن وهو ما هو
بسالة وقوة والجند السلطاني تحت يدي اشعر بضيق شديد وقد
اكفهر الجو فى المغرب كله . حتى لا يدري امثالي ممن لم يتخذوا قبل يدا عند
رجالات الحكومة الحامية ما ياتون ولا ما يدعون. ثم اننا — ونحن فى هذه
المشادة الجنونية. ومراكش كأنها سفينة نوح — شيع متنافرة. فهناك الاجلاويون
فى جهة وانا ومن الي فى جهة اخرى والقائد المتوكي من جهة اخرى يتلون
تلون الحرباء . ونحن كمن على الارجوحات المتعددة وقد بدأت الفوضى فى
القبائل الحوزية ودب الخوف الى كل قلب ، وفى اثناء تلك الدياجير طرقنا
ما طرقنا من ثورة الهيبة. فكان امره اولا مما نستهين به. ولكن لم يمض شهر
حتى ملأ كل قلب وغمر ذكره كل اذن ثم سمعنا انه قادم فبينما نحن
ينظر كل واحد فى نفسه وفى شيعته اذا بالقائد المتوكي قدم اليه خليفته
العربي بالطاعة فكانت اول خيط فى الاحبولة التي سننسجها
بارادتنا وغير ارادتنا وقد كنت مرة وراء باب فى داري فسمعت اصحابي
يقولون ايحسب الباشا اننا نقاتل معه السوسيين المجاهدين ؟ فلا والله
لا نمد اليهم يدا ثم دخل الفشل فى شرذمة عسكر كان تحت يدي فتملص
من ربقة النظام ولما كان بيننا نحن الرؤساء الساكنين بمراكش ما بيننا من
التفاقم صار كل واحد منا يتربص بالاخر حفرة يلقيه فيها اية كانت فاشتد
فيما بيننا الحذر الى ان وصل بنا ذلك الى الوسوسة . ثم لما نزل مربيه ربه
فى الصفصافة فى باب مراكش تلاقينا معه فى يوم شديد الحر ونحن لا يمكن

لنا الا ان نماشي الوقت لما بيننا اولا من الخلاف ولما لابس العامة كلها من
الدعاية الحافزة الى الجهاد والى الثورة قال : ثم ان مربيه ربه طلب ان
يدخل الى القصبة فأشرت عليه ان يبقى خارجا ومقصودي انا فى ذلك
شيئان اولهما نصيحة له ولامره ان اراد ان يمشي بها فى طريق مستقيم
وثانيها ان كل الديار المخزنية بالقصبة السلطانية قد امتلأت بالشريفات
ويخدمهن ، وامرهن موكول الي ولم يدعني ضميري ان يبتذلهن مبتذل
ثم لما رجعت من عند مربيه ربه ارسل الى الخليفة السلطاني مولاي ابو بكر
شقيق مولانا عبد الحفيظ فوجدته والبندقية فى يده غضبان يزفر نارا
فيقول ان هذا الانسان اراد ان يدخل داري وانا فيها فلا والله لا يطأها حتى
يطأ على جثتي . فقد ارسل الي الآن بذلك وقال انه قادم ، فهدات ابا بكر
فخرجت فاذا بمربيه ربه قد دخل فى خيله . فقلت له ان هذا غير لائق
بالرجل الآن فى داره . ولابد له من وقت ينقل فيه امتعته . ثم قلت له مل
بنا الى هذا المحل . فادخلته الى قبة فأرسلت اصحابه فأتوا بسرعة من
داري بالفراش وبما افطر به من الحريرة والاطعمة المهيأة ، والمغرب قد اظلت .
فتركته هناك نازلا ثم جزت على الخليفة ابى بكر فأمرته بعد ان يفطر ان
يتهيأ لدار عينتها له جميلة فأرسلت اصحابي فنقلوا متاعه ويعلم الله كيف
مضى عنا ذلك النهار وقد سبق فى وسط النهار أن جرى الى جار
فأخبرني بأن خيلا دهمت اجدال للنهب لان الفوضى التي اثارها الاعراب قد بدا
قرنها . فيترامى اللصوص على الناس فى وضح النهار فاسرجنا الخيل
انا واصحابي فى حمارة القيظ . فأسرعنا حتى رددنا بعض المنهوب والنهار
من الحرارة اتون مسجور ثم لم نكد نستريح حتى جاءنا شاغل ءاخر ممض
وفى العشي جاءنا امر هذا الاعرابي الذي يحلم بالمبيت على ارائك الملوك ثم
لا يسمع ولا يبصر ، وهو مع ذلك لا يعرف للسياسة معنى ــ هذا ما قاله
احكيه محافظا على عبارته ــ .

قال ثم لما نزل الهيبة فى تَاصنْفصَافت اجتمع من بمراكش من القواد
الكبار على ان يخرجوا دفعة واحدة مجتمعين بعد ما راوا الناس كلهم عن
ءاخرهم لم يتخلف احد منهم بالمدينة فقلت لهم يا اصحابي انني سألقي
اليكم كلاما فيه منفعة عامة . اياكم ان دخلتم على هذا الانسان ان تقابلوه كما
كنتم تقابلون الملوك باداء التحية الرسمية ــ التَبَنْدِقَة ــ وانما تصافحونه

لا غير قال : فخرجت مع القائد المدني ، والباشا الحاج التهامي ، والقائد عبد الملك والقائد العيادي ، وءاخرين في موكب كثير عظيم ، فلما وصلنا اذن لِي بالدخول لان لي اذ ذاك التقدم بمركزي فمددت يدي اليه . فقلت اهلا بسيدنا الشيخ الهيبة ناديته كما كنت ءالف ان اناديه به وصافحته كما كنت ءالف ان اصافحه ففرح بي ثم صار يتكلم معي واصحابي القوار واقفون خارجا فقلت له لا ينبغي ان نجلس هكذا وهؤلاء كبار الحوز وعظماء مراكش واكابر الناس واقفون خارجا فأذن لهم في الدخول فراعني منهم ان بندقوا كلهم كما كانوا يحيون الملوك العلويين فرايته يلحظني شزرا ، وقد ادرك انني من بينهم المخالف لما ينتظره منا ، فعلمت انا اذ ذاك ان هذا امر تدبر بليل ضدي ، ولكني لا ابالي لانني ما قدمت عليه حتى ارسلت لاخواني الهشتوكيين ومن بينهم الحاج الحبيب الفقيه الشهير فقلت لهم انني لا ادخل في يد صاحبكم الا اذا ضمنتم انتم ان لا ينالني منه سوء فحادثوه في ذلك واعلنوا له انني واحد منهم فان مست مني شعرة ولو باهانة او كلمة تسوء . فان كل الهشتوكيين سينفضون منه ايديهم . ويناصبونه العداء . صارحوه بذلك علانية . فأعلن انني لا ازداد عنده الا مقاما عليا ، ومكانة فوق مكانتي التي انا عليها فبهذا تمكنت في نفسي، فلم اخف منه . ولا اوجست من نفسي نحوه شيئا وانا اعرف الناس بخور عزائم امثاله من ابناء الزوايا في ظل السبح والاحترام المصطنع ــ هذه عبارته احافظ عليها وهو يتحمل عهدتها ــ قال ذلك اول ملاقاتنا بالهيبة وقد حثنا على الجهاد ونفض اليد من الاجانب . وقد كنت انا ارسلت كل الاجانب التجاريين وغيرهم الى ءاسفي قبل وصول الهيبة بيوم ، ولم يبق الا سفير الدولة الحامية . اوعزت اليه دولته ان لا يخرج من مراكش . وان كان ما كان وقد ابى ان يسافر معهم فئاواه مع اصحابه القائد المدني واخوه الباشا الحاج التهامي ــ وسنرجع الى اتمام ما وقع حول ذلك ــ ثم ان قائد المعسكر الاعلى القائد حيدة حدث انه حين عاين هؤلاء الاكابر في حضرة الهيبة اتصل به ، فقال له انني الآن سأبذل لك اعظم نصيحة عليها وحدها يتوطد امرك فاما ان تقبلها واما ان تردها ان اهل سوس حين اوصلوك الى هذه البلاد تمت مهمتهم ولم يبق من قوتهم ما ينفعونك به عرفت ام لم تعرف فانهم امام اهل الحوز كالدجاج في السلة لا يبدئون ولا يعيدون . فان اردت تمام امرك . فعليك الآن بهؤلاء الذين رايتهم فتفد بهم قبل ان يتعشوا بك ، فقد رأيت ما صنعوا باولاد مولاي الحسن فكيف تأمنهم عليك بعد ذلك ،

فوض الي فيهم الامر ، فلا تعرفهم الا معتقلين تنفذبهم البغال الى قنة من قنن الجبال الشامخة بسوس . فاذ ذاك يمكن لك ان تصطنع من هم اقرب الى نصحك . فأوعز اليهم متى جاءوك ان يبيتوا عندك ، ثم لا عليك وراء ذلك. فقال الهيبة (امان الله عليهم هم مسلمون ، وما كنت لاغدر المسلمين وهذا ختل وخديعة) هذا لفظه رحمه الله نسجله كما هو للتاريخ . قال حيدة فقلت له فى نفسي . لو اردت ان تسلك هذه الطريق لما ولجت هذا الباب الذي ولجت . وهل تتم الامارة الا بالحزم والعزم وبكل ما يقتضيه الحال من ختل وقتل ــ وكأنه ينشد له :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

قال سمعت منه ما قال ، فعرفت ان الرجل على وشك الوقوع فى الحبالة ، فنفضت منه يدي النفض الاخير فصرت اتطلب لنفسي المخارج فاتصل بالجانب الآخر

قال الباشا منو فاوضني الهيبة فى الدخول الى القصبة فقلت له لا والله ليست هذه بسياسة فان كنت جيئت الى الجهاد فى الشاوية فسر اليها واياك ان تدخل فيفسد امرك وتسعى فى عاقبة وخمة فقال لابد لنا من الدخول . وكان مقصوده ان يدخل ليقع على بيوت الاموال ، وانا ادري ان لا بيت مال هناك فرجعت فدرت بالديار التي فيها الشريفات فاغلقت ابوابا بالبناء عليها من الخارج وسددت النوافذ لئلا يجد طلاب الفسق اين يطرقون . فاوعدت عبيد الدار ايعادا شديدا ان وصل الى من فى الداخل احد . ولو كان ما كان الا عن اذني كررت عليهم ذلك مرارا

فى وسط مراكش

رأى الهيبة ما راى من تفجر كل من بمراكش اليه بقضهم وقضيضهم وهو رحمه الله لطيب سريرته أذن لكل ما يقال له . فاما ءال سوس الذين كانوا الحجر الاساسي فى امره . فقد تناساهم منذ اتصل بالقواد الحوزيين الذين يوالون اليه من الهدايا ما يبهره فقد كان السوسيون يألف منهم هدايا قليلة كالتين اليابس وحفنات اللوز ، وربما مثل حفنة الجراد والآن وصل لبلاد الثروة ولرجال الاطماع فصار كل قائد او شيخ متطاول الى قضاء غرض يغمره بئالاف من الريالات بله الخيل المطهمة والسروج

الغالية   وهو يعد كل واحد بقضاء غرضه كالقائد ارْعـا مثلا يتطلب مركزا عظيما في امارته يعلو به شأنه شأن المتوكي والاچلاويين ، وكالقائد عبد السلام البُورْبوشي يزدلف اليه لنيل القيادة على كل الرحامنة   وكرجالات كثيرين امثالهما يفيضون عليه سيلا مفعما يتطلبون الانتقـام من القـواد الكبـار كالمتوكي والاچلاويـيـن وامثالهم   على ان القائد المدني الاچلاوي سلك ايضا ذلك المسلك ، فكان في كل يوم يقدم هدية خاصة للامير ولحاجبه ولحاشيته حتى ملك القلوب . فاستطاع ان يتصل بما يُنوى فيـه وفي امثاله من الاسرار فبهؤلاء وبملاقاتهم والتوصل منهم بئالاف مؤلفة من الدراهم اشتغل منذ نزل من اِمي نتانوت لِبَسيِط الحوز فبقي كل من وراء تلك الثنية الى وادي نول نسيا منسيا في باله ــ على ما يقوله الناس ــ الا ما كان من الاعـراب الصحراويين فهم الكرش والعيبة وارباب الشورى   واهل الامر والنهـي ، والمتقدمون في كل شيء . والمنعم عليهم بنعم دارَّة لا تنقطع . ولو كان الاعرابي حديث العهد بالاتصال به ، هذا ما يحس به السوسيون ويدركونه من الهيبة . منذ نزلوا من اِمي نتانوت . ولا يوجد منهم من يعذره ويحمل اعماله هذه على محامل حسـنة   وسترى مغبة هذا الاهمال   وعقبى هذا التفاقم بين الامير والسوسيين . فها هو ذا قد اتصل بعد السوسيـيـن بمثـل ادريس منـو والاچلويـيـن والقائد المتوكي والعيادي ومن اليهم

قال الباشا منو هكذا عزم الهيبة على ان لا يبقى خارجا   وهو يصيخ لمن يقولون له . انك ان لم تستحوذ على مراكش بدخولها فلا يومن عليـك خارجها . وقد القى ظهريا ما اشرت به عليه حين قلت له يجب عليك ان تبقى خارجا ومعك اصحابك   وقد انتظم كل من معك في جيشـك ازاءك حيث تراهم ويرونـك   اما اذا دخلت فستكونون متوزعين في نواحـي المدينـة الواسعة   فتفرقون فيها   حتى لا يحسب لكم حساب   فيمكن ان يتلاعب بكم جميعا من حيث لا تشعرون ، ولكن لم يتبع ما اقول له لانه يتهمني وهو ــ وان اتهمني بحق لانني ما دافعته الا عن الدخـول على الشريفـات في دار المخزن ــ لقد القى مع ذلك وراءه من رايي ما هو الاجدر له ان يتبعه لو كان مفكرا يقرأ العواقب من العناوين   ولكن الرجل فائض الايمان   غائـض السياسـة

صاح صائحه فتحمل الى القصبة فازدحمت الابواب باصحابه يدخلون ايضا الى ظلال الجدران الوريفة ، والحرارة شديدة الى الغاية . والشهـد

يهر صوم فاحتل الهيبة القصبة فسأل عن مخزن الزرع فدللته على
(امراس) القمح الهائلة التي بقيت من ايام مولانا الحسن مصونة فجعل
عليها اصحابه يفرقها فى الناس ثم نزل اصحابه فى جميع الديار الخاوية
المنسوبة للمخزن حتى تجاوز الاعراب الحد . فيريدون ان يستخرجوا
الناس من ديارهم ليسكنوا فيها ولكنهم ازاء تصلب الناس قد يقنعون
بدراهم معدودة ثم يرجعون . وكذلك ظهرت منهم امور فى منازلهم غريبة .
وقد نزل التزنيتيون والاخ محمد واعراب كثيرون فى الباهية . وقد حاول
الإعراب مد فساطيطهم فيباحات قصورها. كما اتخذوا منها القباب المزخرفة
مطابخ يوقدون على الفسيفساء ويسودونها بالدخان ونزل القائد المدني
الاخصاصي فى الدار التي كانت دار البلدية اخيرا فى جامع الفناء وسواد
الناس فى الفنادق وديار الكراء فى اكدال ونزل سيدي الطاهر مع سيدي
البشير الناصري فى زاوية الشيخ ماء العينين فى (رياض الزيتون) وهم
السوسيون الذين لا يعرفون مثل تعدي الاعراب وجل الاعراب فى
فساطيطهم فى اكدال وتلك الباحات الفسيحة امام بو الخصيصات وحوالي دار
المخزن هكذا دخل الكل المدينة ففرقوا فيها كما يقع لنهر هائج
السيول اندمج فى البحر المحيط فانه يفقد حتى لا يحس به . ولا يحسب
له حساب .

قواف جديدة فى الامير

قال شيخنا سيدي الطاهر يهنيه باحتلال المدينة :

منت سعاد فئاذنت بوصال — وشفت فؤادا بالواعج صال
ووفت بما وعدت وكانت قبل ذا — موصوفة بتمنع ومطال
واتت اليك خريدة تسبي النهى — مختالة بجمالها الختال
غيداء ان سفرت فبدر طالع — حسنا وان لفتت فجيد غزال
قد كخوط البان رنحه الصبا — قد صاغه ماء الشباب الحالي
قيد النواظر عقلة المستوفز الـ — شحشاح وسواس الفؤاد الخالي(1)
بهنانة مهضومة وردية — الوجنات مسكية اللمى والخال(2)

---

(1) الشحشاح : فسر بالمواظب وبالغيور .
(2) البهنانة : الضحاكة الخفيفة الروح

اما سعاد فوصلها سعد كما ... سعدالزمان بدولة الاقبال
بقيام مولانا امير المومنين الهيبـ ... ـة البادي السنا المتلال
سر العلا ابن الشيخ ما العينين من ... ءَال ابن مامين بدور كمال
الفاضل ابن الفاضل ابن الفاضل ... ابن الفاضل ابن الفاضل المفضال
شرف كما اتضح النهار وسودد ... متناسق كنظام عقد لئال
فى همة تعنو لهَا شمُ الذرى ... لاترتضى الا عزيز منال
ورزانة لايستخف جبالها ... ماهب من ريحىْ صبا وشمال
وشمائل كالروض صافح زهره ... كف النسيم معطر الاذيال
وسعادة تحميه او تكفيه او ... تقتاد كل معاند بقذال
وندى كما صاب الحيا لايختشى ... فقرا ولا يعتل عند سؤال
وثبات جاش فى الهَزاهز لايرى ... متزلزلا لزعازع الاهوال (1)
يحمى الحقيقة عند مشتجر القنا ... ويبين عند تقمقم الابطال (2)
ما هم يوما همة الا وشد ... مصمما تصميم سهم نضال
لم يثنه عما يهم بنيله ... ملل ولا يعروه مس كلال
لما رأى دين الهدى سامته ايدى ... الكفر بالاذلال والاضلال
ورأى الخلافة ضعضعت اركانها ... نُوَبُ الردى وتتابعُ الزلزال
نهضت عزيمته فدارك ماوهى ... منها بعزمة ماجد صوءَال
وسرى الى الحمراء لامتهيّباً ... وكلا وليس بعاجز مكسال
فتزينت بقدومه وتيمنت ... بوروده الموفى على الامال
لم انس يوم دخولها المبدى سنا ... دين الهدى الجالى ظلام ضلال
كم ضم من عزٍ لدين الله او ... فخر يجل علاه عن تمثال
جيش كمسدول الدجا وقَوَارِه ... ككواكب تحت القتام العالى
فى موكب ضاق الفضاء بجمعه ... متموج بكباكب الابطال
والمالك البطل الهمام كأنه ... وسط المواكب تبّع الاقيال
مهما دجى ليل القتام جلاه من ... اشراق غرته شروق هلال
وجه كما طلعت ذكاء وعزة ... كالسيف يجلى متنه بصقال
يا ايها الملك الهمام اللّذْ بدا ... متوشحا بجلالة وجمال
المجد مجدك والسيادة قبة ... لك والوقار كساك ثوب جمال

---

1) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب الناسَ
2) التقمقم : الفرق فى الماء .

هنئتهـــا مراكشـــا وحلـــولهـــا متفيئـــا منهـــا بخيـــر ظـــلال
فامدد يمينك نحو فاس وبعدهـــا مصـــر فسعـــدك كافـــل بمنـــال
واخطب جميع ممالك الدنيا تنلْ منهـــا القبـــول فانت اعظـــم وال
وارم المشـــارق والمغـــاب كلهـــا تاتيك عفـــوا دون نصب قتـــال
واليكهـــا من خـــاطـــر متبلـــد حصر رمتـــه يـــد النـــوى بنبـــال
يفشى ثنـــاءك عنبـــرا نمت بـــه نسمات ذكـــر فى ريـــاض مقـــال
فعليك يا ملـــك الملـــوك تحيـــة موصولـــة الغـــدوات والاصـــال
ماحـــن مشتـــاق وما هبت صبـــا فاشتـــاق نـــازح غربـــة لوصـــال

وقـــال بعض السوسيين ايضـــا فى ذلـــك

مراكـــش تحنـــى امامـــك هامهـــا وتمد نحو يـــدى رضـــاك زمامهـــا
ومنصة الدين الحنيف تسل مـــن عزمات ملكك يا امـــام حسامهـــا
فالحـــق رفرف بنـــده فى حالـــق شمخت ذراه فترتضيك امـــامهـــا
دم صيب الحمـــرا وصارمها لكى ينسى الانـــام جهـامهـــا وكهامها(1)
فالله عـــونـــك دائمـــا فى رتبـــة سعد السعـــود وراءهـــا وامامهـــا
ما أنت الا النـــور مهمـــا لحت فى جنبات أيّ نحـــا ً أزلت ظلامهـــا
فالله ينصـــر سيـــدي ويحوطـــه نصرا يزيـــد من الجيوش لهامهـــا

وربما كان القائل هو الاديب سيدي محمد التوْنلـِـي المتقـــدم لانـــه كان فى صحبة شيخنا سيدي الطاهر اذ ذاك وللفقيه الرفـاكـــي فيـــه ايضا قصيدة تذكر فى ترجمته ان شاء الله فى (القسم الرابع)

عمـــل الهيبـــة واصحابـــه فى مراكش

اهتز العالم بدخول الهيبة لعاصمة الجنوب وكـــان لصدى ذلك فى الجرائـــد السيارة مالـــه ، فصارت الجرائـــد الشرقية تستكنه النتائـــج وتستبشر خيرا ، وقـــد راتْ الامر من بعيـــد بالمرءاة المكبـــرة وقـــد زاد المغرضون من الاجانب الذين كانوا من الحوافـــز لهذا الامر طنينا غريبـــا فوق ما كان فى الواقع والبسوا فعل الهيبة هذا حلة اخاذة تستحوذ على

(1) السحاب الجَهـام : لا ماء فيـــه . والسيف الكَهـــام لا يقطـــع .

المشاعر ، وتحسب لهذا الثائر الجديد الف حساب ،بذلك تصرخ الجرائر
على اختلاف لهجاتها ومبادئها فاولئك المفرضون فى فرح وسرور يعلنون
للعالم ان مسألة المغرب عادت جذعة وانه هاج هيجان البركان ضر
الحماية المضاة بفاس واما الدولة الحامية . فقد قامت بدورها توعز الى
جيشها الرابض فى ضواحي البيضاء ان يبادر لخنق هذه الثورة فى مهدها
قبل ان يندلع لهيبها اكثر مما اندلع فصار الجيش يستعد للوثوب الى
ما وراء نهر ام الربيع فيتقدم اولا لكبراء مراكش بالمخابرة الاخيرة لانجاز
الوعود ووصل الايدى وصلا تلتحق بـه الحمـراء بالبيضاء وذلك على
ايدي الكلاويين بمراكش وامثالهم ، ذلك مايدور فى العالم حول الهيبة
وهذا مايروج حواليه بين الحمراء الى البيضاء . وسننظر مايدور هو فيه
وما يجول فيه هو واصحابه لندرك اهو من الرجال الذين خلقوا للسمر
والبيض ام هو من الرجال الذين خلقوا للمناغاة فوق المنصات
للغيد البيض ؟

دخل الهيبة القصبة فصار باديء بدء يفتش عن مخازن الدراهم
عله يجدها ، فلم يقع منها على شيء فلم يـر الا اثاثا ومتاعا وخرثيا
وفرشا قد جعل كل ذلك مصونا فى الاصونة مودعا فى مخازنه كما هي
عادة ءال المخزن من المحافظة ، وجعل كل شيء مصونا كما ينبغي
وللعلويين فى ذلك يد غريبة فى الصيانة ، كثيرا ما يتحدث بها ربيب نعمتهم
الباشا منو ذلك كل ما وجده الهيبة مع الاهـراء المملوءة بالسلاح فى الامكنة
التي دخلها لانه لم يدخل الى الدار الكبرى ثم بهره مانالـه بسهولة من
تسنم العرش وقد رأى اهل الحضر على اختلاف طبقاتهم يمثلون بين
يديه فى خضوع والقواد الكبار الذين مـلأ صيتهم مسامع السامعين ،
يؤدون له التحية الملوكية ، فاراد ان يلبس لهذه الحالة لبوسها فأول
ما شوهد منه غلظ الحجاب وقد قام بذلك الدور محمد الامين الموسوم
برسم حجابته ، فكان يتجر بالاستيذان فلا يلتقى مولاه الا من ادى صرة
متدفقة ينوءُ دون حملها ، فوجد من القواد المثرين كالباشا الحاج التهامي
وصنوه المدني والقائد المتوكي والعيادي والقائد ارْعَـا وبعض قواد دكالة
شرطه على ماهو عليه ، فكانوا وحدهم من يفوزون بملاقاة سلطانه واما
السوسيون المدقعون كلهم بقوادهم ورؤسائهم وفقهائهم فأنى يرونه ؟ ام
كيف يخلصون اليه من تلك الابواب المكتظة بالاعراب المسلحين الذين يَرُدُّون

الجميع وقصدهم ان يشيدوا هيبة فى الصدور عظيمة ، وذلك حقا مافى
تقتضيه المقام ولكن ذلك عند السوسيين راي فائل سيء العاقبة ، هـذا
مايلاقيه السوسييون واما الاعراب فبالعكس فسرعان مايذهب اليه
منهم ذاهب فيشافهه فى الحين ، وقد فتح له ابناء عمه الاعراب الابواب على
مصاريعها حكى لي حاك من كبراء السوسيين انه تردد كثيراً لِمِلاَقاة
الهيبة حتى تيسرت له فاراد ان يساره فالتفت الهيبة الى بعض من
معه فخرجوا ، فبقى بعض الاعراب امام الامير وخلفه وعن جنبيه حتى
ان احدهم استدبره واحنى راسه حتى كاد يمس قذال الامير أفى هذا
الجو تكون المسارة كما يفهمها صاغية الامير ؟ مع ان الذي يذكره له الرجل
تعلق بامر القواد الكبار الذين يوالون اذ ذاك مؤتمرات اثر مؤتمرات ،
يتراءون كيف الخلاص من هذا الكابوس النازل عليهم ففقدوا معه أمناً فى
نفوسهم وفى اموالهم وفى اعراضهم وبعضهم مثل المدني الاكلاوي
لايزال كل يوم يتصل به فصار هذا الحاكي يبلغ كل ذلك الى الامير
فاجابه الامير بانه منصور بامرالله وباذنه. فلا يبالي بهم ولا بالمئات من امثالهم .
ولا شك ان ماقيل هناك يباع لمن يتجسسون تلك الاخبار ببضعة دراهم من
الطامعين الحاضرين وذلك عنهم متواتر وحكى التزنيتيون الذين سافروا
معه وقد كان وعدهم بما وعدهم به من السروج الانيقة يوم يدخل مراكش ،
انهم مالاقوه قط منذ توارى فى القصبة عن الانظار وانهم بعد ان تهيأ لهم
ان ينزلوا بالباهية كان هناك اعراب يختلفون الى الامير فيلاقونه فى
الحين فتقضى حاجاتهم والتزنيتيون لاملاقاة ولا قضاء حاجة وفى
يوم ورد اعرابي صحراوي عريان يتكفف فناوله احد التزنيتيين كسوة
وفى اليوم الثاني رجع الاعرابي فى لباس فاخر وقد لاقى الامير فعلت
منزلته بسرعة فقضيت له كل حاجة ـ فذهب الى التزنيتيين الذين تناول
منهم الكسوة امس ، يجازيهم خيرا ويعدهم بقضاء حاجهم بواسطته عند
الامير فقال هؤلاء بعضهم لبعض ارأيتم كيف منزلتنا اليوم من أميرنا
هذا فقد جاء هذا الصحراوي امس وبين عشية وضحاها علا كعبه
وشفت رتبته . ونحن الذين اسسنا لهذا الامر من اول يوم قد عدنا فيه
اذنابا بعد ان كنا نحن الرؤساء ونقضى نحن فيه الحاج ، اذا بنا فى موقف
يقف علينا فيه مثل هذا الاعراب الحديث القدوم فيمن علينا ان يقضى هو
حاجاتنا

فبينا نسوس الناس والامر امرنـا   اذا نحن فيهم سوقـة تتَنَصَّفُ

فلا والله لانرضى بهذا   ولا ننقاد بِبَرة الخسف   فاجفل غالبهم
ءائبين بغير اذن الامير من الحمراء الى ديارهم بسوس ، وليس التزنيتيون
وحدهم من وقعوا فى ذلك فانكفأوا الى بلادهم ، بل غالب السوسيين وقعوا
فى تلك المهانة   فخرجوا من ابواب الحمراء ينشدون ديارهم   ولم ينتصف
شهر رمضان حتى خرج كثيرون من عامة السوسيين ، ولم يبق الا الرؤساء
ومن لايزال يطمع فى الخير امام   لان الكل هناك فى دار غربـة   وما كانـوا
يستندون الا الى اميرهم   فاذ سقط بهم مستندهم فماذا يصنعون هنالك
بعد ؟ حقيقة يتوصلون من امراس المخزن بالمؤن على مراتبهم فى الطريق الى
الحمراء . ويتوصلون بعد ذلك ببعض اعانات اخرى ضئيلة ما داموا يترددون
الى الامين الطيب الصحراوي — وهو الامين العام من تزنيت — ولكن حين
فقدوا وجه اميرهم   وارتطموا فى الحضر وما هم من الحضر ولا الحضر
منهم   وحين صاروا يسمعون ما يسمعون من اعتكـار الجـو من ناحيـة
الشاوية   وقد راوا ان لافائدة يرقبونها بعدما خاب الظن فى الامير   تفككت
وحدتهم   وانحلت عراهم   فتتابعوا زرافات ووحدانا الى سوس   فامتلأ
طريق (امِيتَتَاتوت) بالراجعين بل بالفارين ان اردت صفتهـم الحـق .
حتى شيخنا ابو محمد الافرانى قد سئم   ونوى الرجوع   وهناك رسالـة
ظفرنا بها كتبها اذ ذاك من الحمراء الى الاستاذ الالفى المقيم بتزنيت ، يذكـر
فيها انه ضيق الصدر   يستاذن فى الرجوع ، ولو وجد مايربطـه لارتبط ،
ونسى سوس وما اليه . وقد وقع له ذلك فى الاسبوع الاول   فكيف بمـا
يليه من الاسبوعين الاخيرين   وستعلم من الرسالة امورا كثيرة مما هناك
اذ ذاك   نصهـــا

(شيخنا علم الاعلام ، وزينة جيد الاسلام   بركة الدنيا والدين   وبقية
الائمة المهتدين   سيدي ابو الحسن الالفي   حفظ الله حوزته من الاغيار
وادام مامنحه من الاقبال فى الايراد والاصدار   وسلام عليـه ورحمـة الله
وبركاته   سلام عبد متوحش حيران   سيم من اعباء البين وثقل الغربة
عن الاوطان   هذا وقد وصلت رسالة سيدى فاستفدنا منهـا مالا نجهله
من اقبال الخليفة عليه   واغتباط الخاصة والعامة بمقامه بتلك الحضرة
فنحمد الله على احياء تلك المراسم بكم ، وانتعاش امـر الديـن المتلاشى

بكم ثم سلامة الاحوال وعموم الامن ، وشمول العافية للاهل والاولاد
والجيران ، متعنا الله بدوامها ثم ليكن في كريم علم سيدي ان السلطان
المنصور بالله دخل مراكش يوم السبت 3 رمضان (1) من غير دفاع بعد ان
خرج من بها من العسكر والكبراء للقتال ، بعدد وعدة فالقى الله الفشل
في قلوبهم ، فاختلفت كلمتهم وخذلهم الله بما اسروا من حب الكفر
ونهبت قشالى العسكر ودور النصارى وهدمت وامتلأت ايدى العامة
من متاعهم وفرح اهل المدينة فرحا لايكيف وتلقوا بزينة وابهة ودخل
السلطان في جيش لايعرف كنهه الا بالمشاهدة فاستقر به القرار ، واطمأنت
الدار . وذل انصار الكفار وفر جميع من بها الا 5 كمنوا بدار التهامي
الإجلاوى الى يوم الثلاثاء ، فاضطر الى اخراجهم فقبضوا وسجنوا بدار
المخزن وسرح السلطان يوم الخميس المساجين الذين في السجن اجمعين .
ثم ان العدو الكافر اذله الله اقتحم بلد الرحامنة ، فاحرق بعض دواويرها
فاستغاثوا بالسلطان فاغاثهم بنحو 1200 فارسا مع خليفة واقتحموا
ايضا بلد دكالة ، فاكلوا دار القائد محمد التريعي وكان ممن يجاهدهم في
الله . ولا يقبل امرهم ، وسلمه الله وخلصه براس طمرة ولجام وهاهو
منتظر القدوم على الحضرة كما ان حركة حاحة والشياظمة منتظرة ، وقد
بويع لولد لمولاي الحسن يقال له مولاي يوسف بفاس ونصبه العدو
دريئة وقد قيل انه وصل الرباط ، وبالجملة فالعدو قد كلب والله يقي
شره ويكفي المومنين امره والتجي والكلاوي لم يظهر نصحهما
للمسلمين الا انهما مسلوبا الحيلة مبغضان الى قلوب الرعية ، ولا كيد
لهما اصلا واما العبد فمذ دخلنا المدينة ، ضاقت صدورنا وغلب شوقنا
وعرضنا على السلطان ان ياذن لنا في الاياب فتعلل بسرد الحديث
لشغلنا به والله يلطف بنا في كل حال ويحفظنا في كل حل وارتحال
بمنه . ونسلم على انجال سيدي واخوانه وجميع الاقارب والجيران والسلام
8 رمضان عام 1330 هـ ابناكما الضعيفان الفقير الطاهر والبركة سيدى
البشير امن الله الجميع)

وهاك ايضا قطعة خاطب بها الهيبة وقد ضاق به الحال حين تنوسى
كامشاله

---

(1) اي وصل امام سور مراكش . واما الدخول الحقيقي ففي الخامس منه

ايـا ملكا سمـا بفضـل وافضـال ... وفاق بجـود واسع الذيل هطـال
عليك سـلام مـن خديـم أحلـه ... ترامى النوى ركنـي خمول واهمال
تنوسي لا قـوت ولا منـزل فحـل ... منزل هـون فى فضـاء بأجـدال
يريـد لقـا المولى لينظـر حالـه ... ويكشف شكـواه بفضـل واقبال
وينشـد شعـرا ضم تهنئـة بمـا ... تيسر من فتـح ومن سؤدد عال
فقد جاء مرات فحجب لـم ينـل ... وصالا سوى ما نال من هَدِّ اوصال
على انني ما حلت عـن سنن الهوى ... ولا كنت خوان العهود ولا السالي
فعـذرا اميـر المومنيـن فانمـا ... تضايق بـي امري فبحت باوجال
وازكى صـلاة اللـه ثـم سلامـه ... على المصطفى المختار والصحب والآل

تلك رسالة شيخنا وتلك قطعته اللتان فيهما ما فيهما   فاما ما ذكر من ان مقاومة حصلت من عسكر خرج بمراكش   فلا حقيقة لذلك   والامر كما تقدم   وشيخنا يعذر لانه كتب ما سمع وقد رايت انه كان سمع ايضا بيعة ابن للرشيد   وكل ذلك غير كائن   وامـا اختلاف كلمة من بمراكش فحقيقة   وقد ذكرنا ذلك واسبابه كما هي   واما وقوع النهب فى مراكش فان ذلك من الفوضى التي تماشي هذا السلطان المنصور باللـه ــ كما سماه ـ على ان الفوضى لم تكن حتى احتـل مراكـش   فقامت ببعـض الاعـراب الخطافين النهابين   فوضى غريبة لم ينسهـا تجـار مراكـش الى الآن فالخبازات يقف عليها اعرابي فيجمع مـا يريد فى رُدن قميصه الفضفاض الاسود ثم يذهب ويقول لربة الخبز اتبعيني الى دار المخزن تأخذين الثمن فقد تذهب وتجول ما تجول حتى تعيى فترجع   وقد تغمض فتذهب لحال سبيلها باكية بكاء من لايرجو نصيرا   ويرد اعرابي على تاجـر فى دكانه فى القيسارية ، فيريه تلك السلعة وتلك وتلك   وهو يتناولها منه حتى يملأ ذراعه . فينفتل من باب الدكان . فيقول له الاعرابي ما يقول ابن عمه للخبازة تكرر ذلك مرات كثيرة ، حتى تناذر التجار . فأغلقوا دكاكينهم   ويقع هذا لكل ذي مبيع وهذا امر مستفيض ان لم يكن كله حقا ، فلا بد ان يوجد غالبه زيادة على ان من الاعراب من يأكلون فى نهار رمضان . ويقولون اننا مجاهدون وبعضهم يميل فى وسط النهار الى ديار الفساد   والناس ينظرون فيرغم الساقطة التي تألف احترام رمضان ، فيرجع باثمه واثمها بحجة انه يستحل ذلك بجواز نكاح المتعة   الذي كان مألوفا عندهم   او ما يقرب منه   وقد حدث كثيرون ممن نعرفهم ثقات ان الاعراب يقفون فى ابواب دورهم   فيعلن احدهم انه جاء لينزل فى هذه الدار باذن من السلطان   ثم يـراده رب الدار

حتى يتناول منه شيئا فيذهب وقد حدثني سيدي عثمان السفيوي وهو
انسان صدق انه انفصل مع اعرابي طلب منه ذلك بنصف ريال لا غير اخيرا
وعلى هذا فليقس الانسان هذا ما يقاسيه العامة واما الخاصة فــان
القواد الكبار ما طلع احدهم الى دار المخزن حتى يستدير به سفلة الاعـراب
يصرخون به (يالمْصَبْنِر) يا كافر يا عدو الله وربما رشقوه بحجارة او
حذفوه بالحصى حكى الباشا منو انه شاهد ذلك يوما على القائد عبد
الملك المتوكي وقد اكثر عليه سفهاء الاعراب قال فدخلت على الهيبة
فقلت له وانا غضبان والله ما هذه بحالة المسلمين فالقائد عبد الملك كبير
قومه ورجل ذو شيبة فى الاسلام وقد ادى الطاعة افجميل ان يسام
جهارا بهذه المهانة المخزنية ؟ فخرج الامر ان لا يعاود بذلك من الامير الحسن
النية الذي يظن به كل خير ولكنه لا يستطيع ان ياخذ بزمام الامر
وما هناك الا المواعظ الحسنة فتلك كل ما كان فى حين انه كان يجب
التنكيل برعاع الاعراب الذين يمثلون تلك الادوار الشائنة ولكن اين السلطة
فما هناك الا الفوضى قال الباشا منو وقف ببابي مرة اعراب يريدون ان
يمثلوا حولي مثل ذلك الدور ، فحملقت فيهم . واشرت لاصحابي ان يهشموهم
ان لم يذهبوا بحال سبيلهم فى الحال . فحين رأوا ما رأوا انخنسوا فذهبوا ،
تلك هي الفوضى الحقيقية التي قامت فى الحمراء بعد دخول الامير الجديد
واما ما ذكره من انتهاب ثكنات الجند فهو حقيقة لان الجند قد انتثر
نظامه وتمرد عن الطاعة ومسته ايضا الفوضى فصار كل واحد امير
نفسه فخلت الثكنات ــ وتفرق من فيها شذر مذر الا قليلا لا يستحق
الذكر ، وذلك ما حكى الباشا منو الذي كان الجند تحت يده واما النصارى
الذين ذكرهم فهم الذين تقدم لنا ذكرهم قنصل فرنسا ومن معه فقد
اووا الى دار الحاج التهامي اياما ثم اراد ان يسر بهم سرا الى اسفي
فوشى بهم واش ــ قيل انه القائد المدني الاجلاوي وقيل غيره ــ الى الهيبة .
فألقى عليهم القبض خارج سور مراكش فسجنوا فى دار بالقصبة فكانوا
شجى فى احلاق قواد مراكش الذين يعلمون ما يتهددهم ان مست شعرة
من احدهم وما قضية الطبيب الفرنسي القتيل بين ظهرانيهم بمنسية
عندهم وقد احتلت وجدة بسببها واما الاعراب ومن اليهم من الجهلة
الاغمار الذين لا يعرفون ما وراء ذلك فانهم يتهددون بقتلهم قال الباشا
منو ذهبت انا بنفسي الى الهيبة ابين له الموقف وان هؤلاء امرهم اعظم

مما يتوهم ، فصرت ارغبه فى تسريحهم بما يقترحه من الفدية (1) ولكنه تصامم امام ما اقول . واما الحاج التهامي فانه جمع عنده فى داره باستدعاء خاص غالب رؤساء سوس فاقام لهم حفلة كبيرة فصار يمت اليهم بالاخوة وقال انه من ءال وچاچ ــ زعما منه ــ فيرجو بهذه الرحم ان يتوسطوا عند الهيبة ان يطلق الاسرى هؤلاء وقال لهم انا اضمن له عقد معاهدة بينه وبين الدولة الفرنسية أن تبقى رابضة فى مكانها اليوم خمسين سنة فاجابوه الى التوسط فى ذلك ولكن الهيبة ابى كل الاباء وكأنه لم يرد ان يبت فى امرهم بشىء انتظارا للقائد عبد الرحمن الحاحي فان كثيرا من الامور العظام اذا نوقش فيها يقول لا نبت فى شىء حتى يأتي القائد عبد الرحمن الحاحي ، وحين خابت هذه السياسة التي تأسست على المخابرات مال الحاج التهامي ومن اليه الى الجد فى الامر ، وعلموا ان القضاء فى ذلك للحوادث التي لابد ان تقع قريبا واما ما ذكره شيخنا فى رسالته من امر التريعي فانه وءال دكالة وكذلك اهل تادلة قد بايعوا الهيبة اجمعون واما بيعة مولانا يوسف فقد وقعت 29ـ8ـ1330 هـ وقد تنازل السلطان مولاي عبدالحفيظ عن العرش. فأبحر من الرباط الى طنجة. وقد القى بعد ابحاره طابعه الملوكي الخاص فى وسط الامواج فخلفه مولانا يوسف الرجل الصالح الذي لا يليق فى ذلك الدور الا هو فاستطاع ان يحافظ على العرش لمن بعده فأرسل رسله الى جميع البلدان ومن بينها مراكش حدثني الباشا منو قال جاءت منه رسالة البيعة وقد ندبني الى اخذ البيعة له من قبلي فقلت للرسول وقد وصل بعد ما احتل الهيبة بمراكش ، ها انتذا ترى الحالة ، والجواب هو ما تراه بعينك . فان الامر قد خرج من ايدينا فدفعت له 20 ليبرة ذهبية ، ولكنه ذهب الى السلطان مولانا يوسف فافترى علي وقال انني قلت فيه ما لا تنطق به شفتاي فكان ذلك احد اسباب نكبتي ـ وحدث الباشا منو ايضا انه دخل مرة على الهيبة ففتح معه التساؤل عن الشريفات فصار يسألني عن ابكار منهن وجدت بعض العبيد قد القى اليه اسماءهن واحدة واحدة فصرت ابين له ان الجميع متزوج وقد عقد النكاح ولم يبق الا الرواح فألح فى السؤال عن اية واحدة منهن ليتزوج بها فقلت له ليس منهن واحدة بلا عقد نكاح ولكن ان اراد سيدنا الزواج فالافضل له دار الشرف والحسب والنسب والجمال والعفاف ودار البركة ودار العلم ودار الولاية فهي افضل له فقال ما هي هذه

1) ذكر ان المبذول فيهم مائة وخمسون الف ريال .

الدار ؟ فقلت له دار اولاد مولاي عبد الله بن حسين بتَامَنصلُوحْت فقال وهم هناك ؟ فقلت لا اعلى من دارهم ، ولا اروع ولا ابرع حسنا فاقتنع وحدث ايضا انه وجد يوم دخول الهيبة الشرفاء ابناء مولاي الحسن قد لبسوا لباسهم الحسن الرسمي، فجاءوا مجتمعين ليسلموا على الهيبة. قال فأخذتني انفة طويت عليها كشحي فقلت فى نفسي كان يجب على امثال هؤلاء ان يكونوا آخر من يسلم على من نزا على عرشهم المغربي لا ان يكونوا اول من يبادر لاداء التحية الملوكية له ولكن ليس عندي ما اقول

كان مربيه ربه الخليفة الاول للهيبة من البارزين بمراكش فيخاطبه الناس وممن خاطبه شيخنا الافراني بقولـه

هو الشوق يبديـه من الدمع سكبه وان كان يخفيـه اللسـان وقلبـه
اذا بَرقت من منحني الضلع بَرقة من الوجد لبتها من الجفن سحبـه
وان عـذل اللاحـي فأكثـر زاده لجاجا واغراء الى الوجد عتبـه
وما الوجد الا ان يديـن بطاعة المـ ـلاح فتصبيـه ويعسـر طبـه
وما المجد الا ان يخاطـر فى العـلا فيعنو له العاصي ويسهل صعبـه
ولا الفخـر الا مـا توشـح بـرده محمـد الغيـث المـربيـه ربـه
همـام سمـا للمكـرمـات بهمـة طمـوح وعـزم لا يفلـل غربـه
وزيـر اميـر المومنيـن شقيقـه وخير وزيـر مـن تمكـن قربـه
خليفتـه الارضـى وساعـده وان توقد نيـران الوغـى فهو عضبـه
مقدمة الجيش الجهـادي من بـه يبيد ضلال الكفر ان جاش حزبـه
شجاع يبيـد المعتديـن حسامـه وبحر ندى يغنـي المقليـن سيبـه
يذب عن الاسـلام بالسيف جاهدا كمـا ذب جفن العين عنها وهدبه
يقود الى الهيجـاء كـل غضنفـر ابى يقيه العار فى الحرب ضربـه
تطير بـه عقبـان خيـل سلاهب مَذَاكٍ كما انقضت من الليل شهبه(1)
هو المرء لا حزمـا اضـاع ولا هوى اطاع ولم يخلـد الى اللهـو جنبـه
تجافى عن اللـذات فى جانب العـلا الى ان علا فوق السماكيـن كعبـه
يهم فيمضـي كالسنان مصممـا ويسطو على صلد فينبـاع صلبـه
كريم يداوي ما جنى الدهر جـوده فذا ابـدا دأب الزمـان ودابـه
يشتت شمـل الفقـر بـذل نواله فيذهب فى كسب المكـارم كسبـه

(1) السلهب كجعفـر : ما عظم وطال عظامـه . والمذاكى من الخيل : التي اتى عليها بعـد قروحهـا سنـة او سنتـان .

بليغ اذا انشا وشـــى واذا مرى الـ ـــبيان براحات الحجى ثج حلبه
له السبق فى شـــأو الفضائـــل كلها فمن امه يبغي العلا فهو حسبه
اذا اسود جنح الحادثـــات فوجهـــه سناها وان دار الهدى فهو قطبه
فيا ايها المولى الذي كان من حيـــا المعارف والســـر الالهـــي شربه
اليك عروسا بنت فكر عـــد اعلـــى قريحتـــه الهـــم المبـــرح كربـــه
تهنئى مولانـــا وتثنـــى وترتجـــى قبولا يغطي عيبهـــا الجـــم ثوبـــه
عليك سلام الله يـــا كعبة النـــدى وغيظ العدا ما آنس الصب قربـــه

ثم ان مربيه ربه خرج الى الرحامنة فى جيش يضم ءالافا ليدافع جيش الدولة الحامية الذي يزحف شيئا فشيئا نحو الحمراء بعد ما سبقه جيش صغير تحت قيادة الاغضف بن مصباح ابن عمهم فى اثنى عشر مائة فارس الى اربعاء الصخر ، فاندحـــر

ذلك كل ما ظهر من الاعراب فى موقف الدفاع ، واما الهيبة فقد جلس يتمطى فى قصور السلاطين وفرشهم ، ويسرح انظاره فى بساتين اجدالهم ، وقد صلى هنالك ثلاث جمع يخرج فى العربة المعهـــود ان يخرج فيها مولاي الحسن تجرها الخيل ، والموسيقى تصدح على راسه الى ان يصلي ، ثم يرجع ثانيا الى حيث يتملى بالمدينة الحلوة وقد حدثنا شيخنا ابو شعيب الدكالي الذي كان قاضيا على الحمراء حين احتـــلال الهيبة أنه دخل عليـــه يوما فجاذبه القول فى الحالة الراهنة ، فقال له شيخنا ان هذا العصر عصر القوة والمغالبة . فأجابه الآخر بديهة وقد هز سبحته ، فيقول وقد مد بها كفه بهذه السبحة افتح القاهرة ودمشق واجتمع مع محمد بن عبد العزيـز فى حضرة مربيه ربه ، فقال له ابن عبد العزيز : انكم كفار لرضاكم بغلبة الكفار عليكم فقال له الشيخ : روينا فى كتاب كذا عن فلان عن فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الانسان لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما والامور التي يقع بها الارتداد كذا وكـــذا قال الشيخ خليل فتلا النص من متنه — فبأي شيء تكفرون المسلمين ؟ فصال عليه بحفظه حتى اسكتـــه وحدثني ايضا الباشا منو بمثل ذلك عن الهيبة فذلك هو فكر الهيبة الساذج الفكرة ، الحسن النية ، وتلك امانيه ، وقد اوعـــز يوما الى المراكشيين ان يطبخوا كلهم دار الدار اناء اناء مـــن الاطعمة ، اعانـــة فى اطعام المجاهدين ، فرأى اهل المدينة ما لم يعرفوا له نظيرا فكان ذلك ايضا مما استثار الناس

تلك هي اعمال الهيبة في مراكش وتلك هي اعمال اصحابه الصحراويين نكتبها كمؤرخين ولا نتعمد ان نكون لا له ولا عليه ومهمتنا ان نوضح لمن بعدنا ما يتحدث به الينا كثيرون مما حضروا اذ ذاك هناك من السوسيين والمراكشيين ننقل ذلك عنهم امانة مؤداة كما هي فأدركنا حق الادراك اي رجل هو الهيبة واي رجال هؤلاء الذين جاشوا معه وقد تفككوا ينتثرون من حواليه ، فظهر انهم كانوا اجمعون ذهبوا الى هذا السفر بلا مقصود ينوونه ، فكيف يمكن ان يفلحوا ؟

الحاحيون في مراكش

في اليوم الرابع والعشرين وهو يوم خميس من رمضان — او في اليوم قبله — دخل القواد الحاحيون ، القائد عبد الرحمن الجيلولي ، والقائد محمد انفلوس ، وقواد حاحة الاخرون ، مراكش في خيل كثيرة ، وقد قدموا ليفوا بالوعد الذي وعدوه للهيبة يوم يحتل الحمراء حلوا يوم الخميس فارادوا ان يستريحوا يوم الجمعة ثم يقدموا هداياهم يوم السبت حين يجلس لهم الهيبة مجلسا عاما يظهر لهم فيه مكانتهم عنده كما سيظهرون كذلك مكانتهم بين الاقوياء ولكن لم يصبح يوم السبت حتى اصبح ما ليس في الحسبان ، وما لم يخل انه ياتي بهذه العجلة

نزل القائد عبد الرحمن دار ابن داود باشا مراكش القديم ، كما نزل انفلوس وءاخرون في منازلهم التي يملكونها ، وفي امكنة اخرى ، وقد اهتزت بهم مراكش . فلا تسمع الا من يذكر الابهة التي ورد بها الحاحيون وقدرأى القارىء انهذا الامرافتتحبايدي الحاحيين يومنسجوا علىمناويلهمما نسجوا من اول يوم ثم ها هو ذا يختتم يوم يطأون بأرجلهم حضرة اميرهم يوم يظنون انهم اليوم سيجنون ثمار ما غرسوه امس ، ويحلم القائد عبد الرحمن بالصدارة ، كما يحلم كل من اليه بالمقامات العليا في هذه الامارة التي هم اسسها واركانها وشرفاتها كما يزعمون

الصفعة الاولى

كانت القبيلة الرحمانية هي باب مراكش من الشمال وكان لها قواد متعددون كانوا كلهم في مطلع الدولة الحفيظية منهم القائد عبد السلام البربوشي والقائد ابن الطاهر ، والقائد العيادي وءاخرون وكان للاخير شفوف عليهم جميعا من نواح شتى . وقد برز بروزا عظيما في الدولة

الحفيظية ـ ثم كان له مقام عظيم حين انهزم الجيش العزيزي وبعد الحرب المتوكية الشهيرة ، فعلا اسمه ، وصار يذكر بين الاچلاويين والمتوكيين والكنتافيين فهذا مركزه الذي وجده فيه عام 1330 هـ ثم لما احتل الهيبة مراكش ـ والتفتت وجوه القواد الكبار للاخذ ببيعة المولى يوسف وقد تأيد بالدولة الحامية . كان القائد العيادي اول من بادر الى ذلك بالعمل المنجز بعد ما لاقى من الهيبة تقريعا ـ فيما سمعت ـ وقد استدعاه مرة فسأله عن الباب المفتوح من داره بجانب السور الخارجي الى جهة الرحامنة فربما كان ذلك احدى الحوافز التي ازجته الى مد اليد عيانا للجيش الذي يقطع وادي ام الربيع ليزحف الى الجيش الزاحف من مراكش وقد تقوى ببعض الرحامنة الذين مع العيادي فأرسل شئوبوبا من القذائف على رأس مربيه ربه ـ فلم يقف هو ولا اصحابه يوما كاملا يعذرون فيه ، بل انهار جدارهم بسرعة غريبة ، فتسابقوا نحو الحمراء وتسمى هذه الواقعة بواقعة سيدي بوعثمان وقد تقدمتها اخرى فى اربعاء الصخر تهشمت الحملتان فانقضى الامر وكان ذلك يوم الجمعة 25 رمضان . فطار الخبر الى الاعراب فصعقوا صعقة عظيمة هي اول ما نبههم مما هم فيه سادرون

كيف هرب الهيبة من مراكش ؟

رأيت ان الحاحيين قد دخلوا مراكش يوم الخميس الرابع والعشرين بقوة كبيرة وشارة مرموقة وابهة مخزنية اخاذة ولا يعلم الا الله ما كانوا ينوونه وما يحملونه فى حقائبهم من الاوامر الجديدة ممن يوحون اليهم ولا ريب انه لو انفسح المجال اياما لابد ان يقوموا بدورعظيم فى القواد المراكشيين الكبار على الاقل فتتم فكرة القائد جيدة ولكن بينما الهيبة والقائد عبد الرحمن الحاحي فى ابرام ما يصنع نهار الجمعة اذ دهمت اخبار الانكسار التي لاشك سترتجف بها فرائص الهيبة ارتجافا تنسيه مرارته كل ما كان يتملى به من حلاوة الامارة منذ نادى ابو الباكور التزنيتي بأنه سلطان وكل من تربى تربية الهيبة ، ولم يشاهد قط مواقف المجاذبات فى عمره ؛ فلا يخال وقد طرقه ما وقع لاصحابه من الرحامنة الا ان نفسه تطير شعاعا ؛ وان سحره ينتفخ حتى يملأ صدره ، وان نفسه سيتوالى لهثا ، وقد جحظت عيناه ويسقط فى يده فلا يدري ما يأتي ولا ما يذر وللبغتات روعات،

كان الشيخ الامازري البعقيلي احتل هو ورَجْل من اخوانه صومعة الكتبية ، يراقبون دار المتوكي تحتهم . وذلك مما يدل على ان الهيبة واصحابه

كانوا على خوف شديد من المتوكي وامثاله ولكنهم الآن وقد دهمهم السيل الطافح من الخارج قد ينسون كل ما في داخل الحمراء وحين لم يأمنوا لا داخلا و لاخارجا فلا سبيل لهم الى الامن الا باجفالهم الى ما وراء الاطلس . لعلهم ينجون من مخالب الاسود ، وبراثن الصقور ، والايمان وحده الذي اتصف به الهيبة غير كاف ، والا لما نزل قوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) فالمخاطبون بذلك اكثر الناس ايمانا

كان الباشا الحاج التهامي الاچلاوي ومن معه قد ابرموا مع الجيش الزاحف ما ابرموا بغاية الدقة وجعلوا بينهم ما جعلوه امارة ، ثم تقوم في الحمراء شيعتهم بثورة ضد الهيبة بمجرد ما يقرب جيشهم وقد حدثني الباشا منو انه توصل عشية الجمعة برسالة من قائد الحملة كتبها اليه والى المراكشيين يخبرهم فيها انه ان مست شعرة من الأسرى الذين عند الهيبة . فان مراكش ستغادر عبرة في وسط افريقيا ، ـ بهاذا اللفظ ـ قال منو نبت مهموما في ليلة ليلاء ما بت مثلها في عمري لا ادري ما اصنع

بات الناس ليلة السبت وغالبهم لا يزال في امله سادرا وقد طرق الاذان ما طرقها من الانهزام من سيدي بوعثمان . ولكن لا يحسب غالب الناس ان الهيبة سيهرب بهذه السرعة وانما كانوا يحسبون انه سيجدد جيشا آخر لمناجزة الجيش القادم ومدافعته ولكن القائد العربي الضرضوري كان قرأ الرسالة من عنوانها. فخرج قبل الناس ، فتسرب في وادي النفيس. وكان يخاف ان يسد طريقه دونهم فيوخذ الكل باليد كان الاخ محمد وصله من عند الهيبة رسول في الليل فأمره ان يبكر اليه بمجرد ما يتسحر من غير ان يبين له شيئا على ان الهيبة اذ ذاك كما طرقه خبر الانهزام ولما يستقر قراره على الهروب لان ذلك ما عزم عليه حتى وصله مربيه ربه . ولم يدخل مراكش الا نحو نصف الليل ، ثم ان الاخ ذهب مع بعض رفقائه قبل ان يصلوا الصبح قال واحد منهم خرجنا من الباهية قبل الفجر وقد كان سيدي محمد بن احمد التزنيتي طلب من محمد الامين حاجب الهيبة ان يمكنه سلاحا على عدد الفقراء كلهم. وعددهم اذذاك 85، لان اصحاب النية الحسنة ينوون ان يخرجوا لمدافعة الجيش القادم وقد طفحت عليهم فكرة الجهاد الدينية ، ونوى الناس المخلصون ان يموتوا في سبيل الله ، قال الحاكي فذهبنا فوجدنا الطرق ما بين الباهية وبين (ابي الخصيصات) مملوءة بالناس ولكن لم نفهم من ذلك الا ان الناس يقصدون ما نقصده

قال فوصلنا امام دار المخزن فوجدنا الاعراب يتجمهرون بخيولهم وقد وقفوا هنالك وقد طلع الفجر وبدا الاسفار فصلى بعض الناس بامامة بعض الاعراب قال فالتفت فاذا بالرئيس سيدي محمد بن عبد الرحمن الجسيمي قد خرج مع كل اصحابه ببغالهم وخيولهم واثقالهم وزعم الحاكي أنه ما أتى حتى احرق فساطيطه التي لا يمكن ان يحملها قال فسألني عن سيدي محمد الخليفة – يعني الاخ – فقلت له ها هو ذا واقفا فأرسلني اليه فأخبره ان الناس يهربون وانه هو بنفسه قد جمع متاعه ثم قال له أما انت فلا نفارقك منذ الآن فانفتل سيدي محمد بن احمد التزنيتي وهو على فرس عداء، يجري بها من هناك حتى دخل الباهية فوجد طائفة الفقراء قد صلوا الصبح، فاشتغلوا بالذكر على عادتهم فصاح فيهم قوموا قوموا فان الناس كلهم هاربون فأجفل الجميع فصار اصحاب البهائم يجمعون الاثقال بسرعة، وقد قيض لهم انسان حاذق مارس الجيوش والاسفار مع ساداتنا الملوك العلويين (وهو الفقير محمد الحجّار المراكشي من اصحاب الشيخ) فقال لهم ان اول ما تعتنون به هو الزاد فانه اول ما يتوقف عليه المنهزم، فامتثلوا ذلك، فملأوا البغال بالزاد، واواني الطبخ. ثم مال الفقراء الماشون الى الاواني والامتعة الباقية، فوضع كل واحد منهم يده على شيء، وكان سيدي سعيد التناني اثبت من هنالك جاشا واربطهم قلبا يدور عليهم ويحثهم ان لا يبقوا شيئا فكان ءاخر من خرج من الباهية بعد ان لم يبق شيء من المتاع، وقد حكى لي رحمه الله انه بمجرد ما خرج من هنالك مشى بتؤدة فكأنه أحد الحضريين وكانت سحنته وهيئته تشبه اهل الحضر فبقى هنالك عند بعض الفقراء الفاسيين وهو الحاج العربي برادة ثم انتقل الى الزاوية الرميلية الى ان سكن الحال بعد ايام فخرج مع القائد جِرْمَا وأما غيره من 85 من الفقراء فقد خرج الكل فى ذلك الصباح مع الناس فارين مبعثرين فى الطرق، وقد تشتتوا وكان ذلك اليوم اول يوم تمزق فيه شمل تلك الطائفة المباركة التي كانت تضم رجالا صوفية كبارا مهذبين. قد تئالفوا على الاذكار وعلى الاشتغال بالله وانتظموا فيما هم بصدده انتظام العقد الفريد وقد كانوا نسوا الدنيا بما هم فيه من الاجتماع والتئالف الذي كانوا عليه منذ ايام شيخهم فها هم اولاء اليوم يتفرقون فاذا كان بعضهم تراجع الى ما كانوا عليه من الانتظام، حتى كانوا ايضا نحو ثلاثين فانما ذلك مثله كمثل اضاءة المصباح قرب انطفائه الانطفاء الاخير، وممن هرب يوم ذلك مبارك بن الحسين ثائر تافيلالت بعد هذا الوقت وقد ذكرنا اخباره (فى القسم الرابع).

ثم ان سيدي محمد بن احمد التزنيتي تناول ما هناك من الدراهم
يجرى حتى لحق بالاخ كما لحق به اصحاب البغال بعد خروج الاخ من الباب.
وقد قال ذاك الحاكي وجدنا الباب مفعما بالجمال الساقطة الاحمال والبغال
حتى انني ما خرجت الا بين ارجل جمال قائمة في زحـام

هذا ما جرى لهؤلاء اتينا به ليعرف القارىء ما قاساه الناس واما
الهيبة . فقد حكى لي الباشا منو كيف وقع له قال بت ليلة السبت في كرب
عظيم الى الغاية من اجل اولئك الاسرى . وقد تقوى عندي ان الهيبة اما
هارب واما ماخوذ باليد ، ففي اثناء الليل ارسلت عبدي هذا ، واشار اليه ،
وصاحبي رحّالا وءاخرين ، فقلت لهم اذهبوا حتى تطلوا على الدويرة التي
فيها الاسرى فان وجدتموهم احياء ، فاقتحموا عليهم وابقوا واقفين
وحولوا بينهم وبين كل من يريدهم بسوء ايا كان وارسلوا لي واحدا منكم
بسرعة اكن عندكم وان وجدتموهم مقتولين فارجعوا الي قال وكنت
على عزم ان اهرب الى سوس ان وقع فيهم واقع لانني اعلم نية الجيش
الزاحف . وقد ادركت ما يقصدونه خصوصا مني ، ولا يعصب ذنبهم بسوى
راسي . وان كنت بذلت ما بذلت للهيبة في مقابلة تسريحهم قال فجلست في
دهليز داري واجما انتظر رجوع من ارسلتهم فاذا باحدهم يجري الي
يبشرني بسلامة الاسرى فطرت فرحا. فخرجت اليهم مع اصحابي. فجاءني
احد البوابين يقول : ان مربيه ربه يدق الباب الخارجي وذلك في اثناء الليل
فأمرته بفتح الباب فمر مربيه ربه جاريا بفرسه يدق باب دار المخزن
دقا عنيفا ما شاء الله فكأن الهيبة قد نام ، او كأنه أعرس باحدى بنات ءال
عبد الله بن حسين التامصلوحتي التي يسأل عنها وعن امثالها ــ ثم التقيت انا
بالهيبة فقال يا فلان ما هذا ؟ فقلت له هذا ما كنت احثك على اجتنابه يوم
تود ان تدخل المدينة فقال ما هذا الا عمل (المُصُوبْرِين) فقلت له ان
الواقع لا يرتفع فانج بنفسك الآن ثم خرجت فوقفت جانبا والاعراب
يموجون يستخرجون البغال والجمال والاحمال الموقرة دراهم وغيرها ولو
كنت اردت اذ ذاك ان احتوش كل ما بايديهم لاحتوشته مع اصحابي الكثيرين
بسهولة ولكن حاشا ان أمثل ذلك الدور المخزي ثم عند الاسفار خرج
الهيبة مع نسائه ومن انثال اليه من اصحابه . فتوجهوا لجهة صهريج البقر
فقلت لانسان منهم اياكم ان تسلكوا طريق اِمِي‌نتَانوت فلا منجى لكم الا في
طريق وادي النفيس فمررت ازاء دار باب المخزن بشريفة من ءال ماء
العينين ، قد مالت بها البغلة ، وقد غادرها اعرابيان شابان فصرت اناديهما

وارجوهما ان لا يتركاها ثم امرت احد اصحابي فاعانها حتى ركبت ثم رجع الاعرابيان اليها فساقا بها البغلة ثم دخلت دار المخزن فوجدت طرطور الهيبة وفيه من التمائم حواليه كثير ، وكأنه نسيه من الفزع الذي استحوذ عليه ثم ذكر ان الطرطور توصل به الباشا الحاج التهامي فكان مئاله الى المتحف الوطني بباريز قال : كان كل هذا مع شروق الشمس ، وانا استحث كل من القاه ان يعجل لخوفي ان يدركهم الفرسان الاچلاويون والمتوكيون والرحمانيون فيوقعوا بهم وقد رقت نفسي على هؤلاء المساكين السوسيين الذين لا يعلمون شيئا قال : واذ ذاك وصل الجيش الزاحف ازاء (تَانْسيفْت) فأرسل قذيفتين مرتا فوق الحمراء تَرْسَلاَن والهيبة ومن معه فى خيل كثيرة يجتمعون حول صهريج البقر فوقفوا نحو ربع ساعة ، ثم رأيتهم مالوا الى جهة وادي النفيس ، فأسرعت اذ ذاك الى الدويرة التي فيها الاسرى ، فبمجرد ما رأوني تعلقوا بي . وطافوا حولي وهم فى ثياب فضفاضة اهلية خلقة وقد طالت شعورهم وابطأوا عن الاستحمام ، فكانوا من اعجب ما تراهم العين شعَثا ووسخا ونتنا فصار القنصل منهم يجازيني خيرا على ما فعلت حين ارسلت اصحابي فى الساعة الاخيرة محافظة عليهم والا فلا يومن ان يميل احد سفلة الاعراب فيقضي عليهم من غير ان يتأمل فى العواقب ولا يقصد الا ان ينكأ بهم من كانوا يتطلبونهم من القواد الكبار. ثم عقد لي راية بيضاء من خرق وكتب كلمات فى ورقة فأمرني أن أبادر بذلك الى قائد الجيش الذي ينزل فى ذلك الوقت فى (چليز) فانفت بيني وبين نفسي ان اكون اول من سلم من اهل مراكش وخفت ان يوثر عني ذلك فى التاريخ. فأبيت عليه. ثم دخل فى الحين القائدالمدني والباشا الحاج التهامي. فتناول الاول الراية فأداها الى قائد الجيش بيده فشاع انه هو الذي انجى الاسرى بعد ما ايده بعض الاسرى انفسهم كذبا وبهتانا هذا ما حكاه الباشا منو بتفصيل ، واما القائد عبد الملك المتوكي فقد حكى عنه القائد محمد چرما الحاحي انه حضر عنده تلك الليلة وهو يقدم رجلا ويوخر اخرى فلا يدري ايخرج مع الخارجين من المسلمين ام يبقى مع الباقين المعروف مئالهم ، وقد حمل على بعض بغاله واسرج خيله واحضر اصحابه قال الحاكي القائد محمد چرما ، انه جلس ما شاء الله ورأسه بين يديه يوازن بين ما يكون اذا خرج مع الناس . وبين ما يكون اذا جلس مع الاچلاويين بقي كذلك يتردد الى ان طلع الفجر ثم تقوى عليه ان يجلس فأمر اصحابه بالركوب والجولان حول الكتيبة الى ما حوالي باب الرب وقد كان الحاحيون سبق خبر الهروب عندهم فى الشطر الاخير من الليل. فجمعوا كل ما عندهم

تجمعوا جميعا فكسروا قفل باب من ابواب القصبة فصمدوا نحو المنارة) وذلك عند مشرق الشمس وفى ذلك الوقت خرجت خيل القائد المتوكي حكى القائد محمد چرما قال كنت فى فرسان المتوكيين فصرنا نطارد خيل الاعراب حول صهريج البقر فدفعنا الى اثنين منهم على جمل فسرعان ما ابركاه . ثم امتدا على بطونهما فصارا يرميانا فلا يفلتان هدفا فأجفلنا عنهما مرغمين فاذا بالقائد عبد الملك يصرخ علينا مالكم وللاعراب المساكين فعليكم بالعدو الازرق عليكم بالحاحيين فشننا عليهم غارة الى جهة (المنارة) وهم منضمون جعلوا اثقالهم بين ايديهم فنظموا كتائب فرسانهم وراءهم يتناوبون فى الدفاع فطاردناهم الى ان ابتعدوا فرجعنا واما القائدان الاجلاويان المدني والباشا التهامي فانهما كبشا الكتيبة . والمبرم لكل ما كان بالمخابرات السرية فقد نظما امورهما فى جوف الليل فسربا الى بعض الابراج رماة خفية . ثم فى السحر صارت خيلهما تتعادى فى الازقة. وتخرج البارود بعد الاسفار ثم امتلأت الابراج كلها برماتهم خصوصا الابراج الموالية لباب الرب فلم تشرق الشمس حتى استولى الاجلاويون على ناصية الامر وقد انقضوا على كل ما قدروا عليه . ينهبون ويستولون على البهائم والاثاث ويدورون على الفنادق فلم يفلت الا ما لم يبصروه ثم شاركهم المتوكيون وغيرهم فى ذلك وقد كان القائد الناجم ممن يناوىء الاجلاويين منذ استولى على قبائل الجيش الدائرة بمراكش فكان طلبتهم فى ذلك الصباح ولكن لم يقدر ان يلتقوا به حكى ذلك بنفسه قال خرجت عند الاسفار. وقد سمعت بعض الشيء لاكتشف ما كان. ولم اركب الا على البغلة لا غير ، ومعي افراد ممن خف الي من اصحابي وخيلي وسائر اصحابي فى الدار . وهي فى جهة الرميلة فمشيت الى جهة القصبة ، فلاقيت القائد ارْعا فقال : يابن الامة والله لئن ابصرك الاجلاويون الآن لا تبصرن عينك الشمس بعد اليوم . اسرع ويحك واهرب مع الناس ، فقد هرب الهيبة وكل من معه فذهبت قدما ولم احمل معي ادنى شيء الا ثلاث ريالات بقيت اتفاقا فى جيبي فذهبت قدما كذلك وقد خلفت ما خلفت من ديار طافحة باحسن اثاث . وافره بغال تصل الستين ، واجود خيل ، الى ما لذلك مما جمعته فى طول حياتي ثم صار رزق الاجلاويين فعلى ذلك الحال خرجت (1) وهذا الذي جرى للقائد الناجم جرى مثله للقائد ارْعا

---

(1) **انظر ترجمة القائد الناجم فى (القسم الخامس) فقد ذكر من التفاصيل ما ليس هنا . بل يجب ان يكون كل ما هناك تتمة لاخبار الهيبة كلها ولاخيه مربيه ربه ، لانه شاهد عيان معهما**

فقد هرب ايضا لكنه حمل معه ما امكن مما تحت يده ، فتصاحب مع
الناجم الى داره فى اولاد ابي السباع ، ثم الى حاحة فسوس . ووقع مثل ذلك
للقائد ابن الطاهر الرحماني والقائد التريعي ، وبضعة قواد ءاخرين وقد
جرف الخوف الجميع فلم يعرفوا فى الوقت منجى الا ان يتسربوا الى
سوس . وساعة الخوف ساعة ضيق لا يمكن معها التفكير فى المئال هكذا
خرج غالب الناس فسلك بعضهم مسلك الحاحيين ، ومعهم ءال (أسَاكَا
أبْلاغ) وءاخرون ، وقد لاقوا فى فى طريقهم شدة ، لانهم فى مدافعة الذين
يطاردونهم فى كل ذلك النهار ، وسلك بعضهم طريق (اِميتَنتَانُوت) ومن بينهم
بعض خيل الوفقاويين وبينهم الشيخ ابراهيم بن داود الالغي فلاقوا كذلك
عنتا ومـد يدٍ ممن يمرون بهم الى ان وصلوا (اِمينتانوت) . ثم اغاثهم الله
بالخليفة بُوسْلام الذي اوعز ان لا يمس احدا ماس . فمروا فى هناء واما
الذين بقوا وراء الناس ممن ليس عندهم الخبر فمنهم من اسرع بعد متوع
النهار ورجوع المطاردين وقد اشتغل الناس بالخروج لملاقاة الجيش النازل
فى (چليز) فهؤلاء قد لحقوا بالمتقدمين بعد جهد جاهد كفرسان من اِيفير
مَلْولْن كانوا نزلوا فى ناحية من اَچدال ، وقد ابتعدوا عن سماع الهيعة
فخرج احدهم بعد طلوع الشمس بكثير. فعاين الواقع. فجرى الى اصحابه.
فأسرعوا بالركوب فتأتى لهم ان يلحقوا بمن سلكوا وادي النفيس
بجرَيْعَة الذقن فنجوا وهم لا يحسبون انهم ناجون . ومن الباقين ايضا
نحو 100 فارس من رؤساء هشتوكة قال الباشا منو كانوا نزلوا فى دار
عندي فى القصبة ، فلم يتأت لهم ان يخرجوا حتى طلع النهار ، فشاهدت ازقة
القصبة تطفح بخيل الاچلاويين ، فخفت ان ينهبوهم وان يفتكوا بهم كل
الفتك . لما بيني وبينهم وهم يعرفون انهم اخواني فلم اجد مفرا من ان
ءامرهم بالانتظار الى الليلة القابلة ثم انني ذهبت الى منزلهم بعد الظهر
وقد هدأت المدينة فنادى المنادي بفتح الاسواق فرجعت الحالة بالمدينة
الى المألوف من السكينة والهدوء قال فأخذت بيد الفقيه سيدي الحاج
الحبيب فطلعت معه الى علية فصرنا نطل على المدينة الهادئة فقلت له
ارأيت كيف يكون الامن ؟ وكيف يسود الهدوء ؟ وقد سادت الطمانينة فباع
الناس واشتروا ثم قلت له اين هذه الحالة الآن من حالة المدينة فى هذه
الايام التي كان فيها الاعراب وقد أثاروا الاشمئزاز من النفوس وافقدوا
الامن فى الاسواق مع ان الاعراب يزعمون انهم مجاهدون مسلمون وهذا
الامن اليوم من العدو الكافر الذي فتح المدينة ومن هنا ينبغي لك ان تعتبر
وتعرف الفرق بين الناس والناس . والملك لا يمكن ان يتأتى الا لمن يصاحبه

الامن وتماشيه الطمانينة ، مسلما كان او غير مسلم قال وفى الليلة القابلة زودتهم احسن زاد واركبت راجلهم ، وسلحت اعزلهم فخرجوا فى باب من ابواب القصبة خفية مع دليل يصحبهم الى وادي النفيس حيث يأمنون يعرفون الطريق. وممن بقى ايضا سيدي محمد أعَبُو الفقيه الهشتوكي مع صاحبه المؤرخ الرفاكي الجراري وقد التجئا الى الزاوية الناصرية حتى خرجا بخفارة اهلها كما بقي هنالك ايضا شيخنا الشاعر الافراني وقد نسيه اميره ، ونسي قصائده الطنانة فقد بقى هناك مع الاديب سيدي البشير الناصري وقد نهبت بغالهما وامتعتهما فيما نهب للناس فوقف معهما القائد عمر المْصُوبْر السرغيني مع قائد يسمى أعْراب حتى خرجا ناجيين الى (تارودانت) فاذ ذاك ذهبت القصائد والمقطعات الكثيرة التي له فى الهيبة ماسوفا عليها وقد قال فى الكنتافي لمّا مرا به واكرمهما قصيدة وهي :

يابارقا لحِمى الفوْنْر تالقا	اجوى اثار سراك ذا ام اولقا (1)
اسريت وهنا فاستثيرت لوعة	فى القلب اِذ أذكرت غزلان النقا
ولمعت فانهملت جفون زارها	طيف الخيال من الحسانِ فأرقا
برق كأن سناه غرة طيب	ندب كريم فى السيادة اعرقا
من طيب الافواه نفح ثنائه	وسرى فاشأم فى البلاد واعرقا
القائد البطل الهمام اللّذْبه	جو الفضائل والسيادة اشرقا
رجل الحقيقة واحد العلياء بـ	ـدر المجد بحر بالحباء تدفقا
ليث لدى الهيجا براثنه السيـ	ـوف وغابه درَن البعيد المرتقى
مغناه امن الخائفين فمن لَجَا	لجنابه وجد المنى فتعلقا
كم شارد ءاوى وكم عاف همت	يده عليه ندى وكم ظام سقى
يا طيب الاخلاق والاعراق يا	من للعلا والمكرمات تعشقا
انا اتيناكم على بعد المدى	ضيفا نرجى منكم حسن اللقا
فلانت يا بدر الكمال احق من	بالود والرعى الجميل تصدقا
لازال ذكرك يزدري بشذا صبا	مرت على زهر الربا فتفتقا
مني السلام على مقامك ماشدت	ورق على اغصان بان اورقا

وممن بقى ايضا القائد عبد السلام الجراري والقائد حيدة والقائد كابّا باشا تارودانت فاتصلوا برجال الحماية فأعلنوا بنفض ايديهم من امر الهيبة

(1) الاولق : الجنون او شبهه .

فاقتضت السياسة ان يبادروا بالرجوع الى سوس ، وقد زودوا بالتعاليم
المطلوبة في الوقت. فأسرع الباشا كابتا ليسبق الهيبة الى تارودانت
ولكنه وقع فيما سنذكره والآخران سلكا الى ديارهما فكان ما كان مما
ستراه هكذا لفظت الحمراء الاعراب والسوسيين واميرهم فبقيت من
تلك الساعة في قبضة الجيش الذي نزل في هذا الصباح في جليز وقد رايت
افعال القواد الكبار بمراكش واما العامة فانهم دهموا بما لم يحسبوه
فمالوا الى اللطيف على عادة المغاربة من قديم كلما حز بهم امر شديد وقد
اجتمعت كل طائفة في ضريح ازاءها يطلبون الله ان يلطف بهم لئلا تهدم
قذائف المدافع عليهم ديارهم فاستجاب الله الدعاء فلم يمر في جو الحمراء
من قذائف المدافع الا القذيفتان المذكورتان فقط صباحا ثم وصل الخبر
اليقين الى الرئيس الاعلى قائد الجيش بان الهيبة قد فر وان المدينة
مفتوحة الابواب له قال الباشا منو خرجنا بعد ان طلع النهار أنا وكل
القواد ومن القضاة الشيخ ابو شعيب الدكالي ومولاي المصطفى الذي
الذي كان عزل من القضاء على يدي بأمر من السلطان عبد الحفيظ في موكب
كبير وغالب من فيه يستطير فرحا ، خصوصا القاضي مولاي المصطفى
الذي رأى امارة برجوعه الى منصب القضاء فمثلنا بين يدي (مانجان)
قائد الحملة فحييناه وحيانا فهنأناه بالوصول فأجاب خير جواب ثم
خطب القاضي ابو شعيب خطبة طنانة اثنى فيها على فرنسة وعلى رحمتها
المشهورة فيمن وقعوا تحت يدها يريد الشيخ بذلك ان يبرد مما عسى ان
يغلي من صدر القائد. فاثر كلامه في القائد فسأل عنه فسمي له فصافحه، ثم اجابه
بكلام احسن مما قال . ثم قال للواقفين : انني اليوم في غاية تعب شديد ،
فسامحوني الآن . وانما اعلن ان باشا المدينة منذ الآن هو الحاج التهامي،
وان القاضي هو مولاي المصطفى . ثم اوصى بتهدئة الناس ووعد بخير قال :
فرجعنا وقد قضي الامر الذي فيه تستفتيان فتم احتلال عاصمة الجنوب،
وقد دخل امر الهيبة وايامه في مراكش في خبر كان وذهبت تلك الحركة
التي قامت لتناوىء الاحتلال هباء منثورا حين لم تجد من اعراب الصحراء
من كانوا للقيادة اكفاء . مع ان الشعب التف حولهم بسرعة للغيرة الوطنية
الملتهبة اذ ذاك في الصدور .

الهيبة الى تارودانت

حكى لي احد من معهم اذ ذاك من رفقاء اخي محمد قال خرجنا مع
الهيبة ، والناس بغير انتظام فكان كل واحد حيث تضعه قوته وضعفه

الطليعة او فى الساقة والهيبة قد خرج بكل الخيل التي اهديت له
غالبها من الجنائب المطهمات السمان فسرعان ما لحقها الحر الشديد
يرسل السنتها فتقف فتسقط ولم يصل واحد منها وادي النفيس ولم
ينفع ذلك النهار الا الخيل العادية والبغال التي تألف الاستخدام فبها
وحدها قطع الهيبة تلك الجبال واما سواها فقد سقط الكل لغبا وعطشا
بيات . قال وقد كنا نحسبنا اول من سلك تلك الطريق ذلك الصباح ولكن
وجدنا من الامتعة الساقطة حفا في الطريق ما يدل على ان كثيرين سبقونا
خرجوا ليلا قبلنا فيلقون كل ما يعدونه ثقيلا فكم احمال مفعمة وكم
شواريات (جوالق) بصناديقها ، وكم فرش وكم فساطيط وكم ءانية نمر
بها عن يمين وعن شمال والناس ذاهلون عنها وقد عزمت حينا ان
انزل انا وردیف لي عن بغلة ترادفنا عليها لنحمل شواريا فيه صناديق جميلة.
فأبى رديفي ، وملكه الخوف الخانق فصرخ بي اتحسب أن اربابه الذين
رموا به زهدوا فيما فيه . وانما رأوا ان لا نجاة بسببه قال : وحين وصلنا
سامتة دار القائد عمر الامنناسي فى سكتانة قبل ان ندخل فى الجبال
وجدنا هنالك خيلا من اصحابه يتعرضون لمن يستضعفونهم من جماعات الناس
التابعة فينقضون على بغالهم ، فيميلون بها الى دار هنالك ولكن الامن
على كل حال هو الغالب وقد سلم جل من مر معنا هناك وخصوصا من
كانوا فى رفقة الهيبة فانهم ما مسوا بأدنى شيء ، حتى تسلقوا الجبل حيث
يتنفسون ثم لم يزل الناس ماشين حتى وصلوا تحت (تَاچَادِيرْتِ النْبُور)
عشية بعد العصر بقليل فنزل الناس فبادر القائد الكنتافي ، فأرسل
اصحابه يعلنون لمن مع الهيبة الامن التام ، وقد اباح كل الاشجار التي يمر
بها الناس فاكهة وجوزا ولوزا فحمد الناس الله فنزل الهيبة مع نسائه
تحت اشجار فوق اكمة ازاء الطريق وقد ادير على الاشجار بثياب
فانتشر الناس نازلين كل ينزل حيث شاء قال الحاكي ادرك الناس
الامن هناك فاستطاعوا ان يتنفسوا ، ولكن المصيبة فى عدم الزاد ولم
يجد احد من غالب الناس ذواقا ، فاما نحن الذين مع سيدي محمد فقد
نفعنا ما على بغالنا مما اوقرها به ذلك الفقير صباحا فأكلنا واكل من عندنا
سيدي محمد بن عبد الرحمن الرئيس وكل من معه لانهم ايضا لا زاد معهم
بتنا نعصد من السميذ حتى تعشى الجميع وكذلك فى اليوم الثاني
وقد كفانا ما معنا فى اليومين اللذين قضيناهما فى وادي النفيس الى ان
نزلنا من ثنية (وِشْدانْ) واستوينا فى رأس الوادي فحط الهيبة فى
(الكَنجُونْتْ) وهناك وصل الخبر بأن الباشا كبًا قد خرج من مراكش

وسلك ترهات الاطلس على طريق (امي‌نتانوت) يمشي ليلا ونهارا ليسبقنا الى (تارودانت) فانتدب اليها اناس منهم‌مربيه ربه، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الكسيمي، وسيدي محمديعني الاخ‌ليحتلوها قبل ان يدخلها فيمتنع بها فرحناها ليلة 28 رمضان ، فاذا به بات هو تلك الليلة فى المنيزلة ففتك به اهلها ثم راح الهيبة يوم 29 الى تارودانت بعد ما بات فى (تَالْكَجُوتَتْ) ليلتيــن فبكر عليه صباح العيــد برأس كابًا فمال الى دياره فأتى علــى كــل مــا فيهــا

فى تــارودانت

هذه فاتحة الهزيمات التي تقلب فيها مولاي احمد الهيبة وها هو ذا الآن ينزل رحله فى تارودانت وهؤلاء بعض الرؤساء السوسيين الذيــن انهزموا معه يأوون اليه فى حيــن ان غالبهم يئوب الى داره توًّا من غير ان يمر به ، وقد سهل الآن حجابه ، ولانت قناته ، وذهب عنه اولئك الاثرياء الحوزيون الذين كانوا يملأون الكأس فيمدونها له دهاقا ، فاغفلوه عن نفسه وعن السوسيين الذين قاموا بأمره وها هو ذا راس كابًا منصوبا بين عينيه فيرجع اليه ومن معه بعض اماني فيطمعون فى استرجــاع ما راوه وفى قطع رؤوس اخرى ممن سقوهم الحنظل المذاب . اجتمع بعض فل الجيش فــي تارودانت . فاطافوا بأميرهم من جديد يمسحون دموعه ويربطون علــى جأشه ويلقون فى روعه ان النصر مع الصبــر وان الدنيــا دول وان سهمه فالج اخيرا لا محالة فلم ينشــب ان رجعت اليه الآمــال جذعــة ، وقوى ايضا الطمع منه فهذا بعينه ما يقوله الافراني شــاعر الحضرة بعد ان وصل قريبا من الحمراء فى هذه القصيدة التي القاها بين يديه فى ءاخر شـــوال

هو الدهر ان يمرر فعن عجل يحلو ... ويحمل عن قرب اذا اتضع الرحل
مع العسر يسر ، والعنا بعده الغنى ... وبعدالجفا العتبى وبعدالنوى‌الوصل
فلم يشن المهــر الجواد جماحــه ... مِراحاً كما الحسناء ماشأنها الدل
فقد تنجلى الغمــاء بعد اعتكارهــا ... ويقطع ضربا بعد نبوتــه النصــل
فصبــرا اميــر المومنيــن فانمــا ... بحرِّ الرضا والصبر يتضح الفضــل
ولذ بحمى الحزم الحصين ولازم الــ ... ــتجلد وادع السعد يهمِ وينهــل
ورو سيوف الحق من دم من بغى ... فداء جنون البغى ترياقــه القتــل
فــلا ملك مالم يحم عزتــه القنــا ... ولا حلم ما لم يحم جانبه الجهــل

وكن واثقا بالله فالله ناصر … ولكنها الايام شيمتها المطل
ويوم ويوم عادة الدهر والوغى … سجال وعقبى عقدة الشدة الحل
ولبة نداء المومنين وعند الى … جهاد الاعادى ثانيا فالهدى يعلو
فلا عار من هذا التحيز انه … لحزم ولكن الخضوع هو الذل
ففي السلف الماضي لنا خير اسوة … فكم مرة فروا فكروا وما ملوا
فلا عز الا فى مقارعة العدا … وارسال خيل تقتفى اثرها خيل
فكل مرارات الحروب مريئة الـ … ـعواقب مهما لم يشب جدها هزل
وكل عويصات الامور الى رخا … اذا صدق السيف المهند والنبل
فقم يا امين الله للحق ناصرا … وجاهد بحزب المومنين وان قلوا
ولا تكترث بالحادثات وصرفها … فكل عناء فى سبيل العلا سهل
ومن رام نيل المجد يحتمل الاذى … (ومن خطب الحسناء لم يغله البذل)(1)
فكل جليل دون ذاتك هين … يسير فان تسلم فقد سلم الكل
بقيت لدين الله ياوى الى حمى … ذراك كما ياوى الى امه الطفل
ودمت ودام الملك فيك معززا … مشيد بناء ركنه الدين والعدل
عليك سلام الله ياملك الهدى … وبحر الندى ماجاد روض الربا وبل

وقال ايضا بعض ادباء تلك الجهة كما وجدته من غير ان يذكر اسم القائل ، ولو كنت ممن يطرق بالحصى لقلت انه نفس سيدي مَحمد ابن الحاج الافراني . وربك يعلم

لعا يا امير المسلمين لعا لعا … ستبصر عن قرب لنصرك مطلعا
فلا تبتئس مما رايت فطالما … يقلم نبت الروض ثمت امرعا
طلعت على الدهر الحسود بطلعة … معدية اللالاء ابهى واسطعا
فسام بخسف لو سواك اصابه … لزلزل منه الجانبين وضعضعا
ولكنك الصخر الاصم عزيمة … وليث الشرى وثبا وفرسا ومدفعا
فما تلك الا سجدة بعدها القيام … فانهض واعل الراس بالامر وارفعا
فانت لهذا الامر وحدك بين من … تراهم واولى من يجاب اذا دعا
فسعدك سعد المفلحين يقود ما … تأبى على كل الورى وتمنعا
فادرك جزاك الله بالخير امة … نرى امرها بعد اجتماع تصدعا

(1) شطر من قصيدة ابي فراس ، واصله (ومن يخطب الحسناء) لم يغله المهر)

فمثلك لا ينثنى عن حياضها ذيادا وان من دونها قد تمزعا
فما كان اهلا للتقدم غير من يطيب اذا من دونها كان صرعا
فلولا العنا ما كان نصر ليجتنى ولولا الوغى ما كان آنف ليجدعا
فبالصبر نيل النصر من يصطبر ينل من النصر نورا كالصباح او انصعا
عليك سلام الله يا خير قائم يرمم ما التفريط هدّ وصدعا

وقال له ءاخر – واخبرت انه القاضي سيدي موسى –

صبرا فما هم الخطوب بدائم وانهض لخصم ليس قط بنائم
من كان يطمع ان ينال بغير ما سبب الى سطح بغير سلالم
الدين فى خَطر وقد نتفت به منه خواف بعد نتف قوادم
والكفر جاش وازبدت امواجه فى بحره المتموج المتلاطم
فلقد اتت اوقات سعدك ياامير المـ ـومنين ويا ابن خير اكارم
فالليل قد ولى وهذا الفجر قد يبدو فويل للكنود الظالم
لا تيأسنّ فخذ لامرك كل ما فيه انتصار من قنا وصوارم
قد محص الله الحكيم لكي ترى ان العواقب كلها للحازم
فانهض وشمر فالانام جميعهم لايرتضون بغير قرم عازم
فالله عونك ما استعنت به فدع عنك الهوينى فى سلال اراقم
هذى ردانة خيس كل غضنفر يجنى انتصارا وسط كل ملاحم(1)
فاصبر وصابر وانس ما مست به ايدى بنى الحمراء افضل قائم

تلك كلمات من الشعراء مرفوعة الى الهيبة تسلية عما جرى له . واستنهاضا لهمته خوف ان يأتي عليها الخور ولا ادري كيف يطمع امير يلقن الحجة ، وتستنهض همته فأين هذا من عبد الملك الذي حكى ما جرى له فى ليلة وهو يقصد محاربة مصعب بن الزبير بالعراق ثم طرقه الخبر بأن عمرو بن سعيد الاشدق قد ثار وراءه فى دمشق فلا يدري ايتقدم ام يتأخر ثم لم ينشب ان استبان الموقف فاسترد كل شيء (2)

واين هذا ايضا من تيمور الطاغية الشهير الذي قال حاربت احد

---

1) الخيس بالكسر : عرين الاسد .
2) الحكاية فى كتاب (ثمرات الاوراق) .

ايدائي مرارا ففي كل مرة يهزمني . حتى تحيرت في امري فخرجت وحدي منفردا عن جندي فلاحظت نملة تحاول ان تطلع بحبة في منحدر ففي كل مرة تسقط منه فتدحرج الى المرة العشرين فطلعت فتعلمت من عندها المصابرة فعاودت محاربة عدوي حتى تغلبت عليه فأمثال هؤلاء هم الذين ينهضون بالعظائم ويؤسسون الممالك لا مثل هذا السيد الصالح الحسن النية الذي سقط في اول محاولة سقوطا عظيما ، فها هو ذا قد احتل تارودانت وقد ثاب اليه بعض اصحابه ومعه القائد ارغا والقائد الناجم والقائد ابن الطاهر والقائد التريعي وامثالهم من الذين يعرفون الحرب ونشأوا فيها وفي رأس الوادي مجال غير قليل وسنرى كيف مجر عواليه ومجرى سوابقه

ومما خوطب به اذ ذاك رسالة من الاستاذ ابي الحسن الالفي كتبها اليه ، بمجرد ما سمع انه دخل تارودانت ونصها

(حضرة السلطان التيهي الهالة لكل المكارم المشرقة ومقام يعسوب الاسلام الذي يده سحاء متدفقة . الامام المعظم والعلامة المفخم من تكبو دون قدره العبارة فلا يلام من اكتفى في ذلك بالاشارة ابو العباس مولانا احمد الهيبة الذي يملأ جليسه بالهيبة

عليه سلام مثل ما جرّت الصبا الـ	ـذيول على الروض البليل صباحا
وازكى التحايا يشمل الكل ذيلها	كمينط عن المسك الغشاءَ ففاحا

اما بعد فلا زائد عندنا الا ما كدرنا غاية التكدير ، من تلك الروعة التي جاءنا بها نذير وبيس النذير ، مما امتحن الله به سيدنا واصحابه المجاهدين من القواد المراكشيين المستندين الى الكافرين فكانت محنة واعظم فتنة ولكن ينبغي ان يتلو في هذا المومنون (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ففي اثناء ذلك تعزية حتى يتحول القول ان امعن المومن بنظره الى تهنية والله لا يفعل الا خيرا ولا يسوم الله المومنين على كل حال مما يكون في الحقيقة ضرا ففي غزوة احد وما وقع لسرية الرجيع وبيسر معونة تسل عظيم لنا ولكم واكبر معونة فلنا ولكم في رسول الله واصحابه اسوة وهو في كل تطورات الحياة خير قدوة على أن العشرة اذا قام منها الانسان بسرعة فاستوى نافعة اذا جمع ايضا كل ما له من القوى وسيدي ابصر بذلك واعلم بتلك المسالك ولا ننبه منه غافلا ولا

ندهده منه ذاهــلا . واما هذه القبائل فقد عراها دهش بما يتقوله من لا يتقي
الله فى الكذب ممن قدم من مراكش ولكننا نشجع الناس بقــدر الطاقــة
ونكاتب فى ذلك كل من بيننا وبينه صداقة ونرجو من الله تلافي الامر وحفظ
الملــة . على ما فى المسلمين من شتات الكلمة والفاقــة والقلة ولكــن (كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) وقد سمعنا بان الفقيه العلامة
خليفتكم الذي احسن الينا بعدكـم جرى بينه وبين ءال تزنيت شنئان
فاحب من سيدي ان يتدارك ذلك قبل ان يتلاحم الفريقان فــان صــدور
القوم ملئى باشياء ظنوها فى الخليفة السعيد الامين وهم مع ذلك احلاس
الفتــن وشياطين الاهواء وعند جهينة الخبر اليقين فقد عاشرنا من طلبتهم
ورؤسائهم من راينا منهم عجبا وقلنا لقد راينا عجبا قبل ان نعيش رجبا
وسنقدم على سيدنــا ولابد متى تيســر عن قريب والله ييسر كل صعب
عصيب والســلام

اعمالــه فى تــارودانــت

رايت الآن ان كل ما وراء الاطلس من الشمال قد امتنع عن الهيبة بعد
ان احتلت مراكش فصارت حدود من لا يزالــون متشبثين بأمره بعــض
التشبث ــ قولا لا فعلا ــ من حد (تَرْچَانْتْ نيت مُوسى) بين قبيلتــي
ادَا وْزِيكِي واِتْبْنْسِيرْن ثم اداوْتْنان وما وراءذلك من سوس . ومن حدُ
ثنية وِشْدْءان لان الكنتافي سرعان ما انضم الى الحمراء ولا يمكــن
له الا ذلك واما راس الوادي فبمجرد ما دخل القائد حيدة داره مرجعه
من مراكش . بعد احتلال الهيبة تارودانت بايام قلب ظهر المجن فقاوم
الاعراب ومن اليهم وقد كان اولا راود الهيبة ان يدخل مع حكومة (مولاي
يوسف) ومع الدولة الحامية فى مصالحة وقال له حيدة عن اخلاص ان
الحق الذي لك علينا ان نقف معك حتى تأخذ معاشا حسنا وتسكن فيمــا
تختاره فى الحواضر ءامن السرب والا فــلا يمكن الا ان تلتحق سوس
بمراكش طبعا ومتى قدرت سوس ان تمتنع عن الحمراء من قديم وهــي
قطبها بل قطب كل الجنوب . فتصامم الهيبة ومن معه عن ذلك فأعلنــوا
له ما اعلنوه من المقاطعة. وقد كان فى جوار القائد حيدة اولاد ابن عيسى رؤساء
كبار فاخذ الهيبة بمناصرتهم على جارهم فحين راى حيدة ان لا مفر من
مناصبة الحرب وان هذا السيد المسلم الفيور القانع فيما يطمع فيه الناس
لم يدرك ما ادركه حيدة من ان قوة الحكومة قوة عظيمة من المستحيل مقاومتها
والطمع فى الانتصار عليهــا صرح بعداوة الاعراب وقد عرف انهم ضرّوا

براس كَابًا. وتمنوا لو يجدون ازاءه راس القائد حيدة هكذا جال حيدة فى المعامع مرغمـا وهو مكـره

اذا لـم يكن الا الاسنـة مـركب فـلا رأي للمضطر الا ركوبهـا

كذلك يزعم الاخ احمد ويقول ان هذه الاخبار استقاها من المداخلين لحيدة المطلعين على سريرته وذلك كله ممكن وانما المعروف المشهـور انه رجع من مراكش . وقد قبلت الحكومة توبته . فأرسلته ليكفر عن سيئته المتقدمة بمناصبة العداء للاعراب حتى يجليهم عن تارودانت فقام بذلـك خير قيام ، سياسة ومخابرة ثم محاربة هذا ما يعلمه كل احد واما مـا تقدم فلن يعد وَما يتقدم دائما المشادئات العنيفـة من محاولة الصلح لان الصلح على كل حال خير ولا يبعد من حيدة العاقل ـ كما يقول عارفوه ـ ان يحاول مع الهيبة تلك المحاولة التي هي طبعا ما يظهر لامثال حيدة الناشىء تحت كنف الحكومة . من المدركيـن لقوتهـا

اما الهيبة فأول ما صنع بعد ان تنفس فى تارودانت ، وثاب اليه الفـل من أصحابه ، ان ولى باشوية المدينة للقائد محمد بن حميدة الهواري . وكان معروفا قبل اليوم بالشجاعة وصلابة القناة ، وهـو ممن كانوا فى جيـش انفلوس عام 1318 ه فى احتلال قبائل مجاط وما اليها وقد جال وخاض وخالط حتى حنك فرآه اصحاب الهيبة افضل من يعتمدون عليه وقبيلته هوارة اعظم القبائل التي تقطن ضواحي المدينة فصار ابن حميدة واولاد ابن عيسى والشيخ الحسن التيوتي فى ءاخرين شيعة الاعراب ومعهم القائـد الناجم والقائد ارِعَا ، فيقاومون الشيعة الاخرى التي يراسها القائد حيـدة وهو يجد فى استمالة قلوب القواد هنالك كالقائـد نصر صاحب فرينجـة والقائد العربي الضرضوري والقائد علي التَالامْتِـي وامثالهـم يجـد فى استمالتهم اليه رغبا ورهبا وهو عميد الحكومة الوحيدة فى رأس الوادي ، تمده بكل ما امكن وكان هو نفسه رجل الكريهة ، مفوارا مدافعا مهاجمـا، كأنما خلق من عثير الحرب الزبون ، فبها يترقى ، ومنها يطلـع سعـده تدخل مع الاعراب ومن اليهم من جيرانه فى حرب شديدة، قرع فيها النبع بالنبع وتكسرت النصال على النصال وقد تكـررت المعامع وتـوالت الغارات وحيدة يزداد بذلك قوة كل يوم وانصارا وراء كل معمعة وقـد اتبع كـل انواع السياسات فى تقوية مركزه حتى التفرقة بين الاخوة فهذا محمـد بن ابراهيم التِيْيُوتي والشيخ الحسن من ءاله . تأتى له بالتفرقة بينهمـا

ان يستحوذ على تيوت وما اليها كان محمد بن ابراهيم طالبا يشارط ثم ظهرت منه فتوة ورأى وتطاول الى المعالي فلم يجد مع الشيخ الحسن ما يصنع وهو يكبره حتى اتصل بالقائد حيدة ، فتدبر الرأي في الليل فغمرت شيعة محمد بن ابراهيم شيعة الشيخ الحسن في ساعة ختلا والليل مكفهر الجوانب وكان مما انتهب من عند الشيخ الحسن القائد محمد التريعي الدكالي — المتقدم الذكر في رسالة شيخنا الافراني — وقد كان ممن جلا عن وطنه فسلك طريق حاحة فحل بتارودانت على الهيبة ؛ كما فعله القائد الناجم والقائد ارعاه ، فساقته الاقدار الى تيِّيوت تلك الليلة، اما مصادفة واما استنصارا به وباصحابه فأيا كان فقد ذهب اثاثه وما يحمله من الدراهم فكان ذلك ءاخر ما اعرفه الآن عنه ولا ادري في اي واد من اودية شَرِيانَ يعوي حوله الذيب (1) ان كان هلك في بعض نواحي سوس او هلك في جهة ايت عتاب في قبيلة ايت بوزيد على ما طرق اذني كما اظن ، ذلك ما ربما يكون عند غيري جلية خبره ومن تلك الليلة ظهر محمد ابن ابراهيم التيوتي الذي صار القائد الكبير بعد ولشيخنا الطاهر قطعة لعله خاطب بها الهيبة في تارودانت حين جاء اليه هؤلاء القواد

امولاى ياسيف الصرامة والعزم	ومن جوده يغني عن الوبل في الازم
هنيئا باتيان الشريد وطاعة	العصى واقبال الابى على الرغم
فسعدك يامولاي يغني عن الظبى	وياتيك من غاباتها بالظبا العصم

هذا ما يعمله الهيبة في تارودانت وقد وجد هنالك اهراء مفعمة بحبوب الحكومة فبها يتقوت مع اصحابه ما شاء الله

ثم ان الحاج عابدا الهشتوكي الذي ذكرنا انه موطد دولة الهيبة في فجر يومها قد عاود النزول من جبله الى تارودانت ، بعد ان سمع بأن الهيبة احتلها فشكا اليه كثيرون ممن لاقوه من حجاب الهيبة الشديد في الحمراء . وقالوا ان ذلك اصل هذا البلاء كله فقد حيل بذلك ما بيننا وبين اميرنا . فلم نعلم شيئا مما يقع . ولا يمكن لنا ان نوصل اليه ما عندنا ، حتى فاجأنا مافاجأنا صبيحة السبت26 رمضان. فأجفل الجميع بلا نظام ممكن،

1) قال الشاعر القديم :

ابلغ هذيلا او ابلغ من يبلغها	عني حديثا وبعض القول تكذيب
بان ذا الكلب عمرا اخيرهم نسبا	ببطن شِرْيَان يعوى حوله الذيب

فزلزل ذاك الفقيه فقام وقعد . فمال على الامير فقال له ان الحاجب محمدا الامين هو الذي تسبب عنه كل هذا الانخذال . فنزل الهيبة عند هذا الراي . فأمر بالحاجب فنكل به ضربا وسجنا ـ وقد تقدم انه الـذي كان جاسوسا للمدني الاچلاوي على الهيبة ـ وقد وجد الهيبة من رد كثافة حجابه الى ذلك الاعرابي وعصبه برأسه . عذرا يتقرب به الى الناس . فكان الحاجب فداء الامين (بجبهة العير يفدي حافر الفرس)

حكى لي الرئيس سيدي محمد بن عبد الرحمن الكسيمي انه كان اذ ذاك فى قبة كبيرة مفعمة بالرؤساء فى تارودانت ، ومن بينهم الفقيه الحاج عابد. فظل ايضا يبدىء ويعيد فى الحكايات المنهضة وان كانت مؤسسة فى الغالب على المنامات والكشوفات ، وهي كلها ترمي الى ان امر الهيبة من عند الله فانه لابد تام رغم كل ما وقع فصار يتدفق بذلك ما شاء اللـه والكـل ساكتون . قال : حتى فاض ما فى صدري فلم اقدر انا ان اسكت فقلت له أيها الفقيه . هذا بعينه هو ماكنانسمعه منك قبل ان نذهب الى مراكش وكنا جميعا نصدقك فذهبنا ولكنك انت تخلفت عنا فوقع لنا ما وقع ، فتمزقت امتعتنا . وهتكت اعراضنا ثم بعد ذلك كله لم نزل اليوم على ما نحن عليه . ولكنك انت لم تصب معنا بمس شوكة فقد انقطعت عنـا يوم تسرب وراء اَمَنسكَرْوض فذهبت مرتاح البال والبدن الى دارك وفى اليوم جيئت ايضا تقول ما تقول فلا والله لا نصدقك ما دمنا لا نرى منـك الا اقوالا فقط لا تدعمها افعال قال : قلت له ذلك ففرح بقولي كل مـن حضر وجَزَوْتـي خيرا لانهم ملوا من اصحاب الاقوال ، والوقت عصيب يقتضي اصحاب افعـال .

كانت امثال هذه الحكاية ذكرت فى ترجمة الحاج عابد بمثل هذا المعنى وانما اعدناها هنا لمناسبة المقام لها لندرك ان الهيبة واصحابه ومن اليهم قد بدلوا مواقفهم بعد الانهزام فتنبهوا مـن ذلك التنويم المغناطيسـي فأدركوا ان الذي يتطلبونه لا يمكن الحلم به الا لذي قوة ومجاذبة لعله ينال بعضه فاما سبحة الهيبة التي مدها لشيخنا الدكالي ، وقـال له بهـذه افتتح القاهرة ودمشق . فقد غودرت ازاء الطرطور المغادر فى قصبة مراكش فان لم تبق ازاء الطرطور حقيقة فقد بقيت معانيها حقيقة ثم ان الهيبة ارسل الاخ مع اصحابه الى قبيلة (اِدَاوْزِيكِي) فرابط هناك ، وقد جلس اعراب مع اصحاب الاخ فى نازلة (تَارْجَانتْ نَيْنتْ موسى) يتوصلون برسـم

النازلة وهي ما يوخذ من كل مار فى الطريق هذا ما يعمل الهيبة ومن فى تارودانت وما اليها . فلنرد بصرنا الى ازغار وجبال ولتيتة وما الى تلك الجهات لننظر ماذا يصنعون بعد ان رجعوا من الحمراء

جنوبي سوس اذ ذاك

تفككت اوصال القبائل من مراكش وتفرقت طرائق قددا قد اجفل كل من هناك فلم ينظر الفادي الذي هو رائح وقد رجعوا وجلين مما عراهم وكل امانيهم ان يصلوا ديارهم ويتسربوا فى شعاب جبالهم وقد تساب غالبهم من كل امنية كان يتمناها وراء الاعراب فلم يكادوا يصلون ثبات ووحدانا الى ديارهم حتى تنفسوا تنفس من نجا من دهياء داهية كادت تأتي عليهم ثم ان بعضهم كالرئيس الشيخ احمد الأمازري البعقيلي قد خامره ما خامره من ذلك الحين، فلزم وجاره. ولا يكاد يعدوارض قبيلته الاالى ازاغار . او الى القبائل المجاورة لا غير ، وكذلك كثير من الفقهاء ، فقد نفضوا اليد من هذا الامر ، كالفقيه أعبثو الهشتوكي والفقيه المؤرخ الرفاكي ، ثم لم يكن يتزحزح عنهم شيئا فشيئا الا بعد هذا الحين ، فقدروا ان يتسردوا بعض شعورهم . والفضل فى ذلك راجع الى بعض الفقهاء . كأبي الحسن الالغي وابى محمد التامانارتي العاضين بالنواجذ على هذا الامر وقد رأيت فى رسالة ان ابا الحسن ما كاد يسمع ببعض انتصارات الهيبة على حيدة ، حتى قام ينادي فى الاسواق بالنفير العام وقد قرأ القارىء فى القسمين (الاول والثاني) انه ذهب هو والحاج ابراهيم الايفشتاني الى تارودانت اذ ذك ، فى اوائل 1331 هـ كما ان للقائد المدني الاخصاصي ايضا يدا طولى فى زحزحة ذلك الكابوس المخيم على الناس فى الجنوب ولكن قصده هو معلوم عند كل احد . لانه انما يسر الحسو فى الارتفاء . وما قصده الا ان تثبت قيادته على الاخصاص وما اليها وقد منحها اياه الهيبة فى تزنيت فكان بذلك على الضعفة مستأسدا فأعان بكل قواه عروض ملك الاعراب ، لعل قبتهم تتوطد باطنابها واوتادها ليتفيأ هو من تحتها . متمتعا بذلك اللذ الذي يرتضعه من القيادة هو وامثاله فى ذلك الطور فى مناصرة الاعراب اثر ذلك الانهزام ولم يستتب الامر الا بعد ذلك كما ترى بعد

اما القائد عبد السلام الجراري فانه بعد مجيئه من مراكش بعد ايام من مفر الناس اوى الى داره . فصار هو وجاره سيدي محمد بن الحسين التازاروالتي الذي لم يرضخ قط للاعراب ولا اوى اليهم . يتناجيان فيما

يكون . ومع الشريف التازروالتي الـذي لعله يقول فى نفسه انا اولى بهذا
المنصب من هؤلاء الاعراب . وقد كان اجدادي فيه . ولكن لا يصرح بذلك
لئلا يسمع منه لا ان الامر للشرفاء العلويين ، كأنه يقول ذلـك تستـرا وذرا
للرماد فى الاعيـن . هذا ما يقول الناس . وقد وقفت على رسالة بعض الطلبة
لعله حامدي يكتبها لبعضهم فى ءاخر سنة 1330 هـ يذكر فيها ما يلقـي
للقارىء ضوءا على ما يريد ان يستنكهه من حالـة الجنـوب السوسـي اذ
ذاك نصهـا .

الفقيه الذي بوداده انتعـش ـ وبحسن اخائه االتحف وافترش . مـن
له فى سويداء قلبي مكانة لا توازى . ومن هو منـي حقيقة لا مجازا ابو عبد
الله سيدي محمد بن احمد البعقيلي ، سلام تام عبق النفحات ، وتحية اعظم
من كل التحيات . اما بعد فقد وصلني كتابك الاعز فكانت منته عندي منة
الله جل وعز ، فلا تسأل عما استفسزه مني من الاشواق . وما الاقيه عنـد
ذكراك مما لا تحمله الاطواق وقد سرني انك مثلي فى ذلك . سالك ايضا
مثل ما سلكت من المسالك فالحمد لله الذي خلقنا علـى قلب واحـد
متوحدين فى كل المقاصد . ثم انك سألتني عما رأيته فى مراكش مع السلطان .
تطلب مني ان اخبرك كأنك على عيان كما طلبت مني ايضا ان اخبرك بمـا
ظهر لي فى قبائلنا بعد ان رجع الناس وما رجعوا جميعـا الا بالافـلاس
فأخبرك يا اخي ان تحمد الله حين لم تذهب معنا الى تلك المدينة المنحوسة
التي يكون كل من نزلها لاصحابها فريسة ، فمنـذ نزلنا فيها لم نلق من
يرحب بنا فى مناحيها وكل من نلقاه لا يريد منا غير الدراهم فصرنـا
ننفق على الغداء والعشاء حتى أوشكنا ان نبيع السلاهم واما الاعراب فقد
تنمروا لنا منذ دخلنا المدينة فكأن كل واحد منهم اسد ولـج عرينه
فكانوا يعطون لنا فى المئونة قمحا اسود يعلم الله كم بقى فى المطامير من سنين .
فكنا نبيعه ونشتري الخبز من الخبازين ولكن نبيعه برخص كثير ثـم
نشتري الخبز بغلاء هناك فى كل شىء شهير فتم ما عندنا من بضعة دراهم
معدودة صاحبناها معنـا من ديارنا فلولا التاجر محمد بن حمئو الـذي
اعانني بشىء لكنت اليوم تخبر بعارنا فويل لمن يتكل على الاعراب بعـد
اليوم ، فانهم لجدير ان يقال فيهم بيس القوم ، ثم اننا بقينا فى فندق وقـد
اكترينا فيه بيتـا فلم نعرف ما كان حتى قام الناس وقعدوا بالنهب فصرنا
نحن زيتـا وانما اسرعت الى بعض اهل بلدنا سكن هنالك فاختبأت عنـده
اياما حتى دخل النصارى المدينة ، وقد تمكن الاچلاوي كما شاء ولكـن

النصراني ما نهب متاع احد ولا اساء . فخرجت مع رفيق لي على ارجلنا
فى طريق حاجة نمشي شيئا فشيئا حتى وصلنا ديارنا فحمدا لله على
السلامة بعد ما رأينا كيف تقوم القيامة والسلطان قالوا انه رسا
فى تارودانت ولكن لم يبق عاقل يصله بعد ما تكبر على الناس فى مراكش ،
ثم لاقى مغبة فعله الشنيع - وعجبه الفظيع - وقد مررت بالفقيه شيخنا
سيدي محمد أعْبْو فى داره فسألته عن امر المسلمين فقال ان الاعراب
افسدوا امر الناس ويا ليتهم تركوه كما كان مع التباس . فقد قادوا اهل
سوس كلهم ففضحوهم اجمعين ، وعرّوا عما كان مستترا من عار
السوسيين ويظهر منه انه يتبرأ منهم فلا يصلهم بعد اليوم ولا يسومهم
ادنى سوم واما قبيلتنا فالذين ذهبوا معنا قد رجعوا بهذه النية ايضا
وقد رأوا الكفر فاض فيضا فعلموا ان لا راد الا الله وحده وهو الذي
يقدر ان يمنع عبده . وقد سألتني عما ظهر لي من امر القبائل فأقول لك
ما المسؤول باعلم من السائل فكل الناس رجعوا الى ديارهم الا ما كان
من القائد سعيد بن المقدم الكردوسي فانه لا يزال مع مولاي احمد . وربما لم
يبق فى قبيلتكم سواه وانت تعلم انه ما لازمه الا ليجد ما يمضغه شدقاه .
والقائد الجراري صالح على نفسه بلا شك فلم يخرج من مراكش حتى اعطى
العهد . وارسل الى سيدي مولاي يوسف ابن مولاي الحسن بنصره الوعد .
وقد قام حيدة ليحارب مولاي احمد فالناس ينتظرون ما يكون بينهما
والحاصل ان كل من رأى ما رأينا من الاعراب فانه يعلم انهم لا يليقون لشيء ،
ولا يصلحون لنشر ولا لطي والله يعلم كيف يكون امرهم . بعد ان افتضح
سرهم واما الحاحيون فلا يزالون ينصرون مولاي احمد فالله يجبر
السفينة ويأتي من فضله للمسلمين بالمعونة واما انت فاحمد الله على
لزومك شرطك . فلم تتعب ولا حصل لك ما حصل لنا والسلام ولا تنسنا من
الدعاء كتبه اليك محمد - كذا - الحسين 21 من - كذا - فى ثالث ذي الحجة
عام 1330 هـ)

هذه الرسالة ظفرنا بها هكذا فى بعض طيات الكتب ولا ادري الآن
المرسل ولا المرسل اليه ، وتوقيع المرسل غير بين فلا يدرى اهو محمد بن
الحسين الحامدي ام العبارة هكذا محبك الحسين الحامي او المامي
وذلك على كل حال غير ظاهر ، وقد القت الرسالة بعض الضوء على ما يخامر
بعض الناس اثر رجوعهم من انهزام الحمراء كما بينت لنا بعض ما يتعلق
بحالة السوسيين والاعراب بمراكش وقد اخرناها عمدا الى ما هنا

لنستعين في هذ الفصل على ما نريد ويا لله لا مثال هذه الرسالة التي هي خير ما يستعين به المؤرخ يفرط فيها فتتفتت وتطير بين الاوراق شذر مذر فكم طالب في تلك الجبال امثاله درجوا تحت الفاقة ، فانمحت إثارهم مع انهم لو كان السعد لاحظهم افضل من كثير من فقهاء يرشقوننا برسائل كالجنادل . وقبح الله البادية التي تضيع اهلها ومعارفهم وجهودهم . ورحم الله مالكا الذي صرح بذلك

الشيخ النعمة يطرد من تزنيت

كان هذا الشيخ من افاضل اولاد ماء العينين يخدم والده في حياته خدمة المريد لشيخه . ويحافظ على كتب كل ما يتعلق به . فحين ظهر اولاد الشيخ في الميدان خلفه اخوه الهيبة خليفة له في تزنيت ، وقد كان شيخنا سيدي الطاهر قال فيه هذه القصيدة اول ما لاقاه :

تالق وهنا برق نعمان يلمع ... فشاق الى من ضم سلع ولعلع
عهود أَلِفْنَاها لدى زمن الصبا ... تقضى لنا منها مصيف ومربع
تأتت لنا فيها الاماني وساعد ... الغواني ولذ بالوصال التمتع
فلم يبق بعد البين الا اذكارها ... بانفاس حزن حشهنَّ التولع
لى الله كم اهذى بسلع وحاجر ... فاكنى ولا القى القناع فاصدع
وما هاج هذا الشوق الا صبابة ... بندب لأوصاف المكارم يجمع
هو الشيخ نعمان بن ما العين من غذ ... اه صوب المعالي والندى وهو مرضع
فقلت وحادى الشوق يحدو تطربا ... مقالة صب ذى هوى ليس يقلع
(اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع)
هو العلم العالى هو العالم الرضا ... هو الطود طود الحلم لا يتضعضع
هو الروضة الغناء كَـمَّ نبَاتها ... ففيها لرواد المكارم مرتع
هو العالم النحرير يفرى بصـ ... ـارم الحجا كل اشكال يعن ويقطع
تفرد بالتحقيق في العلم سابقا ... فما لامرء جاراه في الدرك مطمع
سما في سماء المجد بدرا اذا بدا ... سناه فاعناق الكواكب خضع
سرى صيته في الخافقين وذكره ... مسير الصبا يذكو شذاه ويسطع
سمعت به قبل اللقا فهويته ... سماعا وقد يغنى عن العين مسمع
فلما حدانى شوقه للقائه ... رايت عجابا فوق ما كنت اسمع

رايت امـرءا اما الجمـال فيوسف — واما جـلالـة الوقـار فتبـع
فيا سيدا اوفـى على كـل غايـة — من المجد فهو اللوذعى السميدع
اتيتك ضيفـا والنزيـل لـه على — الكـرام حقوق فى العـلا لاتضيع
دعانى لك المجـد الذي انت اهلـه — وان على الاَفهـا الطيـر وقع
ومثلك من يولى الجميل ويكرم النـ — ـزيل ويحميـه ويعلـى ويرفـع
فدونكها من صادق الود مخلـص — لـه منكـم ركـن وثيـق ممنـع
عليك سـلام الله نعمـان كلمـا — تالـق وهنـا بـرق نعمان يلمع

كما قال فيه ايضا فى شوال 1334 ه بعد هذا الوقت وقد سماه محمد الفيث ـ كما فى المنقول منه ـ مع ان المعروف بهذا الاسم هو مربيه ربه

الا قل لقلب هده الدهـر بالعَيث — انـخ بفنـا المولـى محمـد الفيث
هو النعمة المهداة ان اخلف الحيـا — وان ناب خطب جاء بالغيث والفوث
امام هدى اهدى من النجم فى الدجا — واجرأ ان شبت لظى الحرب من ليث
واوضح مِنهَاجـاً وابين حجـة — لدى البحث من سفيان فى الدرس والليث
عليه سـلام مثـل نائلـه الـذي — يسـح فـلا يمنـى ببطء ولا ريث

وهذا الشيخ كان ممن اكتوى بما اكتوى به الهيبة . مع انه لا يشتغـل الا بالعلم والاذكـار واول ما وقع له فى ذلـك ، ما سيأتـي

حكى رئيس كبير من رؤساء تزنيت اذ ذاك ان الهيبة فى المجلس الاخير الذي يودع فيه اهل تزنيت وصى بعض الناس على اخيه النعمة وقد اسر اليه ان النعمة رجل مغفل انهكته العبادة فارشدوه واهدوه الى السياسة وطرق الصواب هذا ما يقوله الرجل فى اخيه فلنحمله على هـذا الوصف فان الحوادث اظهرت انه كذلك

كان الامير الهيبة وعد ـ كما تقدم ـ التزنيتييـن بالاهتبـال بهـم ، واستبدال سروج كل فرسانهم بالسروج الجديدة وتقريبهم واعلاء شأنهم لسبقهم ولكونهم اول من رفع راسه بهذا الامر ، واشاد بالبيعة ثم انـه وصى اخاه النعمة عليهم ان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم هذا ما كان فى اوائل شعبان ، ثم سافر الهيبة فبقى النعمة فى مركز الخلافة على جميع جنوبي سوس اجمع وقد كان للخليفة عياد السابقـة ايضا فى

القيام بابرام امر الهيبة ولما له من اخلاق الصحراويين ومخالطتهم ومصاهرتهم . والتزيي بزيهم والتخلق باخلاقهم كان اخف الناس عليهم . فكان يعرف كيف يصيب منهم الهدف فما كان يطيش له فيهم سهم ولا يفيل له فيهم رأي

دخل الهيبة الى مراكش فى خامس رمضان وقد خدّر عياد الخليفة الجراري وامثاله الشيخ النعمة فأمكن لهم فى تلك الايام ان يستولوا على زمامه ، ويقلبونه كيف يشاءون . ولابد ان يعرف القارىء ان ما بين الجراريين والتزنيتيين غير متلائم لاسباب اعظمها وامضها عين تزنيت فقد كان انسان يحفر بيرا فى ايت جرار ، فاذا به وقع تحت الارض على سرداب يجري ماء . فقام الجراريون حتى سدوا المجرى فطلع الماء فوق الارض فاذا بالماء ماء عين تزنيت بنفسه وكان ذلك فى منتصف المحرم فى اول هذه السنة 1330 ه فاسودّ ما بين الجراريين والتزنيتيين وانتعش ما كان بينهما من سنة 1325 ه من خلاف مسلح حين قامت حرب بينهما وكادت اليوم تقع ايضا ، لولا ان القوم اشتغلوا بامر الهيبة وما جدّ التزنيتيون غاية الجد . الا ليجدعوا بسببه انف الجراري ونظرائه ، ممن بينهم وبينه ضغائن واِحَن . ثم تم امر الهيبة . وقد بدا ايضا فيه الجراري بيد مكينة. فربضوا ينتظرون الفرص وقد اندمجوا فى غمار الناس فجرفهم ما جرف كل السوسيين . فنسوا امورهم الشخصية او تناسوها الى حين ولكن الجراري ما كان لينسى او ليتناسى ما بينه وبين ءال تزنيت ، فلم يكد يجد من النعمة اذنا صاغية حتى التقمها ينفث فيها السموم الناقعة ضد ءال تزنيت اعدائه الالداء ، فلا يرى فرصة الا استغلها غير غافل ولا مالٍ. وقطب تقوله ان التزنيتيين قد مرنوا على هتك الحجب ، وضروا على المخالفات فلا يومن جانبهم واعظم ما يكونون موذين اذا احترموا فلا يليق بهم الا الاذلال والاستخدام

بدت لآل تزنيت امور من الهيبة توسموا فيها ان قلب الخليفة النعمة صارت مرءاته تصدأ من جهتهم فكانوا يتشككون ثم يغلبون حسن الظن فيذهبون قدما حتى وصلهم من مراكش بعد ان دخلها الهيبة ما يلاقيه اخوانهم من اهمالهم وتنحيتهم جانبا فبدأ عش الاشمئزاز يتكون ، ثم وصل فى اواسط رمضان بُلُط (1) منهم جاءوا يتشكون من امر الشكوى من الهيبة

(1) البلط بضمتين الهاربون من الجيش

وانهم ما هربوا مع الهاربين من ءال سوس حتى لم يطيقوا ان يبقوا هنالك يوما واحدا وفي اثر وصول هؤلاء بيوم ونحوه ارسل بعض التزنيتيين قمصانا لاهله . وبينها رسالة كلّف بايصالها من الهيبة الى النعمة فذهبت زوجة الرجل بالرسالة في غلافها لطالب اعمش العينين يسمى سيدي عمر وهو رجل صالح محترم ملازم لتعليم كتاب اللـه امام في المسجد من اِدْ'اكْفَا فطلبت منه ان يقرأها لها وما تحسب الا انها رسالة من زوجها اليها . فادركت الطالب بعد اذان المغرب وقد اقبل الى المسجد وهو فيه الامام الراتب . ولسرعته ولضيق الوقت وللظلام الذي بدا يسود الافق . ولعمش عينيه لم يستوف قراءة عنوان الرسالة او لم يتأمله اتكالا على قول المراة . ففك الغلاف . فاذا بالرسالة رسمية من الهيبة الى النعمة فسقط في يده فذهب بها الى الاعراب معتذرا ، وملقيا اليهم بالحقيقة كما هي . فقام الاعراب وقعدوا يقولون ابلغ بالتزنيتيين ان استخفوا برسائل السلطان هذا الاستخفاف فلا الرسول اتى بها بنفسه كما امر به وقنع ان يلويها في قمصان اهله . ولا القارىء احترم العنوان فأدى الرسالة كما هي. فقد هتكت استار السلطنة . ونسف سياج حرمتها ، فتوسط اناس من تزنيت يبينون للنعمة الواقع كما هو وهو لا يلوي عنانه وقد اوعز بمائة من الفرسان ان ينزلوا على الطالب عمر حتى يغرم الف ريال حسني فبدأت خيل الاعراب تجتمع لذلك ــ وقد بنوا قبة على حبة وظهروا بمظهر الصرامة فتداخل في الوساطة اخيرا من لا يقدر النعمة ان يرده كل الرد خوفا منه فرد المائة فارس الى عشرة والالف ريال الى ثلاثمائة فاجتمع الجيران وذوو رحم الطالب عمر فجمعوا 300 ريال في الحين فدفعوها في صرة للنعمة ــ فكانت هذه القضية مرة المذاق عند جميع التزنيتيين ويقولون لم نعهد قط من السلاطين والقواد الكبار الا من ينزل فارسا او فارسين او ثلاثة ونحو ذلك على اهل الاجرام وان بلغ اجرامهم ما بلغ واما انزال العشرة فضلا عن المائة فسنة اعرابية سنتها قلوب قاسية لا ترثي ولا تشفق فثار بذلك ثائر كل تزنيتي ثم ان النعمة اوعز الى التزنيتيين ايضا ان ينقلوا مزبلة عظيمة ازاء منزله الذي كان فيه . وهي مزبلة هائلة تتراكم هنالك منذ احقاب . فيرغمهم على ذلك اهانة لهم وتصغيرا لمقاماتهم فصبر هؤلاء على مضض . وقد اسروا ما اسروا وفاجأت ايضا رسالة من عند الهيبة تخبر النعمة بان جند ءال تزنيت قد فر غالبهم الى اهاليهم فالزم كل من هرب بالاياب الى مراكش رغما على انفه فاستدعى النعمة رؤساء تزنيت فأمرهم برجوع الفارين من مراكش اليها في الحال وتناول قذاة بيده

من فوق قطيفـة جلس عليها فقال اقسم بجلال الله لئن بقي منهم اليـوم
احد مثل هذا — وأشار بما في يده — لانزلن عليه مائة من الخيل فخـرج
الرؤساء فجروا حتى لم يبت واحد من الفارين الا في طريقه الى مراكش ولكن
في جيب احدهم رسالة مطوية يبينون فيها لاخوانهم ما يلاقونه من اضطهـاد
النعمة بمساعي عياد الجراري — وفي ءاخرها اننا هنا وانتم هنالك . فليفتش
كل واحد من الفريقين عن المخرج من هذا المأزق الحرج الذي انجحرنا فيه
ثم كان موسم عند الجراريين فاراد عياد ان يزيد التزنيتيين اذلالا فطلب
من النعمة ان يشرفه بخليفة مـن اهله مع التزنيتيين فاستدعى النعمـة
الرؤساء في وسط الهاجرة الحارة المستعرة والشهر رمضان فامرهـم
بالخروج مع اخيه ابي الانوار لحضور موسم الجراريين قال الحاكي فطلبنا
منه التأجيل الى صباح الغد فنبكر في البرودة فأسعفنا فخرجنا غدوة مع
القضاة التزنيتيين في 60 فارسا من الاعراب فوصلنـا الموسـم فنـزل
الاعراب عند عياد . فذهبنا نحن الى مقيل نستريح فيه . فقال عياد للاعراب
ان المألوف ان يشتري التزنيتيون الذبيحة التي سيقدمهـا الخليفـة الـى
ضريح الشيخ الذي حوله الموسم فجرى الينا اعرابي فأخبرنـا بذلـك
فاشترينا نسيئة ثورا فذبح وفي العشي ذهب احد التزنيتيين من اصحاب
الخيل فاحتال على عياد حتى ادى ثمن الثور . وفي العشي لم تتيسر الحلبـة
المعتادة في الموسم لصيام الناس ولغبهم وشدة الحرارة ثم بات الجميـع
في دار عياد . فانعزل الاعراب في محل ، والتزنيتيون في محـل فمر بعض
طلبة التزنيتيين فاذا بعياد يبدىء ويعيد في نحت اثلة ءال تزنيت على عادتهثم
لح عياد المار فانخنس . وفي الصبيحـة ءابـوا الـى تزنيت وفي وسـط
بوسنصار سمعوا بارود الحلبة عند الجراريين فقال احد التزنيتيين هذا
اوان الكيل لعياد بمكيال واف — فمال الى الخليفة ابي الانوار ابن الشيخ ماء
العينين فقال له اتسمع ؟ فقال نعم اسمع بارود الحلبة فقال اتدري مـا
مقصود عياد بهذا ؟ قال . لا قال اهانتك وحدك والا فلماذا لا يفرح مثل
هذا الفرح امس وانت عنده ؟ وايضا هل قدم لك هدية كما هي العادة لمثلك في
المواسم ان حضرها ؟ قال لا قال فمن هنا يعرف مقصد الرجل من الاهانة
القطيعة فوقف مـوكب الاعراب يتساءلون عما يليق ان يصنع بهـذا
الهين لخليفة السلطان . فقلت لا يليق الا ان يرجع اليه الآن عشرة من الخيل
تنزل عليه حتى يقدم الهدية ويؤدي مع ذلك غرامة حين تعمد الاهانة
فكتبت الرسالة في الحين ، فرجع الفرسان ولـم نلبث ان جـاء عياد الى
تزنيت مقدما لكل ما يطلب منه فقال له قائل اتدري اي ثمن اديت ؟ قـال

اديت ثمن ما قلته للاعراب عن التزنيتيين وقد سمعتموه مني ثم شرع يسب الاعراب . ثم في ليلة 27 رمضان استدعى النعمة بعض علماء تزنيت فسألهم عما يصنع في تلك الليلة . فقال له احدهم يستكثر من اخاير الاطعمة وتحيا الليلة بالصلاة والاذكار . فقال : لكننا ما صنعنا الا عصيدة بدهن قال الحاكي : فعرفنا ان مقصوده اهانة العلماء ايضا ثم دهمت طلائع الانهزام من مراكش . فصارت اولا تقولات ثم صح ذلك وقد وصل المنهزمون التزنيتيون انفسهم وقد تلاقوا مع من ارسلناهم قبل عن اذن النعمة في اثناء الطريق . وفي يوم جمع النعمة رؤساء تزنيت فقال لهم ان الاجلاوي والمتوكي والرحماني قد غدروا السلطان ولكن نجاه الله الى تارودانت قال الحاكي وهو ممن حضر فشمتنا بما وقع غاية الشماتة من اجل ما قاسيناه من الاعراب من الاهانات . ثم سأل النعمة احد التزنيتيين ماذا ينبغي ان يفعل في امثال هذه الظروف ؟ فقال اظهار التجلد واخراج المدافع . واجراء الحلبة . فأمر النعمة بذلك قال ذلك المسئول ومقصودي انا اظهار فرحنا حقيقة بما وقع لان تلك الهزيمة وقعت على قلوبنا بردا وسلاما

رجع النعمة الى ملاينة اهل تزنيت وملاطفتهم وقد راود بعضهم ان يسافر الى تارودانت ولكن الرؤساء صاروا يعضون على حكمات اللجم ويحرنون امام اوامره وقد رجع مَن بمراكش فصاروا يتداولون فيما بينهم ما يصنعونه . فرأوا ان يذهب القليل الى تارودانت ويبقى الغالب ليصونوا تزنيت فوقع ان بعض الرؤساء القادمين من مراكش راوده النعمة بمباشة وملاطفة زائدة على ان يرجع الى تارودانت فقال له انني قد كنت ذهبت الى مراكش فخلفتموني في اهلي بمساءة فاستوضح النعمة عن جلية ما يقصد فقيل له ان الطالب عمر الذي غرمته من اهله وقد استاء بذلك غاية الاستياء . فخجل النعمة فاستدعى في الحين بالصرة بعينها كما ربطت . فناولها للرئيس بعقدتها ، فرجع الى سيدي عمر ما كان غرمه ظلما هكذا انكسرت شرة الاعراب فانهزموا في صلابتهم التي ابدوها منذ احتل اميرهم مراكش كما انهزم اميرهم انهزامه الشنيع في مراكش ففتح الباب للتزنيتيين فصاروا يوالون مؤتمرات سرية يكاتبون فيها الحكومة — ويوالون اليها الرسل — ثم كشفوا سرائرهم بين شوال واوائل ذي القعدة وقد اعتقل ابو الباكور في تارودانت فجازاه الهيبة مجازاة المنصور العباسي لابي سلمة الخلال وابي مسلم الخراساني

او مجازاة عبد الرحمان الداخل لمولاه بدر الذي قاسى معه ما قاسى حتى
ثبتت قدمه واستتب امره ، او مجازاة المهدي الفاطمي لابي عبد الله الذي
وطأ له. فقدكان ابو الباكور اول من نادى ببيعة الهيبة جهرا كما تقدم
ثم كان اول من ذاق الوبال على يده من التزنيتيين صرح الشر بين النعمة
وال تزنيت فكان التراشق اولا بالكلام ثم ادى الى امتشاق الحسام
فاستعان النعمة برماة من البعقيليين فقاطمه التزنيتيون كلهم عن يد
واحدة فدوى الرصاص ما شاء الله ، حتى تساقط موتى فى الجانبين
وقد صمم ءال تزنيت على اجلاء النعمة عن بلدهم فكان اولا يأبى كل الاباء.
ولكن ما وصل عيد الاضحى حتى راى ان هذه المشادة الشديدة ليس من
رجالها ، فسعى ساع فى المصالحة فتمت على ان يخرج النعمة الى حيث
اراد فأرسل عياد الجراري بغالا وجمالا كثيرة فجمع النعمة ما تيسر من
متاعه فخرج رابع الاضحى الى وجان وقد بقى وراءه متاع كثير له
ولاخوته ولاصحابه قد اودع كل واحد منهم متاعه عند من يعرفه من
التزنيتيين فعدت الايدي على ذلك نهبا وقد كان الاعراب انفسهم انتبهوا
كثيرا من متاع ءال ماء العينين ، فكم كتاب بيع هناك قبل هذا الجلاء واما
عند الجلاء فقد صار اعوان الاعراب واماؤهم وشذاذهم ينتهبون كل ما
وصلت اليه ايديهم ثم باعوا ببخس ما باعوه واودعو ما اودعوا ثم
جالت الايدي ايضا فى الودائع فتبعثر من المتاع والنفائس والكتب ما كان
عامرا للاسواق زمنا غير قليل ولم تبق خزانة لم تدخلها كتب ماء العينين
فى سوس كله . فكانت مصيبة مزدوجة مصيبة النهب، ومصيبة تمزق تلك
الخزانة النفيسة التي جمعها الشيخ ماء العينين واجداده فى قرون ثم
حافظوا عليها بذلك تمزق متاع ءال ماء العينين وليس انه نهب عام
وانما انتهبه اهله وحدهم فأوصلوه الى الايدي بيعا بخسا او وديعة لم
تحترم فيها الامانة ولم يسلم من كل ما دخل تزنيت من متاعهم الا ما ءاواه
النعمة الى وجان . وهو قل من كثر وقد ذاع حتى تواتر عند التزنيتيين ان
كل من اعتدى على تلك الودائع قد اجتاحت ماله جائحة ينظرها كل ذي
عينين يتحدثون دائما ويرون ان ذلك من اعتدائهم على الودائع من ايدي
هؤلاء السادات الذين من بينهم صالحون وصالحات وقد كانت القبائل
الجنوبية جمعت فى هذه السنة اعشارها فى تزنيت فكان ذلك كثيرا الى
الغاية فتمطى فيه الاعراب ما تمطوا ثم بقي منه بعد ذلك كثير يوم
جلائهم وقد كان النعمة اشترط عند اعلان المهادنة بينه وبين ءال تزنيت

ان ينقل تلك الاعشار معه ولكن ما كاد يخرج من الباب حتى استبد التزنيتيون بما بقي من ذلك كله . فانزل النعمة رحله على ءال القائد موسى الوجَّانيين . وقد تلقوه بكلتا اليدين وقوفا مع الوصية التي يقول القائد موسى انه تلقاها من الشيخ ماء العينين اذ قال له : ان وصل عليك اولادي بشيء فاعنهم فكان انزالهم فى داره اعظم اعانة

هكذا كانت تزنيت اول بلد اعلن امر الهيبة . ثم كان ايضا اول بلد نفض منه يده . مع ان يد الحكومة اذ ذاك لم تتجاوز بعد مدينة الصويرة . والغريب ان ءال تزنيت لم يروا الا ذلا وفقرا واعناتا منذ ذلك اليوم الى الآن 1379هـ. فقد ذهب ماؤهم وكادت بساتينهم تعود قاحلة فلا تجارة ولا حرث ويرى بعض الناس ان ذلك اتاهم من هذه الناحية والله اعلم

القائد الحبيب بَاقَا يغرق فى طريقه الى تزنيت

توالت الرسل من تزنيت الى الحكومة تتطلب منها ان تغيثها ، لانفرادها وحدها بين قبائل الجنوب التي لم تدخل بعد فيما دخلت فيه واهلها لا يزالون ينصتون الى ءال الهيبة وقد بدات القبائل تتحرش بتزنيت ولا تجد مستندا الا ما كان من قبيلة أَجْلُو فانها تظهر ميلا الى قِبْلَتِها

كانت مراكش بعد ان احتلت فى اواخر رمضان مركز الجنوب. كما كانت دائما منذ اسست فكان قائدها الاعلى الفرنسي والباشا الحاج التهامي الاجلاوي يسيران بسياسة تقص اجنحة الهيبة ومن اليه ، فصار الاجلاوي يكاتب الشريف التازروالتي ، والقائد عبد السلام الجراري ، مع القائد حيدة الذي كان اذ ذاك بدأ يجاذب الحبال مع تارودانت وحين تيسر الآن مركز تزنيت وهو مركز حكومي امين ومعقل حصين صارت مراكش تجيل الآراء فيمن توليه على تزنيت ليحافظ عليها فوقع اختيارها على القائد الحبيب بَقَا . وهو الذي كان يعرف تزنيت من قديم ثم كان فيها سنة 1325هـ فتم على ذلك راي الحكومة واسست الاسس لذلك

حدثني الشيخ احمد ابن القائد سعيد المجاطي قال كنت عند الحاج التهامي فى اواخر صفر فأفضى الي بما تنويه الحكومة وقال انني سأقود جيشا بعد عيد المولد النبوي الى تارودانت لاخرج منها الهيبة وهذا (بَقَا) سيركب من الصويرة الى أَجْلُو ليكون القائد الاعلى بتزنيت ثم دفع لي

رسائل الى الشريف التازروالتي والى القائد عبد السلام الجراري والى ابي القائد سعيد المجاطي قال فخرجت من مراكش وقد تركت الجيش يجتمع ازاء صهريج البقر وهو الذي سيقوده الاچلاوي الى تارودانت ثم جئت الى الصويرة فبقيت ما شاء الله فركبنا مع القائد بقّا حتى نزلنا في الزوارق من الباخرة امام (تَمْدَا أ كَلو) فقدر ان انقلب الزورق بالقائد ومن معه ولكن نجوا جميعا الا ما كان منه فانه وجد ميتا قد لفظته الامواج وكان غرقه في الثالث من جمادى الاولى 1331 ه

القائد ابن دحان في تزنيت

كان هذا الرجل من الاعوان في الدوائر العزيزية ثم في الدوائر الحفيظية ، واصله من قبيلة عبدة سمعت شيخنا الدكالي يقول استدعاني يوما القائد الاعلى للجيش فسألني اعرف انسانا مخزنيا يليق ان يكون قائدا في تزنيت فان الحكومة قد ارسلت القائد بقّا فهلك غريقا وقد توقفت على رجل حازم باسل سياسي والامر يقتضي السرعة قال فاستحضرت في الحين ابن دحان واول ما اعرفه انني مررت به وانا قافل من المشرق بين طنجة وفاس وقد حرس الطريق في اصحابه فأعجبني بلباقته . فذكرته للقائد . فقلت له انه الآن حاضر ثم خرجت فأرسلت اليه فجاء في ثياب ليست بذاك ، فأفضيت اليه بالخبر ثم حثثته على تجميل هيأته في الحين ثم لقي القائد الاعلى فتم الامر باستعجال

ركب ايضا ابن دحان الباخرة فمر بأچادير ، حتى خرج في أكلو خفية ، ثم عجل الى تزنيت في قليلين ولم يصبح الناس حتى دخل دار القيادة وذلك نحو شعبان بعد ما تم في تارودانت مما سيأتي ثم ان الحكومة والت على ابن دحان الدراهم بلا حساب فصار ينظم الجند حتى كان مئات ويشتري الخيل ويستعد ، وقد مد يده بالكرم فلم يلبث ان كان اعظم قائد له صيت وصدى رنان في سوس ثم صار يمد نفوذه الى المعدر فماسة وقد اخذ يعاونه فيها القائد الحاج محمد بن محمد بن همو الاغبالويي وهو الرجل الذي لازم الحياد في بيعة الهيبة فلم يقر بها ولا صدق بتمام امرها ثم تمطى ايضا ابن دحان هكذا وهكذا الى ان كان ما سنذكره بعد حين من تراجع نفوذه الى داخل تزنيت يوم حاصره الاعراب مع الجبليين ثم كرته حتى كان ما كان

الهيبـة يطرد مـن تارودانت

بقي الهيبة فى (تارودانت) من يوم دخلها الى ان خرج منها سبعة اشهر وسبعة عشر يوما وقد كان من سياسة الفرنسيين فى مبدأ الاحتلال مبنية على التأني والملاينة . وهذا بعينه ما رايت انهم عملوه مع مولاي احمد الهيبة فى مراكش . على لسان اصحابهم من الاچلاويـيـن وغيرهم ولكن لم يجدهم ذلك شيئا ازاء تصلبه ثم انهم كروا ايضـا بذلك بعد ما كان فى تارودانت وهاك ما حكاه لي الحاجب محمد الحسن بـن يعيـش الحاجب الذي كان الواسطة بنفسه قـال :

(بعد بيعة مولاي يوسف فى الرباط استدعيت وانا قائد المشور الـى الاقامة العامة فوجدت المقيم العام (ليوطي) فتكلم مع قبطان بلغته وهو يشير الي ثم تركنا فقال لي القبطان هل بينك وبين احمد الهيبة تعارف ؟ فقلت له نعم من قديم فقال اتكاتبه ؟ فقلت كنت اكاتبه قبـل وضعـه الاخير فقال ان عندنا الخبر بكل ذلك والآن نطلب منك ان تكتب اليه وهو الآن فى تارودانت لتمنيه حتى يسلس قياده للحكومة فيلبي دعوتنا فقلت له كيف اكتب اليه ؟ فصرت اكتب فيزيد وينقص ثم لم يرض ما حررته الا فى المرة السادسة فكتبت الرسالة بقلمي امامه ووقعتها باسمي ثم دفعت الرسالة له وبعد نحو اسبوعين استدعيت . فقيل لي ان الجواب قد جاء . وفيه ما يدل على ان لك مكانة مكينة فى قلب الهيبـة ولكن الهيبة زاغ عن الجواب الحقيقي ووعد خيرا ثم اننا سافرنا مع مولاي يوسف الـى مراكش . فوصلنا ليلة عاشوراء عاشر المحرم 1331 هـ فاستدعيت ايضـا فمثلت امام مولاي يوسف وعنده الحاجب عبّابُو وذلـك القبطان المتقدم فأمرني مولاي يوسف ان اكتب الى الهيبة ، استأذنه فى الاتصال به فذهبت الرسالة ، وبعد ايام ابلغوني ان الجواب قد ورد وانه ءَاذِنٌ لي بان اسافر اليه فأمرني عبابُو ان اضمن له كل ما يريد من كل منصب تحت السلطنة عند مفاوضتي معه وان كان ذلك كالخلافة عن مولاي يوسف على ما وراء مراكش من جميع الجنوب . وان يكون له كل ما يريد ففوض الي ان اضمن له كل ما يقترحه كيفما كـان ثـم قيل لي ان الكنتافي ينتظـرك غـدا فى (أَچِرَنْچِور) ليصاحبك ، ومعه كل ما تتوقف عليه من الفراش والمئونـة فركبت على بغلتي ، ومعي فارس وعونان بكرة فوجدته ينتظرني وفى ذلك الوقت تهيأ الحاج التهامي والعيادي ومولاي الزين كخليفة للسلطان على جيش

ـاروا به من باب الرب في وادي النفيس فنزلنا مع الكنتافي وراء الاطلس ، في الوقت الذي نزلوا فيه ازاءنا فاستدعاني مولاي الزين عشية الى فسطاطه فوجدت عنده الحاج التهامي والعيادي والقائد حيدة فقال لي حيدة انك قائد مشور سيدنا السلطان والاعراب يغدرون فخفنا ان يغدروك ونحن نؤجل المحاربة غدا مع الهيبة لئلا نقطع عنك الاتصال بصاحبك الهيبة . فقلت له : ان مهمتي على حِدَة ومهمتكم انتم على حِدَة. ظهر من حيدة انه لا يريد ان تنفك العقدة على غير يده. فرجعت والكنتافي. وانا في كل هذه الايام أُوَالِي الرسائل الى السلطان والى الهيبة اريد منه ان يهيىء لي كيفية الملاقاة فاذا بالغدار حيدة تعرض للرسول ، فاغتاله اصحابه . بعد ما خرج مربيه ربه في خيل الى محل تواعدنا اللقي فيه . فثار ثائر الكنتافي حين خيس العهد في الرسول الذي خرج من محله فلما لم يتيسر الاتصال بالهيبة رجعت الى دار الكنتافي فاستأذنت مولاي يوسف فيما هو المعمول . فأمرني بالرجوع ثم لم نلبث ان سمعنا بالهيبة هاربا من تارودانت .

قال : وحدثني عبد الحي الكتاني انه كان انتهز هذه الفرصة ، فاراد ان يجزي احسان ءال ماء العينين باحسان ءاخر لان ماء العينين هو الذي وقف حتى سرح الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني من مراكش الى فاس كما ان احمد الهيبة هو الذي شفع في اهل الكتاني عند مولاي عبد الحفيظ ولكن الهيبة اجابه عن رسالته بقوله تعالى (يا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار)

رأيت فيما تقدم ان القائد حيدة وشيعته قائمون على ساق في مناجزة الهيبة. كما كان الهيبةايضا وشيعته يبلون فيمحاربة هؤلاء. تركناهم علىذلك منذ شوال وقد مضت شهور وهم في عنفوان الحرب والحرب بينهم سجال . ولكن كفة حيدة على كل حال تميل دائما الى الرجحان ، بسبب توحد القيادة والاقبال والادبار بسياسة وحنكة (وقد الممنا ببعض اخبار تتعلق بهذه الحروب في ترجمة القائد الناجم في (القسم الخامس)) وبعد عيد المولد النبوي في سنة 1331 هـ وقد انحدر الباشا الحاج التهامي من ثنية ارشدان يقود عسكرا لجيبا فتقوى به جانب حيدة فتعاونا على شيعة الاعراب التي صار الفتور يتسرب اليها وقد فقدت القوة المعنوية

والحسية والراسلواديون الذين كانوا ينافحون فى صفوف الهيبة قد تسرب اليهم الضجر وشكوا كثيرا فى اجتناء النصر ، خصوصا يوم عاينوا الاچلاوي فى وجوههم وقوة الحكومة تسانده ففت كل ذلك فى اعضادهم فأقبلوا يتسللون لواذا من صفوف الاعراب الى صفوف الآخرين وهم يوعدون بئامال حتى لم يبق عند الهيبة الا اصحابه واولاد ابن عيسى فساوره فى تارودانت ما ساوره فى قصبة مراكش سحر يوم 26 رمضان 1330 هـ فلم يصل يوم 17 من جمادى الثانية من هذه السنة 1331 هـ حتى نجا بلطف الله من تارودانت وفى الحين وصل الخبر الى الاخ سيدي محمد المرابط فى اِدَاوْزِيكِي فاتخذ هو ومن معه الليل جملا فلم يصبحوا الا فى جسيمة فطلع الاخ الى البلد وهاك خمس وثائق تاريخية تتعلق بهذه الفترة ــ وكلها مكتوبة الى القائد محمد الاغبَالوِيي الماسي ــ

الاولى

خديمنا الارضى القائد محمد (أغبَالو) وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله . وبعد فقد بلغ علمنا الشريف ما انت عليه من السعى فى استقامة احوال تلك الارجاء . ونفي درن المتشغلين بايقاد الفتن والساعين فى الفساد والافساد وذلك كله من نصحك وقيامك بالواجب عليك فيه لان جنابنا الشريف يعدك من الخدام النصحاء الذين يكفون المهمات بتلك الانحاء فنأمرك ان تزيد فى عملك من السعي فى الصلاح وطرد الفساد والقبض عليهم وشد عضد محلتنا السعيدة التي بتارودانت بما امكنك والعين عليك. فانك لا تعدم من جنابنا الشريف خيرا وجزاء وافيا اصلحك الله واعانك والسلام . فى 29 محرم الحرام عام 1931 هـ وعليه طابع الملك الجليل مولاي يوسف رحمه الله .

الثانية

اعلى الله بمنه مجادة محل الاخ الاعز الاود الاكرم خديم مولانا الابر القائد الحاج محمد بأغبَالو ماسة اعانك الله وحفظك وسلام الله ورحمته وبركاته عن خير الامام نصره الله وبعد فقد سألنا عنك وعن احوالك كل الصادر والوارد حتى قبضنا حقيقة عنايتك على الاخوان ءال تزنيت وشرحوا لنا ما انت عليه من الاعتناء وميل غشاوة السحرة عنكم وعن بلادكم وفرحنا لكم بذلك لاجل اخوتكم الصالحة وخيركم وعليه زيدوا

على همتكم مع وقوفكم لتخرج عنكم مكايد الفتان والحمد لله حين اطلعتم على سحره وكذبه وبعض ما زال يرى طلسمه وهو عند غيرك شائع وظاهر وقد تبعوه كأبي حمارة الذي تذكر الكتب انه سيأتي في ءاخر الزمان حتى ظننا انه هو بل هو ساحر كذاب ولم يستحي على كذبه وعليه ايقظ نفسك من غفلتك ومن يسحر فلعنه الله بما يتباهى به على عباده وجميع ذنوبهم عليه محسوب، وعلى اخوتكم والسلام في صفر عام 1331 هـ واعلم اننا ما ثقلنا الا لاجل ما خفنا على اخواننا من السوسية ولا نظن انهم بجدهم ردونا وتلك الامور اخرناها حتى يفيقوا وما اردنا منهم الا خيرا وقد اخبرنا المخزن بعنايتك من اولها الى ءاخرها وقلنا له ان القائد الحاج محمد بأغبالو ما عمره قبل تأثيرات هذا الساحر من اولها الى ءاخرها وفي القريب ترى جواب المخزن بما يسرك والسلام واعلم ان دار انفلوس هدمت واكلت بلا شك والسلام حيدة بن مَايس المنبهي

الثالثة

خديمنا الارضى القائد محمد بأغبالو وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد اصدرنا لكم امرنا الشريف مرارا بالقيام على ساق في استيصال شافة الفتان واشياعه واراحة الناس منه ومن اتباعه وزدناكم هذا تأكيدا لتمضوا على ما قدمناه لكم في هذا الشأن واسعوا ما امكنكم في ازاحة ما تسبب فيه هذا الفتان من الفساد والافساد . وها نحن عينا اخانا البار مولاي الزين ومعه ما فيه الكفاية من المدد شدا لعضدكم وزيادة في تقويتكم وفي الاثر تصلكم اعلامه وراياته . وتظهر لكم من المفسدين عبرته سبحانه وءاياته . فنأمرك ان تتهيأ لملاقاته وتقوم على ساق الجد والاجتهاد في شد عضده وتنتهز الفرصة في حصول المقصود الذي توجد لاجله . وتسعى ما امكنك فيما يعد لك مزية عند جنابنا العالي بالله انت واخوانك فان الاعمال رايتها وعند الامتحان يعز المرء او يهان اعانكم الله والسلام في 18 ربيع الثاني عام 1331 هـ

الرابعة

احباءنا الارضين كافة قبيلة المعدر والبو الطيبة وفرقة من هشتوكة الذين مع اهل ماسة وكذلك اهل ماسة كافة من الرباط الى وادي الفاس. نخص منهم القائد محمد بن محمد بن همو الماسي واعيانه علي بن احمد

والمدني والسيد عبد الله الماسيين ، اعانكم الله وارشدكم وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته تعم جميع احوالكم المرضية بالله وبعد ; وافانا اعز كلامكم فرحين به غاية الفرح والحمد لله على كل حال فالله يلقينا معكم فى ساعة سعيدة ءامين وعليه فمما يسركم اننا معكم فى الظاهر والباطن فيما تحبون وترضون . من فضل الله وسعادة مولانا وكذلك جميع من تمسك بكم فهو على العين والراس وتمام الكمال . عند اظهار الافعال وعليه فاقدموا على بركات الله بجميع من معكم والمتمسك بكم يقدم معكم فى امان الله وحفظه . واصحبوا مع محب الجميع القائد الحاج احمدبمئونتكم وهديتكم وها المحلة السعيدة المعتبرة قادمة لناحيتكم متابعة ءاثار الفتان . واما سواه فما قصدنا فيه الا الاصلاح والسكينة وها نحن نازلون مع المحلة بالچرَون وفيه نلتقي معكم ، لتنالوا المزية كما اردناها لكم واما خيركم فما نسيناه فالله يقدرنا على مكافأته وأمرنا الخليفة الاكبر بيده مولانا مولاي الزين باعلامكم حين سبق اليكم كلامه ولا تنصتوا للقيل والقال واما غير ذلك كما قلتم فكسراب بقيعة وعلى اخوتكم ومحبتكم الخالصة ، والسلام فى جمادى الثانية عام 1331 ه وها المحلة قادمة فى الاثر والسلام نعم ومكاتيبكم دفعناها للشريف خليفة سيدنا والثانية للباشا الحاج التهامي . وامرونا ان نكتب اليكم ، وقالوا لنا كل ما اصلحت اصلحناه. وما افسدت افسدناه وهذا ما يكون فى ذهنكم وهم قادمون نحوكم فى الاثر عاجلا وخروج المحلة لناحيتكم بكرة الثلاثاء بعد تاريخه (كتبه حيدة بن مئَيس المنبهي)

الخامسة

محبنا الاعز الارضى القائد محمد بن محمد بن همو الماسي ، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك معلما بتنصلكم من متابعة الفتان وتبرئكم من دعوته ، وبفرحكم لقدومنا وما امد الله به محلة مولانا المظفرة من ريح النصر على الفساد . طالبين من الله جبر حالكم بتأييد جناب الدولة الشريفة وصار بالبال فاعلم انكم والحمد لله عند جناب المخزن من القبائل الميزين بالصلاح ، والنصح فى الخدمة ، قديما وحديثا ومقصود سيدنا ايده الله بتوجيه هذه المحلة التي كلفت بها انما هو بث الامن ونشر الصلاح فى هذا القطر السوسي المبارك من غير لحوق ضرر لاحد وعليه فلابد اذا وصلكم كتابنا هذا ان تهيىء جميع

اعيان اخوانك واقدم بهم علينا وعلى خليفة سيدنا للمحلة السعيدة بلا تأخير اعانكم الله وعلى المحبة والسلام فى 21 جمادى الثانية عام 1331هـ.

ثم هاك نظرة عن هذه الوثائق :

فالاولى المؤرخة ب 29 المحرم 1331 هـ من الملك الهمام مولاي يوسف رحمه الله .

والثانية المؤرخة ب 24 صفر 1331 هـ من حيدة

والثالثة المؤرخة ب 18 ربيع الثاني 1331 هـ من مولاي يوسف ايضا رحمه الله .

والرابعة المؤرخة ب 25 جمادى الثانية 1331 هـ من حيدة

والخامسة المؤرخة ب 26 من جمادى الثانية من الحاج التهامي الاجلاوي ولذلك يعلم القارىء انها كلها كتبت فى هذه الفترة التي نحن نبها فيستفيد منها ما يستفيد

حالة سكتانة الآن

كانت قبيلة سكتانة مجتمعة تحت يد القائد التاز ولتي الواعنابي الفلالي الاصل ولاهله رياسة من اواسط القرن الماضي وقد كان له ظهير القيادة وقد اجتمعت تحته فرقتا سكتانة ايت تازولت وايت سنمج - وهؤلاء غير ايت سنمج الساكنين فى جوار ايت برحيل - ثم وليه ولده الحسن بن محمد رئيسا قبليا وقد مات الحسن هذا بعد صدر هذا القرن. ثم تفرقت سكتانة على تينك الفرقتين فتدور بينهما حروب فظهر محمد - فتحا - ابن تابيا فكان من شيعة ءال تازولت ومحمد - فتحا - ابن عبد الله من ءال ابي بكر من ايت سنمج فكان الظهور لهذا الاخير وعلى ذلك كانت سكتانة قبل 1330 هـ ثم لما ظهرت رايات الاحتلال من البيضاء . وانتشرت الدعاية للهيبة . فبويع فى تزنيت .ورد عليه مع القبائل رؤساء سكتانة . ومن بينهم محمد - فتحا - بن عبد الله المذكور ثم انكمشوا بعد ان رجعوا ولم يذهبوا فى جيش الهيبة الى مراكش تسلموا مما وقع لمن معه ثم لما ظهر القائد حيدة فى الميدان ، وحارب الهيبة فى تارودانت بقى السكتانيون بعيدين عن الفريقين معا ثم انبعثت بين

الفرقتين حروب متعددة استرسلت كذلك الى 1334 هـ . واذذاك استولى
محمد بن عبد الله على املاك اِدهَمْو فى المحل الذي بنيت فيه دار الچلاوي
فى (تَالِيويــن) وقد فتك ابن عبد الله بابراهيم ابيهم ثم لما توجهت همة
الاچلاوي الى الاستيلاء على تلك الجهة اتصل بمحمد بن عبد الرحمن
النظام المديدي فسهل عليه ما يريد فجاء الحاج التهامي بنفسه يقود
الجيش من وارزازات فلاين الناس وفتح لهم باب الانتصار به فطمع
كلا الفريقين ان ينصره ضد الآخر فلم يزل يفتل لهم بين الذروة والغارب
حتى تمكن بعد ايام قليلة من الرؤساء . فاعتقل محمد بن عبد الله . والحاج
احمد التازولتي من الاسرة الرئيسية وابن تابنيـا . ومسعودا التازولتي.
فذهب بهم الى مراكش فاذ ذاك انزل خليفته سيــدي مُوح الدءادْسي فى
(تاليوين) فحاز تلك الدار فشيدها كما يريد ودار التّازْولتِــي ودار
تَادْكُوت وهي لاهل الفقيه الحاج عبد الســلام فملأ هــذه الديــار
باصحابه فاذ ذاك اشتــدت وطأتــه على سكتانة بالمغــارم المتواليــة
وبالضيافات من ذلك الوقت . فبسبب الاچلاوي دخلت هذه الجهة تحت ذيل
الاحتلال 1334 هـ ولله الامر من قبــل ومن بعــد .

مــا فى حاجــة ؟

عهدنا بالحاحيين يوم تَغِذُ بهم خيولهم فارين من الحمراء وقد عرفنا
ان ضلعا عظيمة من اضلاع امارة الهيبة كانت من جهتهم ثم انهم قدمــوا
عليه بالحمراء ولكن ما كادوا ينزلون حتي ثاروا فارين ولا شك فى ان
الدولة الحامية لم تكن ليخفى عنها الدور الذي مثله القائد عبد الرحمن مع
من يوحون اليه فى ثروة الهيبة ولذلك لابد انها محاسبته على ذلك حسابا
عسيرا وهذا كله صحيح وقد انشقت عصــا الحاحييــن بعد كائنة
مراكش فالتحق انفلوس اولا بالحكومة مبايعا لمولانا يوسف وبقــى
الحاحيون الجنوبيون وحدهم ثم زحفت اليهم الحكومة بجيــش مــع
الحاحيين الشماليين فاذا بقائد الجيش يرتكب غلطة فقد امر بوضع
علامات من الخرق الملونة على الرؤوس ، ليتميزوا من عدوهم من الطيــارات
فثار الحاحيون ضد ذلك فقالوا ما هذه الا ما نعتاده مما يضعه اليهود على
رؤوسهم فمالوا الى اخوانهم فاجتمعوا فاجتمع رأي حاحة من جديد .
ولكن سرعان ما قضي عليهم والقي القبض على القائد عبد الرحمن وءاله
وفر انفلوس . واسندت القيادة الى القائد مبارك بن عــدي فى مقام انفلوس

بعد ان هرب الى إدَا وتَنَان والى القائد الحاج الحسن فى مكان القائد عبد الرحمن . وهو ابن عمه فدخلت حاحة كلها تحت يد الحكومة بعد ان صنعوا ما صنعوا وربما نفصل ذلك عند التعرض لتراجمهم الخاصة ان شاء الله فى غير هذا المحل او فى كتاب ءاخر

الهيبة فى اسرسيف

ان تخلف السعد عن الامير الهيبة فان القوافي لا تزال فى ركابه فقد خاطبه ابو زيد البَزْيِ ــ كما قيل لي ــ يوم نزل فى اسرسيف بقوله

تأخرت لكن كي تعيد لهم وثبا وكيما يفيد الضرب ان ترد الضربا
فما انت الا الليث فاعرف مكانة تبوأتها فالليث يفتك بالظرْبَى
فانت امير المومنين فعدّ عن تلكئى من يخفى الحقائق او يخبا
ندم فى امان الله فالله صائن فلا تخش لوما ما استقمت ولا ثلبا
عليك سلام الله يا خير من له من الودّ ما قد يستحق ذوو القربى

جرى الهيبة ومن معه اطلاقا ولم يفتحوا اعينهم ولا املوا فى الامن حتى دخلوا بلاد هشتوكة فامكن لهم ان يكفكفوا من ازمة نياقهم التي طاروا بها هلعا فنزلوا فى (اسرسيف) من هشتوكة المائلة الى الجبال فهذه هي الهزيمة الثانية . وستعلم متى تكون الثالثة والرابعة

ثم ان حيدة الآن قد احتل تارودانت وجمع اليه كل قبائل رأس الوادي بحذافيرها وقد تولى باشوية تارودانت فحاز انتصارا باهرا اجتنى وراءه ثمارا يانعة. رجع بها شأنه متألق النجم صاحي الجو وقد امتد الى الاستيلاء على ما وراء تارودانت ثم ان القائد الناجم قد فوض له الهيبة فى هشتوكة فالقى عليها كلاكله فنضا عليها سيف صولته فعركها بالمغارم . فتمكن فيها فاصطدم هو وحيدة فى أزرو فكانت الهزيمة على حيدة . ثم كر فكر عليه الزمان القلّب بهزيمة اخرى سلب فيها القائد الناجم كل ما مع حيدة من السلاح والكراع بل جرح حيدة نفسه ثم ثارت ضده هوارة . هكذا حدثني بعض الناس . وقد حضر اذ ذاك فى هوارة. فكانت هذه الوقائع مما قوى جانب الهيبة وكاد حيدة يندحر اندحارا يرتكس به الى الحافرة غير انه مغوار . فسرعان ما استجمع قوته فترامى الى هوارة من جديد . فاسترجعها وهو يتطاول الى هشتوكة وفى رمضان

من هذه السنة ظفر الهيبة بالقائد سعيد المجاطي اخذه اصحابه ختلا في هوارة وقد رجع من مراكش مزودا من عند الحكومة بما يزود به امثاله فاعتقل الى 2—12—1331 ه فقتله السيد احمد بن ابي الطمام الرخاوي صبرا قصاصا باخيه على الذي كان قتله ايام قيادته في (تَاچْنْجْچَالْت) كما فتك اصحاب الهيبة ايضا بالقائد عبد السلام الجراري في 8 جمادى الثانية اوائل نزوله باسرسيف وقد كان هذا قاصدا الى القائد حيدة بعد ان احتل تارودانت . ارسل اليه وقد امره — فيما قيل — بالمرور على هذا الرجل لعله يستفيق من غشيته فيدخل في المصالحة مع الحكومة فاقدم الجراري على ذلك ، ولم يقرأ عاقبة امره مع ان محاربته مع الحكومة وابراماته معها في مراكش لم تعد سرا فقد عرفها كل احد وكأنه اتكل على التعارف السابق بينه وبين الهيبة. او كأنه اتكل على ما بين خليفته عياد مع الاعراب وهو اذ ذاك لا يزال امره معهم واحدا فذلك ما ربما استند اليه فبات عند الهيبة وفي الصباح عدا عليه اعرابي من غير امر الهيبة فسقط اثرها ودفن هنالك ما شاء الله .ثم نقلت جثته الى قبة السيدة اِجُو في (تَالْعِينْت) ويقال ان الفتك به كان بايعاز خليفته عياد والله اعلم . فيقول الناس هكذا رجع الهيبة فاتكا. بعد ان كان يوم يستأمره حيدة امام اسوار الحمراء في الفتك بالعظام فيتورع ولكنه انما تورع عن ذبح الكباش الكبار . ثم رجع اخيرا الى ذبح الخرفان الصغار ثم انه لم يكتف هو واصحابه بالفتك بارباب الحسام حتى تجاوزهم الى ارباب الاقلام فذهب الفقيه أعْبُو ضحية ذلك ولم تراع له حرمته العلمية ولا قيامه بالتدريس زهاء ثلاثين سنة وقد كان يصل يده بحيدة في الوقت الذي يحاربه فيه القائد الناجم من هشتوكة فقام الناس ضده فقتله احدهم برصاصة . رحمه الله وذلك سنة 1332 ه وفي هذه السنة 1332 ه في شوال قال الشاعر الافراني يخاطب الهيبة ويهنيه وقد امتد الجيش الصحراوي بقيادة مربيه ربه فاستولى على كل ازاغار :

هبت صبا نجد بطيب عرار	وسرت مبشرة بقرب مزار
مرت علي بان الحمى فتعطرت	انفاسها من نفحه المعطار
هبت فأذكرت المشوق صبابة	عهد الحمى سقى الحمى من دار
دار ثوى فيها الحجى وتوطد	المجد المؤثل والهدى للساري
حيث السيادة والسعادة والتقى	والباس والجود المعين الجاري
مثوى امير المومنين الهيبة الـ	ـبحر الخضم المزبد الزخار

الناصر المنصور مولانا ابي الـ — ـعباس فياض الندى المدرار
العالم العلم الامام العارف الـ — ـهادي الرشيد الطاهر الاسرار
الكامل البر التقي المرتضى — الباسل البطل الهزبر الضاري (1)
فخر الائمة تاج هامات العلا — انسان عين ممالك الاعصار
ظل الاله ملاذ ءامال الورى — محيي الهدى مردي العدا الفجار
ملك حوى ارث السيادة كاملا — عن كامل سام سماء فخار
من حاز خصل السبق فى شاو العلا — فردا فصار مجلى المضمار
من جد فى احياء دين محمد — صلى صلاة رضى عليه الباري
نمع العداة جهاده ومجاله — بلسانه وسنانه البتار
وحمى حمى الاسلام لا متكاسلا — وكلا ولا مستسلما للعار
ما لان للاعداء يوما لا و لا — طأطا لغير الواحد القهار
كلا ولا هزت جبال وقاره الـ — راسي رياح رخا ولا اعصار
له منه ثبات جأش لم يزل — بالذعر عند تخاذل الانصار
كادت بجهدهم العدا ورموا فما — زادوه الا شدة استبصار
ما اثرت فى عرضه الا كما — قد اثرت فى التبر جذوة نار
مولاي يا من ملكه زان العلا — ففدا حلي الاسماع والابصار
يا من دعا للفوز فانقادت له — اهل النهى بتسابق وبدار
يهنيك اقبال المنى والفتح فتـ — ـح (الفحص) بعد تلكا ونفار
ناديتهم كي يقبلوا ودعتهم الا — هواء والشيطان للادبار
فتركتهم حتى طغوا وتظاهروا — بالبغي وانتزعوا الى الكفار
ارسلت صنوك سيف نصرك ساعرا — نار الوغى بالعسكر الجرار
فاناخ كلكله وسل غراره — بدءا على (أچلو) مقر شرار
فأباده عرك الرحى بثفالها — وفراه بالانياب والاظفار
وانقاد باقيهم لامرك وارتضوا — لما راوا أن لات حين فرار
اذ شاهدوا الجيش اللهام كأنه — ليل ظباه كواكب ودراري (2)
عرب اذا ركبوا العراب وصمموا — اجلت وجوههم ظلام غبار
صيد بها ليل كرام قادة — للمجد احرار بنو احرار
من كل اروع ضارب هام العدا — يوم الكريهة حافظ لذمار
ركاب اخطار العلا ضراب اعـ — ـناق العدا باسنة وشفار
واعاجم ربثوا بنيران الوغى — سم العداة وءافة الاعمار

(1) الهزبر بكسرة ففتحة فسكون الاسد
(2) اللهام بالضم الكثير

فرسـان غـارات وءاسـاد اللقـى | سـواس مكرمـة حمـاة الجـار
مهما دعوا لبوا ومهما استصرخوا | طاروا الـى الهيجـا بكل مطـار
طاعـوا لامر امامهـم واستمسكوا | بالـديـن فى الاعـلان والاسـرار
لم يستفزهـم الحطـام ولا صفوا | للدرهـم الصافـي ولا الدينـار
لـم يرتضـوا بحمايـة الكفار بـل | بحمى النبـي المصطفـى المختـار
صلى عليـه اللـه خيـر صلاتـه | وعلى الصحـاب السادة الاخيـار
لله عسكـرك السعيـد فكـم لـه | بك من خصال الفخـر يوم فخـار
جيش اذا مـا جنهم ليـل الوغـى | اسـروا بنـورك فى ضيـاء نهـار
واذا تضايـق مـأزق فرجتـه | بسعـودك الـوضـاحـة الاثـار
فلك البشارة ان سعدك ضامن | لك ان تفـوز مـن العـلا بالثـار
وبأن تجيئـك طائعـات خضعا | لعـلاك كـل ممالـك الاقطـار
وبـأن تشرفهـا اقالـم لم تـزل | تهـواك شـوق الروض للامطـار
فاستجلهـا غـرر المنـى مترشفـا | ثغـر الهنـا فالزنـد زنـد وار
واغفر لدهرك مـا جنى واقبل لـه | مـا كـان ابـداه مـن الاعـذار
فالملـك جاءك تائبـا ولئـن عصى | فاليك قد القـى عصـى التسيار
فاصدع بأمرك مـا عليـك غضاضة | واحكـم بمـا تهوى فأمرك جـار
واليكهـا بنـت القريحـة غـادة | تـزري بحسـن الخـرئد الابكـار
تزهو بما قد قلدت من مدحك الـ | ـعالي فقـام لهـا مقـام سـوار
فاقبـل اميـر المومنيـن ذمامهـا | فالحب فضلهـا علـى الاشعـار
دامت سعودك فى الصعود ولا جرت | الا بمـا تهـوى رحـى الاقـدار
وعليـك مـن رب الانـام تحيـة | تنسـى نسيـم حديقـة الازهـار
ما هز ريـح النصر اغصان النقـا | فرمت جنا الحسنى وعقبـى الدار

ومما كتبه هذا الاديب الافراني الى الهيبة او الى مربيه ربه بعده ــ لان الرسالة مغفلة من التاريخ ــ :

الحضرة الشريفة العلية والجلالة المنيفة التي هي بالاسرار والبركات ملية مولانا الامام ظل الله الممدود على الانام اميـر المومنيـن المظفر المؤيد جنده سعده الموفَّر نصر الله علمه وظفـر بالعد وحسامه وقلمه وشفى برايه الرشيـد وجده السعيد سقم الديـن والمـه وسلام على حضرته الامامية وجلالته الحامية من مقبل عتبته السامية وشاكر

نعمته الهامرة الهامية عبده الضارع الداعي المتقلب في نعمته المخصبة المراعي الناجحة المساعي الفقير الطاهر بن محمد لطف الله به ، هذا وبعد الدعاء للحضرة السامية بما يناسب حقها من دوام السعادة والنصر الخارق للعادة فانا كتبناها والغيث يهمي والسحاب بسهام القطر يرمي . ويسدد نحو شيطان الجدب نبال الضرب فيصمي ، والقلوب منشرحة . والوجوه مستبشرة فرحة . والافواه شاكرة . والضروع شاكرة مثنية معترفة بصدق النية بما ظهر من كرامة امامهم وسلطانهم بما عوده الله تعالى من نصره ظاهرا وباطنا باجابة دعوته وبركة حركته (1) (ولكل امرء من دهره ما تعود) وقد حملني صدق نيتي وخلوص محبتي في مولانا ايده الله ان قلت في شكر هذه الكرامة شبه ابيات تقابل بالصفح والاغضاء على عادته نصره الله في اخواتها وهي

حمدنا على غيث ازال اذى العيث	الها لطيفا كاشف الحزن والبث
ونسأله نصرا عزيزا لامة النـ	ـبي على اعدائه الاكلب الخبث
وتأييد سلطان حمى الدين بالظبا	كماتحتمي الاشبال في الخيس بالليث (2)
امام الهدى المولى الذي بركاته	تفيض على العافين فيضا بلا ريث
تعودت الدنيا اذا ما ركابه (1)	تبدي هناء للانام وللحرث
وغيثا مغيثا بعد جدب تجهمت	به اوجه الامال في الحزن والوعث
فلله في حكم اصطفاء (1) محمد	خبيئة اسرار تجل عن البحث
فلولا جلال الملك والهيبة التي	على له سميته بابي الغيث
فلا زال منصور البنود مظفرا	صوارمه بالمارقين ذو النكث
ومني على المولى الامام تحية	كنشر ثناه الفض او خلقه الدمث

ونسلم على مولانا بدء او ختاما ونهدي لحضرة النبي صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاما

يا كتابي بالله قبل يديه	عن فمي كلما قدمت عليه
واقرأ مني السلام الفا وخبـ	ـره بحبي له وشوقي اليه

(1) من هذه الجملة يظن ان الرسالة كتبت لمربيه ربه . لانه هو الذي اتخذ العادة ان يجول على القبائل كل سنة ومثل هذا يظهر من جمل اخرى في الرسالة وفي القصيدة .

(2) خيس الاسد بالكسر عرينه ومأواه

احتلال اجادير

كانت اجادير فى ءايالة المحجوب الحاحيين — وقد ذكروا فى (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) وفيها كان خليفتهم الحاج الحسن ما شاء الله . وفى جوار اجادير قبيلة چسيمة وعلى رياستها اخيرا الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن الحاج العربي — وقد ذكر ذلك فى (الفصل الرابع) ايضا ، وهو الذي مر لنا مرارا وكان من الناصحين للهيبة . ومن ابناء اعمامه اولاد الحاج الحسن الاِنْزْچَّانِيِّيين طالب مفوار هو محمد بن الحاج الحسن وكان قد فتك بأحد اخوته فهرب من القبيلة الچسيمية فأوى الى الحاج الحسن الچلولي ما شاء الله وكان هناك سنة 1329 ﻫ فكان الوسطاء يتوسطون بينه وبين ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الرحمن لعله يأذن له فى الرجوع الى داره . فيأبى هذا كل الاباء ومما توسط فى ذلك الاخ محمد وقد نزل عند الحاج الحسن ومعه الشيخ محمد بن عبد الرحمن فذبح محمد ابن الحاج الحسن كبشا عند بغلة الاخ واستشفع به الى الشيخ محمد ابن عبد الرحمن فاعتذر هذا غاية الاعتذار ثم ادلى بنيات ابن الحاج الحسن. وانه كالحية الرقطاء. وكيف الحياة مع الحيات فى سفط. ولكنه قبله على مضض . هكذا بقى محمد بن الحاج الحسن مناويا لاهله ولما نجمت الفتن بانهزام الهيبة من الحمراء اتصل محمد بن الحاج الحسن بالحكومة . فتعين قائدا على چسيمة ثم صار الهشتوكيون يمتد جيشهم الى چسيمة . مدافعة لمن فى اجادير فرجعت چسيمة معهم ثم ان الحكومة صممت على ان تصل اجادير بتزنيت التي فيها الآن ابن دحان يتقوى ويتوطد ففي 15 من ذي القعدة سنة 1331 ﻫ والت بوارج من ثبج البحر قنابرها على دار الشيخ محمد بن عبد الرحمن ، حتى هدمت ابراجا فيها عالية . فارتحل الساكنون بقرية الدشائرة — ثم فى 15 من المحرم سنة 1332ﻫ سرت سرية من اصحاب محمد بن الحاج الحسن ، حتى دهمت ليلا من فى قرية الدشائرة ، فقتل اناس من بينهم الفقيه علي السباعي فنجا الشيخ محمد بن عبد الرحمن بجريعة الذقن — ثم فى 15 صفر تم احتلال چسيمة فهرب ابن عبد الرحمن الى اداوتنان — فتمكن ابن الحاج الحسن فى چسيمة قائدا ثم باشا اجادير الى ان كان منه ما كان — وقد فصلنا هذه الاخبار فى (القسم الرابع) فى ترجمة سيدي محمد بن عبد الرحمن هكذا صفا سيف البحر للحكومة من الصويرة الى چسيمة ولم يبق الا وثبة واحدة فتضم هشتوكة الى تزنيت واجادير فيتم امر ازغار اجمع هذا كله وقع وامير نا فى (اسرسيف) وزمن مكث الهيبة فى (اسرسيف) سبعة اشهر وسبعة عشر يوما ، مقدار ما كان مكث فى (تارودانت)

اشتدت وطأة القائد الناجم مع مربيه ربه على الهشتوكيين ، وقـــد
رجمت بهما المخزنية القديمة جذعة فما شئت من مغارم وفتك واعتقال
حتى لقد كاد القائد الأغبَالوِيي المتنع فى داره ان يلتحــق بالقائد سعيــد
الجاطي ، والقائد عبد الســلام الجراري حكى بنفسه انه جلس اذ ذاك فى
داره فاذا بصره الشيخ مُومَّاد الديلمي يجري اليه فقال له وهو يلهث
ثم بعجلة . فقال ابلعني ريقي. واسترح واخبرني اولا لم هذا الاستعجال ؟
فقال له انني الآن تركت القائد اِرْعَا وزير السلطان الهيبة فى داري وقـد
ارسله صاحبه اليك والي ، فقال ان الامور اليوم تقتضي الحنكة ولا يليق
ان يدبرها الا المحنكون ابناء البلد قال اِرْعَا : انني وان كنت ما كنت فالحق
يقال انني لا اصلح للوزارة فى هذه البلاد التي انا غريب عنها ولا يليق بها الا
القائد الاغبالويي ولكن هداه الله لا يزال متجنبا كأننا لسنا بمسلمين
والآن اوصاني ان الح على جنابك فى الالتحاق به . فوعدني ان انت طبت نفسا
على يدي ان اتقلد ايضا قيادة كل هشتوكة ولذلك احب منك لما بيننــــا
ان تتنازل فتقبل ما عرضه عليك فالفرص نــادرة فى الحيـــاة قـــال
الاغبالويي : فتركته حتى قال كل ما فى صــدره فقلت له او انت هناك ؟
اذهب انت حتى اراك متقلدا القيادة فاذن يمكن لي ان اتبعك او لا اتبعك
فخرج الرجل مغضبا مما قلت له فوصل الى صاحبه القائد اِرْعَا بخفى
حنين ، فرجع ارعا ثم تبين بعد ذلك ان ارعا اوصى اصحابه بالفتـــك
بالاغبالويي وبِمومَّاد بمجرد ما يدخلان فى الدار فنجا الاغبالويي بحذقــه
وحزمــه وتأنيــه

تلك هي السياسة التي تمشى فيها من مع الهيبة . منذ ان قطعوا رأس
كَابَّا وضرَوا على الفتك ولكن الدهر على كل حال لا يزال بهم مدبرا
فبعد ان امتدت ارجلهم على هشتوكة بسبب القائد الناجم اضطروا مــن
اجل هجوم عنيف قام به حيدة الى بلاد هشتوكة . الى ان يركبوا ايضا مركبهم
المعتاد فوقعت الهزيمة الثالثة فتسلقوا الجبال لعلهم يجدون فيما بينها
منعة . والذي هاج حيدة الى ان استلقى على بسيط هشتوكة . كون رجالات
من هؤلاء يستنجدون به ليرفع عنهم كابوس ما هم فيه من القائد الناجــم
وهم يوقنون ان له ايضا كابوسا هائلا ولكنه على كل حال يوجد معه الامن
على الانفس على الاقل واما الاعراب فلا امان على نفس ولا على مال ولا على

عرض . كالجراد يأتي على كل شيء وبهذا يصفهم الناس اذ ذاك ، ننقل ذلك عنهم .ولا نتحمل جريرته لاننا نعلم ان الحكومة ما زالت تمد يدها الى الهيبة ومن معه فلولا عزة الاسلام فيهم لانقادوا وهذا لا ينكره احد لا امس ولا اليوم ثم بامتداد يد حيدة انضمت هشتوكة الى چسيمة وهوارة فكان الجميع فى ظل الحكومة

عود الى ابن دحان بتزنيت

كان لابن دحان حين نزل بتزنيت امتداد سريع الى بعض القبائل كالمعدر وبعض هشتوكة فيغرمها مغارم باهظة ثم بعد ذلك امتنعت عليه وقد كنت فى المعدر اول سنة 1332 ه فوجدت المعدريين يحاربون تزنيت محاربة شديدة وقد نزل بعض قبائل الجبل فاعانتها ما شاء الله حتى حوصرت تزنيت . وبعد ذلك انفك الحصار من القبائل الجبلية وبين ءال ازغار وتزنيت حرب تدور سجالا وقد امتد حينا القائد ابن دحان حتى استولى على الساحل واذ ذاك انتهب دار الفقيه سيدي ابراهيم چزور وديار الفقهاء السملاليين فتبعثرت خزانة الفقيه احمد بن ابراهيم الساحلي كما انتهب ايضا بعض ءال ايت ابرايِّم وفى اوائل هذه التموجات جاء مربيه ربه من الصحراء بجيش اسود كثيف من الصحراويين فنزل بهم على قبائل ازغار فانتهبوا الچعدة والزاوية الاچرارية بأَچلو وذلك فى رمضان 1332 ه — وهي التي تقدم ذكرها — وقد قاسى الناس منهم امرا عظيما اصطلى بناره الصديق قبل العدو فقد كانوا يبيتون عند الناس فيقترحون كل شيء يجري على اذهانهم حتى الشعير لعلف الجمال . وهو غريب لان الجمال عندنا لا تعلف شعيرا كالبغال وعهدي بالاعراب — وانا فى المدرسة البونعمانية ياتون باحمال من الشعير جمعوها بعذر العلف لجمالهم فيأتمنونها عند الطلبة بالمدرسة وكانوا متى راوا حاجة حسنة من المتاع كقطيفة واناء حسن يخرجون به صباحا وقد كنا اذا خطروا حوالي المدرسة البونعمانية نسد الابواب خوفا ان ينتهبوا بيوتنا وكان بعض الرجال المغاوير يقفون امامهم فيرد عدوانهم مرغمين وقد كنت فى تلك السنة فى قرية (الارجام) فى ايت ابرايِّم فشاهدت عشية جماعة من صعاليك الاعراب اعتقلهم محمد بن العربي وكان شجاعا وجدهم لا فى مثل هذه الفوضى فألقى عليهم هذا الدرس وكان كل الصحراويين يسمون كل الشلحيين الا باسماء مخجلة — اولاد ممئاس — فكانت هذه

السياسة والفوضى مما قرب الشقة لابن دحان فصار يستميل الناس بسرعة عجيبة ولذلك كانت سنة 1332 هـ والتي بعدهـا سنتي شدة على الازغاريين المساكين فان تقوى الاعراب ساموهم مثل هذا الخسف الذي سمعته فيساقون رغم انوفهم الى حصار تزنيت . وان انجلوا ورجعت القبائل البعمرانية والجبلية الى ديارها رجحت اليهم كفة ابن دحان ، تكرر ذلك مرتين او ثلاثا فلم تصف تلك الجهة التزنيتية للحكومة الا فى سنة 1334 هـ فأمكن لسكان المعدر وأچلو وبعض ايت ابرايم وما اليها ان تستند الى جهة واحدة على ان المفارم لا تنقطع من ابن دحان وامثاله حتى افلس الناس ولقيت القبائل عرق القربة وقد تقوى ابن دحان كل التقوي اخيرا فنال مقاما عظيما واظهر صولة تأيد بها جانب الحكومة تأيدا عظيما حتى امتنع ازغار عن تجار الجبليين والبوعمرانيين لانه يلقي عليهم القبض فانكفوا عن ارتياد ذلك السهل وحين جاء مربيه ربه احدى المرات بجيش من الصحراء خاطبه شيخنا بقوله :

ابا اندى الورى كفا واكرم — لك البشرى قدمت اجل مقدم
بعز يورث الاعداء خزيا — ونصر جل ينسي ما تقدم
ونيل للعدا من اسد غاب — تقودهم بعزم منك صمم
هم العرب الفوارس خير جند — يرون الفر في الهيجا محرم
فعجل ايها الضرغام عجل — بسيرك عازما فالعزم احزم
اغث وانصر اخاك امام عدل — فانت لملكه كف ومعصم
وانت اذا التظت نيران حرب — وطار الرعب بالجبناء ضيغهم
تخضد شوكة الاعداء واحطم — جنودهم بعسكرك العرمرم
رجالدهم بجند الله واصبر — تنل بالصبر محمدة ومغنم
وبدد جمعهم وافلل شباهم — ورو حسامك الظمئان من دم
ولا تخلد الى الراحات واداب — فمن رام المعالي ليس يسأم
ومن صحب التواني فى امور — وضيع فرصة لابد يندم
لسان الحرب للاحرار احلى — وان مرت من الراح المفدم
فسر فالله عز وجل يردى — بك الكفار فى هذا المحرم
ويجزي الناكثين العهد خزيا — يجرعهم به صابا وعلقم
بقيت لامة تخذتك حصنا — تلوذ بركنه الحامي فتعصم
ولا زالت ركاب الفتح تحدى — لبابك ما حدا حاد وهينم

بجـاه المصطفـى المختــار صلــى   عليــه اللــه تعظيمـا وسلـم

حيـدة وابـن دحـان

تركنا حيدة فى 1332 ه وقد تمكـن فى هشتوكة حتى لم يجد الهيبة لنفسه الا ان يفر من (أَسَرْسِيف) الى (تِيمْچِنْ) فى ايت والنّيَاض ثـم فى سنة 1333ه التجأ اليه المعدريون وقد رأوا ان لابد لهم من الانخراط فى سلك الحكومة . فاختاروا حيدة على ابن دحان وان كان الكـل سواء فى المفارم ولكن المعدريين لا يرضخون لهذا لما سامهم به وساموه من مجاذبات فى حروب عنيفة . ولما كان ايضا بين التزنيتيين والمعدريين من خلاف قديم شب عليه الناشىء . وشاب عليه الشاب . متوارث من عهود الاجداد فكان ذلك سبب امتداد يد حيدة الى تلك الجهـة فتضايق بـه ابن دحان والحكومة اذ ذاك فى ملاحظة ما يتلظى فى العالـم من الحرب الكبرى لا رد الله سعيرها الى الوجود فكانت ترسل للقواد بعض العنان خصوصـا قواد الاطراف كحيدة وابن دحان فكان اتساع الميـدان ممـا تسبب فى اكفهرار الجو بينهما باطنا ولم يطلـع عليـه الناس

فى هذا العهد نال حيدة عظمة هائلة فكما انه امتد الى ازاغار فتمطى كما ترى فى قبائله كذلك تسلق الى اعالي رأس الوادي فأشرف على بعض قبائل تلك الجبال كاِيلاَلْـن الى تَاچْمُوت فكانت المفارم الباهظة التي يواليها صباح مساء ترد عليه ملايين من الريالات ولهذه العظمة التي نالها كلف من الدوائر العليا ان يمتد الى الجنـوب ليؤدب قبائلها التي تجيش فينة بعد فينة على القبائل التي تنضوي الى تزنيت ولمداركة سيف البحر هناك قبل ان تمتد اليه اصبع العدو لان غواصة المانية ظهرت هناك وشيكا فاتصل اهلها بالهيبة واذ ذاك اوعز الى ابن دحان ان يسلم له وينضوي تحت ضبنه فانف ابن دحان واستكبـر فسافر بسرعة الى اجادير حيث القيادة العليا لسوس . فاعتذر عن القبول . واقترح ان تنقله الحكومة من فضلها الى محل ءاخر فكل ما تختار له يرضاه سوى الانضواء تحت ضبن حيدة فذاك ما لا يرضخ لـه الا اذا كلف به ارغاما فراعت الحكومة خاطره لاعماله التي قدمها فنقلته مـن سوس محترما وقـد سافر توا من اجادير ولم يرجع بعد الى تزنيت فتبعه اصحابه بأثقاله . هكذا يحكي بعض التزنيتيين المطلعين على دخيلته فى سبب ذهابه من

سوس وقد غادر وراءه حمدا كثيرا من بين التزنيتيين لانه يراف بهم ويكرمهم ، وقد كتب لي احدهم ان بعض شعراء ازاغار ــ وقد اخفى عني الكاتب اسمه عن عمد ــ قال فى ابن دحان :

لعمرك ما ادى حقوق المروءة — سواء ابن دحان سراج الدجنة
له راية فى المجد والفضل والعلا — فنادى الا ايتوا كلكم نحو رايتي
فلا يعرف الارضى ابن دحان غير ان — ينيل عفاة جوده كل منية
له راحة فى ضمنها كل راحة — اذا مدها للمعتفين بصرة
فها ناقتي حطت ازاء مقامه — الا فابشري بالخير اجمع ناقتي
لقد جئت اندى الناس من جاءه يرى — امانيه جمعاء تجلى بحضرة
شجاع كريم دين وبهذه — يكون الرجال من حظوا بقيادة
اذا جال فى الهيجاء انساك عنترا — او ان جاد انسى جود كعب بن مامة
الى فطنة تردي العدا فى ديارهم — اذا طمنت ءاراءهم بالسياسة
عليك ابن دحان سلام معطر — وما القصد الا ان تقضي حاجتي

هذه قولة هذا الشعرور الفهيه الذي وجدنا فى اخفاء اسمه عنا مندوحة فى ان نتنفس بعض التنفس بعد ما عانينا ما عانينا حين نكتبها ولكن نخف المئونة ان فكرنا فى ان احد الادباء الكبار سيشاركنا يوما ما فيما يخامرنا. حين يقرأ القطعة . على انه ان كان القائد ابن دحان لم يرزق الا مثل هذه القولة فى مدحه فقد رزق فى القدح فيه شذرة من شيخنا الافراني. قالها وقد شاع يوما انه القي عليه القبض بايدي الاعراب فاذا هي احدى افتراءات الاعراب قال :

رياح الهنا هبت بروح وريحان — وبشر قمرى الحمام بالحان
وسالت نفوس المومنين تطربا — كما يتثنى من تحسى ابنة الحان
وما ذلك الا من جراء الذي جرى — على الكفر من قبض اللعين ابن دحان
عاه لنا الناعي فقال ذوو النهي — به لا بظبي فى الفلاة وسرحان

فذلك ما زود به القائد ابن دحان من السنة سوس (وما زالت الاشراف تهجى وتمدح) ثم انه تولى قيادة أزمور الى ان مات نحو 1350هـ رحمه الله. وفي يوم القيامة يظهر المفسد من المصلح والمومن من غيره واما اليوم فقد اختلط الحابل بالنابل هذا ابن دحان قد اخلى الجو للقائد حيدة

فزحف بجيش هائل من تارودانت فحين احس به الهيبة فى (تيمنجر) ركب ايضا جناحي نعامة موليا شطر بعقيلة بعد حروب حواليه فصلناها فى ترجمة القائد الناجم فمضى حيدة حتى نزل بتزنيت يجر قوة هائلة ثم اقلع فى (مرغت) حتى نزل فى اِدْحَيْتَنُوف على دار للمدني هنالك فانتهب ما فيها وقد اختبأ القائد المدني فى بُوزْ'اكَارْن واعد بهائمه وخيله ليفر الى الصحراء ان توجه اليه حيدة . ولكن هذا ألقى مراسيه هنالك اياما وقد تجمع المجاطيون ومن اليهم. ثم جرى سلم بين الفريقين على يد مبارك ابي الطعام الرخاوي . بعد ما قدم هذا للقائد هدية فرجع ونزل فى طريقه الى تزنيت ثم مال الى وجان . فقامت حرب عنيفة وقد دخل الجيش الزاحف قرية اِدْ عَلِي أُبْلاَ التي فيها النعمة حتى كسرت ثلاث ابواب ثم رجع بعد مجاذبة كاد يحتل بها وجان . فلاقى الجبليون مشقة زائدة ثم رجع حيدة . وهذا كل ما صنع . ويقال انه ما كان له ارب فى خوض حرب وانما الجأته القيادة العليا ليجول تلك الجولة لالقاء الرعب فى الناس لعلهم يستكينون . والوقت اذ ذاك عصيب وقد امتلأ جو العالم بدخان الحرب الكبرى المندلعة اذ ذاك

القائد الحاج عبد الرحمن بتزنيت

اثر ذهاب ابن دحان من تزنيت عينت الحكومة القائد عبد الرحمن المسمى حَادِيمَان وقد كان فى اجادير منذ احتلت 1331 هـ فنزل منزل القائد الراحل ولكن الحكومة مع ذلك ارسلت القبطان جوستينار باشارة من (ليوطي) فرسا معه فى تزنيت فتمشَّى امره بسهولة فلا ينفع ولا يضر والساعة ساعة سكون . لارتجاج اركان العالم بالحرب ولكل وقت ما يليق به . ولم يحدث فى وقته ما اعلمه يستحق الذكر الا انه ارسل جندا فاحتل اجادير أُفْلاَ بوجان والبعقيليون يحاصرونهم ثم تمشى الناس بصلح وقد قال الازغاريون ليس هناك الا ابناؤنا فاعطى القائد عبد الرحمن دراهم ثمنا لخيل هلكت للجبليين فافترق الناس

الهيبة فى كردوس

تتبعنا ءاثار اميرنا الذي يصابر ويكافح ولا يرضى ان يسلم وقد رأيت منه هزيمة الذي الف ان يحافظ على فخَّارته لئلا تتحطم . فصار فى كل وقت يمثل دور الحارث بن هشام فى بدر . فلا يقاتل بل ينجو براس طمرة ولجام

رأيت منه الهزيمة الاولى فالثانية فالثالثة فهذه الآن الرابعة فقد غادر ءال
تيمچر حين احس بقوة حيدة فى هشتوكة فى سواد من اصحابه ــ بعد ما
مكث فى (تيمچر) سنة وفى (اِدَازَن) شهرا بقية ذلك العام ــ حتى نزل فى
مسجد تامَّاشْت) من بعقيلة . فكان هو وعياله فى نفس المسجد وهنالك
ارسل الى الفقيه سيدي عبد العزيز ، فلامه على عدم قدومه عليه قط . وقال
له ان مثلك من يتقدم فى امور المسلمين لا من يتأخر عنها فقال له الفقيه
انني اشاهد افعالكم من بعيد ومن اول يوم استربت فى امركم لانني
رأيت من قاموا به سفهاء القبائل ، وناقصي العقول واصحاب الاغراض
ومن لا قصد لهم حسن ثم انني اراكم بعد ذلك كأنكم طلائع الهزائم والمحن
اينما حللتم فديدَنكم ان تفروا وتغادروا من يحس بكم الظن من غير ان
نسمع بأنه الم بأحدكم جرح . او سقط واحد منكم فى وغى ولا ارى من
يسرع اليهم الردى غير من يغترُّ بكم وجماع ما اقول لكم انني لم ار
فائدة تأتي على ايديكم ثم تعاطى معه قافتين نذكرهما ان شاء الله فى ترجمة
ابي فارس بين اهله الادوزيين فى هذا (القسم الثالث) وبعد نحو اسبوع ارتحل
الهيبة من هناك الى قرية (اِكُوزَولَن) فى (اِمِيتَنْغَمِي) وبعد ايام ءاواه
القائد سعيد بن المقدم الى داره بِكَرْدُوس وقد كان سيدي محمد الملقب
بَوشَّاكَّا الجرسيفي ينفق على الهيبة من حر ماله فى (تَامَّاشْت) وفى
(اِكُوزُولَن) يبيع حقوله من سقى (تَاغزُوت مَلْقَا) فيصرفها عليه وكان
له فيه نية حسنة . واما غيره فلم يأبه بالامير الضيف لان العين تقتحمه
فلا حاشية ولا مال . وقد مل الناس من امره . وعزموا على ان يدافعوا على
احسابهم فقط . كما قال مسيلمة لبني حنيفة يوم اليمامة. هذا هو الفتورالذي
تلقى به الهيبة من بعقيلة . ولكن غيرها من القبائل قد مدت اليه الاعانات .
فصارت تقدَم عليه فى كردوس ، وترحب به وقد تتابع اليه الناس زوارا .
والحامل للبعقيليين على ذلك الفتور دون غيرهم هو الشيخ احمد الأَمَازَرِي
الذي كان أبدا واعاد اولا فى الامر ولكن حين تقرب الى الهيبة القائد سعيد
ابن المقدم منافسه فى القبيلة دونه نفض يده فى امره وهناك سبب ءاخر اتي
من طبيعة بعقيلة . فان سكانها بل سكان كل ولتيتة من ابخل الناس مجموعا
لا افرادا فيصعب عليهم ان يجمعوا جميعا ولو قرشا واحدا وقد وقع ان
بعض الناس راح يجمع سمنا من بعقيلة للهيبة. وهو فى (تِمَچْر) وقد رأى
القبائل كلها تجمعه فلم يطف القائمون بذلك الا للتخييل على الناس
فسموا ذلك جمعية الشريف تشبيها لذلك بجمعية استاذ المسجد او
استاذ المدرسة فرارا من تسمية ذلك سمن السلطان لئلا تثور الدهماء

بهم وما ذلك الا من اجل طول تماديهم فى العصيان وتمردهم عن طاعة الملوك وقد تركب ذلك فى طباعهم حتى لم يقدروا ان يسمعوا اسم ذلك ولو مجازا

هكذا اوى الهيبة الى كردوس فى اوائل 1333 ه مع ثلة من الاعراب الباقين معه وقد نزل على صاحبه الوافي له حق الوفاء ، القائد سعيد الذي ما نفض منه قط يده وانها لمزية سيشادله بها ذكر خالد فى التاريخ . وقد خاطبه شيخنا الافراني اذ ذاك بقوله :

تعز امير المومنين وطب نفسا — وخل التواني جانبا ودع اليأسا
فعن عجل تجني ثمار المنى كما — تحب وتمحو ما جنته يد البأسا
فمن لاذ بالصبر الجميل وبالرضا — يجد امره حلوا ومكروهه انسا
ولا تجز عن من حادث الدهر انه — سيرضيك فى الاصباح ان اسخط الامسا
فانك شمس الفضل لا عار ان دجا — غمام ففمت ساعة حجبه الشمسا
وانك ظل الله من به على الا — نام فمن ناواه تعسا له تعسا
فثق يا امير الله بالله واعتزم — فعزمك سيف صارم يقطع اللبسا
وجاهد بحزب الله اعداءه ولا — تخف منهم نابا يقد ولا ضرسا
فمن يعتصم بالله او ينتصر به — يحطه فلا جنا يخاف ولا انسا
بقيت لدين الله تفرى عدوه — وتحمي بحد السيف عزته القعسا
وازكى سلام الله يا ملك الهدى — عليك كما نمت صبا روضة وعسا

ثم خاطبه ايضا فى عيد الفطر من السنة بقوله

امولاي هذا الفتح بانت مباديه — وهذا صباح النصر اشرق باديه
وهذاك جند الله وافى ملبيا — نداءك طوعا حاضروه وباديه
وسعدك سيف لا تفل ظباته — وعزمك طرف ما كبا قط عاديه
لك الهمة القسعا التي لم تمل الى — سكون ولا كادت تلم بناديه
ودعوة صدق جهزتها ضراعة — لرب رحيم لم يخب من يناديه
فابشر فان الله ناصر دينه — بك اليوم نصرا يستبيح اعاديه
وثق بفتوح لا تزال وفودها — تراوح مغناك الرضا وتغاديه
فانك فخر الملك ما زال حائما — على وردك العذب المهنأ صاديه
فلما اتاك ارتاح وامتاح شاكرا — وقد حمد المسرى هداية هاديه

فهنئته ملكــا بــك ازدان وازدهى — وقلد عقدا من حلي الفخر هاديــه
وهنئت عيدا من سنــاك ابتهاجــه — ومن جُودك الجم النــوال اياديــه
فلا زال طير اليمن فى روضة الهنا — يغــرد تطريبــا بنصــرك شاديــه

هــلاك حــيــدة

كانت الحرب العالمية قائمة على ساق والدنيا كلها براكين ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر فكانت الدعاية تجوب الافاق من الكفة الاخرى التي تعادي الحلفاء حتى اطلت على الجهة البعمرانيــة فخرجت هناك فى اوائل 1335 ه غواصة رمت الى البر اناســا يزعمون انهم تركيون فراسلوا الهيبة واوعزوا اليه ان يصلهم بنفسه ولكنه صار يرسل اليهم رجالات من اصحابه كالقائد ارْعــا والقائد ابن الطاهر الرحماني وكبار القبائل وقد كنا اذ ذاك فى مدرسة تانكرت فمر بنا الذاهبون ومن بينهم الاخ سيدي محمد فلم ير اولئك الناس عاقلا يدخلون معه فى المفاوضات التي جاءوا لها ولم يروا الى الفوضى وذئابا فى ثياب وتسابقا الى احتجان درهم وقد ارسلوا الى الهيبة هدية فيها ءالاف من الاوراق البنكية الاسبانية ومــرءاة غالية من نوع المقربات للبعيد وسيفا محلى ومثل ذلك مما يتحف بــه الكبار من الملوك وكانوا يحسبون انهم سيجدون امامهم عقلاء نظموا امورهم فاذا هم برجال فى عقول صبيان الا ما قل ولا عبرة بالقليل فعرفوا ان ما جاءوا اليه لا يتم فاحتالــوا حتى نجوا بانفسهم ممن يحومون حولهـــم يحرِّقون الارئم على ثيابهم التي على جلودهم ثم انطوت تلك الصحيفـــة بعد ما فرق الهيبة فى الناس بعض المال مما توصل به من اصحاب الغواصة وقد اخبرني الاخ محمد انه رأى بعينه رسالة (غليوم) بطابعهــا المشهــور ورسالة السلطان العثماني بطابعها ايضا يسلمان على الهيبة ويقولان له اننا ارسلنا اليك هذا التركي وهذا الالماني ومعهما كل شيء وفى يدهمــا كل ما عسى ان يتوقف عليه ما يراد من قيامكم السريــع وهذا ما قال ثم خاب هذا المسعى وامــا شاعرنا الافراني فقد قال يخاطب الامير بقولــه يهنيــه بهــذا الوفــد

تأوب طيف مــن اميمة طــارق — فشب لهيبا شــاب منــه المفــارق
واذكــر ايــام الحمــى ونعيمـــه — وعهدا تقاضــاه الشبــاب المفارق
اذ العيش غــض والزمان مساعــد — مُوات واذ غصــن الشبيبــة وارق

زمان مضى لا عهده بمذمم ... ولا زنده كاب ولا الرعد مازق

ولا عيب فيه غير وشك انقضائه ... كما لاح فى جنح الدجنة بارق

الا ليت شعري هل تعود كما مضى ... عهود الحمى ام هل اميم توافق ؟

فتصدق موعد الوصال كما وفى الـ ... ـخليفة موعود العلا وهو صادق

همام سما للمجد بالجد حيث لا ... مساعد الا المشرفي الموافق

له همة لا تنثني عن مراتب الـ ... ـكمال فاما فيلق او مهارق

دعا للعلا اهل المغارب جهده ... فلما تولت ساعدته المشارق

فلباه سلطان السلاطين رائد ... (الرشاد) الذي هابت ظباه الزنادق

وساعد (غليوم القياصر) من غدا ... هماما به تحمى العلا والحقائق

فخلف كل منهما من رءاه لل ... عظائم لا تثنيه عنها المضايق

فخاضا البحار الزاخرات واقبلا ... يقودهما السعد العجيب المرافق

كذا فلتك الاملاك همتها العلا ... وقهر الاعادي لا الحلى والنمارق

الا ايها الضيفان اهلا ومرحبا ... عليكم سلام طيبه الدهر عابق

فقدجئتما بالنصرواليمن فاغتَدَت ... موكدة منكم ومنه العلائق

فطيبا نفوسا وابذلا الحرب حقها ... من الصدق كي يخزى العدو المنافق

وبشراكم جيئتم لنصرة سيد ... نمته الى العليا اصول غرانق

له الشرف المأثور والحسب الذي ... اقرت له بالسبق فيه الخلائق

حياء وافضال وعلم وسؤدد ... وحلم وتقوى فهو فى الفضل سابق

تجمع شمل الفضل فيه وانه ... لاكرم من تحدى اليه الايانق

مناقب لا تفنى بعد ولا يفي ... باحصائها قول وان جد ناطق

لئن كاده الاعداء كيدهم فقد ... حماه على رغم الخليقة خالق

وان نكثوا معقود بيعته التي ... تقوت عراها فهو بالله واثق

اذا افتخر الاقوام بالمال والغنى ... فحسبك من ءال النبي الحقائق

عليهم سلام الله ما صدحت على ... غصون الحمى ورق وما ذر شارق

وازكى صلاة الله دائمة على ... اجل الورى والصحب ما حن عاشق

وقد كان بارود مدسوسا تحت مجلس الهيبة فى كردوس لاهلاكه ولكن الله سلمه وقد حضر هناك اذ ذاك سيدي علي بن عبد الله الالفي فقال شيخنا الافراني يهنيه بالسلامة

امولاي لا اعتد غيرك سيدا ... وان عن مكروه فنفسي لك الفدا

بقيت لديـن اللـه تحمـي جنابـه ويحميك شر ما تكيـد بـه العدا
عليك ســلام مـن فـؤاد ملكتـه فأصبـح محبوسا عليـك مقيـدا

فجاء حيدة بعد شهر من ظهور هذه الغواصة فى جيش كثيف وهـو فى نفسـه دهش . كأنما يتوجس الهلاك . وللارواح شعور وقد حدث بذلك بعض اصحابه انه قال له الله يسلمنا فى هذا الزحف فنـزل تزنيت فى مفتتح ربيع النبوي سنة 1335 ه ثم تسلق (الچعدة) الى قبيلة الساحل مع العيد وقد تجمع الناس من مجاط ومن غيرها فى ايت بوعمران وفى ثانـي العيد 13 من ربيع الاول زحف الى ايت بعمران من ناحية (اَچَادِيرْ زْچَّاغَنْ) فاصطدم هنالك والناس وقد ملكوا عليه المخرم فأصابته رصاصة فى عرض الناس من غير قصد فسقط من على بغلته . فحاص كل من معه فارين. فانقض الآخرون على الامتعة والبغال والفساطيط ينتهبون ، فكانت وقعـة غريبة جاءت مصادفة وقد هلك رؤساء مذكورون مع حيدة فقطع راسه بعد ماعرف . فعلقه الاعراب فى كردوس . الى ان اصبح مسروقا يوما فى تزنيت. فدفن مع شلو القائد فقيل ان ءال كردوس انفسهم من سرقوه مع بعض الاعراب فتوصلوا وراءه بما توصلوا به . فكان شيخنا ابو محمد الافراني ممن نال منه الفرح ما نال اذ ذاك . فقال يخاطب الهيبة فى رسالة ارسلها يوم الفتـك بحيـدة :

الحمـد للـه اما بعـد قـد نـزلا نصر تملئى به دين الهـدى جـذلا
لما اتى حيـدة العاتـي يجـر رِدَا زهـوٍ ويعثـر فى اذيالــه خيـلا
جاء يقود جنـود الكفر منتصـرا للكفر فانخـزل الشيطـان وانخذلا
بالعسكر المَجْرِ والجند المجند والا لات او قـر من اثقالهـا الابـلا
قد جد فى الكيد والتدمير معتسفا مضـايقا لا يهاب الوعـر والجبـلا
حتى تسنم ظهـرا واعتلـى علمـا بحصن اَحْمـر لاقى خزينة وبـلا
عارضه من جنود الله كـل فتى شهم يرى الموت فى سبل العلا عسلا
من كل ليث على طرف يطير الى الاع ـدا كما انقض بـاز ابصـر الحجلا
وكل عاد جرى فى القلب ذي حنق كعدو اسد ضوار صـادفت همـلا
شم الانوف اباة الضيم اسـد وغى صيـد سراة كـرام سـادة نبـلا
ابطال انصار دين الله مـن صدقت نياتهم فقضـوا مـن نصره امـلا
لقـوا العـدو بجـد لا يقـوم له شم الجبال فولى الدبـر وانجفلا
ومزق السيف ذاك الجمعواحتوشت اشلاءه الجثت النثنـى ذئاب فـلا

واستأصل النهب مَا لمُّوا وما جمعوا — وصار بعد لانصار الهدى نفَــلا
وخالط السيف رأس الكفر حيدة وار — توت شفار الظبا من دمه علــلا
ثم تخطـاه للاعـداء مـن سبقت — ظبا الصـوارم فى اردائـه العـزلا
فيا امير الهدى لك البشارة بالنـ — ـصر الذي سار فى جو العلا مثلا
فقم فما دون ملـك الغرب دافعـة — فان قدرك فـوق الخافقيـن علا
والرعب منك سرى مسرى الصبا ودعا — كل البلاد الـى طاعتـك الجفَلَى
فأنت شمس سماء الملك ان طلعـت — فى الجو غطى سنـا انوارهـا الدولا
مني السلام علـى علياك ما صدحت — ورق ومـا دار بدر السعد فاكتملا

تلك رسالة الشاعر الافراني اثر الواقعة الى الهيبة فى كردوس وقـد وجدت ايضا فى ذلك قطعة لبعض الطلبة ـ واحسبه عبد الرحمن الازاريفي ـ

يـا ملكـا يدعـو الظبـا فيجيب — نصـر مـن اللـه وفتـح قـريب
هنيت بالنصـر الـذي حـازه الا — سـلام فى اليـوم بشـأن عجيب
عيـدان قـد تواليـا دفـعـة — وذاك فى الاعصـار امـر غـريب
عيـد بمولـد الرسـول وعيـ — ـد النصر زهرتان فـوق قضيب
قـد نفـس اللـه بنـا مختنقـا — تَرَكْنـا فى وسْط خطب عصيب
بينـا نـرى الجـو امتـلا ظلمـا — وللبـروق فى السمـاء وجيـب
اتـى الينـا فـرج مسـرع — مـن عاجل النصـر بغصن رطيب
سـاق الظلـوم حيـدة جيشـه — سوق عنيـد مستشيط غضـوب
اذا بـه وبهـم بيـن مقـ — ـتـول ممـزق الحشـا وسليـب
هنيـت بالنصـر امـام الهـدى — وصـاحب القلب الخشـوع المنيب
فـادع لعبـدك فمثلـك مـن — يدعو فينـزاح الاسـى والكروب
عليـك افضـل السـلام كمـا — هب النسيـم مـن ديـار الحبيب

وقد وقفت ايضا على رسالة كتبها بعض الطلبة البوعمرانيين كما يظن من الرسالة الى شيخه الفقيه سيدي محمد بن عبد الله الصوابي نسوقها لنجد فيها مقدار البهجة المستوليـة على الناس اذ ذاك

(شيخنا الذي ببركته تجلى البصائـر والابصار وبنصيحته يستغنى عن الاعوان والانصار علامة الدنيا وزينة الحياة الدنيا افهم من حمل الكتاب واحكم من نطق بالصواب. واعظم مدرس يفسر ما انبهم عن الطلبة.

واحذق معلم كيف يناول التعليم لمن طلبه الفقيـه السميـدع والاديب المصقع سيدي محمد بن عبد الله الصوابي فعلى شيخي افضل التحيـة والسلام والبركة والرحمة اما بعد فقد اشتقت الى سيدي غاية الشوق حتى لا ادري تحت من فوق وطالما عزمت على الزيارة فى العام الماضي كله ونويت ان ارد الماء المعيـن من محله فمنعني ذلك القدر المحتوم ، والشرط الذي يحول دائما صاحبه دون اعمال الاقدام الى قدوم فـادع الله لي يا سيدي ان يعجل بالتلاقي لتبرد اشواقي ثم انني ازف الى سيدي بشرى هذا النصر العظيم والفرح الجسيم والنعيم المقيم حين هلك عدو الله حيدة بعد ما احاط بالمسلمين كيده فرد الله كيـده فى نحره . وموجـه في بحره فقد جاء على نية ان لا يبقى فى الناس مالا ولا رجلا واوسع بابعاده جميع هذه النواحي وجلا فأبى الله والسعد الا ان يلقى موته فى اجاديـر الاحمر فتشتت كل ما معه من الجيش والماعون والاثاث وتبعثر فاستولى المسلمون من الخيل والبغال والجمال والاخبية والدراهم والكسوة والمكاحل والقرطاس على ما لم يره الراءون قط فقد ملأ كل واحد يده حتى ابتهـج واغتبط وقد قطع راس حيدة ووجه الى السلطـان ومما غنم من متاعه مدفعان اثنان . وبقية الخبر فى رأس الحامل لاننا الآن بين الناس فى فـرح بينه الحامل وقد اختلط الحابل بالنابـل من كثرة الفرح الشامـل والناس فى نزهة عظيمة جدا حتى ان بعضهـم تجـاوز فى ذلـك حـدا وقد حسب ان كل شيء قد انقضى ولا يعلم الا الله مـا بقي مما مضى واسلم على اخيكم الفقيه سيدي احمد وعلى من بكم واليكـم فادعو)

هذا ما وجدته من هذه الرسالة وقد قطع سطرا او سطران اسفلها فحرمنا اسم الكاتب الذي انبأنا فى رسالته بامور لا نجدها فى اقوال اولئـك الشعـراء .

هكذا ذهب القائد حيدة رحمه الله بسهم غرب يوم 13 ربيع النبوي بعد الضحاء العالي وسنرى عن قريب ما نشأ عن قتالـه

وقعـة الجنـرال لامـوط

كان لهلك حيدة وانتهاب كل ما معه وتمزق جيشه صدى ورنة بيـن كل القبائل الجنوبية الى الصحراء كما كان له ايضا مثـل ذلك فى دوائـر الحكومة فخافت الحكومة ــ والوقت كما ذكرنا صعب من اجل الحرب العالمية

المستعرة ــ ان يكون ذلك النصر نواة ينبت منها ما لعله يكون ذا بال. والقلوب متى ذاقت النصر اولا. فانها تتطلع الى آخر. فاوجست ان يكون ذلك مدعاة الى التنسيق الذي يعوز الهيبة وكل من معه . بل اوجست ان يغتنم من يقاومون الحلفاء من الالمانيين وتركية الفرصة فيدخلون اصابعهم فيبثون بما عندهم من التجارب والنظام ما كان معدوما عند هذه القبائل فلهذه الاسباب ــ وهي كلها طبيعية كما ترى ــ عجلت باعلان زحف ءاخر هائل . تلقي به على الفاتكين بحيدة درسا ينسيهم السكرة التي يتمايلون بها منذ سقط حيدة برصاصهم وامتلأت ايديهم بما معه من السلاح والمتاع . فأوعزت الحكومة الى جميع القواد الكبار من مراكش الى الجنوب الاچلاويين والمتوكيين والكنتافيين والحاحيين والرءاسلوءاديين ان يكونوا جميعا على اهبة الزحف كل واحد يقود رجاله ومن وراء ذلك فيالق تبلغ عشرين الفا من الجند المنظم الحكومي تحت رياسة الجنرال (لاموط) وبه سميت (وقعة الجنرال) عند السوسيين . فبدأت الحكومة تقدم الى تزنيت المؤن اولا ثم مواد القتال من السلاح والقنابر ثم توارد القواد بخيلهم ورجلهم فقامت قيامة رجال قبائل الهيبة . فخنقهم ما خنقهم . وقد عرفوا ما صنعت ايديهم وانهم مطلوبون بالثأر . فكان ذلك سبب ان صحت منهم النيات فتصلبوا فائتلفت قلوبهم وانتفت الاحقاد من بينهم (وعند الشدائد تذهب الاحقاد) وفى 22 من جمادى الاولى 1335 ه نزل هذا الجيش العظيم فى تزنيت وبعد ان استراح وتبين رؤساؤه الموقف وقد ملأ الولتيتيون (وجان) ، والمجاطيون (ايفير ملولن) والاخصاص فوق (مرغنت) والبوعمرانيون تخوم بلادهم وفى مفتتح جمادى الثانية زحف الجيش الى (وجان) فصار يرسل على من فيه القذائف المتتابعة كالرعود القاصفة فأجل المجاطيون الى (وجان) فصاروا ينزلون من ثنية فوقه. وفى اثنائها اطلقت المدافع نارا حامية سقط بسببها من مجاط فقط نحو 80 قتيلا من غير نحو 40 جريحا ثم صابر الولتيتيون النهار كله صبرا غريبا فكم مرة صارت المدافع توالي قذائفها حتى تحسب المدفعية ان الطريق مفتوح فتتقدم الفيالق حتى تكثب المختبئين فيرسلون عليها شواظا من الرصاص فيسقط من الصفوف ما يسقط ثم يرجع الباقون ولم يزل الحال كذلك الى الليل فرجع الجند المنظم وراءه احتياطا لئلا يبيت فبقي الحاج الطيب الكنتافي والقائد عياد الجراري يحرسان ما وراء وجان وفى اثناء الليل جرت المخابرة بين عياد وبين الشيخ احمد الأمازري البعقيلي ادت الى اخلاء وجان فى جوف الليل فخرج منه الشيخ النعمة كما خرج

جميع اهل وجان   وما ذلك الا من خوف ان يكون اليوم الثاني اعصب من
الاول الذي رأوا فيه ما رأوا   وقد خرج كثير من الولتيتيين من وجان
الا مرغمين   ويقال ان الأمَازْرِي قد توصل بدراهم كثيرة لتمثيل
هذا الدور . ولا اخال ذلك الا صحيحا لتواتره . وايا كان فقد عقد سلم هناك
بين الجيش وبين اِدَاوْلتيت على ان يلزموا ديارهم   وعلى ان لا يعاونوا
القبائل الاخرى الجنوبية فتم الامر على ذلك . ويقال ان الحكومة انما تقصد
اظهار قوتها لا ان تحتل البلاد   والا فان ذلك سهل بعد ما كان يوم وجان
عظيما على الجبليين . وسترى فيما ياتي ما ربما يؤيد هذا الذي يقال . وقد
كان الكنتافي اول من دخل وجان . فحظى بذلك حظوة انالته قيادة تزنيت كما
سياتي   وقد رجع الجيش صباح الليلة ، فنزل ما بين (تانوت) و(اِدْ علِي
اوبلا) بورِجّان وفى اليوم اقبر قتلى الجند والضباط فى تزنيت باحتفال
عسكري   وفى 8 من هذا الشهر ارتحل الجيش الى ما بين (تَالعِينْت)
و(اِنْتنر) بايت جرّار كأنه جراد   ولكنه منظم لا يمد
منهم احد يده الى اهليّ او الى ماله   فتعجب الناس   وقد
الفوا من جيوش الاعراب والجبليين الخطافين ما الفوا   وفى ذلك اليوم قدم
الباشا الحاج التهامي فى خيله ورجله   وبمجرد وصوله   صار يتخابر
مع رؤساء القبائل وفقهائها كالقائد المدني والقائد مبارك البَنْرَاني وسيدي
علي بن عبد الله الالفي فتلاقى مع بعضهم — وهذا هو المؤتمر الاول — فقال
ان المقصود الوحيد هو استرداد المدافع التي تركها حيدة فقط   فردوها
لينفصل الامر بسلام . ثم قال لهم انكم تعرفون اننا ابناء دين واحد   وهذه
الحالة التي ترونها لم نطق مقابلتها بالقوة لا نحن ولا انتم   فانني انصحكم
برد المدافع . وعلي انا ان لا تدور حرب   فاجابوه بانهم سيأتمرون على
ذلك . وبعد رجوع من تلاقوا معه . ذكروا ذلك للناس   فاما بعض الرؤساء
فمال الى ذلك . فقال اية فائدة لنا فى المدافع   ونحن لا نستخدمها   ولا
عندنا من يعرف صنعتها   ولا كيف يصنع بها   واما رعاع القبائل والرؤساء
الصغار . فقد تصارخوا لا والله لا يرونها منا   وفى انتظار الجواب عن اقتراح
الجلاوي هذا رجع الجيش كله من ايت جرار الى تزنيت   ثم بعد ايام
لم يظهر جواب يرضي من القبائل   خرج الجيش من تزنيت 19 من الشهر
قاصدا الى اسنج فى الليلة القابلة   والقبائل غافلة متفرقة للبيات فى القرى
على العادة . فلم ينزل الجيش حتى وصل اِسنج حيث البير التي القيت فيها
المدافع   فارتحل كل اهل تلك الجهة مجفلين امام الجيش   فلم يعارضه
احد ولا وجد احدا يحاربه فى منزله   ولا طرقه منهم طارق   هذا والخليفة

ابو السلام المتوكي فى (مِرْغَنْت) ولكنه فى مسالمة مع الاخصاص يبتاع منهم ويبيع والقائد اِچِيدْر الحاحي فى قرية الارجام بايت ابرايْيم يحافظ على الطريق للجيش فبقى الجيش فى اِسنْچ الى 27 من الشهر وهو مشتغل بحفر خندق من بعيد الى قعر البير حتى امكن جر المدافع منها وفى اليوم الآخر اصبح فى السحر راحلا وقد تياسر فحين شاهد حرس القبائل الجيش يتحرك تتابعت طلقات البارود مثنى مثنى على عادتهم عند وقوع امر جلل فسال الناس من القرى التي تفرقوا فيها للبيات فلاقى اوائلهم عند الاسفار طلائع الجيش فى ثنايا هناك ــ فاصطدمت واياها ــ والجيش مقصوده ان ينسحب الى وراء ويقال ان الطيارين رأوا الناس مقبلين من كل جهة . فعرف الجيش الذي لا يتصل باحد انه ربما يطوق هناك فيهلك كله وانما تياسر من اِسنْچ الى (بُوچَرْفَة) فالى (تَاغُولْت تَنْمْزْچِيدا) فالى (انْتْرْ) ليمكن له ان ينكأ القبائل لينسحب بانتظام من غير ان يتتبعه من سيضرُوْن عليه متى شاهدوا منه الارتداد ولكن اتفق ان كانت هناك قنابل من فرسان الصحراء والبوعمرانيين فداخلوا الجيش مداخلة عنيفة دارت بها رحى حرب ضروس فكان الباشا الحاج التهامي ممن اصطلى فى ذلك النهار بالوغى . حكى ذلك عنه اصحابه . كما حكاه ايضا الفرسان الذين اصطدموا واياه من القبائل فسقطت تحته افراس وكاد مرة يوخذ باليد لولا ان بعض عبيده ــ كما حكى لي اصحابه ــ نزل له عن فرس هذا والجند المنتظم يمشي بانتظام صفوفا فى الدفاع وصفوفا فى الهجوم وكل من جرح او مات يحمل فلم يبق هنالك واحد ممن سقطوا من الجيش والرصاص من بنادق الجند والرشاشات كالوابل على القبائل فكثر الجرحى والقتلى منها فهرب من هرب ينذر كل من مر به بالهزيمة العامة . على حين ان الجيش وصل فوق ثنية (سيدي بُوعَبْدْلّي) واولئك الفرسان الصحراويون المذكورون مع افراد من فرسان مجاط يخلدون لجيش القبائل شجاعة فائقة وهي يجرؤون لظنهم ان الجيش فار ولكن مع رجوع الجيش هكذا فقد نكأ القبائل نكاية لم ينسوها الى اليوم فكانت اعظم درس تلقوها فى المشادات العنيفة وفى ذلك اليوم قتل القائد بوبكر الخلفي البوعمراني وكثيرون من بين القبائل وسقط فيه فرس الاخ سيدي محمد من تحته وجرح رجلان من اصحابه . فسلم الله الجميع . وكان يوما مذكورا مشهودا ثم ان الجيش نزل عشية اليوم فى (بونعمان) وفى اليوم الثاني نزل حوالي (تَالْعِينْت) وهنالك فتح ايضا الباشا الاچلاوي والكنتافي والخليفة ابو السلام المتوكي المخابرة مع الرؤساء من القبائل على

إعلان السلم وابقاء ما كان على ما كان فلانت اليوم شرة القبائل بعد ما
كانت جاسية امس. فاجتمع وفد من اعيان القبائل كالقائد المدني والقائد البنتر انِي
واحمد الاغشتانِي وعلي الاشلحيني المجاطي فتلاقوا مع الباشا واصحابه
وراء كل فريق خيل حارسة وقد ظهر الباشا الاچلاوي بما عرف من
مخالقته من التواضع وحسن الحديث ولين الجناب والحلم لما يسمعه
من تأنيب من انبوه على اعانته للاحتلال وهو يعتذر لو كان اعتذاره مقبولا
تم الامر ففرح الفريقان بعد ما قدمت هدية صورية فى شبه سر الى
الجنرال . وكان تمام ذلك فى اوائل رجب ثم تراجع الجيش الى تزنيت
وفى 10 رجب انفض الجمع فتوجه كل الى حال سبيله وقد نجت هذه
القبائل مما تخاف بعصب الريق . وما كانت تظن لها نجاة (1) فاما العارفون
فيقولون الحمد لله الذي سلم بفضله لا غير والا فمن اين القوة التي
تكافح حق الكفاح واما الجاهلون فيقولون اننا هزمنا العدو وما سالمنا
حتى خاف منا ولكنهم معذورون لجهلهم العميق بأوضاع السياسة بالمغرب
ربما عند الحكومة من القوة . ولم يدروا ان من اسباب ارتداد الجيش ان ايت
بعمران ليست من حساب هذه المنطقة فلذلك لم يبق فيها الجيش بعد ان
احتلها والا فقد توسطها واجفل الناس بين يديه فلم يكن يحتاج الا الى
وثبة اخرى فيكون فى وادي نون فترغم كل قبائل الاخصاص ومجاط ان تلقي
السلاح . وهذا امر ظاهر وان كان يخفى عمن يجهل الحالة اذ ذاك

الكنتافي فى تزنيت

حظى الحاج الطيب صقر الوادي النفيس تلك الحظوة فى وجان فكان
ذلك – فيما يشاع – سبب ان تولى باشوية تزنيت فقد ذهب الى مراكش
راجعا اليها مع الناس وفى 19 شعبان دخل تزنيت مع حاشيته وخليفته
محمد بن ابراهيم . وكاتبه الحاج الهاشمي الناصري . وقد فوض له تفويضا
خاصا فى تزنيت وما اليها فرجعت المخزنية بتزنيت الى ديدنها مغارم
باهظة واقامة اعمال وحرث وحصاد واستحواذا على كل نفيس بغلة او
حصانا او رمكة او عبدا او امة فصار يحتوش احتواشا غريبا وهو يلقي
فى السجون ثم ينسى مسجونه حتى يسمع فى تسريحه ءالافا فيذكره
حينئذ فصارت هشتوكة وماسة والمعدر وأچلو والابرايميون

(1) فى ترجمة القائد المدني فى (القسم الخامس) تفاصيل عن هذه الحرب وفى تراجم ءاخرين .

والازغاريون وءال العوينة والازاغاريون من رسموكة وبعقيلة فى مقيم مقعر
من غراماته المتوالية . يعقب بعضها بعضا فقد فرض مرة على المعدر مائة الف
ريال حسني وهي تساوي الآن 1358 ملايين من الفرنكات فادوها مع
توابعها من بياتات الاعوان ثم ثنى حينا بمثلها ثم ثلث بمثلها حتى جلا
الناس وخلت القرى واقفرت المساجد وما ادراك ما مسجد المعدر
الاكبر الذي يضرب به المثل فى العمارة الدائمة وكذلك يشغل الناس فى اوقات
الحرث بحرثه الخاص فلا يكفيه اسبوع لكل قبيلة ولا اسبوعان ثم فى
الحصاد يحصد الناس ما حرثوه ويدرسونه ويحملونه الى تزنيت ثم
يميل الى بيادرهم بالخرص . فيستولي على نحو نصف ما فيها دفعة واحدة
وناهيك ان عشر غلة واحدة من ذرة ماسة بيع مرة ليهودي بمائة الف ريال
حسني وعلى ذلك فليقس ما لم يقل واما التزنيتيون فانهم ادركوا منه
من الصَّغار ما انساهم ما تنعموا به ايام سلفه ابن دحان فكثير منهم
زاروا المطبق ففكوا رقابهم بئالاف وجل ذلك بغير سبب معقول واذ
ذاك كاد الفقيه محمد أعَمْو يزوره مع الزائرين لولا ان بادر فأدى فى عشية
اليوم الف ريال فنجا هذا والقوافل ذاهبة ءائبة الى وادي النفيس
تذهب من تزنيت بالعبيد الصغار اربعة فى الشواري او بالاماء ثنتان على
بغلة او بالدراهم احمالا فترجع من داره بكل ما يحتاج اليه من المئونة .
لانه لا ياكل هو فى نفسه الا ما جاء هناك حتى الخضر مع انه عمد الى الجيد
من سقى تزنيت فحازه ، يحرث فيها القصيل وانواع الخضر المبكرة وقد
كانت عين تزنيت جلها فى يد الجراريين ، كما تقدم لنا ذكره من سنة
1330هـ فركب يوما حتى القاها فى مَجْرًى من تحت الارض رغما على القائد
عياد وقد كان للكولونيل جوستينار يد فى تسوية القضية حتى ترك
للجراريين بعض الماء . فخرجت بذلك ظهائر رسمية وقد وقع له ايضا
خلاف مع احمد بن على البَلْفَاعي الهشتوكي الشجاع وكان رئيس البلفاعيين
فغلبه الكنتافي فهرب الاخر الى الجبل ثم صالحه فرجع كما جرى ايضا
بينه وبين القائد محمد الاغبالويي خلاف فأقام ضده محمد بن عبد الله
ابن بلقاسم فى (تَاسِيلا) فهرب الاغبالويي الى الحمراء فالرباط وقد
كان معه الاديب مَحمد بن الحاج التَّانكرتي الافراني فى زَحْف كان فى
اوله انهزام فسبقه الى تزنيت نذيرا للهزيمة. اذا بالامر على خلاف ذلك فسقط
من عين الكنتافي وكان اذا غضب قلما يرضى كان الكنتافي مع ذلك كله
ذا اوصاف حسنة من ناحية اخرى فليس بماجن ولا عاهر ولا سفاك للدماء

الـوسيين حين كان عندهم ويحافظ على الصلوات في وقتها محافظته على اوقات الاكل المتتابعة ويميل الى الاكلة النهمين فى المآكل الكثيرة المتتابعة في كل وقت مضبوط عنده وهو متكبر الى الغاية وكان له في كل عشية غالبا ركوب الى خارج تزنيت في كل اصحابه المنيفين على المئات من غير الجند فكان لا يأمرهم بالاسراج وانما يعرفون علامة ذلك بتناوله سراويله بعد صلاة العصر فيبادر الناس يخبر بعضهم بعضا وويل لمن لم يجده راكبا امام الدار ان خرج بعد العصر بقليل فكانت الهيبة منه عظيمة ثم كان فى ءاخر عهده هناك زاحفا الى ايت وَدْرِيم على رغم ارادة الحكومة وكان ذلك منه مرتين ففي المرة الاولى زعم انه اجدى فى عمله . ثم عاود الكرة فاذ ذاك كانت حرب عنيفة اصطدم فيها والقائد الناجم فانهزم فقضى عليه ذلك عند الحكومة فظهر لها ان تعفيه فتريح الناس منه فاوعزت اليه فطلع الى داره فى 4–10–1339 ه من تزنيت نهائيا ، تلك هي افعال الكنتافي فى تزنيت وقد امتحن به الناس ولكنه وطد قدم الحكومة ، وجعل لها قوة مرهوبة فى اعين القبائل التي تطل من اعلى الجبال حتى يئست من مراجعة ازغار

نبذة اخرى من احوال الهيبة

انتبذ الهيبة فى كردوس قصيا وقد وجد من بين هذه الجبال بعض منعة والقبائل تذكره قولا وان كانت قلما تنفعه فعلا فهو وان كان يجري فى الالسنة باسم السلطان فلا يعدو قدره قدر بعض ارباب الزوايا. فيجمع له بعض الناس اعشارا يتقوت بها هو ومن معه وقد بقيت معه خيمات من الاعراب يكثرون ويقلون بحسب الازمنة فاما الولتيتيون فلا ينفعونه لا بقليل ولا بكثير الا بضعة افراد منهم يأتونه بئاصع من الشعير وقت الدراس بصفة زيارة كزيارات الزوايا ويقولون يكفيه منا أن وجد الامان التام فى بلادنا وقد بات مرة رجل من ادْمُوشَن من سملالة فى كردوس فملأ سراويل ببارود فوضع فيها فتيلة فى اسطوان كان الهيبة يجلس فى غرفة فوقه فثار البارود ولكنه صادف فتحة خرجت منها قوته ولم يصنع شيئا فهرب الرجل فنزل البعقيليون عليه فغرموه ما يناهز الفي ريال فيما سمعت فبيع كل ماله واملاكه فغادروه عبرة لامثاله ثم نادوا باستباحة دمه ولكن رجلا من افَغْلاَلَن ببعقيلة صادف جملا من اجمال الهيبة فباعه فمكن بعض ثمنه لافراد لم يسمه احد بسوء

(وقد اشرنا الى هذا البارود فيما تقدم) واما مجاط وبعض القبائل فانهم يأتون اليه باعشار كثيرة ويقول المجاطيون انهم وجدوا بركة ذلك فى اموالهم. ولهذه القبيلة نية حسنة فى اهل الخير واما الاخصاص ايالة القائد المدني فانه يجمع منها الوفا من قناطير الاعشار ثم يحمل مائة حمل على الجمال فى وقت الخريف او الشتاء، فيأتي هو واصحابه فى كثير من الخيل حتى يدفعوا ذلك فى كردوس فيسمع الناس بأن المدني اتى بالاعشار، مع انه ما اتى الا بقليل بنسبة ما جمع، ثم بات عليه وهو وحاشيته بخيولهم فياكلونه ويعلفونه ومجمل الامر ان عيش الهيبة فى كردوس ضيق فى الغالب واما هو فى نفسه فانه يتظاهر بالغنى وانه مكفى المئونة فيصل كل من وصله من الطلبة وغيرهم وفى ليالي اعياد المولد والسابع والعشرين من رمضان يستدعي طلبة بعقيلة، فيحيون الليلة معه حكى لي بعضهم انه حضر هنالك فى احد تلك الليالي من رمضان والناس كثيرون وبعد العشاء تفرق الناس فى مكانين للصلاة قال فكنت فيمن مع الهيبة فتقدم فصلى التسليمة الاولى من التراويح بنفسه قال فقرأ فى الركعة الاولى (الفاتحة) ثم قال (الم) فركع وفى الثانية (الفاتحة) ثم قال (ذلك الكتاب لا ريب) فركع ثم تقدم اعرابي حسن الصوت والترتيل فصار يصلي بالناس قال الحاكي الى ان وصلوا (المص) فأعييت فخرجت وهم لا يزالون يصلون. وفى السحر ذهبت عند الفريق الآخر فوجدته فى سورة (سبح) ولا ادري هل افتتح القرءان فاتموه الآن أو قراوا النصف الاخير وقرأ الفريق الآخر النصف الاول ؟ قال وكان الهيبة يصلي جالسا فى كل الركعات بعد الاولى التي كان اماما فيها وفى الصباح اجيز الطلبة كلهم ببضعة دراهم لكل واحد وكان ضحوك السن جواد الكف. وقور المجلس عالما حسن الادراك ذا ذوق جيد فى الادب وكان يرتاح للشعر ولذويه ويرفع اقدارهم ويثني عليهم وقد قال فيه الشعراء الصحراويون قصائد كثيرة، وقد رأيت غالبها فى كناشة بعض الاعراب ولكننا نفرط فى الاشياء حين وجودها وكل ما نقلته منها بعض مقطعات لبعض ادباء جزولة ولكنها لا تنسب غالبا للقائل او تذكره بغير نسبة مع جزم الاعرابي المنقول من عنده ان صاحبها سوسي ولكن ما نقلته ايضا من الكناشة لم يحضر عندي منه إلا ما ستراه

قال محمد بن عبد الله ؟ قالها قائلها فى الهيبة اول مرة

لي للحسان صبابة لا تهدا ومدامع فى محجري لا ترقأ

وتململ فوق الفراش وزفرة — نحو الحمى كل المدى لا تفتأ
ما شمت برقا من حماها مومضا — الا التظى مني جوى لا يفتأ
جمر الفضا من اضلعي سيل الفضا — من ادمعي آنى عذولي أهدأ
قد كنت مثلك حين لا يعتادني — عشق ، ارى حسن الحسان فاجرؤ
لكنني فى اليوم حين جوانحي التهـ — ـبت ارى ظل الحسان فاخلأ (1)
اقصدنني بسهام عشق ضعضعت — جلدي فمن ذا بعد ذلك يجرؤ ؟
وسبت فؤادي الغانيات فصرت من — عنت الهوى فى غشية لا اهدأ
وملكنني ملك الامام ازمة الـ — ـملك العتيد له يطيب ويهنأ
ملك اغاث به الاله الدين يا — وي نحوي فى ظله يتفيأ
ملك اذا كشف اللثام فانه — بدر على افق السما يتلألأ
ملك اذا ما انسأ البخلاء من — معروفهم للمعتفى لا ينسئى
ملك اذا حبت الكرام بذرة — فالنضر ما يحبو به واللؤلؤ
ملك حباه الله عزما صار ما — مثل الظبا لكنه لا يصدأ
ملك به حزم عظيم كلما — دهم العدو وغيره يتهيأ
ملك اذا ما صال فى اعدائه — فغضنفر بل انه منه اجرأ
ملك له بين المآثر لبها — بنظيرها عند الملوك يهنأ
ملك سواه ارجل وعجيزة — وهو المحيا دائما والجؤجؤ (2)
فاذا تطاولت الملوك لشيمة — فهو الطويل ومن سواه يقمؤ (3)
عين مفتحة الجفون فلا ترى — وسنا تبيت مدى الليالي تكلأ
ما اوكأت كفاه فوق نفيسة — كرما وداب بني الفنى ان يوكئوا
ما كان الا كنز من يحظى به — ما ان يفيض بغرف من قد يملأ

هذا ما كنت اخترته من القصيدة وهي كلها على هذا النموذج وما اخترت الا ما يمكن ان يقبل

وقال ءاخر ولا اعرفه الآن

سلوا صبكم من قبل ان يغلق الرهن — ويمضي فلا ءاثار منه ولا عين

---

(1) خلا عن الشيء : تاخر عنه .
(2) الجؤ جؤ : الصدر .
(3) القمأة : القصر .

فقد طفح الشوق المبرح بالحشا ... الى ان علاني من هيامي بكم غين
توالى على اللاعجات فلا نجا ... ة لي غير ان منكم بوصلكم من
فلم يبق الا زفرة مستطيرة ... تردد او دمع تسح به العين
وشلو من التهيام نحوكم لقى ... ينكله من ذكر ياتكم البين
وقلب له خفق متى عن ذكركم ... يهيج كانسان تخطفه جن
اظل وامسي فى شجون عظيمة ... ومااتاح لي حاشاي من سلوكم شجن(1
اقابل هبات الصبا نحوكم بما ... يهيج من قلبي الغرام فيفتن
احبة قلبي انني عبد حبكم ... بما بيننا منوا على عبدكم منوا
فهجركم عندي جهنم نفسها ... ووصلكم لو كان وصلكم عدن
فانتم حياتي كلها وحياتكم ... وروحي وقلبي والمحاجر والاذن
فما كنت ادري كيف معترك الهوى ... الى ان رمتني من لواحظها عين
فخامرني العذري يا قوم فاغتدي ... اخو حبكم ممن بحسنكم جنوا
بنفسي رشا منكم ذكاء اذا بدا ... قضيب اذا انثنى ، غزال اذا يرنو
يمر بخوط فوق دعص يميس فى ... ذوائب منها وحدها خلق الحسن
دهاني بلحظ كالحسام مهندا ... مفاجأة اذ مر بي وهو يستن
فغادر قلبي بالصبابة مثل ما ... يقلب نصلا فى مجامره قين
اذوب كما ذاب العدو اذا انتحت ... اليه من الامام سمر القنا اللدن
امام له راى سديد وراءه ... فوارس سنوا فى الملاحم ما سنوا
اذا ركبوا ماد البسيط بجيشهم ... او ان يحملوا نحو العدا حملة يفنوا
ازاهر فى الالحاظ رهبان فى التقى ... ملائك فى سلم وفى معمع جن
فمن تلق منهم قلت أفضل قومه ... عليه بهاء فى البسالة والزين
فان تستجر فهو الزبيدي ذائدا ... وان تك تستجدي فذلكم معن
غطارف ما منهم سوى خير ماجد ... يقر به قلب المخالط والعين
بنو الشيخ ما العينين صيد اشاوس ... اسود ولا حيف كرام ولا من
لهم رجع الدين الحنيفي لاجئا ... فكان له من اجل سيفهم العون
وراسهم مولاي احمد قائم ... ولولاه حقا ما تأدى لنا الدين
راى الناس فى دهياء من اجل دينهم ... وفى كل شدق منهم تقرع السن
فشمر عن ساق الرياسة جاهدا ... بأشجع قوم فى الوغى ان هم شنوا
فذاد كذود الليث عن غيله لكي ... يدوم على الاسلام فى سوسنا امن

1) الشجْن بفتح فسكون الطريق . واما الشجن محركا فهو الحزن .

وما راعه ما قد مضى من نفيسه — فكل سوى الاديان عند الفتى هين
امام الهدى مولى الملوك وسيد الـ — ـكرام امير المومنين ولا مين
اليك قصيدا من ضعيف يروم ان — يهنئكم لما راى غيره هنوا (1)
تكلفت جهدي ما استطعت فخانني — لدى القول فكر ليس ينفعه السن
اريد مديحا خالصا من مناقب — لكم ولا هليكم جماعتها زين
ولكن ابى طبع تبلد فاكتفى — بشبه زجاج قد علا فوقه الرين
وما كل مطلوب الفتى مدركا فقد — تهب رياح بالذي تكره السفن
عليك سلام الله يا خير سيد — حماه لأمر المومنين هو الكن
ودامت صلاة الله تترى على الذي — شفاعته فى الحشر للمذنب الامن
وءاله والاصحاب والتابعين ما — تأطر فى يوم المداعسة اللدن

تلك هي القصيدة التي يحاول صاحبها بها ما يحاول . فيسقط باقراره دون المدى ولكنها على كل حال تدل على ان قائلها ممن يتذوق القريض ويعرف كيف يتسامى فى التعبير احيانا على قلة ذلك فيها وليت شعري من هو ؟ فوا اسفا على ضيعة كل شيء فى البادية احتى الاسماء يا للناس تضيع ؟ فى حين ان الاثار كهذه ربما تضوع

وقال شيخنا سيدي الطاهر بن محمد يسليه ويستنهض همته

مولاي بشراك بقرب النجاح — فالليل يتلوه طلوع الصباح
والعسر لن يغلب يسرين قد — جاء بذا لنا حديث الصحاح
والصبر يفضي لبلوغ المنى — والنصر يجنى من غصون الصفاح
والملك خود غادة علمت — ان لا لها كفؤ سواك يتاح
وانما هذا المطال كما — تبدي التدلل الغواني الملاح
ولا يشين التدلل غانية — وليس يزري بالحصان الجماح
فاصبر امير المومنين ولا — تيأس فان الصبر داعي الفلاح
فالوعد حق والوفاء به — لابد ان يفدى به او يراح
تجدد العزم فبرق المنى — لاح وعرف زهرة الفتح فاح
واهنأ به ملكا يسير سرى — النجم ويطبق مهب الرياح
ويلبس الدين لباس البهـا — ويلحف الاقطار روحا وراح

---

(1) كذا

ويرجع الدهر به مثل ما ... قد قاله شاعرهم حين باح
(كأنما يبسم عن لؤلؤ ... منضد او برد أو أقاح)
تديل للدين الحنيفي من ... ايمة الكفر كلاب النباح
تفري به عقبان دين الهدى ... مساعر الهيجا كباش النطاح
من كل قرم للعدا قرم ... يسطو ولا يرثى ببيض الصفاح
معوّد الطعن الوف اللقا ... يرتاح ان قيل السلاح السلاح
شرب دم الكفر الذ على ... لهاته من النمير القراح
حتى يرى الكفر واعوانه ... ان حمى دين الهدى لا يباح
وانما العزة بالله لا ... بالنفض والطيار دون جناح
فامدد امير المومنين يدا ... تجن جنى النصر هنيئا مباح
وجد فالسعد كفيل بما ... تهواه والجد قرين الرباح
فانك السيف بكف الهدى ... وانت غوث الدين غيث السماح
وجهك بدر ونداك الحيا ... وعزمك الصـّارم والمدح راح
ان قيل علم فاليك انتهى ... او نسب فمن قريش البطاح
انت الامام ابن امام الهدى ... من ذروة العز وبيت الصلاح
فلح بافق الملك بدر دجى ... بنوره ليل الضلال يزاح
تعنو لعلياك العدا ويرى ... لصدر كل المومنين انشراح
ثم سلام الله ما صدح الـ ... ـقمرى فى ايك الرياض وصاح
عليك يا خير الملوك ومن ... عن مجده ضاق نطاق امتداح

وقال عبد الرحمن البَزي

الا ابشروا ان الاماني فى قرب ... فكردوس فيها منبع السلسل العذب
بها الدين والدنيا بها العز والغنى ... بها الغاية القصوى لذى الارب الصب
بها ملك فاق الملوك عزيمة ... كليث اذا ما استجمع الليث للوثب
يطل بتاج يبهر الطرف نوره ... فما مثله يلفي بشرق ولا غرب
يطل فتغضى العين منه مهابة ... ويسطو فينمـَاعُ العدو من الرهب
تألد مجدا ثم اطرف سؤددا ... جديدا شأي كل الاعاجم والعرب
لقد جاء منه الملك من كان منشئا ... ليغد وملك الناس بالخبر المنبا
اذا جاش علما فهو اعلم عالم ... رايناه يملي علمه من سوى الكتب
او ان جاش رأيا فى السياسة محكما ... يزلزل اس الراسخات من الهضب

به وحده نرجو النجاة مـن العـدا — اذا احتدمت ساح المعامـع بالحرب
فمن احتمـوا فى معقـل متمنـع — فمعقلنا فى احمد الصارم العضب
فهمتـه فعـالـة فى عـدوهـا — اذا حملت فعل السراحبة القب (1)
فمن مثل هذا السيد المجتبى الذي — حبتنا بـه فى وقتنا عطفـة الـرب
اغاث وقد اشفى الغريق واوشكت — معاطِس كل الناس تعرك بالترب (2)
يذاد عن الحمـى كمـا يفعل الفتى — اذا ما رأى رمحا سيطعن فى الصلب
يرد الى الاشبـاح ارواحهـا كمـا — يرد نشاط الهيـم بالبـارد العذب
ابـا ملكـي حيتك منـي جـوانـح — خلقن من الاخلاص نحـوك والحب
تقبـل قـريضـا صفتـه كقـلادة — منظمـة الاسماط باللؤلـؤ الرطب
وما يزدهـي الا بمدحـك وحـده — ومدحك شغلي ان شهدت وفى الغيب
لانك منـي الروح افديـك دائمـا — بنفسي اذا ما طاف مس من الكرب
عليك سلام اللـه مـا ذكر الحمى — فيظهر ما العينين ما فى حشا الصب

وقال شيخنا محمد بن الطاهر الافراني ـ وكان ورد عليه فى شعبـان 1335 هـ

الا قل لمن قد مسـه الـم البؤس — انـخ بأميـر المومنيـن بكـردوس
هناك تـرى بحر المعـارف طافحـا — وتحظى باكـرام وامـن وتأنيـس
ويعنو لك الدهر الشموس مطاوعـا — وتلبس مـن زي التقى خير ملبوس
هنـاك ترى خيـر الخلائف باديـا — عليه جلال يدهش الليث فى الخيس
الا ايها المولى الامـام الذي احتمى — به الدين من كيد العدو الفرنسيس
اتيتك يا شمـس الخلافـة راجيا — دعاء يصفي القلب من ريب تدنيس
عليـك سلام الله مـا وخدت الى — ندى كفك العذب الروا وخّدُ العيس

واذكر انني كنت مع ثلة من الطلبة الاتـراب فى المدرسة التانكرتية فى وسط نهار مشمس ، نشرب الاتاي امام بيت احدنا فدخل علينا الاستاذ شيخنا هذا وهو كما قدم من سفره هذا الذي انشـأ فيه هذه القطعة فاملاها علينا وكانت هي هدية القدوم فاستبشرنا بها غاية الاستبشار.

(1) جمع اقب من صفات الخيل الضامرة . والسرحوب بالضم الفرس الطويلة .
(2) المعـاطس : الانـــوف .

ونحن اذ ذاك كما بدانا نتـذوق الادب فحيا اللـه ذاك العصـر الطيب المعسـول وقال الاديب الحسن الچوسالي السملالي وقد ورد على كردوس 12 من ربيع الاول 1337 هـ .

سيري مطيـة فالثـواء تـواء (1) وافـري المهامـه فالعنـاء غنـاء
وذري التكاسـل للالى عجزوا فهم مـن عجزهـم ماتـوا وهم احيـاء
وانحىْ ملاذ الخائفيـن ومعتفيـ ـن يحفـك التـاميـل والنعمـاء
مغنـى السيادة والمجـادة والندى حيث انهمـى الانـوار والانـواء
حيث المعارف والعـوارف قد طما تيارهـا حيـث السنـا وسنـاء
مغنى الامام ابن الامـام ابـن الامـ ـام ابن الائمـة مالهـم احصـاء
خير الخلائف شمس افـلاك العـلا بدر الهدى بحـر النـدى الداماء
مولاي احمد الخليفة خيـر مـن ساس الامور اذ احجمت امـراء
رفع الاله مقامه فانحـط عـن مقـداره كيـوان والعـواء
يا ايها الملك الـذي ضـاءت بـه شمس الهدى فانجابت الظلمـاء
اعيت مناقبك البليـغ فمـا عسى ياتـي بـه الانشـاد والانشـاء
اما السماحة والفصاحة والذكـا فهو الخضم وما سـواه اضـاء
انسى ابن سعد وابن مامة فى الندى امع القطمطم تذكر الانـداء ؟ (2)
سلب الفراسة والفراسة عمرهـم واياسهم فانسل منـه ذكـاء
والحلم احنف والمهابـة تبعـا وعدالـة عمـرا وذاك عـلاء
تلك السجايا قد حكـوا انوارهـا واذا ذُكـا لاحت خفت جـوزاء
يا خير من اعطى واعدى من سطـا واهش من يرجى اليـه رجـاء
هذي ركاب مودتي ازجيتهـا تشكو الوجى فتحثها الرغبـاء
انجح مقاصدها وامـن روعهـا وعليـك فى ازجـائهـا اجـزاء
واليكمـا بكرا عروسـا ترتـدي حلل الحيـاء ومهرها الاغضـاء
تاهت بما فاهت بهـ مـن مدحكم فهي الحلِي وان تشـا الحلـواء
دمتـم ودام العـز والاقبال والـ ـتمكيـن والتـأييـد والسـراء
بالمصطفى صلى عليـه اللـه مـا غنـت علـى اغصانهـا الورقـاء
وعليكم منـي سـلام اللـه مـا وخدت لنيـل حباكم الوجنـاء

1) التـواء : الهـلاك .
2) القطمطـم : البحـر العظيـم .

انتهت القصيدة التي هي من اوليات الشاعر ولذلك لا يوخذ بها ميزان ذلاقته وقد كان استأذن عليه حين وقف ببابه بقوله

خير الخلائف ضيف عند بابكم هداه طيب الثنا نحو قبابكم
اتأذنون لصب شفّه شغف ؟ وما الشفاء له سوى خطابكم

ثم ان عندي بين اوراق نسختها من عند بعض الالفيين قطعة همزية لم تنسب لقائل ولا ذكر اسم المقول فيه ولعلها قيات فى الهيبة نصها :

انزلت رحلي فى ذرى الكرماء ولثمت ظهر الراحة السمحاء (1)
ذاك الذي يجرى لكل ملمة ان جال فينا جائل الدهياء
من امره بل نهيه بل سيفه بل عدله فى الناس حلف مضاء
من لا يخاف اذا يصمم لومة من لائم فى الله ذي الالاء
الباذل المعروف فى ومضاته والشاهر المسنون دون عداء
من نصره النصر المزيل عن الهوى ريب الضلال بساطع الاضواء
يا سيدي يا من به الدنيا ازدهت شرفا ابا العباس جد بدعاء
ما القصد الا ان امرغ جبهتي فى بابكم ارض السنا وسناء
فاذا ظفرت لديكم برضاكم فلقد ظفرت وحقكم بدواءي
ان الذي ابديته لو لم يكن بمديحكم حسنا كمثل هباء
أنى اوفى مدحكم وهو الذي من كل بحر كامل الاجزاء

هكذا وجدت هذه القطعة ، ولا اكاد اشك انها فى الهيبة والغالب انها من بنات الالفيين وممن لا ال يتعلم منهم لانها كما يرى القارى عرجاء ينبغي ان لا يذكر صاحبها بين الادباء غير اننا فى هذا الكتاب نراعي المؤرخين اكثر من الادباء وقد كنت وجدت من القطعة بعض ابيات سقط منها بيت المطلع ثم وجدتها ايضا هكذا ولعلها اصلحت بعض اصلاح ولكن المشوه فى الاصل لا يجدي فى الترميم والترقيع (وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ؟) (2) وقال شيخنا سيدي الطاهر فى الهيبة ايضا

---

1) انما يقال سمحة لا سمحاء

2) اوله (تسر الى العطار ميرة اهلها)

يا امير المومنينا ... ومبيد الكافرينا
يا اماما قام لله ... بامر الله فينا
يا هماما كلما هم ... راى الحق اليقينا
يا مليكا رقى السعـ ... ـد به مرقى مكينا
وهلالا لا طبق الافـ ... ـق نورا مستبينا
يكشف الظلماء لالاء ... اذا ابدى الحبينا
قام فى الناس رشيدا ... وسديدا وامينا
جبر الكسرة جبر ... الخلفاء الراشدينا
وغدا للناس او دين الهـ ... ـدى حصنا حصينا
انما انت غمام ... وندى للمعتفينا
كنت للصَّدْيَان وردا ... شبما عذبا معينا
ولدين الله سيفا ... صادف الكف المعينا
فقت اهل الفضل علما ... ايد العقل الرصينا
ولك التوفيق اضحى ... حيث يممت قرينا
فاذا ما قمت تلقى النـ ... ـصر والفتح المبينا
او ما انت ابن ما العيـ ... ـنين من يملا العيونا
او ما سعدك فينا ... مثل فى السائرينا
او ما اخدمك اللـ ... ـه بحورا وسفينا
او ما شئت بالتد ... بير جمع الكافرينا
فغدا بعضهم فى ... بعضهم بضع سنينا (1)
فتفانوا وتعانوا ... فى هناء المسلمينا
فاستعذ بالله وانصر ... دين خير العالمينا
واستعن بالله حقا ... فجدير ان يعينا
واصبر النفس على النا ... س فقد يجفون حينا
وادعهم ياتوا سراعا ... فى خضوع التائبينا
واضرب الكفر بجند ... الله ضرب الصادقينا
واسال الصارم واقطعهـ ... ـم شمالا ويمينا
فثمار النصر تجنى ... بسيوف المصلتينا
فاغنم الفتح هنيئا ... شربك الماء المعينا
فلقد عودك الرحـ ... ـمان خزي المارقينا

1) يعني الحرب الاولى

فلك الله بان ينـ ـصر من ينصر دينا
ولك الله بان يكـ ـفي مكر الماكرينا
فبوعد صادق لم يهد كيد الخائنينا
كيف يهدي الله قوما في عداد الناكثينا
فارفع الراية تخفق بين جنبي جبرئينا
وامزج الغلظة بالرفـ ـق وبالشدة لينا
واجل سمك يصطد لك ليثا وعرينا
دمتم في ظل عز بالهنا مستبشرينا
فلسان السعد يدعو كم دعاء المهتدينا
وينادي قد فتحنا لكم فتحا مبينا
فادخلوا باب الاماني بسلام ءامنينا
عجل الله لك الفتـ ـح كما تبغي أمينا
فسلام الله ما نبـ ـه طل ياسمينا
ينتحي قدركم العالـ ـي بالله المتينا

وقد ظفرنا برسالة الغية كتبها الاستاذ ابو الحسن الى الهيبة في كردوس بعد ما وقع له ما وقع من قتل ولده نصها :

املك الملك اسامع فنادي ام قد عدتك عن السماع عواد

السلطان الكبير المقام والامام العظيم القدام ابو العباس سيدي احمد الهيبة ناصر المظلوم ومداوي المكلوم اما بعد السلام الاطيب الاعذب اكرر على مسامع سيدي انني في كدر مخيم وفي حزن الثكلى الايئم فقد قتل ولدي ، وفلذة كبدي عدوانا وغيلة فليترك سيدي قال الغير وقيله فليس ولدي بعبد آخذ ثمنه ولا ببقرة فاطيب ان جزر المعتدون بدنه فقد دفعتم لي امس من دفعتم ممن قلتم انهم وحدهم من القاتلين ، فهرب منهم واحد فصرت موضع شماتة الشامتين وقد بقى القاتل حقيقة يمد لي الاصابع فاني والله لذلك جازع ، فقد نفد الصبر وتجرعت ما تجرعت من الصبر فلا بد من ان يوخذ الثار وان لا يقال للعاثر العثار فلست ببيضة البلد خنوعا ولا اطوي بعد اليوم على الثكل ضلوعا فقد عزمت غدا على ان اتوجه الى اصحابنا

بمجاط والى ابى الطعام والى القائد المدني مستعينا بهم كما استعين بك
والا فلا خير فيمن لا ينصر مظلوما او لا يداوي مكلوما والسلام على بن
عبد الله الالفي جبر الله صدعه)

ومن اراد ان يعرف كيف ادارة الهيبة وكيف تصان اسرار الاعراب
فلينظر الى هذه الرسالة ، فانها بعد ما وصلت كردوس ، لم تبق فيه إلا
ريثما سلها من الاعراب من باعها لبعض المجاطيين بحفنة من زرع ، وكان
هذا المجاطي ضد الاستاذ الالفي فى قضيته ، وكان من الشيعة الاخرى

هكذا كان الادب مزدهرا فى كردوس ، ولم نحرص ان نسوق كل ما
يروج هناك من القوافي ، خصوصا من الصحراويين الادباء الكبار وما
هذا الرواج الا من الامير نفسه ، فانه اديب يقدر قدر الادباء ، فنفقت سلعته
بين يديه ، وسنختم هذا الفصل الادبي بقصيدة نبوية قالها الامير ، ثم
خمسها شيخنا سيدي الطاهر ، واليك الجميع على طوله

لمية اطلال عفا آيها المطر ومرُّ الصبا الا بقايا من الاثر
توهمتها فحين اشبعتها النظر

(كففت انسجام الدمع فانهل وانتثر وعاد عقيقا بعد ما كان كالدرر)
وعاودني داء الصبا بعد ان عسا براسي وخط كالصباح تنفسا (1)
وضيعت عمري فى لعل وفى عسى

(وابدل مني من جوى البين والاسا سبات الكرى والنوم بالسهد والسهر)
وسهم الاسى يَنْكَا بقلبي وَقَعُه ونعت اصطباري بان بالبين قطعه (2)
ومنصوب عزي بانكساري وضعه

(وجفني مبني على الفتح رفعه ولا يتأتى فيه ضم وما انكسر)
غرامي بميْ ليس يدرك نعته وفيها رشادي بالغواية بعته
فمن لي بأن اصغى لنصح سمعته

(وقد كان لي لب مصون فقدته فيا ليت شعري اين سار وما الخبر)
فيا ايها اللوام جهلا بما احتوى فؤادي من وجد به باطني اشتوى
ولم يعلموا ماذا يؤثره الهوى

---

1) وخطه الشيب : خالط سواد شعره .
2) ينكا بقلبي : يولمه ويخزه

(زهلموا اقرأواما الحب مني وماالجوى وما العشق ما احلى الجميع وما امر)
فما اقـدر المشتـاق ان يتحفظـا ويكتم لـولا ما باحشائـه التظـى
فللحب اطـوار تفـاوتـن ملحظـا

(اينثلج ما بالمستهام مـن اللظـم ويوقد فى اضلاعه مـن لظـى سقر)
فمبداه طـول الوقوف على الدمـن واوسطـه تفريقه الجفـن والوسن
وآخره يفضي الى الدفـن والكفـن

(نسيان فيه القرب والبعد وهو من خفى الخفا اخفى واظهر ما ظهـر)
نواهـا لقلبـي لا يمـل الامـانيـا يُرجّي علـى بعـد المـزار تدانيـا
وقـد تركتنـي غربـة البين عانيـا

(اهيـم اذا مـا شمت برقا يمانيـا او انماست الاغصان فى نسم السـحر)
يذكرنـي مينا ظِبـاء تكنّسـت وريـا صبـا نجـد بليـل تنفست
وساجعة ورقاء للروض غلست (1)

(وتوقاد اضـواء النجـوم اذا رست أو أظلم ليل العاشقين او اعتكـر)
االطمع ان اصحـو وقلبـي اشربـا هواها وهذا الحـال افصح معربـا
يمينا لقد اصبحت فى الحب مغربـا

(تغرب جسمـي فى التولـه مغربـا وغَرْبُ جفوني بالدمانهل وانهمر (2)
نجفني يحاكي الغيث والغيث مُغْدِق وجسمي مـن ذل التغرب مطـرق
يقلبـه فى الغـرب هـم مـؤرق

(وقلبي بالشرق الحجازي مشرق فهل لهما جمع ولو جمعا انكسـر)
لي الله كم الهو اغترارا واعـدل عن الرشـد والشيب الموقر يعـذل
بلى آن من حب الغواني التنصـل

(لئن شاق مشتاقا الى البيض منزل فشوقي على الخضرا المطّيبَة انحصر)
تسليت عن ليلى وَميٍّ ومهنـدِ ووجهت للوجه المسدد مقصدي (3)
وكيف يميل القلب مني الى دد (4)

(1) تكنست الظبا : دخلت الكناس : اي بيتها ، والريـا : الرائحة الزكية ، وتنفست فاحت ،
ويقصد بساجعة الخ حمامة تشدو فى وقت الغلس وهو آخر الليل واول الفجـر
(2) غرب العين بالفتح : مسيل الدمع منها ، او هو عرق فى العين يسقى ولا ينقطع
(3) هذه اسماء لنساء كان الشعراء يتغنون بمحاسنهن فيما مضى
(4) الـدد اللعب

(وقد شاقني ذكر الحبيب محمد   اذا اشتاق اقوام الى الدّل والخفر(1)
االهو بما يفنى وحب خبيثه   واعرض عن غوث الرجا ومفيثه
جماع قديم المجد بل وحديثه

(وقد شاقني لآلاء ذكر حديثه   اذا اشتاق قوم للثغور وللأشر (2)
وان هيئم الرواد رعى غيوثهم   ولج بهم فى السير سوق حثيثهم (3)
لجأت الى غوث الورى ومغيثهم

(وان سمروا فى انسهم وحديثهم   فسيرته عندي التحدث والسمر)
وان غبطوا بدرّهم وبتبرهم   ومالوا الى جمع الحطام باسرهم
فهمي ثناه ليس امري كأمرهم

(وان سكروا بالشرب من راح خمرهم   فراح حميا حبه الشرب والسّكَر)
فيا ايها الشادي المُدِلُّ بزمره   اذا شئت تتميم السرور باسره (4)
وقد طرب القلب المليء بسكره

(فعلل ودندن باسمه وبذكره   وروح وجانب فى تدندنك الخفر)
ولا تفشين سر الخليع لك البقا   وغط على ما كان ان جل او دقا
ومهد لما ابصرت عذرا موفقا

(فلا لوم لي ان همت شوقا الى اللقا   أو ان غاب عقلي عند ذلك او حضر)
اذا اظهر المشتاق مكنون سره   وباح بحب المصطفى وبشكره
وقال بما يدريه من عظم قدره

(هناك يتيه التائهون بذكره   وترميهم نار المحبة بالشرر)
له الشرف الاعلى الذي ما له انتها   له الفخر والمجد المؤثل والبها
به اكتسبت انوار افكارها النهى

(به ازدانت الدنيا به البشر ازدهى   متى كان فى الدنيا متى كان من بشر)
لمولده طابت اباطح مكة   وخرت اواوين الملوك ودكت (5)

---

1) دلت المراة على زوجها : اظهرت جراة عليه فى تلطف كانها تخالفه وما بها خلاف والخفر محركا : شدة الحياء من المراة
2) الاشر بضمتين   حدة الاسنان واستواؤها
3) هيمه الشيء : جعله يتهافت عليه ، ولجّ به فى كذا : حثه عليه .
4) المدل بزمره   اي الذي ياتي فى شدوه بما يعجب ويخلق الدلال فى النفس .
5) اواوين ج ايوان : القصر

وغاضت على الآعدا بحيرة ساوة (1)

(فيا ليلة الميلاد يا خير ليلة بك ازدانت الدنيا بك الدين قد زهر)
بك انتكس الاصنام والنار أطفيت بك الجن غنت والشياطين أصليت
فما حلية الا لجيدك أنشيت

(تحليت بالمولود فيك وحليت جيود الليالي من حليك بالنضر) (2)
ويا شهره افخر ما لفضلك مدع فانك ذو تاج بمجد مرصع
وانت زمان للشفيع المشفع

(وانت ربيعي يا ربيع ومربعي بمولودك الاسمى استدام لنا البشر)
محمد المختار احمد من حمد واكرم مبعوث واشرف من قصد
اما من نداه الكون لولاه ما وجد

(اما كان خير الخلق تالله لم تلد شبيها له انثى يمينا ولا ذكر)
به انشق عن دين الهدى ليل صبحه وزايل دين الله فادح قرحه
ومعناه اعيا القول تفسير شرحه

(فمن يدعي من مادح حصر مدحه فبالصقر امتاز ادعاء وبالبقر) (3)
فيا صدق من انشا وقال واعذرا « ارى كل مدح فى النبي مقصرا
وان بالغ المثنى عليه واكثرا (4)

(فان شئت اجمالا ففيه عن الورى لقد حصر الفضل المهيمن فانحصر)
وغاية ما يدري الذكي وفكره هو العجز عما يستحقه قدره
ايمكن ان يدرى من البحر قعره

(وتفصيله يعيي الالباء حصره الم يكف ما تاتي به الآي والسور)
ابعد ثناء الله فى غير آية يؤمل فكر ان يحيط بغاية
فان كنتم فى مرية وعماية

(اهل الثنا فاتوا بمثل براءة وفاتحة والفتح والنجم والزمر)
او ايتوا باحدى الطوليين وما حوت حواميم او تنزيل او مثل فصلت
او ايتوا بمثل النحل حين ترتلت

---

(1) بحيرة ساوة : كانت تذكر فى الفرس فغارت عند ظهور الرسول .
(2) النضر كفلس : الذهب . وحرك ضرورة .
(3) جاءك بالصقر والبقر بضم ففتح فيهما : اتاك بالكذب الصريح .
(4) هذا بيت قديم مضمن .

(او ايتوا باحدى الآي والآي انزلت عليه فهل مـن بعـد ذلـك مفتخر)
فوالله ما زادتـه فى القدر مدحـةً من الخلق بل له على الكـل منـة
فحق له منهم مدى الدهـر خدمـة

(ابعـد ثنـاء اللـه مـدح ورفعـة وفخر وتفضيل لخلق من البشر)
لأرسلـه الرحمـان آخـر رسلـه فكلهـم اثنـى عليـه بفضلـه
واعطاه دينـا قد حمـاه بنصلـه

(فاظهره قهـرا علـى الديـن كلـه برغم على اهل النفـاق ومن كفـر)
وخصصه الرحمـان سبحانـه بـان يصلـي فى أيِّ الاماكـن والدِّمَـن
وكـان نبيـا قبـل آدم فى الزمـن

(وارسلـه للخلـق قاطبـة ومـن سواه على جيـل من الامم اقتصر)
واعطى ايجازا لَـدى نطقـه فلـن ينازعـه فـن البـلاغـة ذو لسـن
له حلت الانفـال ناهيـك من منن

(وناصره بالرعب شهـرا ومن يكـن له ناصرا قد عز واعتـز وافتخـر)
له اخـدم اللـه الملائـك فى السمـا وادناه منـه قاب قوسين حينمـا
له اقسـم الرحمـان تكرمـة كمـا

(به اقسم المولى فقال معظمـا لعمرك ان تفخر فحـق لك الفخـر)
نبـي كريـم من ذؤابـة هاشـم وضئضىء عدنان الملـوك الاعاظـم
رسول قريش الفخـر ذات المكـارم

(رسول لعمـري سـر طينـة آدم ونقطة مَن فى الكون آت ومَن غَبَر)
عِداه فَـراش والفـراش بِـز ورِه يعاند نـور الشمس عنـد حضوره
لذلـك لمـا بـان نجـد ظهـوره

(بصائـر اهل الجحـد كفت بنوره وعين يقين الحـق انسان من نظر)
دعاهـم فلمـا ان تمـادى اباقهـم اتاهم بآي بـان منهـا احتراقهم
وغاظتهـم اذ ضـاق عنها نطاقهـم

(وشق على اهل الشقاق شقاقهـم متى عاينوا شقيـن شق له القمـر)
اما كفهم عـن منهـج الغى لا ابـا لهم نطـق ضب بالشهـادة معربا
وما شاهدوا من سيف (غورث) اذ نبا

وقد خرسوا من نطق وحشية الظبا ووقع الظبا فيهم وصارمه الذكر) (1)
وتابع آيات بهـا الحـق حصحصـا ولكنه لـذى النهـي تقرع العصـا
مرى حائلا واطعم الجم اقرُصا (2)

وسقت يده جيشا بها سبح الحصـا وقد جاءه يختال فى مشيه الشجر)
وحامت عليه الورق اذ خيف ضره وصير من نسـج العناكب ستـره
وساخت يدا طِرْف تُطلّب حضره(3)

وإذا ما مشى فى الصخر اثر اثـره وان سار فى حقف اللوى خفي الاثر)
دعا فانهمى غيث وصـاب واغدقـا ودام فلمـا ان نهـاه تـرفقـا
وكلمه ناب من النحـر اشفقـا (4)

وحن لـه جذع النخيـل تشوقنـا فلله جذع حن بالشـوق وادّكـر)
واعطى ابن بشر مع اسيد رفيقـه عصـا فاضاءت مـن ظـلام طريقه
الـى ان اوى كـل لمـأوى فريقـه

(وقد عـذب المـاء الاجـاج بريقـه كماريء فى الظلماء من نـوره الابـر)
لقـد اكـرم اللـه النبـي وايـدا واطلق فى التصريف منـا له اليـدا
فلو شاء القى الاخشبين على العـدا

(ولو شاء قلب الصخر يقلب عسجدا ولو شاء منه اللـين يقلب كالوبر)
ولو شاء ملكا طاع وانقـاد ناكـص اليـه وما استعصى شريف وناقص
ولانقادت الآسـاد وهـي قنائـص

(او ان الحصى تبر من الارض خالص وخالص تبر العين يقلب كالمدر (5)
ولو شاَ قلب الصبح ليلا لحكمـة لكان كما ارتدت ذكاء بدعـوة (6)
كذلـك لولا رعـى اوقـات حجـة

---

(1) الظبا فى الشطر الثاني بالضم وهو جمع ظبة : راس الرمح ، والصارم الذكر السيف القاطع
(2) مرى الضرع يمريه : حلبه ، والحائل : الذي لا لبن فيه .
(3) الطرف بالكسر الفرس الكريم ، والحضـر الجرى .
(4) المعروف ان الناب هو الناقة المسنة ، لا الجمـل .
(5) المدر محركا : التراب : اي لو شاء ان يجعل من الحصى ذهبا ، او يرد الذهب الخالص ترابـا لكـان لـه ذلـك .
(6) ذكـاء : اسم علم للشمس بضم اولـه ، وهو غير منصرف

(اتى صفر لو شاء فى عشر حجـــة ولو شاء كان العيد فى العشر من صفر)
ولو لم تطعــه الشامخات لمــا سمــا لها علم او غاظه البحر مــا طمــى
او الريح ما هبت او القطر ما همــى

(او الارض كانت كالسماء او السمــا هي الارض ، لازهر هناك ولا قمــر)
كذا البــدر لو عصــاه يوما انالــــه دوام محــاق او ابــان زوالــــــه
او الشمس اخفى نورها وازالــــه

(ونجم الثرى نجم السماء احالــــه وزهر السماكانت هي النجم والزهر)
فللمصطفى عن اذن مولاه قـــدرة لها نفذت فى الكــون منه مشيئـــة
فلو شاء لم تظهر مدى الدهر نعمــة

(ولو شاء لم تخلــق من الكــون ذرة فمن شاء فليومن ومن شا به كفــر)
وللمصطفى الجاه العظيم الذي عــلا به كل ذي قــدر منيف مــن المـلا
فكــل نبــيء مــن جــداه تنــــــولا

(فان تفهم المعنى سلمت وما علــى مصحح معناه الغباوة فى البقــــر)
فقد انعــم المولــى عليــه فاعظمــا وشرفــه بالقــرب منـــــه وكرمــا
وشفعه فى الحشر والكل احجمــــا

(فقد قال سل تعطــه مفضله كمــا اتى فى حديث القدس عنه وفى الاثــر)
فما خلــق اللــه العظيــم كاحمــد فاطلق وقل واصــدع ولا تتــــردد
وقل لجحــود بعــد صفعك باليــد

(ايا رائما فى الكــون شبــه محمــد فبطن يد الانسان هل ينبت الشعر)
ففضل رسول الله فى الكون قد فشا وابصـــره الا امرؤ صـــده العشـــا
لعمري يمينا انــه منــذ ان نشــــا

(لاحلم من اغضى وافضـل من مشى واكرم من اعطى واسمح من غفــر)
فحسبــك ان اللـــه سمـــاه عبـــده واطلق تخصيصـــا يوكــد سعـــده
ويبدي الفنا فيه فيوجب زهـــــده

(فسيان الف مـــن جواهـــر عنـــده وجوهر فردالارض والبَدْر والبِدَر) 1
له الخلق الاعلى العظيم الذي امتطى به الرتبة القعساء شمسا بلا غطا
حياء بلا ضعــف صــواب بلا خطــا

---

1) البدر بالكسر ج بدرة من المال : كمية عظيمة منه

(إعطـاء بـلا مــنٍّ ولا سـأم العطـا   ويطلق وجهـا للعفـاة اذا اعتــذر)
ويقــدم اقــدام الهزبـر اذا القنــا   تكسـر وانفل المهنــد وانثنـــى (1)
فيجلو دجا الهيجاء من وجهه السنا

(فكم مــن فقير من غنائمــه اغتنـى   وكم من غني مــن كتائبــه افتقــر)
وكم موطــن للحرب طـار لهيبــه   اغص العدا بالريق فيه قضيبُه (2)
وذاع له بالنصر والفتــح طيبــه

(فلـه بدر كـم حـواه قليبـــه   وكم اسروا فيه وكم اودعوا سقر (3)
اتــوه بجيــش قد توقد ضغنــه   وصمت من الطغيــان والكفر أذنــه
فلم يلبثوا ان عاجــل الكــل حينــه

(فايــن ابــو جهــل وعتبـة وابنــه   وشيبة والعاتي امية الاشــر) (4)
لاودعهــم بطــن الركيــة غيهـــم   وغمصهــم للحــق ضلــل سعيهـــم
فاين ذوو الشيزى واين حليهم (5)

(واين الصناديد الطغــاة وبغيهـــم   وطغيانهم والسخر والهزء والبطر) (6)
تلقتهــم اســد مــن الــدم شربهــم   يقل مناط الطعن فى القلب ضربهــم
فلما التقى الجمعان واشتد حربهــم

(تفرق بالهندي والسمــر حزبهـــم   وبالمشرفيات اللدان شذر مذر (7)
وفى احد اعطــى الحســام ونبلـــه   حقوقهمــا لمــا حمـى فيــه اهلـــه
واظهر ما لم يشهــد النــاس مثلـــه

وخيبــر لــم تحص العبارة قبلــه   زهاها فصارت عبــرة لمــن اعتبــر)
وفى الخندق المشتد بالنــاس امــره   تزايــد لمــا زاغــت العيــن صبــره
وما زال حتى هــب بالريــح نصــره

ولــم انــس يــوم الفتح للــه دره   فهل لهم من بعده الهزء والسخر)

(1) الهزبر بكسر ففتح فسكون   الاســد
(2) القضيب : السيف القاطـــع
(3) بـدر : اسم لمكان الواقعة الشهيرة فى زمن النبـي (ص) باسم غزوة بـدر وكانت فيهـا قليب اي بئر ، رمى فيها قتلـى الكفـار .
(4) الاشــر البطــر المتكبـــر
(5) الركية : البئر ذات الماء ، وغمص الشيء : عابـه والنعمـة لـم يشكرهـا . والشيـزي بالكسر : خشب اسود للقصاع او هو الآبنوس . ذكرت فى شعر قيل اذ ذاك .
(6) البطــر محركــا : التكبـر وكفـران النعمـــة
(7) المشرفات : السيوف : والسيوف لاتوصف باللدان   وانمـا توصف بها الرمـاح . وشذر مذر   تفرقت فى كل وجـه .

اتــاهــم بآســاد ضــوار هــم هــم وبالخيــل خيــل الله مشربها الــدم
والوية تهفو كما ريع قشعـــم (1)

(فكم منهم اخزى واخجـل منهـــم وكم منهم اجلى وكم منهم هـــدر)
فابدى رسول الله للقــوم فضلـــه واشفق ان يفنــى المهنــد اهلـــه
فامــن مــن ولــى ولازم رحلـــه

(كما سلمت من بعد ان اسلمت لــه وسلمت اقوام سمت واقتفت اخر)
لحضرة خير الخلق زفت باسرهـــا حسـان الاماني فهــو حائــز فخرهـا
فاصبحت الامــال تشــدو ببشرهـا

(زمام المعالي وهو مالــك امرهـــا وذروة اعلاها واستبرق الحبر) (2)
تخيــره كفــؤا لها اللــه قبـــل ان برا الخلق لم يظهر مكــان ولا زمـــن
فلما استوى جاءته تختال في المنـــن

(وعاقدها جبريــل صاحبــه ومــن سما فوق املاك المهيمن واشتهــر)
فلما استتم العقد باليمــن واغتــدى هــزار الامانــي بالتهانــي مغـــردا
تــداعت نواميس العدول لتشهــدا

وشاهدها ختم الرسالة وابتـــدا ذكا نوره من قبل ان تخلق الصور)
فطالــب بالمهــر الولــي لينقـــدا ومن خطب الحسناء لم يغله الجـــدا
فقام نبي الله بالشــرط مسعــدا

(بماضي سيوف الله في مفرق العدا بسنته السمحا بشرعته مهر) (3)
فلمـا تلاقــى النيــران بحـالـــة حــوت بكمال السعــد كـل جلالة
بدا الحمل نــورا كافــلا باضـــاءة

(وانتج منـــه محـــو كـل ضلالــة الى ان انار الدين بالحق وانتشــر)
وعم الردى ديــن الضلالــة والفنــا وهــد بنــاء الكفــر قبــح من بنــا
ابادهــم الاســلام بالسيف والقنــا

(فاين قياصر الملوك ومــا اقتنــى هرقل وكسرى الفرس ملكا وما ادخر)
فما ارسل الرحمان من فيض بــره فمن فضل خيــر العالميــن وخيــره

---

1) القشعـم : الاســد ، او هو الضخم المسن من كل شيء .
2) الحبـر بالكسر ج حبرة بكسر ففتح : ضرب من برود اليمن . والاستبرق الحرير الغليظ .
3) لايقــال السمحــاء انمــا يقــال السمحــة

فلا سر الا من جنـا روض سـره

(ويا رائما منهـا اقتطافـا بغيـره هبلت له الابنا وللعاهـر الحجـر)
الا يا رسـول اللـه يا خيـر رحمـة ويا خيـر مبعـوث بنـور وحكمـة
لانت لباب اللب من ذي الخليقـة

(فلو كان خا ق الله اغصـان دوحـة لكنت لهـا نـورا وكنت لهـا ثمـر)
فانك سر الكون يا من تخصصـا بفضل مزايا ليـس يدركها حصـى
فلو كان لفظا كنت معنى ملخصـا

(ولو كان نجما كنت شمسا او الحصا لكنت هو الياقوت والتبر والدرر)
ولـو كـان عقـدا كنت درة نظمـه ولو كـان قلبـا كنت نقطة علمـه
ولو كان نبلا كنت ريشة سهمـه

(ولو كان جسما كنت روحا لجسمه ورأسا لكنت النطق والسمع والبصر)
لقد اكمل المولى لـه كـل بهجـة واوضح بالمختـار اهـدى محجـة
صوارمـه اخـزت عـداه واشجت

(ومنطقـه فصـل بابلـغ حجـة ولا نزر فى ذاك البـلاغ ولا هـذر)
زلال فكم اروى الصدى ورد حفظـه دواء يزيل الجهـل تريـاق وعظـه
دليل فمـن يتبعه بالفـوز يحظـه

(شفـاء فمـا احلـى عذوبـة لفظه ومعسوله فالشهد منـه بلا ابر)
هو العقد عقد الدين بالتبر فصـلا هو الماء ماء المزن عذبـا مسلسـلا
هو الشمس بل اضوا وانفع للمـلا

(واشهى من الـراح العقار تعلـلا والاوبة بعد الغنم من وحشة السفر)
واذكى من المسك الاحـم لناشـق وانفذ فى الاعداء من سهم راشق (1)
واحسن مرء مـن حبيـب موافـق

(ومن نغمة المعشوق فى اذن عاشـق وخلسة مشتاق لمن شاقـه النظـر)
فيا سعد عبد خصـه اللـه نعمـة برؤية من قد جـاء للخلـق رحمـة
فيكشف مرآه عـن القلـب غمـة

(هنيئا ويا طوبى لمن زار طيبـة ولم تثنه عنها الملامـة والـزور)

(1) المسك الاحـم : الاسود او هو الابيض ، يقال بهمـا معـا

فيشفى بشم المسك من تربها الضنى   ويجني ثمارا دانيات من المنى
ويمرح فى روض ازاهره الهنا

(فطَيْبَة طِيب الطّيب طَيبَةٌ طِبِّنا   ومرهمنا تِرْياقنا اِثْمِدِ البصر) (1)
بها منية الراجي بها كل نعمة   بها سلوة العاني بها عين رحمة
بها خير مبعوث الى خير امة

(بها راحة المهموم من كل غمة   وراح ارتياح النفس من كربة الكدر)
بخير الورى تاهت على كل حضرة   فاضحت عروسا فوق عرش المبرة
فللعين فيها والحجا كل قرة

(مقرا له اختيرت ودارا لهجرة   فاكرم بها دارا واكرم بها مقر)
هنالك اعناق الملوك تطأطأت   هناك سنا التقوى هنالك انشئت
مباني الهدى والاي ثمت اقرئت

(هنالك خضراء القباب تلألأت   بها رفرف الانوار لالاؤه أزدهر)
عليها يحوم القصد عند انتباذه   ومنها اقتطاف الفضل حين جذاذه (2)
وفيها حمى العاني وحصن ملاذه

(وذاك قباء والبقيع وهذه   قباب اهاليها الجهابذة الغرر)
فوا أسفا والعمر نهبة ناهب   متى تنطوي للوصل فيح السباسب
فقد ضاق بالاشواق عقد الترائب

(فليت مطايا الوهم كانت مراكبي   اليها او الارواح تخدى او الفكر (4)
واني ونفسي بان شرخ شبابها   وما طلت الايام دين طلابها
لآمل ان احظي بشم ترابها

(اذا ما حططنا الرحل بين قبابها   وداخلنا ذهل الملاقاة والحير)
ودارت علينا للوصال مدامة   ولاحت لنا من وجنة الحسن شامة
وزالت عن المضنى المعنى سآمة

(فلا لي ، لا لي ، لا علي ملامة   فحالة مرء فاقد اللب تغتفر)

---

1) المرهم والترياق والاثمد بمعنى واحد فيما يقصد منها وهو التداوي .
2) جذاذ التمر بالكسر قطعه
3) الفيح بالكسر ج فيحاء والسباسب ج سبسب والكل بمعنى المفازة والفلاة
4) خدى يخدى كمشى يمشى الفرس او البعير : اسرع وزج بقوائمه .

(بعد اغتنام الوصل من سيد الـورى ارد الى ام القرى همة السـري
فاطفيء وجدا نحوها قـد تسعـرا

(اعفر خدي فى حراء ومن حـَرَىٰ اطوف ببيت الله فى الحج والعمـر)
(اطفيء نيران الجوى كـل ساعـة برؤيـة بيـت اللـه افضل قبلـة
واغدو الى ورد الرضا كل سحـرة

(واضرع فى اخذي لاستار كعبـة وادعو مجابا فى الحطيم لدى السحر) 1
(اغنم فرض الخمـس اول وقتـه هناك وادعـو اللـه تاميـن مقتـه
ومغفـرة للحـي منـا وميتـه

(واركع فى محراب مسجد بيتـه واكرع من اكواب زمزمه تير) (2)
(اخـرج للمسعـى فاظفـر بالمنـى واجني ثمـار المجـد طيبة الجنـا
بوقفـي باعلـى المروتين مـع الهنـا

(امرغ وجهي بالمحصب مـن منـى واهدى وبعد الهدى احلق للشعر)
وارمي الحصى رميا افوز بنبـذه بوضع اذى وزر رماني بوقـذه (3)
فاشرب من وبـل الرضـا ورذاذه

(ومن بين ما هذى وهـذى وهـذه اقبل فى كل مناسـك للحجـر)
واجمع فى جمع مطالـب لـي وفى بها زمن يـا طالمـا اظهـر الجفـا
فاشفى فؤادا كان اشفى على الشفا(4)

(وفى عرفات الحج لم انس موقفـا فكم هز من باك واجرى من العبر)
منازل مـا زال الفـؤاد بقربهـا يهيـم لتصريـح النبـي بحبهـا
واول ارض مسـه طيـب تربهـا

(منازل منهـا بعثـه ليتنـي بهـا ازور على ترتيبها اقتفـي الاثـر)
مناسك حج حـرم اللـه ذو العـلا حماها فقلبي هام فيها وما سـلا
وترتيبها فى الشرع جـاء مرتـلا

(وليس على ترتيب ما بعثت الـى تراتيبه شعرا قرائح من شعـر)

---

(1) **الحطيم من الاماكن المقدسة بالكعبة وهو حجر الكعبة ، او جداره الخ**
(2) **تيـر : ج تـارة اي حينـا بعـد حيـن .**
(3) **وقـذه الحـزن اضعفـه وهـده .**
(4) **اشفـى على الشفـا اشـرف على الهـلاك .**

الا يـا محـب المصطفـى لا تزايـل   ثناه ولازم بالضحـى والاصائـل
وان كان لا يحصيه مدحة قائـل

(ففي مدحه قس وسحبان وائـل   سيان هما وباقل وابو حـذر) (1)
ولو ان كل الخلق مـن اول الدنـا   لآخرهـا كـل تشاغـل بالثنـا
عليـه لكلـوا عن مـداه ولا نثنـى

(مآلهم للعجز والعى والونـي   وهل يدرك الغواص ما اضمر الزفر) 2
فمدح رسـول الله افضل منحـة   فواظب عليه فى سقـام وصحـة
وان لم توف قـدره قـدر لمحـة

(فما مادح يومـا بابلـغ مدحـة   تطاول الا عن مدى مدحه قصـر)
ومـا غرضـي الا تنشـق ريحـه   فاهفو كمشمول النسيم مروحـه
والا فها عجزي لفـرط وضوحـه

(اقر بانـي قاصـر عـن مديحـه   ومن سامه حصرا فقد ربح الخسر)
لقد خصص الله النبي بمـا بـه   يباهي جميع الرسل عالـي جنابـه
مـن امته الوسطى التي فى نصابـه

(ومن لي بمستوف ثنـاء صحابـه   نجوم الدياجي صفوة البدو والحضر)
ائمـة حـق يقتـدى كـل مقتـف   بهم وبحور يرتـوي كـل معتـف
اجـابـوا نبـي اللـه دون توقـف

(وباعوا نفوسا بعـد ان بايعـوه فى   رضا الله لا بيع احتكار ولا غـرد)
وكلهـم واف بـوعـد حقـوقـه   وسار على نهـج الرضـا وطريقـه
فمـا لنبـي مثلهـم فى فـريقـه

(اروني اروني كالعتيـق رفيقـه   والا اروني مثل سيدنا عمـر)
هما مثل شمس الافق نورا وبـدره   وافضل اصحاب النبـي باثـره
بنص نبي الله فاصـدع بامـره

(والا اروني مثـل عثمـان صهـره   وشبه ابي السبطين حيدرة الزفر) (3)
على الرضا باب الهدى صارم الطلا(4)   اخى المصطفى مولى الجميع فقـل ولا

---

1) قس بن ساعدة الايادي وسحبان وائـل : من البلغـاء الفصحـاء فى الجاهليـة وباقـل وابـو حـذر   من المشهور بالفهاهة والعي آنـذاك   ولفظة سيان ساقطة الوزن ،
2) الزفـر بضـم ففتـح   البحـر .
3) الزفـر هنـا : الشجـاع .
4) الطـلا بالضـم   جمع طليـة : العنـق .

تخافن عارا فالحديـث بـه اعتلـى

(هو المهجر الاسمى ومنتخب العــلا وفتاح اشكال اذا حارت المرر) (1)
هو الحامل الرايات فى يوم خيبــرا هو الكاشف الغما اذا الحرب شمــرا
فكم من دم فى الله اجرى واهــدرا

(تصير هباء عنده اسد الشـرى وما تلبث المرآة ان لاقت الصخـر)
هم الخلفاء الراشدون الالى حـووا من المصطفى سرا به للرضا سمــوا
فمن مثلهم فيمـا رواه الالـى رووا

(وطلحة او شبه الزبير وسعــد او سعيد ومن حاكى ابن عوف وما ادخر)
فمـا منهـم الا مقــدم مقنــب صؤول لعوب بالسنان المـذرب (2)
فمـا رىء مـن شبـه له بطل ابـى

(وشبه امين الامة المرتضى ابــى عبيدة ختم المسك للسادة النُصُر)
وامـا قرابـات النبـي الاعــزة فبي نحوهم شـوق حثيث وهــزة
فكم بهم صينت مـن الدين حـوزة

(فهل اسد الله الغضنفــر حمـزة له من مضاه فى ربيعة او مضــر)
فتى هاشم اوفى الانــام لربــه شهيد يضوع المسك من طيب تربـه
فمـا مثلـه فى باسـه يوم حربــه

(او الانجب الاسمى ابو الفضل من به ابو حفص استشفى فينسكب المطر)
وجعفر الطيـار نفســي له الفــدا اخو الهجرتين والجناحين والنــدا
عبيدة لا انســاه اذ بـارز العــدا

(او الحسنان الهاشميــان سيــدا شباب جنان الخلد نادرتا السمــر)
وريحانتا خير الورى كل غــدوة يقبل او يؤوى لــدى كل نــدوة
هما لمعنى القلـب اوثــق عــروة

(فكم انجبا من قدوة بعـد قــدوة وكم من نجيب فاق منهم وقد مهر)
وكم فاض منهم غيث خير بشربــه يزول الصدا عن جسم عان وقلبــه
وكم من كريم يستفــاث بسيبــه

---

(1) المـرر ج مـرة بالكسـر الراي واصالـة العقـل .
(2) المقنب : جمـاعـة مـن الخيـل تجتمـع للغـارة والسنان الذرب : الحـاد .

(وكم منهم فى الكون قطب بربه تصرف او غوث تصرف او ظهر)

هم اهل بيت اذهب الرجس عنهم فكم من فتى منهم وشيخ هم هم

ذوو همة بالله تحمى وتعصم

(ومن هاجروا الاوطان والالف منهم ولم يثنهم خوف ولم يثنهم حذر)

هم العقد عقد الدر بالتبر نضدا هم الحبل حبل الله هم انجم الهدى

هم البيض بيض الهند هم آفة العدا

(عيون العلا تيجانه ابحر الندا ليوث الوغى نور الظلام اذا احتضر)

لهم كل قدم الفخر بل وجديده عليهم يمد الملك ظل بنوده

ومن سائح لاحت بروق سعوده

(فذاك فتى النادي وبيت قصيده وخنصره الاسمى المطاع كما امر)

يقوم بتدبير الورى منه قادر شديد باعباء الخلافة كاسر

يطم على نهر العدا منه زاخر (1)

وذا عن تليد المال منهم مهاجر وطارفه والبيض والكوم والحبر (2)

فكم قطعوا من مهمه ودوية وكم رافقوا من عانة بدوية (3)

وكم هاجروا من نومة سحرية

(وكم غادروا من غادة قمرية تباهي ضياء الزبرقان اذا بدر (4)

مديحهم فى الذكر جاء ملخصا وحبهم فرض وجاحده عصى

يحد بحد السيف او وقذة العصا (5)

(مآثرهم لا تنقضي او للحصى عديد وموج البحر عد اذا زخر)

مهاجر اصحاب النبي سموا على جميع الورى بالصدق والسبق للعلا

هم آمنوا بالله والرسل اولا

(وانصاره اكرم بانصاره الالى بهم عز دين الله وامتد وانتشر)

هم آثروا فى جانب الله بوسهم واعطوا بطوع النفس فيه نفيسهم

هم اسكنوا خير النبيئين خيسهم (6)

---

1) طم يطم الشيء : غمره
2) تليد المال : قديمه ، وطارفه جديده ، والكوم ج كوماء : الناقة السمينة ، الحبر كابر كثير من المال والاهل
3) الدوية : القفر والعانة : جماعة بقر الوحش
4) الزبرقان بكسرتين البدر
5) وقذة العصا : ايلامها
6) الخيس بالكسر : الشجر الملتف ، غابة الاسد .

(لقد بذلوا اموالهم ونفوسهم وآووا رسول الله فى العسر واليسر)
اولئك انصار الهدى وجنوده بهم عز دين الله واخضر عوده
ومنهم وفيهم قد تبدت سعوده

(اولئك ابطال الوغى واسوده اذا اصفرت الاساد وانتفخ السحر(1)
يصمون عن لغو الحديث تكرما وهم يصدرون البيض حمرا من الدما
ويصغون للداعي المروع تظلما

(وهز الرماح السمر يطربهم كما يطيرون عقبانا الى رنة الوتر)
رها بين فى الظلماء والليل قد رقد هزابر فى الهيجاء والبأس قد وقد (2)
فعابدهم نجم وجاهدهم اسد

(وفرد جميع الصحب جمع وعنه قد تقاصر اهل المجد فى الطول والقصر)
فيا سعد من وافى واخلص حبه وزار النبي الهاشمي وحزبه
وقال وداعي الشوق يجذب قلبه

(ايا خاتم الرسل الكرام وصحبه اضفت لكم نفسي واني على خطر)
اضافة معنى محضة سرها اذن مفيد لتعريفي وسعدي بها اقترن
وتحذف معها نون نائبة الزمن

(فلا تجعلوا بين المضاف وبين من اضيف له فصلا وان زل او عثر)
فرسم رجائي فيكم قط ما عفا ولو كان نقط الخطب فيه توكفا (3)
فمنوا عليه بابتدا خبر الشفا

(فحاشاكم ان تجعلوه ولو هفا كفالب ما ياتي لِلَوْلاَ من الخبر)
ففعل الرجا لفاعل الخطب رافع وجازم عزمي للموانع قاطع
وتابع اهل الفضل فى العطف طامع

(ومن شرف المتبوع يشرف تابع ومن جالس العطار طيبه العطر)
فيا آل خير الخلق يا خير عِتْرة ويا صحبه والتابعين بحسبة
ويا اربع الاخيار اهل الخلافة

(ويا اهل بدر والبقيع ومكة ومن بايعوا طه بمفردة الشجر)

---

(1) يقال انتفخ سحره : جبن ، كأن الخوف ملأ جوفه فانتفخ سحره ، والسحر بالسكون او محركا : الرئة .
(2) الهِزَبْرُ بكسر ففتح : الاسد .
(3) توكف السقف : سال وقطر .

اغيثوا وفكوا العبد من اسر ذنبـــه ومنـــوا بتغييـــر لوصمـــة عيبـــه
وكشف الصدا والدين عن وجه قلبه

(فانا توسلنا بكـم للـــذي بـــه توسلنـــا للـــه فى نيلنـــا الوطـــر)
نبـي بـه نرجـو ازالـة جهدنـــا ونامل من جدواه تعجيل رفدنـــا
ودفـع العـدا عنـا وانجاز وعدنـا

(محمـد المختـار كعبـة قصدنـا مقضي اللبانات الملاذ من الفير) (1)
فياسيد الارسال يـا سيـد المـلا ويا خير مامول لصرف اذى البـلا
ويا من له الجاه العظيم الذي عـلا

(اناشدك الله الكريـم تفضـــلا فمـن علينـا بالمـراد وبـالظفـر)
وجد بالذي نرجو وكف اذى العنـــا واظفـر يمينـى بالمؤمـل والمنـى
وكن لي فى امر المعـاد وفى الدنـــا

(وكن حصننا من كل خوف وامننـا ومعقلنا ، انت المؤمل والـــوزر)
وجد بالذي يقضيه جودك من منـــن وعد لي بما عودت من فضلك الحسن
وأفن وأهلك واسط وارم وزلزلـــن

(وفل وشتت ، صد واهزم ودمـرن اعادينا ، لا تبق منهم ولا تـــذر)
وعجل لنا نصرا كنصر الالي هـــم ابادت عداهم يوم بـدر ظباهـــم
وصن حوزة الاسلام ممن رماهـــم

(وضـن بنا عن ضرهـم واذاهـــم فلا بؤس نلقى من عدانا ولا ضرر)
فيا ربنا عجل منـاي واسعـــد ، وفوِّق سهامي للعـــداة وســـدد
سألتـك بالوجـه الكريـم فانجـد

(وانشـدك اللهـم بالنـور احمـد فاجر وحرك بالمـراد لنـا القـدر)
وسخر لنـا فى قصدنـا ومرادنـا قلوب ذوي التصريف رفقا بحالنـا
وسخر لنا يا رب غـوث زماننـــا

(ومره الهي بالقضـاء لحاجتنـــا بـلا مهلـة كالبرق واللمح للبصر)
وقـوِّ الهـي ضعفنـا فلعلنـــا تـسُل على الاعداء بالنصر نصلنـا
فانا عجزنـا فانـف بالعـز ذلنـا

---

1) اللبـانـات ج لبانـة : الحـاجـة .

وانا غلبنا غالب فانتصر لنـــا   ايا غالب الغلاب يا خير من نصر)
اعـزز بعـز الديـن ايـام دولـة   لنا واكفنا فيها اذى كـل محنـــة
وسلط على اعدائنـا كـل شـــدة

وعن بيضة الاسلام فرج بسرعـــة   ونسبتنا واكشف عن الامة الضرر)
اصلح بنا كـل البـلاد وامرهـا   وسخر لنا هادي البحار وبرهـــا
افض خيرها وادفع الهـي شرهــا

ادم نضرة الدنيا على وبرهــــا   وخيراتها والعز والنصر واليسـر)
طول لنا باليمن والامـن والمنــى   مدى العمر وانصر بالملائك جيشنـــا
وهب لي تسخير القلـوب بلا عنـــا

وخفضا لعيش العمر فى منتهى الغنى   باحكام رفع القدر لا ادوات جــر)
اعذني اله الخلق من محنــة الزمــن   ومن كل ما يخشى من الشر والفتــن
واسألك التيسير واليسر والمنـــن

واسألك الاسعاد والحظ لي ، وان   تديم على السعد والحفظ والفَجَر) 1
وتعصمني من شــر كـــل مــروع   وتكفيني نفسي التي بين اضلعـــي
وتسلك بي رب اوضح مهيـــع (2)

وتثبتني عند النزوع وكن معـــي   وعند مماتي والتوجـه للحفـــر)
وهب لي لدى هول السؤال تثبتـــا   وفى البعث لي نورا مبينا وامنــــة
فـلا أريـن الا رضـا ومســـرة

ولا ار فى قبري مضيقـا ووحشـــة   وفى الحشـر لا القى وما بعده ضجر)
ارزقني سعدا وامنـا مؤبـــدا   ومرا على الصراط كالبرق ان بـــدا
وتشفـع فى سيـد الخلـق احمـدا

وتنزلني أعلى الجنـان مخلـــدا   وأكد حاجاتي الى وجهك النظر)
جاه رسول جاهه ملجأ الـــورى   اذا الهول فى يوم القيامة شمـــرا
عليـه صلاة اللـه بـدرا منـــورا

وصلى على النور المقدس من سرى   به ليلة الاسرا الى منتهى السدر)
زاد فادنـاه احتياطـا لســـره   الى قاب قوس كي يشيـد بذكـــره

(1) الفجـــر محركـا   الكـرم ـ العطـاء ـ المال الكثيـــر
(2) المهيـع   بفتـح فسكـون : الطريـق

واوعاه سرا لا انكشــاف لستــــره

(وكلمــه فــردا مشرف قــــدره　　وما زاغ منه اوطفى ثمت البصــــر)
وشاهده مـــن غيــر كيــف ولا ولا　　فسبحانه ربـا تبـارك واعتلـــى
فصلى عليه والصحاب ومن تــــلا

(صلاة سمت فضلا على غيرها فــلا　　يحيطه وهم لا ولا الســن الفكـــر)
صلاة رضا تفني مدى كل مـا زمـن　　وتبقى بقاء الملـك للـه ذي المنـــن
على قدر قدر المصطفى خير مؤتمـن

(وسلم تسليما عليه يجـل عـــــن　　مساومة الاحصاء والحد والقدر)
يطيب بها كـل الوجــــود ويفعـــم　　سنـا نورهـا الكونيـن بل يترنـــم
بها كل ذي روح فصيـــح واعجـــم

(سجيس الليالي ما تشوق مغــــرم　　وما غردت ورقاء في مورق الشجر [1]

وقد كان شيخنا قرظ هذه القصيدة قبل تخميسها بقوله :

لمن ظبية ترنو بادعج ذي حـــــور　　وتفتر عــن در وتسفــر عن قمـــر
تميــس بغصــن في كثيب وتنثنــــي　　بسالفــة بيضــاء لماعــة الغــــرر
اذا برزت بزت عقول ذوي النهــــى　　وان خطرت فالعاشقون على خطــر
مهفهفة الاعطاف مهضومة الحشـــا　　معطلــة الآ مـــن الــدل والخفر
دعت عينها السكرى الى اللهو والصبا　　وهيهات ان يعصى الجمال اذا أمــر
فما سحر القلب السليم وسفه الحليـ　　ـم كخَوْد الخِدْر او خَرِّدُ الفكر[2]
فللشعر ادهى للنهى بسلافة الـــ　　ـمعاني من العين الفوانج بالنظر [3]
هو الخمر اسكارا هو السحر رقــة　　هو السيف تاثيرا هو الكنز مدَّخر
وما هاج هذا الشــوق الا خريـــدة　　عريقــة عـــز في ربيعــة او مضـر
قريض حوى لطف الحجاز ورقة الـ　　ـعراق وعز البدو في نضرة الحضر
وشته يد الفكر الصحيح وجـــاءه　　غمام الذكا فاخضل وازدان وازدهر
ورصعه ذهن الامام مؤمل الســـ　　ـــلاطين محيي الدين من بعد ما دثر
معين العدا مولى الندا كاشف الردى　　مجيب الندا مهما اهيب به انتصر

---

1) سجيس الليالــي : اي ابــدا .
2) الخود : المراة الحسناء ، والخرد ج خريدة : المراة الشابـة ايضـا
3) العيــن بالكسر الحسان : الفــوانــج : اي من يبدين الدلال

هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما هو الملك الاسمى الصدوق اذا فخر

هو السيف سيف الله ما زال مصلتا على من طغى او من تزندق او كفر

امام الهدى مولاي احمد من عنا لهيبته ذو السيف والناب والظفر

له الخلق الارضى وراثة اصله الـ ـكريم فبالعليا تعمم واعتجر (1)

لقد خط بالنور المبين بوجهه الـ ـجميل سطورا واضحات لمن نظر

مضمنها كم ضم هذا الجبين من اسارير سر من نجاح ومن ظفر

فما كان احرى أن يمثل فيه بالـ ـذي قاله قدما مقدم من شعر (2)

(وتعرف فيه من ابيه شمائلا ومن خاله والعم والجد ذي الخطر)

(سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا مهما صحا واذا سكر)

فيا ايها المولى الذي لجلاله تذلل افق الغرب فالشرق فى الاثر

فياسيد الاملاك والعلما ويا اجل امرء وَشَّى وابلغ من نثر

خدمت ببنت الفكر حضرة جدك النبي العظيم قدره سيد البشر

عليه صلاة الله والفر ءاله واصحابه الشم الذرى الاسد الهُصُر

وتلك لعمر الله منقبة بها علوت على الاملاك ءات ومن غبر

وان رسول الله افضل من رعى او اصر من يرجوه فى كل ما وطر

سيجزيك اعلى ما جزى متوسلا اليه ويجرى فى ارادتك القدر

فكن مطمئن البال حسبك فالمنى ستاتيك عَفوا دون ريث ولا كدر

فقد جئت بيت القصد من بابه فثق بصادق وعد الله فى نصر من نصر

فحاشا جناب الله جل جلاله يخيب رجا داع على بابه انكسر

ولا سيما من جاءه متوسلا بجاد رسول جوده انهل وانهمر

فانك وفيت التوسل حقه وقلدته من حلية النظم بالدرر

وابرزتها عذراء ترفل فى حلى مدائح خير الخلق احمد من شكر

واودعتها سر البيان فلو بها ضربت الصفا لانشق وانهال وانفجر

فهنئيت ما فقت الملوك به وفتـ ـهم من خصال لا تعد فتنحصر

وفاء واقدام وعزم ونائل وعلم وتقوى الله والنفع والضرر

الست ابن ما العينين اكرم من اتا ه عافي الندا من رائح ومن ابتكر

اما جدك المختار احمد خير من اتاه امين الوحي جبريل بالسور

---

(1) اعتجر : لف عليه عمامته من غير ان يديرها من تحت حنكه .

(2) امرؤ القيس

عليه الصلاة والسلام الذكي ما تفتـ	ـق زهر الروض وانسكب المطـر
فدونكها مـولاي مـن فكـرة ذوت	نضارتها من صبر حادثة الغيـر
تهم بان تثني على نظمـك الـذي	تلفع من وشـي البلاغـة بالحبـر
فاعوزها بيض الانـوق وصدهـا	عن القصد فرط العى والعجز والحصر
فهيهات ان تحكي فأين الثـرا مـن	الثريا وكم بين السها ومها البقـر
فعـذرا اميـر المومنيـن فانهـا	عصارة فكر جف جاد بمـا قـدر
بقيت بقاء الخافقين مظفر الحسـ	ـام بمن ناواك او خان او مكـر
ولا زالت الاقدار تاتي لك المنـى	الى ان يُرَى من جندك الخزر والتتر
عليك سلام الله مـا وفـدت علـى	رياض الربا وهنا فطابت صبا السحر

ثم وقفت على تخميس ابن العتيق لهذه القصيدة وعلى تقريظ لها على غرار ما فعله سيدي الطاهر وسأودعهـا ان شاء اللـه فى كتـاب جوف الفرا)

هذه اعمال كردُوس فقد ذهب ارعا بعد هذا الوقت بقليل فسلـم نفسـه الى الحكومة فعينته قائدا على بعض هشتوكـة وسكن القائـد الناجم فى افران تحت يد القائد المدني وهكذا تفرق غالب من هناك وكان ربما لا يبقى عنده الا اعراب يحرسونه وكان امفار محمد ابن المقدم رئيس الشرطة يدور على المسالـح ليـلا وهو الذي يسجن من الاعراب فى مطمورة من زل زلـة ، او طرقه نعاس وقت الحراسة وعند الهيبة بعـض بغال ونحو عشرة افراس الى خمسة عشر ، ويسكن فى دار القائد سعيـد، وقد زاد فيها بيوتـا ومشورا يسمـع فيـه الامير التحية السلطانيـة ـ التبَنْدِقَة ـ فى كل مناسبة وفى الاعياد يخرج مولاي احمد فى زينتـه السوداء بيـن اصحابه فيحضر سكان القرى المجاورة فيكون احتفال مشهود وللقوم همة فى الدين والعلم والادب والكرم وحسن الملاقـاة خصوصا الهيبـة رحمه الله

وفـاة الهيبة وبعـض احوال اخـرى

لم يكن هذا السيد بكبير السن لانه ولد فى مفتتح رمضان 1293 ه وليس له فى سنة 1337 ه الا 45 سنة ولم يسمع الناس بمرضه حتـى سمعوا بموته بعد دفنـه بيوم او يوميـن وقد جاءه اجله فى 18 رمضـان 1337 ه عند الظهـر يوم الثلاثاء وقد دامت ايام امارته سبع سنين واربعة

اشهر . تحمل فيها رحمه الله ما تحمل بتضحية وصبر جميل وقد تعجب الناس كثيرا حين اخفى اهله موته حتى انه صلي عليه سرا من اناس يدخلون الى داخل داره فدفنوه في بيت كان حينا اصطبلا وكأنهم سمعوا بان الملوك يصنع بهم ذلك يكتم موتهم فقلدوا بالفعل وكأنهم لا يعرفون ان الحامل على ما تفعله حاشية الملوك بملوكهم انهم يريدون ان لا يظهر ذلك حتى يستتب الامر لمن يخلفهم خوف ان يطرا شيء اما مثل الشيخ الهيبة فليت شعري ما الذي يطرأ لو عرف الناس واعلن لهم ذلك. فاجتمعوا للصلاة عليه فيزودنه بالدعاء وقد سمعت من يقول كان الاولى دفنه ازاء موسم الثلاثاء حيث يقام موسمه الذي يقال له (موسم أَچِلّيد) ، فيكون شيخ الموسم وقديسه على عادة الناس فقد اعوز الموسم مشهد يزار كما كان لكل المواسم ، فحين كان الموسم اسس من اول يوم باسمه. ويضاف له ــ موسم أَچِلّيد ــ فالاولى ان يدفن ازاءه ليكون ذلك اثبت لذكره فقلت لهذا القائل او عجيب عندك ان يبقى موسم مشهد ؟ ثم حكيت له قصة ذات انواط فاستغفر ومن عجائب الاقدار ان مدفن الهيبة كانت فوقه غرفة طويلة صارت بعد الاحتلال مجلسا رسميا يوم فصل الدعاوي لتلك الجهة فيطلع القباطين من درج ازاء راس الهيبة المسلم المضحي بكل شيء ليتباعد عنهم صاروا يجلسون فوقه وقبره قد القي عليه غطاء كأغطية المشاهد (ولله الامر من قبل ومن بعد) وقد ذكرت بهذ هالمناسبة انني رايت مرة ملعب احواش للنساء والمجان من الشباب عند مدفن الشيخ الوالد وقد كان في حياته يشدد النكير على ذلك فقلت في نفسي بهذا يعرف ان الله وحده هو الفاعل المختار وان التصرف المطلق انما هو لله فكان ذلك عبرة لي مالك علي شعوري ما شاء الله . (قال الرفاكي) اثناء روضته عن الهيبة بعد ما ذكر اخاه النعمة. واما موت اخيه السلطان الهيبة ففي ظهر الثلاثاء الذي هو 17ــ9ــ1337 هـ مرض اياما فقضى نحبه واستراح من الكلف والمحن بعد ان تلقاها باليدين وجر معه سوس للحين فكان نقمة على سوس حتى حله السوس واصطحبه من اجله كل بوس . ظاهر فيه محسوس حكمة الله في ارضه في طوله وفي عرضه ولو شاء ربك ما فعلوه وبمشيئته استعمروه كان سوس قبله فوضى وكانت قلوب الاجلة منها مرضى يشتكون ظلم القبائل ويلتمسون الامن من الولي بالوسائل فجاءهم الامان المنغص بالهوان فلم نر الا التسليم والتفويض لبارئ عليم لو ذات سوار لطمتني

اذا مــا عــدوك يومــا سمـــا	الــى حالــة لــم تطق نقضهــا
فقبــل ولا تانفــن كفــــــه	اذا انــت لــم تستطع عضهــا

انتهى ما قال الرفاكي وذلك ما قاله عن يوم وفاته وقد رأيت الحق امامك وقد زعم كما يزعم غالب السوسيين ان السبب فى احتلال سوس هو الهيبة ويقولون لولاه ما تعجل اليهم ما تعجل وهذه قولة لا يصدقها الواقع فان احتلال سوس امر لابد منه بعد ما امضيت الحمايــة والا فلاية علة معقولة يتأخر سوس عن ارجاء المغرب على ان جبال ولتيتــة قد تأخر حقا احتلالها عن ارجاء المغرب وعن تزنيت نفسها باحدى وعشرين سنة ولم يوخر احتلال ولتيتة الا المقاومة التي كانت تحت راية الهيبة ولماذا تنكر الحقائق نعم يزاد على ذلك انها فى التخوم التي تفصل ما بين المنطقتين الفرنسية والاسبانية فهذه هي الحقيقة لا ما يزعم الزاعمون فقد فعل الهيبة ومن معه ما يقدرون عليه فقد قاوموا جهد مستطاعهم وابى الهيبة اباء كليا ان ينقاد الى الاحتلال بعد ما حاول رجال الاحتلال ذلك بكل حيلة وقد اطمعوا الهيبة ان يكون خليفة على كل سوس لمولاي يوسف فأبى واطمعوه فى المال والامن والراحة فأبى وما الحامل له على ذلك الا كراهته للكفر واهله وهذه سمات هذا البيت سلفا وخلفا وقــد مر ما كتبته عن الحاجب ابن يعيش الذي كان احد الوسائط فى ذلك كمــا ان هناك محاولات اخرى لم تؤثر فى الرجل مع انه يعيش فى ضيق عيش. وفى ضنك وفى غير دار عز وناهيك بابائه مع هذه الشدائد منقبة

رثــاء الهيبــة

انطفأت حيــاة الهيبة وكان لابد من ان يؤبنه الادباء الجزوليــون فكان شيخنا الافراني ممن قام بذلك الواجب ومن هو اولــــى بالقيــــام فى امثــال تلك الميادين بالواجب ؟ قــال

سرور الدنــا طيــف الــم فسلمـــا	وورد المنى ءال فلا ينقــع الظمـــا
وما العيش فى الدنيا وان طال حينه	سوى ظل ايك عن قليل تصرمـــا
ولا امنهــا الا غــرور فمــن ينــــم	اليهــا يكــن كالمستنيــم لارقمــا
فسيف الرزايا ليس ينبو غــــراره	وسهم المنايا لا يطيش اذا رمــــى
أمن بعد موت الهيبة الملك الرضــــا	خلاصة بيت ما اعف واكرمـــا
يؤمل حي طيب عيش ويرتجــــى	من الدهر يوما ان يرق ويرحمـــا

امام شرى جنات عدن بذبه ... عن الدين ضربا بالحسام مصمما
وجاهد عن دين النبي عدوه ... بعصبته والجو بالكفر اظلما
وما زال فى عين العدو قذى وفى ... لهاه شجى انكا وفى فيه علقما (1)
الى ان مضى لا وانيا متواكلا ... ولا ظالما فى المال والعرض مسلما
فخلف حزنا لا يزال لهيبه ... بكل فؤاد مؤمن متضرما
فو الله لا انساه ما هبت الصبا ... وما ناحت الورقا وما وابل همي
فقد كان للدنيا وللدين مالكا ... فما لي لا احكي عليه متمما (2)
فوا اسفا للحلم والعلم والهدى ... وللكرم الجم الذي فيضه طما
ووا اسف الايتام وابن السبيل والا ... رامل والشاكي الاذى متظلما
مضى سيد الاملاك والعلماء والهـ ... ـداة فخل العين تبك له دما
فمن لذمار المسلمين يحوطه ... ومن لدفاع الكفر ان ففر الفما
لقد عم فيه الرزء والحزن والاسى ... وانجد فى كل البلاد واتهما
وحص جناح الصبر عظم مصابه ... وانكى (1) فابكى فقده الارض والسما
فلقاه رب العرش روحا ورحمة ... كما كان فى الدنيا ابر وارحما
وقدس فى الرضوان فى الخلد روحه ... واسكنه اعلى الجنان منعما
فصبرا بني ابيه صبرا لما جرى ... فما فاز الا من الى الله سلما
فلا رزء الا دون رزئكم فلا ... يكن صبركم الا اجل واعظما
فانتم بحمد الله افلاك سودد ... اذا ما توارى النجم اطلعن انجما
فلا يعوزنكم من يسد مسده ... ويحمي حمى الاسلام اصيد احزما
يدبر امر الملك بالباس والندى ... ويلقى العدا فى حومة الحرب ضيغما
ويصلح من امر الخلافة ما وهى ... ويجبر من رسم الهدى ما تثلما
الى ان يقرَّ الدين عينا ويفتدى ... لقول حبيب منشدا ومرنما (3)
(هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما)
(ثغور ابتسام فى ثغور مدامع ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما)
يهون وجدي ان اوى الملك منكم ... الى كنف سامي الذرى واسع الحمى
الى ظل سادات هم ما هم ندى ... وباسا واخلاقا وعزا و منتمى
فقل للعداة الشامتين تيقنوا ... بيوم وغى ينسيكم ما تقدما
فسوف ترون الخيل خيل الهدى على ... كواهلها العقبان مخضوبة دما

---

1) يقال نكا « لا انكا »
2) فى البيت تورية بمالك بن نويره واخيه متمم الذي بكاه بقصائد
3) البيتان لابن نباتة لا لحبيب ابى تمام . وقد نبه البوزاكارنى الشاعر على ذلك .

ويقدمها من ءال مـاميـن سيـد	اذا كعّت الابطال فى الحرب اقدما [1]
اذا ما امير المومنين الرضا مضى	وقد عمّ فيه الحزن عربا واعجما
ففـي ءالـه والحمـد لله من يضي	بتدبير امر الملك قرمـا مكرما
ويجمع امر الدين بعـد شتاتـه	الى ان يرى عقدا ثمينـا منظما
فروت ثرى قبر الامام سحابـة الـ	ـرضا ما حدا حادي المطى وزمزما
ومني على تلك السجايا تحيـة	كما صافح الوسمى روضا منمنما
فقد عاش محمودا ومات وذكره الـ	ـجميل اغص الكون طيبا وافعما
وقد قام من تاريخه الفـال انـه	اجل له الرحمن نعمى وتمما
ففي (حى) شهر الصوم فاز وعامه	(الى جنة الفردوس اضحى ميمما) [2]
على المصطفى المختار والغر ءالـه	واصحابه صلى الالـه وسلما

انتهت قصيدة شيخنا المفوه وقد وفى لصاحبه حياة ومماة وفى ذكره موته فى الثامن عشر من رمضان مخالف لما مر عن الرفاكي ولعل ذلك الشهر مما اختلف الناس فى مبدئه ايضا فترتب على ذلك الخلاف فى تعيين يوم الوفاة ولكن ينبغي ان يعتمد على ما قال شيخنا لحضوره وكـان الهيبة مع عدم نجاحه كل النجاح محبوبا عند العامة خصوصا من لا يخالطونه من الاباعد فقد كنت فى قبة (سرِّ الغوث) فى قبيلـة مزوضـة فى الحوز عشية يوم وانا اذ ذاك ءاخذ فى (الساعدات) من قبيلة اولاد ابي السباع فوصل خبر وفاته فرأيت الناس فى حزن عليه شديد واما من كانوا يخالطونه وبعض حاشيته فلم يأبهوا لمهلكه حتى ان ابنـاء بعقيلـة لياتون بخرافة يزعمون ان ولد الشيخ سيدي احمد البعقيلي الذي استولده من الجنية التي اقترن بها فى حياته هو الذي فتك بالهيبة لانه ينفس عليه مكانته ولانه يزاحمه فى قبيلة بعقيلة التي هي محيط تصرفه (واحمد البعقيلي شيخ بعقيلة المعتقد توفى 1114 هـ) يقولـون ان بعض اصحاب المنامات رأى ذلك الولد يوعد الهيبة ومن ناحية اخرى يقال تناجيا ان الهيبة اكب على اعمال الطلاسم واستخدم الجن فاصيب من جراء ذلك وانا استبعد هذا عن عقل الرجل ودينه وحصافته وقد يكون لـه المام بعلم سر الحرف كوالده ولكنه لا يجعله متكئا فى المهمات والله اعلم وكيفما كان الحال فقد توفى الرجل فاستراح وذهب لما قدمت يداه .

---

1) كـع فى الحرب : اذا اعرض عنهـا .
2) (حى) 18 من الشهـر . وحروف الشطر الاخير يستخرج منهـا 1337 هـ

رحمه الله وجزاه عن نيته الحسنة خيرا وقد اعقب رحمه الله اولادا صاروا يذكرون الآن ، وهم كبار فقد سمعت ان منهم ادباء وعلماء رأيت بعضهم فأعجبت به علما وادبا وغيرة على الدين

امـــارة مربيـــه ربـــه

لا اعلم عن اوليته شيئا وكل ما اعرفه عنه مـــا تقـــدم اثناء اخبار اخيه الهيبة وكان عضده الايمن والمخلص له الملازم بين كثير من اخوته. فهناك النعمة والولي الذي كان خليفة على هشتوكة فى فجر امرهم وابـــو الانوار وشبيهن (1) وغيرهم ممن يذكرون فى النيابة عن الهيبة ولكـــن لا ينزع احد منهم منزع مربيه ربه فان له من الحزم والعزم والاقدام ما لو تسنى له به الانفراد بالرأي لكان به ما يكون وقد ذكر انه كان عازمـــا على الفتك بقواد مراكش يوم دخلها لولا اخوه الهيبة ثم لم يفتر نشاطه منذ رجعوا الى سوس فقد كان دائما يجري منذ خرجوا من تارودانت فكـــان احد العاركيـــن لهشتوكة بيد القائد الناجم ثم كان احد من جعجعوا بابن دحان فى بعض حصارات تزنيت وهو الذي قاد سنة 1332 هـ جحفلا لجبا من الصحراويين فابدأ بهم واعاد فى ازاغار وكنت اذ ذاك فى بونعمـــان فرايته يقدم كبكبة من الخيل ووراءه بغال عليها جوالق وسمعت بعـــض الرجال يقول ان فيها سلاسل للاسرى لو تمكن مـــن احد اصحاب ابـــن دحان ولا ادري اصحيح ذلك ام كذب وفى قدمته هذه من الصحـــراء خاطبـــه شيخنـــا الافراني بقوله

ايا اندى الورى كفا واكـــــرم ... لك البشر قدمت اجل مقـــدم

(وقـــد تقدمـــت القصيـــدة)

ثم انه بعد ما كان اليأس من أزاغار وثوى الشيخ الهيبة فى(كردوس) سكن هو فى ايت بعمران يشرف على جمال له اكتسبها ترعـــى هناك وكان فينة بعد فينة يختلف الى اخيه وينوب عنه فى مجامع القبائـــــل وفى الجيوش التي تتموج اذ ذاك فى المصادمات مع حيدة ثم مع الجيش الكبير الجنرالي وفى سوى ذلك ، الى ان فاظت نفس اخيه فأســـرع

---

(1) وقـــد ذكرتهم بولاداتهم فى (الرحلـــة الثانية) (خـــلال جزولـــة) عنـــد خروجنـــا مـــن ادوز روايـــة عن ابن اختهم سيدي المحفـــوظ الوجـــانـــي

الى التهيؤ للقيام مقامه. وقد وفد اذ ذاك الشيخ النعمة من منزله بايت رخا. فاجتمع عليهما الناس فكان هناك من الفقهاء شيخنا الافراني وابو الحسن الالغي، وسيدي الطاهر البعقيلي الزكري وسيدي موسى بن صالح الاغرَّابُوئي، وسيدي خالد التَّرْچِنِيني وابن عمرو ثم طلع اليهم اخيرا الفقيه سيدي سعيد الاَچْمَاري وحضر ايضا الفقيه الحسن الازاريفي في كثيرين من الرؤسا كالقائد المدني ، والقائد مبارك، وسيدي علي التازاروالتي والاخ سيدي محمد ، واحمد الايفَشْتَّاني وبقوا هناك اسبوعا يتداولون امرهم حتى تم الامر لمربيه ربه حكى لي من حضر قال اجتمع الناس هناك. وقد مال بعضهم الى الشيخ النعمة لدينه وصلاحه ولكن مربيه ربه عض على حكمة اللجام يقول ان اخي النعمة لا يقدر ان يخوض في هذه المخاضات قال فصار الاستاذ الالغي يوالي الرسل الى صهره سيدي سعيد الاچماري فتأخر اياما ثم جاء فحين اطل على كردوس تلقاه الاستاذ الالغي فمالا معا الى شجرة جلسا مليا في ظلها فقال له ما هذا التأخر عن الناس ؟ فقد بقينا في انتظارك ما بقينا ولم نرد ان نبرم امرا دونك فقال له ان كان هؤلاء السادات سلم بعضهم لبعض فان الامر سهل فقال الالغي انهم سلموا لمربيه ربه فقال حينئذ اقضوا الامر بسرعة واذهبوا الى حال سبيلكم فقاما فدخلا ثم خرج الحاضرون فاستدار مجمع كبير ذكر بعض من حضروا ما يظهر انهم نحو الف من الناس فاعلن اسم مربيه ربه رئيس المجاهدين يوم 25 رمضان 1337 هـ فصار الاستاذ يكتب البيعة بيده ويستشهد الناس واحدا واحدا قال الحاكي فدخلت انا وبعض طلبة الى مربيه ربه ليدعو لنا فوجدناه قد جلس مع الاستاذ ابي الحسن الالغي وسيدي محمد ابن الشيخ الدرقاوي الالغي – يعني اخي – فالتفت الينا الاستاذ وقال هل بايعتم انتم ايضا ؟ فقلنا نعم فكتب ذلك في قرطاس كبير ، فكذلك تم امر مربيه ربه فبعد هذا الحين القى شيخنا الشاعر الافراني هذه القصيدة وقد وجدت انه قالها يوم السبت 6 شوال

عيون الهدى قرت وفرج كربه	ببيعة مولانا مربيه ربه
ببيعة من شادت يد السعد امره	وبورك للدنيا وللدين كعبه
اعادت به الدنيا جديد لبوسها	وزاد به الاسلام عزا وحزبه
فيا ايها المولى الامام ومن صفا	الى الله في امر الخلافة قلبه

هنيئا لك العهد الذي عم يمنـــه وطاب به شرق الوجـود وغربـــه
يمينا لقد حق الهنا ودنا المنـــى واشرق من جو السعادة شهبـــه
فلا زالت الاقدار تجري بكل مــا تؤمل من يمـن وامـن تحبـــه
ودونكهـا منـى تقبل راحـــة بهـا راحـة العانـي المعنى وطبـه
فلا زلت منصور اللواء مظفر الــ ـحسام يقد الكفر والبغي ضربـه
عليك سلام الله ما وخدَت الـــى رياض المنى خيل الرجاء ونجبـــه

وقد اعلن يوم اعلان بيعة مربيه ربه ان اسمه الرسمي محمد المصطفى. فخرجت الرسائل بتوقيعها بذلك الاسم الجديد ونقشه فى خاتمه الخاص التي يطبع به على الرسائل التي ترد من عنده وقد ابقى حالة اخيه مـن الكتاب والحرس كما كان الحال قبل فكان محمد بن عبد العزيز ومحمد بابه . والعربي الصوابي كتابه كما كانوا عند اخيه والملازم هو الاول والاخران ان حضرا يعينانه حتى زوجات اخيه قد خلفه على بعضهـا كالصوابية التي قال فيها زوجها الجديد متغزلا

صوابية قـدت فـؤادك فانقـــدا بقد وبالخدين خدته فانخـــدا
صوابية غرثي اضافت صبابـــة بجامع قلبي بالهوى مجمعا فـــردا
صقيلة اوصال أساريرها حكـــت نجوم السما زهرا وزَهر الربا تندى
فيجري بها ماء الخفـارة كلمــــا نظرت محياها كساه الحيا بـــردا

اعمــال الاميــر الجديد وخلقــه

كان فى الهيبة من الكرم والعفة عما فى الايدي وعن التناجي فى الاضرار صفات عرف بها فان كان الناس يواخذونه بعدم قيامه بما تصدر له حـق القيـام ويرمونه بالعجز والجبن فانه على كل حال بذل جهده على قدر المستطاع واما خلفه مربيـه ربه فانــه يوسم بالرجولـة والحنكـة والاقدام الا ان الناس يقولون خلفه ما يقولون من انه كان منقادا للقائد الدني فقد وجد منه ما اراد فكان يقضي به كل ما اراد وقد تداول معه حين ترقيه مرات على مد السيطرة الحقيقية على القبائل فاستحشد لذلك الدني مرارا لكنه يلقى ما يكبحه من القبائل فهذه من صفات الرجل الذي يذكره بها الاعراب انفسهم قبل غيرهم ، فكانوا دائما يتشكون من انه لا يفتح لهم باب ما عنده ، ولا يجود عليهم بما كان يجود به سابقه . وقد قال بعضهم

انه كان جمع من هشتوكة سنة 1332 ه زبدة كثيرة فتركها فى الاواني حتى فسدت . على حين ان أصحابه يتناولون الطعام القفار وكذلك يصفه طلبة جيرانه فقد كان الهيبة يكرمهم خصوصا فى ليالي مشهورة فى السنة فجاء بضد ذلك هذا الحازم العازم الذي يحب ان لا يضع الاشياء الا فى مستحقاتها، هذا خلق الامير الجديد فيما يقوله الناس ، ولا نعرفه نحن ، ولا نتحمل تايد ذلك ولا تكذيبه . وعلى ذلك امضى 15 سنة . وقد احدث فى ايامه سنة تمشى عليها وهي دورة سنوية تؤدي فيها كل اسرة ريالا حسنيا مغرما واجبا ولرؤساء القبائل مـن ذلك حظ فيلزون الناس حتى يؤدوا ذلك مـع الضيافات والهدايا فيجمع ءالافا فى كل دورة ولم يسلم مـن ذلـك الا الولتيتيون لا غير فخالف بذلك سنة سابقه الذي يلزم كردوس فيصله الناس بما تيسر ثم يصلهم منه ايضا ما تيسر. واما هذا فلا يعرف الاهات. وليس فى قاموسه مادة خذ الا ما ندر جدا والنادر لا حكم له. ثم زج نفسه فى خلاف القبائل بعضها لبعض بتأثير القائد المدني حتى قاطعه بعض مجاط حين احسوا بانه ينقاد للمدني الذي لا قصد له الا ان يمد اليهم يده ويستولي عليهم كالاخصاص ، كما فعل بافران من تغريمهم ثلاثين الف ريال . ثم مناداته ان مفصل دعاويهم هو بُوزَاكَارْنْ فقام المجاطيون وقعدوا حتى زعزعوا المدني وردوه وراءه وانتشلوا من تحت يده غالب افران ولم يبق الا تِيمُولايْ وحدها واما الولتيتيون الذين لا يدخلون كردوس فى امورهم. فانه لا يطمع ان يتداخل فيها ولا يصله منهم الا طلبتهم وفقهاؤهم . وليس فى يد هؤلاء من الامر شيء وقد كان لكردوس فى ايام مربيه ربه شان لشيعة المدني ، فكان موضع الابرامات فاثر ذلك فى هيبة مربيه ربه ، حتى سمعت ان البعمرانيين غرموه يوما الف ريال لكونه اتصل ببعض الاجانب وقد كان الناس نادوا ان كل من اتصل باجنبي يعطي ذلك القدر وقد وقفت على رسالة مكتوبة هنالك الى الاستاذ الالغي بقلم شيخنا الافراني تعلم منها بعض ما ذكرناه . نصها :

نقبل الاعتاب بعد السلام المستطاب بحضرة شيخنا العالم العلم بدر الهواية ومصباح الظلم سيدي ابي الحسن الالغي من معظمي قدره ومستمدي سره . درة القلادة وحلف السيادة سيدي البشير بن المدني والقائد المحفوظ المجدود المفاض عليه من حضرة الكرم والجود سحاب العطاء غير المجدود السيد الاسعد المدني بن احمد والدرة النفيسة . ذي المجالسة الانيسة سيدي ماء العينين ــ كاتب المدني ــ والعبد المقصر

المضطر المفتقر الطاهر حفظ الله الجميع بمنه هذا وبعد استدعاء الدعاء فقد وصلت رسالتكم الكريمة مقبولة العذر مع فرط اشواقنا الى طلعتكم المباركة . وما صرفنا من استدعائكم للملاقاة بالحضرة الامامية الا ما علمنا من شغلكم بذلك الكلب العاوي والنذل الغاوي ابو الطعام ومن لف لفه من بهائم الانعام فالحمد لله الذي عرفهم قدرهم واضل امرهم فقد فرحنا فرحا زائدا وليس ما صدر منهم من امثالهم ببدع فى وقتنا هذا والعياذ بالله .

فلا تعجبوا ممن عوى خلف ذي علا لكل علـي فى الحياة معاويـة

وقد منعنا سيدنا نصره الله من الذهاب بعد ثلاث فعزمنا يوم الاربعاء. ثم من الله بالغيث فكان عذرا حابسا ايضا والحمد لله على كل حال وقد فرح سيدنا غاية بمقدم القائد وفرح القائد بفرحه ولعل سيدنا على نيـة الخروج لتتبرك به البلاد والعباد وقد عزم على استحضاركم للمذاكرة متى امكن . والاحوال والحمد لله بخير والسلام 9 جمادى الثانية عام 1342 ه

ارايت فى هذه الرسالة كيف يسب ابو الطعام والمقصود به انسان من المرابطين السعيديين كان يشاد الاستاذ الالغي ماشاء الله. وعلى هذا فليقس المقصود ان القلوب من العامـة التي اجتمت فى عهد الهيبة تتفرق الآن وتعبث بالسلم وقد حدث 1344 ه مشاداة فى جهة اِدَا وكَنسوس فى ناحية عابد الزكري فكان الرؤساء الزكريون يعتمدون على هذه الجهة وقد كان محمد بن ابراهيم التَّيِيِّوتي احتل هناك كثيرا من القبائل حتى كان الحد الذي يحده قبيلة ادَا وزَكْري . فكان مربيه ربه يذهب مع القبائل الى تلك الجهة تكرر ذلك منه . وءاخرها نحو سنة 1345 ه حين هرب حمو بن قاسم الكَنسوسي الى هذه الجهة فاراد ان يناوىء رب نعمته التَّيِيِّوتي سائس الحاج حماد بن حيدة فضمن ءالافا للقائد المدني ومن لف لفه وقد كان الزكريون اذ ذاك لم يصف الجو بينهم وبين الكنسوسي هذا فاراد ان يخرب ديارهم وهى الواقعة المذكورة فى ترجمة الاخ احمد وفى ترجمة القائد الناجم ايضا وهناك رسالة فى ترجمة سيدي المحفوظ الايغشاني تذكر اعداد الناس فذهب مربيه ربه ولكنه اصطدم وصلابة الزكريين فرجع مفلولا وكان ذلك سبب ان التحق الزكريون بالشق الاخر ، وهم مظلومون

ادبيـات لمربيـه ربه وامداح فيه

اثر رجوعه فى هذه السفرة قال الاديب الحسن الچوسالي السملالي يخاطبه مهنئا .

هب وهنا نسيم نجـد فشبـا	نار وجدي وقطر دمعي صبـا
وبدا بارق اباد اصطبـــاري	ودعا للهوى فؤادي فلبـــى
كل من شم عرف نجد وشام الـ	ـبرق منه ولم يهم ليس صبا
عد على كل ذا وجل فى تهانـي	ملك ربه سوى الناس ربـى
ملك خصه بنصـــر وعـــز	مالك الملك من حباه الفلَبَى
فهنيئا خير الانـام بعـــز	نلت منه نصرا واجرا وقربـى
حطت دين الهدى بسيف اعتزام	فل جند الضلال حزبا فحزبـا
يا امين الاله يا خيـــر ملـــك	مالك للقلوب رعبـــا وحبـــا
قد اتاك يسوقه الشوق صبٌ	حسبه ان يرى محياك رغبـى
وعلى مجدك المهنّا ســلام	يزدري عرفه الكبا حين هبـا

يرى القارىء من هذه التهنئة ان الحقائق فى جهة ، واقوال شعرائنا فى جهة ، والامر بكل اسف كذلك لان الشعر العربي بعد ما فسد ، وصـــار تقليديا ومحاكاة لا يقصد القائل الا ان يجيد فى شعره كما ينبغي ان يكون . لا ان يجعل شعره مرآة للحقائق وحين كان مقصودنا نحن ان نشيد بآثار المستعربين من آلنا كنا نسوق ذلك كيفما كان فنيتنا وافية بذلك كيفما كانت الحالة . صادقا كان الشاعر او كاذبا وقال فيه شيخنا الافراني :

انخها فقد طابت وطاب مسيرهـا	بحضرة مجد لم يخب من يزورها
حمى زانه المولى الامام محمـــد	كما زان افلاك السماء منيرهـا
امام اجار الله ملـــة جـــده	بهمته اذ لم يكن من يجيرهـا
وقام باعباء الخلافة حافظـــا	ذمام المعالي حين عز نصيرهـا
فاصبح فردا فى السيادة واحـدا	جلالته ما فى الملوك نظيرهـا
خلافته امن وراحتـه غنـــى	وغرته شمـس توقد نورهـا
حمى الملك بالرأي الاسد وبالظبـا	كذا الاسد يحمي خيسهن زئيرها
وحاط بنصر الله اركـان امـــة	تداركها لولاه ثـل سريرهـا
لذلك جازاه الاله بان رعـــى	خلافته لم لا و (يرعى) وزيرها

فيا ملكا ذلت لعزتـــه العــــدا … وعزت به العليا وتم سرورهـــــا
هنيئا لك العلياء ولتهنا الدنــــا … بانك يا مولى الملــوك اميرهـــا
فلا زالت الاقدار تدني لك المنـى … وياتيك ركضا بالتهاني بشيرهـــا
ودونكها بكرا جلتهـا قريحـــة … بمدحك ما زالت ، يجيش ضميرها
تفوت مدى اهل البلاغة لوجـرى … لها لَكَبَا همّامُها وجريرهـــا
ارادت وفاء المدح فيك فعاقهـــا … قصور وعي فالحيـاء عذيرهـــا
فلقِّ امير المومنيــن قدومهـــا … قبولا واغضاء فذان مهورهـــا
عليك سلام يزدري نفح طيبــــه … رياضا ذكا غبَّ السماء عبيرهـــا

وقال فيه ايضا فى احدى جولاته السنوية فى جمادى الثانية 1339 هـ .

الم بنا اهلا بمقدمــــه اهــــلا … خيال سرى فى ظلمة الليل من ليلى
نجدد من رسم الصبابة ما عفـــا … واذكرنا عهدا بسفح اللوى ولـى
زمان مضى ما نغَّص الهجر طيبه … ولا رنق الواشون مشربهُ الاحلى
وجيران صدق حال دونهم النوى … فلا ذكرهم يسلى ولا عهدهم يقلى
فويل النوى كم ذا شكته ذوو الهوى … وويح التصابي ما امر وما احلـى
رواها لقلبي ما ثناه عن الصبـــا … مشيبولم يسمع للاحىالنهى عذلا
اما فى بني الدهر الخئون عنالهوى … لذى اللب ما يلهيه انيبتغي الشغلا
اما فى امير المومنيـــن محمــد … عزائم يدريها العدا لم تكن هــزلا
هو الملك المولى المربيـــه ربـــه … بالطافه اكرم به ملكـــا مولـــى
امام نشا فى مطلب المجد مذ نشا … فما اعتام الا الجد طفلا ولا كهــلا
تولى فولى البوس وانبعث الرجـا … وحالف نصر الله من سيفه النصلا
وايقن دين اللـــه ان سيحلــه … بهمته القعساء مما بـــه حــلا
وان سيديق الكافريـــن ملمــة … تبيحهم اسرا وتفنيهـــم قتـــلا
وتنظم شمل المغربيـــن عنايـــة … له توسع الدنيا وسكانها عــــدلا
الى ان يعود الدين غضا ويفتــدى … بصارمه الفتاك كعب الهدى اعلى
وما ذا الذي يثني عزيمته الـــم … يكن لبني ما مين اسد الوغىشبلا؟
اولئك اقمار الهدى وصوارم الــ … ردى وسحاب للندى هطلت هطلا
هم ما هم عزم تألـــق نـــوره … ونخوة نفس حرة لا ترى الـــذلا
وان امير المومنيــن لحائــــز … بعزمة صدق منمدى مجدهم خصلا
لطافة اخلاق كروض تفتحـــت … ازاهيره اذ جاده الغيث فاخضلا

وباس تذيب الصم شدة حره ... وبسطة كف فيضها يغرق المحلا
الا ايها المولى المؤيد لا يزل ... عليك سحاب النصر والسعد منهلا
لقد زانت الايام دولتك التي ... غدا مدحها بين الورى سورة تتلى
فلح فى سماء الملك بدرا بنوره ... يجدد من رسم الهداية ما اختلا
وقدها الى ارض العدو كتائبا ... ترى الموت حلوا فى العلاوالعنا سهلا
ولب نداء الدين بالسيف تجتني ... جنا النصر ان السيف اصدق ان سلا
وابشر بنصر يملا الكون فتحه ... كما تشتهي فالحق يعلو ولا يعلى
فحولك من اهل البصائر امة ... ترى الحرب نارا ثم تقصدها تصلى
اذا سمعوا صوت المثوب داعيا ... ايا لبني الوغى هيا الجموا الخيلا
وزندك لم يصلد ورايك لم يفل ... وعزمك لم ينكص وسيفك ما فلا
وخوفك قد اصمى عداك ولم يدع ... لابطالهم فكرا يجول ولا عقلا
اليك امير المومنين زففتها ... فلم ترض الا قدرك المعتلى بعلا
فدونها بكرا جلتها قريحة ... ذوى فكرها المخضل من قبل واعتلا
اتتك ولكن من حياء تقنعت ... بمدحك والاغضاء سيرتك المثلى
بقيت لهذا الملك تحمي جنابه ... بعزم ويحمي عزمك الملك الاعلى

وقال فيه ايضا فى صفر 1341 هـ . يستنهض همته

مولاي ابشر فالمنى تتبسم ... والفتح هذي ريحه تتنسم
فاحثث ركابك اينما احببته ... فالنصر يقدم والسعادة تخدم
هذي جنود الله وافت بالرضا ... والطوع نحوك ترتضي ما تحكم
من كل ليث لا تفل شباته ... فى الحرب ينكص عن لقاه الضيغم
ندب اذا دُعيَت نزَال رايته ... يهوى كما ينقض نسر قشعم
فاضرب بهم نحر العدا تجن المنى ... عفوا وتفتح ما تشاء وتغنم
وارشف رضاب العز من ثغر الوغى ... بالسيف ان السيف فى الهيجا فم
فالرعب منك سرى مسير الروح فى ... اجوافهم وجرى كما يجري الدم
والكل معترفون انك اهلها ... حقا ولكن من شقاوتهم عموا
فانصر امين الله دين الله ولـ ... ـتعرض عداه على الظبا او يسلموا
واغلظ على اهل الضلال منكلا ... بذوي النفاق وان الحز اللوم
فلانت اولى من شفادين الهدى ... ولانت ابسل من يصول واكرم
او لست من مامين ان سئلوا الندا ... سالوا وان شبوا الوغى فهم هم

واسلم امير المومنين لامة — القت ازمتها اليك وسلموا

واليكها عذراء الجمها الحيا — لكن بنشر ثناك لا تتلعثم

فالمدح فى علياك اولى مابه — يعنى فيبتدىء الكلام ويختم

وقال فيه ءاخر ممن لا اعرف اسمه وهو اما ابو زيد الحامدي واما محمد بن الحاج الافراني

محياك ام شمس الضحى تتهلل — وخدك ام ورد الربا متبلل

وثغرك ام عقد الكواكب فى الدجا — ام الشعر من تلك الغدائر يرسل

وقدك عند الانعطاف ام القنا — تأطّر ما بين الوغى حين يعمل (1)

توفر منك الحسن اجمع كاملا — فينفد صبري فى الهيام ويكمل

وقد كنت ممن يعذلون اخا هوى — فاصبحت يومى من غرامك أعذل

ملكت فؤادي قبل معرفة الظبا — اذ اعترضت فى حسنها تتشكل

تعرضت جلدا رافع الراس ثم لم — ار السرب حتى خانت الجسم ارجل

فابت ذليلا مطرق الراس والهوى — اذا خالط الشجعان حقا تذللوا

على ان ذوق العشق احلى من الطلا — اذا ما يُعَل الصب منه وينهل (2)

يرى فى الهوى والذل افضل ما يرى — خلى بخيل الكف اذ يتمول

كلا ذينك الشر بين ذقت ولم اجد — كذوق هوى غيداً تزهو وتشكل (3)

فلله ما احلى الصبابة والحشا — بجذوتها يوم النوى يتأكل

فؤادي واضلاعي وجسمي جميعه — وعمري لكم يا اهل ودي فاقبلوا

طلوا ما رضيتم واهجروا مارضيتم — فما قد رضيتم لي لدى المؤمل

فلست لنفسي انني لكم ومن — يهب نفسه يسكت فما بعد يسأل

الا فى سبيل الحب نفس مذابة — وجسم بالوان النحافة يشمل

وهبت لهاتيك الظباء مقادتي — فكان عليها لا على المعول

كما وهب المولى مربيه ربه — لسوس قواه كلها وهي حفل

راى اهل هذا الصقع قد بخلوا بما — لديهم فنادى انني لست ابخل

فهذا حسامي واليمين ومتلدى — وكل طريفي والجواد المجلل (4)

---

(1) تاطر الرمح تثنى

(2) الطلا بالكسر : الخمر

(3) تتغنج

(4) جلل الدابة اذ البسها الجَل بالفتح وهو ماتلبسه الدابة لتصان به

هبات لكم يا ءال سوس الا اصنعوا صنيعي فاني فى الجهـاد لاول
فاسمع لو يلفى صماخا وواعيـا وقلب تقى راسخ الدين يعقـل
ولكنه يلقى اناسـا رعـاددا كأن كانمنهمفى الحشاشات أفكل(1)
وديدنهم اكل الضعاف ونهبهـم لمال بدا للعين ان قام محفـل
رؤوسهم ينسون حق ضعافهـم ترى واحدا منهم كما انقض اجدل
الا يا امير المومنين ومن لـه قيام وقد نام الرجال او اذهلـوا
جزيت بما قد كنت تفعله لنـا جزاء الذي كل الصنائع يفعـل
فعزمك فرد ليس عزم شبيهـه فيصدم جدران العدا ويفلـل
فعذرا لمن ابصرتهم فجميعهـم اذا احزنالشجعان فى الباساسهلوا
فلا تغترر منهم بمن كان قائـدا وان كان ما بين الورى يتقـول
فليس سوى خب جزوع مسلـط اذا كان مال ربه عنه يغفـل
ولكن اذا حر الوطيس فثعلـب اذا شام ذيبا بل فعرفاء جيـأل
ولا تغترر ايضا بمن كان عالمـا يقول من الوعظ العظيم فيحفـل
فما كان الا صنو من كان قائـدا كلا الرجلين فى الهدى يتملمـل
فانهما رب الحبائل تفتـل فربى يعين من بها كان يحبـل
ولكن سيدي سيدرك من لـه سينصر هذا الدين ممن سيخذل
بصيرته مرءاة هند (2) تريه مـا غدا من بعيد فى المسافات يقبـل
وما انت يا قطب الملوك بغافـل وما اعين الاملاك من قبل تغفـل
يحوم حواليك الرجال كما ترى الـ ـفقاقيع فوق الكاس تعلو وتسفل
وانت لكل عارف ثابت لهـم كما فى بسيط الارض يثبت يذبـل
تصيخ لذا او ذا وقل من الرجـ ـال من بفعال فى الوغى يترجـل
فحسبك بلحسبالورىانيرىلهم باكليل هذا الامـر منـك مكلـل
فما دمت فينا دام عز ومنعـة وحد بعون اللـه لا يتفلـل
عليك سلام الله يا معلن الهـدى الى اوجه من بعد ما كان اسفـل

كان لمربيه ربه او مولاي محمد المصطفى كما كان اسمه الرسمي شاعرا مجيدا يقول فيحسن ككل ءاله ولذلك شعراؤنا يقراون الف حساب

---

1) الـرعـدة

2) مـرءاة الهنـد يقصـد بهـا السوسيـون المنظـار المقـرب

اذواقه . فيجتهد من يقول منهم ان يجيد وسعه . فلنذكر بعض اقوال مربيه
به لنرى كيف منزعه فيما يقول

قال متغــزلا علــى النمــط القديــم

صل التي عن هواها القلب مرتدع   سهل على انه صعب وممتنـــع
هل من السهل ممنوع فيا عجبــا   ما كنت احسب ان السهل يمتنـع

وقال ايضا فى ذلك .

ري الظلم فى ثغر الحبيبة والاشر   كما سريا فى الاحورار وفى الـــدرر
إن ميـــاه الحســن فى وجناتهـــا   سرت سريان النور فى دارة القمــر
دب الحيا فى مستلـــذ طباعهـــا   كما دب فى الحاظها السحر والحــور

وقال فى الجناب النبوي

بشرى لدهر كان من حسناتـــه   وصل محا ما كان من هفواتـــه
تمحو ليالي هجـره حسناتـــه   ليلاته تقتــص مــن ليــلاتـــه
حذر خلى القلب بادره الهـــوى   اذ لم يكن من اهلـــه ودعاتـــه
خدن الصبابة لا يبوح بســـره   الا الذي يبديه مـــن عبراتـــه
كم عبرت عبراته عما جـــرى   فى قلبه من حالـــه وصفاتـــه
فيرى الوفا فى الحب حتما لازمـا   لو انه يقضي الوفـا بوفاتـــه
لله حي تنقضي الاجـال مـــن   ظبياته او دونهـــا بظباتـــه
عهدي به دهر الصبـا اوقاتـــه   معسولة لهفي علـــى اوقاتـــه
فكانها حور بعيـــن الدراهـــم   غـــرر وتيجـــان على هاماته (1)
كم صادت الاساد منه مهاتـــه   كم تصرع الابطال دون مهاتـــه
فهناك ظبي يجتني ثمر الحشـا   عبثا ويجني الورد من وجناتـــه
لفتاته تصمى الحشـا نفثاتـــه   سحريـــة فحـــذار من نفثاتـــه
امضى تغنجه ذبـــول جفونـــه   فيها السكون ينوب عن حركاتـه
اني اغار على النسيم صبابـــة   حيث الاريج يفوح من طياتـــه
دع ما مضى ان كنت ذاكره فـــلا   تذكر سوى المختار خير سراتـه
شنف مسامعنا ورو قلوبنـا   سلسبيل خصاله وصفاتـــه
اللـه يعلـم انـه لمفضـــل   شرفا له عن كـل مخلوقاتـــه

(1) كـــذا

اسماؤه وصفاته مشتقة … فى الله من اسمائه وصفاته
وسع العوالم حلمه الا لدى … حد الاله فلم يكن عاداته
البحر يقصر عن تدفقه وفى … يوم الوطيس يحار من وثباته
فتناهت الامطار دون نواله … وانهدت الاجبال دون ثباته
من اين للامطار فى تَوْكَافِه … تحكيه والامطار من قطراته
هماته بالدهر كيف قيامها … عجبا لها والدهر من خطواته
والنصر من ادواته والباس من … سطواته والخير من عطفاته
والشمس من بهجاته ، والجو من … درجاته ، والارض من جفناته
لم يلف الا قائما او واهبا … فالدهر بين صَلاته وصِلاته
فى ليلة الاسراء ما من مرتقى … فوق السماوات العلا لم ياته
ءاياته الكبرى تضاءلت النهى … عن ذكرها والذكر من ءاياته
عالي الجناب ربيعه وخصيبه … جمعت يداه المجد بعد شتاته
ملا العوالم رهبة ومحبة … والبطشة الكبرى افتتاح غزاته
فى بدر بدر النصر نال كماله … جبريل من اعوانه وحماته
سل بعده احدا فكم من باسل … زفته حور العين بين لداته
والاسد تزأر والمعارك افعمت … من فوق ذروته الى جنباته
حيث النبي ومن تثبت حوله … لم يعد ما الفوه من وطئاته
فبنو قريظة والنضير كلاهما … حلت به الهلكاء من فتكاته
والشرك فى الاحزاب جدع انفه … وتهشمت بالسيف هام بغاته
وبخيبر انهدت دعائم ركنه … وتدكدكت احصانه بدعاته
والصلح جُرِّ بخيله ورماته … كم زادنا من خيله ورماته
فغدا اسمه فتح الفتوح وكيف لا … وفتوح بيت الله من حسناته
ساخت قوائمه وقطع راسه … فى الفتح وانحصَّت رياش بزاته
واذكر حنينا يوم قال انا النبي … وترست اسد النزال بذاته
يوما يظل به الحسام محمدا … وصليله يحكي زئير كماته
يسطو ويعطي سطوة وعطية … فاضت بنائلها عرى عزماته
يولي المنايا والمنى لعدوه … وصديقه حرصا على حرماته
لم يدر اكثر جوده ام باسه … فاسم الصلات اشتق من صلواته
فحروبه موصولة بحروبه … وهباته موصولة بهباته
لو بالغ البلغاء فى امداحه … تالله ما بلغوا اقل صفاته
لله در صحابه كل غدا … يسمو الى مرضاته بسماته

شرفوا به شهدوا المشاهد كلها فبهاؤهم كالثغر حول لثاته
البائعون نفوسهم يوم الوغى وحياتهم لله دون حياته
من كل ثوب بالحديد مدجج صمصامة كالليث فى غاباته
فى غمرة الهيجاء منيته وفى لجج المنية منتهى لذاته
ما منهم الا جواد جوده فى الناس مثل الغيث فى سحاته
لا يبتغون سوى الشهادة مذهبا ان الشهيد حياته بمماته
يا خاتم الرسل الذي فى ظهره ختم يحار العقل فى ختماته
هذا عبيد يبتغي ما يبتغي كرما له لباك من ميقاته
صلى عليك الله جل جلاله ما نعم الشهداء فى جناته

وقال بعد ان بايعه الناس يحذرهم (فى بحر الرجز)

الحمد لله الذي الاسلام دينا لنا رضيه السلام
والكفر لا يرضاه للعباد ولا الموالاة الى الاعادي
فالحمد لله بلا تناهي ثم الصلاة لرسول الله
وللمهاجرين والانصار هم الاشداء على الكفار
هم الذين جاهدوا فى الله حق جهاده مع الاواه
وبعد فالمقصود يامن اسلموا اياكم والكافرين تسلموا
احكامهم جور وظلم عدلهم ودينهم كفر وبيس عدلهم
اموالهم سم لدينكم وقيـ ـيمة بلادكم عسى الله يقي
اسلافهم قبل لطه غادرون فى عهدهم كيف لكم لا يغدرون
برئت الذمة ممن معهم فى دورهم اقام او جامعهم
وكل نفس بهواها تحشر من هوى الكفار معهم يحشر
لا تتراءى نارهم ونارنا اخفر جارهم وعز جارنا
وقد نهينا عن مصاحبتهم وعن كناهم ومصافحتهم
وعن ودادهم نعم لو كانوا ءاباء او ابناء حيث كانوا
ويل لمن يتخذ الاعداء من دون رب العرش اولياء
فالله مولانا ولا مولى لهم شتان بين مالنا ومالهم
لله والرسول ثم المومنين معاقد العزة لا للكافرين
اعوذ بالله المعيذ منهم ومن اليهم ولهم وعنهم
قال الرسول لا تزال طائفة جعلنا الاله تلك الطائفة
بجاهه صلاتنا عليه ربي وبلغها رضا اليه

كانت طائفة ممن مع مربيه ربه تحكم بكفر كل من بقي تحت اذيـال الاجانب . وكانوا مدجّنين (1) . ولا يعذرون احدا وممن كان معهم فى ذلك بعض الصوفية كمولاي احمد الوادنوني الذي كان ينهى اصحابه حتى عـن الاسفار الى تلك الجهة والمعاملة بدراهمها حتى ان بعض اصحابه الجيء مرة لو رود ازاغار فاعاد الصلوات التي صلاها هناك وهو اليوم لا يزال حيا ، وليت شعري ما يصنع اليوم وقد عم الطوفان حتى الجودي . وقد وقفت على كتابة فى الموضوع كتبها الاستاذ المؤرخ الفقيه الرفاكي الى الاديب سيدي البشير الناصري . كسؤال فى المدجنين الذين لم يجدوا الا ان يبقوا فى منازلهم ثم الم الكاتب نفسه برأيه فى الموضوع (وتجد الكل فى المجموعة الفقهية لانه فقه محض) وختم ذلك بقطعة نونية نصها كما هي .

للناصـــري اليفرنـــي مسكنـــا	اهدى السلام ورحمة الرحمـــان
هذي هديت نصوص كتب تجتبى	فتاملنهـــا سيـــد الاقـــران
كفرتم اهل الفحوص وغيرهــــم	وحصرتم الايمـــان فى العميـــان
فحذار لا تنسب اخاك وان عصى	للكفر تحظ بصفقة الخســـران
فالكفر لا يرضى به غمر الـــورى	احرى الذي فى العلم ذو عرفـــان
واعذر اخاك وان هفا او ان هذى	واخال عدك ذا من الهذيـــــان
واقرأ السلام لخلنا الحب الـــذي	فر العلوم وبـــذ فى الميـــدان
الطاهر الا دناس من هو فائـــق	فى الفضل ذا العرفان والتيجـــان

ءاخر رمضان المعظم 1349 هـ .

ثم اجاب شيخنا ابو محمد الافراني عن الاديب الناصري وحين كان جوابه ادبيا لا بأس بسوقه هنا ونص ذلـك برمتـه

(ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشدا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنـا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحيـن

---

1) المدجّنـون عند اهل الاندلس هم المسلمون الساكنون تحت يـد النصـارى .

حيا الله وبيا ورنح بالنسيم الطيب الريا ونضر بالنعيم المشرق المحيا حضرة الفقيه البركة الميمون السكون والحركة المتلقى بالقبول منا كل ما فعله وتركه بعد ان اعلن التحقيق المؤيد بالتوفيق الحقيق بالصدق والتصديق

علامة العلماء واللج الذي لا ينقضي ولكل لج ساحل

محل ودنا الحافظ للعهود والاواصر ، التي بين سلفه الكريم وسلفنا بني ناصر. ذي المناقب المزرية بالدراري. عالم العصر سيدي محمدبن احمد الاچراري. حفظ الله كماله وانجح في الصالحات ءاماله وسلام عليه ارق من طبعه واغزر من فيض علمه ونبعه ورحمة الله وبركاته عن بركة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وقد ورد علينا ورود الماء على الظما والنور على الظلماء كتابك المعسول القادم بكل سول فحيا واحيا وكسا اثاثا وريا فحمدنا خطورنا ببالك وان رميتنا بنبالك

لئن ساءني ان نلتني بمساءة فقد سرني اني خطرت ببالك

فوهبت اساءته لاحسانه . وغفرت منيته لامانه وقلت كما قال كثير عزة اذ غلبه الوجد وبزه

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت
يكلفها الخنزير شتمى وما بها هواني ولكن للمليك استذلت

فان الذي بيننا من العهد الحديث والقديم ـ يقول بيسست المدامة ونعم النديم ، فقد جمعتنا رحم الحب والادب. وهي احق بالرعي من لحمةالنسب

ان نفترق نسبا يؤلف بيننا ادب اقمناه مقام الوالد

فغفر الله لك يا اخي ما عرضت به فيه من قولك ءاخر الرسالة فلتحذر ان تكفر من يقول لا اله الاالله وصرحت به فى نظمك بقولك

كفرتم اهل الفحوص وغيرهم وحصرتم الايمان فى العميان

حيث قولتنا ما لم تتحقق منا قوله وحملتنا بالظن والتخمين ما لم نطق حمله فأجريت سؤالك مجرى التقريع وافرغته فى قالب التهديد والترويع وما ظننا قط اننا قطعنا فى تكفير ساكن فحص او جبل

بتحقيق او جدل ببنت لسان او شفة ولا ارعف قلمنا بكتبه الفه
وانما ظننت ظنا والظن اكذب الحديث او صدقت فاسقا تعود التمضمض
بالاعراض شيمة كل خبيث وقد علمت ان الله عصم من المومن دمه وماله
وعرضه وان يظن به ظن السوء كيف نجترىء على القول بما لا نعلم
وقد علمنا ان السلامة اسلم او مالنا وذلك الخوض فى تلك المهالك
والظلم الحوالك

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها لنفسي لي شغل عن الناس شاغل

(فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها) (ومن شكر فانما يشكر لنفسه
ومن كفر فان ربي غني كريم) كيف وقد علمتانا لم نكن من ابطال ذلك
المجال ولا ممن يدعي اليه بيا للرجال وهل للجاهل مثلي ان يقتحم فى
مأزق الالتحام او يستنئ مع الفصال فيقطّره الزحام (1) وقد علمت
قدري ، فلزمت وكري وارحت من البحث فكري ودرجت عما ليس
بعشي وغضضت طرفي عما يعشي فنحن سلمنا العلم لاهله وعلمنا
عجزنا عن مسالك حزنه وسهله كيف وقد فرغ من المسألة من قبلنا
وتكلم فيها الائمة بما يكفي فى الاقتداء مثلنا وقال كل ما اداه اليه اجتهاده.
وجرى بكتبه مداده ودون كل مذهبه وحرر ما كتبه

من اراد انتقادها فهي هاذي عرضة البحث فليكن جد باحث

غير ان ما قد بحث به من المعيار اخشى ان يكون من سوء الادب
والعار فان مؤلفه العلامة الماهِر الجامع بين الباطن والظاهر سيدي
احمد بن يحيا الونشريسي هو قطب الفتاوي وركنها الذي اليه تأوي ·
ولم يبلغنا ان احدا ممن بعده من الايمة قدح فيه بقادح بل كلهم له مادح ·
وهبكلم تسلم قوله فى المسألة خصوصا لما قام عندك من صحتها ما يخالفه ·
فما كل مجتهد مصيب وكل قول فيه مقبول ومردود الا قول المعصوم
صلى الله عليه وسلم فهلا امتثلت قول الامام الطيب بليغ المغرب
الوزير موسى الخطيب

فسامح اذا ما لم تفدك عبارة وان اشكلت يوما فخذها كما هيا

---

1) من الامثال استننت الفصال حتى القَرْعَاء . اي جرت اولاد الابِل حتى التي اصابها القرع . وقطره : القاه . قال الشاعر (تنكب لا يقطّرْك الزحامُ)

وما ذكرت عن شيخ الجماعة علامة القطر المغربي سيدي العربي الادوزي فلا يليق ان ينسب لورعه ومنصبه وكمال عقله وادبه فلعل الناقل عنه لم يتثبت ــ والله يغفر له . واما ما ذكرت من تأليف اخينا فى الله عالم الشرفاء وشريف العلماء سيدي احمد البلفيثي فقد طالعناه من اوله الى ءاخره وذكر لنا فى المسألة مذاهب الايمة الاربعة وحرر الكلام بما ينبغي عن غيره . وهو هنا قريب غير بعيد وحسبنا الله ونعم الوكيل. هذا وقد تكلف الفكر شبه ابيات جريا على غرضك فدونكها ان كنت تأخذ عن دُرِّ النحور حصى

مني على الخل الرفيع الشان	حمال عبء العلم والعرفان
نجل الكرام محمد الاچرار من	بَذَّ الورى بالسبق فى التبيان
ازكى سلام الله ما هبت صبا	غب الحيا فثنت غصون البان
هذا وقد وافت رسالتك التي	زالت بطلعتها دجا الاحزان
لكن ما نسبت لنا من قولها	انا نكفر ظاهر البهتان
فالله يعلم انني لا اعتني	بالخوض فيما لم يكن من شاني
فاحذر اخي تصديق ذي سفه غدا	متشيطنا فى صورة الانسان
اما الجواب فقد كفانا امره	من قبلنا بسواطع البرهان
فجزاهم الرحمان فى جناته	بالروح والريحان والرضوان
والله يحكم وحده وهو العلـ	ـيم سريرة البصراء والعميان
والحق لا يخفى ونور الله لا	يطفا ، وحصن الصدق حصن امان
والله يهدينا ويحمينا ويكـ	ـفينا اذى كيد العدو الشاني
بالمصطفى صلى عليه الله ما	قصمت صوارمه ذوي العدوان
واعذر محبكم البشير الناصر	ي المحتمى بحماية الرحمان
ويسلم الخل السليم وداده	الطاهر بن محمد الافراني

انتهى الجواب النفيس الذي يعلم القارىء منه ان المسألة اذ ذاك كان لها تأثير عند المفتين من الفقهاء فى هذه الجهة وهم بين متشدد فى ذلك وبين متساهل ولعل صاحب الجواب من المتساهلين وقد جرنا حبل الرجز الذي قاله مربيه ربه حتى استطرد ذكر هذه المسألة ولكنه استطراد محمود العاقبة

نبــذ متفرقــة حــول مربيــه ربــه

كانت اخلاقه مدعمة بما تقدم ذكره من اعماله السالفة ، وقد كان انشط من الهيبة. وارفع لهذا الشأن بقوة جأش. واكثر سلوكا لطرق الرياسة. ولكن حين لا يمكن ان يحزّ في المفاصل ولا ان يبتّ وحده في الامور بتا لا يتعقب . وحين كان القائد المدني هو وحده الذي يركبه ذلولا الى قضاء اغراضه المتنوعة وقد اصبح هذا فحلا قرما مقبلا مدبرا ذا سمر بالاستيلاء على القبائل عاد مربيه ربه كمن القى بيديه على قرون البقرة ويحلبها غيره ولو كان المدني ينظر الى الضعفة والمساكين بنظر الحنو والشفقة والنصرة ، لما كان في الاستعانة به عيب ولكن الامر بعكس ذلك يعرفه كل احد وسيرى القارىء ان شاء الله في ترجمة المدني في (القسم الخامس) كيف افعاله

اشرنا فيما تقدم لحادثة الكنسوسي الذي كان شيخا من شيوخ قبيلته ادا وكنسوس تحت يد محمد بن ابراهيم التِّيِّيوتِي الذي كان ايضا تحت يد الباشا الحاج حماد بن حيدة ثم كان شنئان بين التييّيوتي والباشا فصار يوسوس للكنسوسي ان يثور على رئيسه التييوتي. وان يتصل بتارودانت فحاول الكنسوسي ذلك فاصطدم ورئيسه فلم يمكن الا ان يهرب بين يديه فولى وجهته الى الجنوب فنزل على ايت عبلا ازاء ايلالن فداول الامر مع رئيسهم فاتفقا على ان يطحنا اولا الرئيس عابدا الزكري وكان بينه وبين جيرانه الكنسوسيين والعبلاويين غير حسن الجوار فاتصلا بالمدني ومن معه على يد احمد الايفشاني فقال لهم الكنسوسي ان رجعت الى داري فلكم عندي كذا وكذا ءالاف من الريالات يقال انها ثلاثون الفا لكي يجروا جيشا حتى يعركوا الزكريين والتييوتي وللقائد وحده في مقابل ذلك ثلاثون الف ريال اخرى هكذا كانت الحكاية سرا ثم جاء رسل الزكري الى كردوس والى بُوزَكارن يعلنون انهم لا يزالون مع هذه الجهة ويقولون ان الكنسوسي بيننا وبينه عداوة خاصة فلم يوبه بقولهم فردوا اقبح رد هكذا كانت الاسباب سرا فقام مربيه ربه والمدني ومن الى شيعتهما ينادون بالجهاد خوف ضياع حرمة الاسلام في تلك الناحية فقامت كل القبائل من ايت بعمران مع مربيه ربه الى ان خيموا في ايت عبلا وقد عزموا على نهب الزكريين وعركهم وما ذلك الا ارضاء لمن اعطوا الدراهم ثم اسكان الكنسوسي وجبه

التّيبيّيوتي لارضاء ابن حيدة ليتوصلوا بالثلاثين الفا والثلاثين الاخرى
فلحقت قبيلة اداوزكري بتلك الجهة اذ ذاك حين رات نفسها بين نارين
ثم جرت حرب هناك ولكن شاع امر الدسيسة بين رؤساء القبائل فعرفت
الحكومة ايضا فأرغمت ابن حيدة فحضر حتى وقعت الهدنة لكنه أعطى
الدراهم على المصالحة فكان ذلك مما اثار عليه غضب الحكومة فأجلته
عن تارودانت وعزلته قريبا ثم وزعت الدراهم التي اخذت سرا بين
القائد المدني وامثاله وحين لم يتساووا فسد ما بينهم فسادا له اثره فى
الوجوه فازدادت الشقة بين الجميع وهكذا رجع هؤلاء الخطافون
فكان ذلك نكتة تشوه حركة الكفاح وقد ذاع ذلك وشاع سواء كان
كله صدقا او كذبا وهذه الواقعة كانت نحو سنة 1345 ﻫ وكانت قبيلة
أقّا تحت القائد بلعيد فهلك بيد ولده القائد ابراهيم ثم مال هذا
القائد الى الحكومة فوصل حبله بحبلها ففتك به ايت سفول احدى
فرق البرابرة التي ارتحلت مع النكادى بعد احتلال تافيلالت ثم تولى
القائد الحسن ولده بعد ما تم احتلال اقا سنة 1350 ﻫ او قبل ذلك
بقليل فجاءت جيوش الجنوب لمحاربته فتوصلت منه بستة ءالاف
ريال فوزعت كذلك سرا الف للمدني وثلاثمائة لاهل كردوس والف
كتمها المرابطون القصبيون الذين مرت الدراهم فى ايديهم وكان لآخرين
منها قسمات ، فلم يظهر للناس فى المجمع الكبير الا قليل ــ هكذا حكى لي
من يزعم انه مطلع على ما يجري وراء الستار ــ فهذان مثالان لما زجَّ فيه
الرؤساء القبليون الخطافون انفسهم وعلى ذلك تأسست دورتهم السنوية.
فتعطي كل دار ريالا حسنيا يكون منه نصيب لمربيه ربه والرؤساء نصيب
ءاخر وقد يدخل فى ذلك مال له بال بعد الهدايا وكل قد استحلى
ذلك وقد نسوا ما نصبوا له انفسهم فيسقطون من اعين الكافة
فهذه حقيقة الرؤساء فى افعالهم الظاهرة فمن كانت لهم نية باطنة بينهم
وبين ربهم فلا يعرفها الا الله ولم نومر الا بالظواهر والله يتولى السرائر
وذاك شاهد يطهر ساحة مربيه ربه فى كردوس وقد تزوج شلحية اخرى
بعد ما خلف اخاه الهيبة على الصوابية فكانت كريمة الفقيه سيدي
سيدي مسعود التّير وكتي الرسموكي قرينته مع اعرابية او اثنتين
كانتا عنده قبل وقد كفل كل اهل الهيبة يربي صغارهم ويعلم البالغين
منهم واما امر هذه الجهة فى اخريات ايام مربيه ربه فقد فسدت القبائل
واستأسد الرؤساء الذين يزاولون امورها وهم يتحاودون على النقير

والقطمير – كما تقدم – . سواء من كانوا فى شيعة مربيه ربه يهبون بريحه ويعصوصبون عليه ، ويتحزبون له او كانوا من غيرهم ممن اعرضوا عنه فان الولتيتيين الذين لا يأبهون به ولا ينال منهم حبة ولا يلحظونه بطرف عين قد صار بعضهم يعدو على بعض حتى عم الخوف وكثر البطش ووصلت الحالة الى خطورة لوجاوناها لمن لم يعلم ذلك لربما نسبنا الى التحامل ولكن ذلك فى الولتيتيين اشد منه فى المجاطيين لان الولتيتيين عدّاءون بادنى سبب كما هو معروف من احوالهم ثم ان ذلك لا يشعر به الا المساكين وضعفة القبائل واما الرؤساء الذين ينتفعون من ذلك فذلك العصر عصرهم الذهبي يعلن احدهم ذلك لو سئل والحاصل ان الوازع الديني ، وفضائل الاخلاق قد انمحى اثرها الا من اقل القليل من الناس هذا والناس فى جهل عميق جدا جدا من الحالة الراهنة التي تحيط بهم فكل من ندد عليهم فى تهالكهم على ما هم فيه وفى غفلتهم عما يهددهم . يقولون له انت معجب بالكفار . وقدملأ الكفار عينيك فانت كافر ثم سرعان ما يذيعون عنك ذلك فى كل ناد ، واعظم من يتولى كبر ذلك هم أولاء الرؤساء الذين استطابوا ما استطابوا من المرعى الخصيب فى الضعفة فلم يزالوا سادرين فى غلوائهم سابحين فى احلامهم حتى دوى النفير العام فى كل الجنوب ، يوم استيقنوا ان الحكومة اليهم صامدة بجيوشها فحاصوا الى تخوم بلادهم للدفاع وهم يحسبون ان هذا الجيش انما يكون كجيش حيدة والجيش الجنرالي ولكن رأوا ما لم يكونوا يحتسبون وكانوا من الجهل بالعالم وقوة الدول والحياة العصرية فى العجب العجاب وقد كان الثائر النكادي مع ايت حمو وايت سفول وايت خبّاش التجأوا الى هذه البلاد بعد احتلال تافيلالت سنة 1349 هـ وكانت لهم قوة وبسالة فاذعروا الناس سواء من والى الحكومة من القبائل ومن لا يواليها الا ما كان من ايت حمو فانهم اصحاب نظام عجيب فلا يمدون ايديهم الا للموالين للحكومة بخلاف غيرهم كأيت سفول وايت خباش ، فانهم جراثيم الفساد ورسل الردى اينما كانوا فقد فتك ايت خباش بايشمت سنة 1351 هـ فاجلوا عنها اهلها فاحتلوها بالقوة وينوي اصحابهم فعل ذلك بقرى اخرى فى تامانارت ويقال ان ذلك باذن من المدني وامثاله من الرؤساء مع انهم محسوبون منهم وراء التخوم فهذا مثال ءاخر لاعمال هؤلاء الرؤساء ان صدق ما يقال من ان لهم اصبعا فى ذلك والله اعلم

الاحتــلال النهائي لجزولــة

طلع ذوو القوة الى جزولة سنة 1352 هـ وقد جردت الحكومة اليهــا جيشين كبيرين مزودين من كل الادوات بما لم يره قط اهــل الجنــوب مركز احد الجيشيــن بتزنيت والاخر بأقا ثم هنالك فيالــق اخرى فى إغرم بانزال من إدَاو كَنْسُوس وفى مركز ايت باها فتم التطويق لهذه الجهة فدقت الساعة التي يؤدي فيها اولئك الرؤساء ديون الحكومــة التي استدانوها بئالاف مؤلفة منذ سنوات ليكونوا لها ولم يعرف احــد من الرؤساء سلم من ذلك بل حتى المرابطون والعلماء الا تحلة للقسم وقد كانت الحكومة منعت السكر عن هذه الجهة الا برخصة خاصة من عندهــا تتسابق اليها الناس وازدحموا عراكا بين يديها لينتفعوا بذلك فكان ذلك من السلاسل التي تقدمت الاحتلال زيادة على ما تمنحه الحكومــة وتسلسل به رقاب الذين يترددون اليها دق الناقوس فزحف جيش اقــا امامه وتحركت كذلك كل الجيوش الى ما بين يديها وكل قواد الجنوب الحكوميين حاضرون باصحابهم فأجفل لذلك مربيه ربه بعد مــا كانت نذائف الطيارات تمطره فى كردوس بوابلها فانهزم فى اوليات الناس علــى خيله ومن خف من اصحابه من كردوس فى وسط ليلة ولم يعلم بذهابه حتى ربُّ مثواه القائد سعيد ابن المقدم وزير حضرته مع انه غادر هنالك نساءه فقطع كل ارض مجاط ليلا فمر قريبا من (بوزاكارن) فى الليلة التي احتلها فريق من الجيش الفرنسي وفى الصباح ذهب القائــد الحنفــي فأخبر رئيس الجيش بذلك فقام وقعد وجمع اليه ضباطــه فاعلــن انــه قد فشــل غاية الفشل ثم قال الحنفي ما هذا ان رسلنا ذهبوا بسيارة الى قرب وجان ليلتحق بها هناك مربيه ربه فاذا به لم يلب دعوتنا ثم ظهر ان الفرنسيس كانوا راسلوه ووعدوه بالامارة على سوس فاستنكف فذهب لحال سبيله وهذا ايضا مما يطهــر ساحة مربيه ربه ثم انــه انزجَّ فى ايت بعمران حيث اسبانية تمد ايضا رواقها وبقى اعراب مع نسائه الى ان نزل جيش فى تازاروالت فخرجوا بهن على ارجلهن الــى غير انٍ فوق كردوس فاختبأوا نحو ثلاث ليال وهم بلا زاد فكــان اولئك الاعراب الواقفون ـــ ولله درهم ـــ ينزلون احيانا الى بعض القــرى يتطلبون ما تتقوت به النســاء تكففا وليس فى ايديهم ما يشترون به شيئا ثم سلكوا طريق تازاروالت خلسة وقيل ـــ ولا اخــال ذلك صحيحا ـــ ان رئيس الجيش منح اولئك الاعراب جوازا لهن فعد الناس ذلك من مكارم

أخلاق الجيش المحتل لا نمثل ذلك التسامح لم يكن معلوما بين هؤلاء
فلحقت النساء ببعمرانة فانقضى امر مربيه ربه فى كردوس وطويت
صحيفته فى هذه الناحية ، عندما تفتح صحيفة اخرى له فى ايت بعمران
ثم انالجيش الاقاوي الكبير تقدم حتى نزل فى تاغنجيجنت وقد كان
مما القى على عاتقه ان يحتل بوزاكارن الذي مات صاحبه القائد المدني
منذ شهرين فخلفه اخوه الحنفي فافتتح عصره بما ترى فسلم هو لجيش
جاء من ميرغنت وقد كان ايت حمو ومن معهم ممن يحسب لهم من فى
الجيش حسابا فلذلك كان الجيش الاقاوي صامدا اولا الى منزلهم فى
تاغجيجت مع اميرهم النكادي الذي يقطن حوالي ذلك المحل فأجفلوا من
بوزاكارن. فاحتلها الجيش منغير انيعارضهاحد. واما منفى أتزال فانهجند
قليل منظم ومعه قبائل من رأس الوادي فيها القائد محمد بن ابراهيم
التييوتي كبش رأس الوادي فى هذا العصر ورجل تلك الجهة والقائد
الطيب الضرضوري تقدم هذا الجيش ومعه الزكريون وغيرهم. فنزلوا فى
ايت عبلا بعد ما القت الطيارات قذائفها على دار الرئيس العبلاوي فأوى
الى غار مع اهله. يطل على داره هو ومنمعه كاحمد أولحاج هذا الوطنياليوم
فحاول ان يدافع هو ومن معه من بعض التمليين الجيش الزاحف فلم
يقدر ثم نزل هنالك الجيش فجاءت قبائل من بينها قبيلة أملن فقدمت
طاعتها ثم تقدم الجيش الزاحف فخرق قبيلة امانوز حتى نزل اعلىتيزي
وهنالك جاءت قبيلة ايفشان وايت عبد الله بن سعيد وغيرهما فقدمت
الطاعة ثم ذهب من هنالك رؤساء فى خيل كثيرة الى وادي تامانارت حيث
يمر الجيش الاقاوي ثم رجع الرؤساء وقد جلس الجيش هنالك اكثر من
اسبوع. واما الجيش التزنيتي فانه تقدم حتى نزل فى تالعينت عندما يطل
الجيش الاقاوي على بوزاكارن فهنالك قدم القائد مبارك البنيرانيومجاط
كلها الطاعة وكذلك الشريف سيدي علي الايليغي التازاروالتي ثم خرق
الجيش إيفير ملولن فانكشف بعقيليون كانوا فى جيشهم رابطوا فى
(تومانار) وقد كان قائل قال لهم ان البنيراني استسلم فكادوا يقتلونه،
وقد جبهوه بانه انما يريد ان يفت فى اعضادهم ولكن بعد ما ارسلوا
رسولا جاءهم بالخبر اليقين فاجفلوا الى بلادهم وهم يظنون انها ما نعتهم
وعاصمتهم من الطوفان ولم يعلموا ان لا عاصم اليوم من امر الله الا من
رحم ثم نزل الجيش الخارق لايفير ملولن فى بسيط تازاروالت
وقد ابتدأ فى تسوية الطريق ومد الاسلاك التلفونية من تالعينت يقوم

بذلك الجند نفسه وهو يتقدم فوصلت الاسلاك تازاروالت مع وصول الجيش فبقيت بعقيلة ممتنعة من اداء الطاعة كأنها تحسب ان هذا الحال اليوم كحال عهد الجِلَوْلي وانفلوس امس ولم يدروا ان العصر عصر الدبابة والطيارة والقذائف والالات المدمرة ثم ان ءال اِدَاچَّچْمار قد رابطوا فى مفتتح مخرم واديهم فحلقت عليهم الطيارات تصليهم نارا حامية كما كانت فى كل تلك الايام تصنعه بالقبائل التي تتمنع من اداء الطاعة بسرعة وبقى البعقيليون يويمات لا تصل الاسبوع ثم قدم اهل تيغنمي منهم الطاعة ثم قد ماناس من الاچماريين على القائد عياد فى تالعينت فاعلموه بانهم يقدمون الطاعة ولكنهم لا يقدمونها على يد البنيراني ولا على يد غيره من رؤسائهم . وقد خافوا ان يستولي احد من جيرانهم على زمامهم بذلك فحدث عياد رئيس الجيش بتازاروالت بمنع القاء القذائف التي ترسلها الطيارات عشرات بعد الساعة على وادي اداچَّچْمَار فانهم سيقدمون الطاعة ثم جاء مع الاچماريين الشيخ عبد الله ابن القائد عياد فقدموا الطاعة فى تازاروالت وفى ءاخر يوم من تلك الايام التي تمنع فيها الاچماريون نزل فى تاغنلولو جيش طلع من تانكرت من افران وهو فريق من النازل من بوزاكارن اتى معه القائد مبارك البُنْيِّراني وقد اعلمهم بسهولة انقضاء امر الاچماريين ان اطللنا فوقهم وقد كان القائد سعيد ابن المقدم هرب الى وادي الاچماريين من كردوس حين سمع بان فيلقا سيطلع اليه من تازاروالت فقدم الطاعة معهم وكان الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح اجفل من مفتتح مخرم ذلك الوادي ، حيث كانت داره هدفا لقذائف المدافع الى تاغنلولو مع زوجته ثم نزل ايضا ذلك الجيش بتاغلولو . وقد قدم فى اليوم اهل الوادي الطاعة فرجع الشيخ . وقد هدأت الحالة وفى اثناء تمنع الاچماريين طلع جند غير قليل فوق قرية اِفنْغلال الى كردوس الذي غادره مربيه ربه منذ ايام كما تقدم امامه فى حين ان فيلقا ءاخر توجه الى تِيغنمِي وقد سلمت كل بعقيلة ورسموكة كما سلم الحامديون بسبب جيش ءاخر خرج من ايت باها خرق تلك الجبال واما الجيش الكردوسي فانه تقدم الى سوق الجمعة فهنالك تلاقى مع الجيش النازل قبل فى امانوز فقد تقدم الى الغ فبات فيه ثم الى سوق الجمعة حيث التقى مع الجيش الاخر حكى لي الاخ احمد رحمه الله انه كان فى ذلك النهار احد الدالين لهم الى الطريق قال فسرت مع رؤساء من الدولة الحامية فملت بهم بعد ما تجاوزنا المدرسة الوفقاوية الى اليمين فى

تـرْهة طلعت مع الجبل وانا احسب اننا سننزل على سوق الجمعة فاذا بنا نزلنا على مشهد السيدة تعزي في وسط سملالة. وسملالة اذذاك لم تقدم الطاعة بعد فجاء رجل يجري فيسأل عن رئيس الجيش فدللته عليه فاذا هو رسول الشريف سيدي علي التازروالتي يخبر ان سملالة تقدم الطاعة. وهناك وجد الشيخ محمد أزتكض الوابلتي مع اصحابه فقد فروا امام الجيش الزاحف من أقا قال الاخ فسرنا الى سوق الجمعة فبتنا هنالك في مطر غزير كما وقع ايضا في الغ حين باتوا فيه بايت وافقا ثم نزل الجيشان في وادي سملالة فدخلوا الى جهة مدرسة بومروان ثم الى جهة ايت صواب وقد ادت كل القبائل الطاعة وانقضى الامر وكان المعلوم من هذه الجيوش ان الطاعة لا تقدم الا ببقرة او ثور جريا على العادة المعروفة في هذه البلاد ثم ينزل كل واحد سلاحه التام امام رئيس الجيش البندقية وما معه من ذخيرتها ويزيل قلادة الخنجر من عنقه فينزل الجميع عن يد وهو صاغر وقد كان معهودا من قديم هناك من جميع الرجال ان يتقلدوا دائما خناجرهم بلونها المفضض ولما ازيلت منهم كما ترى صاروا لا يتقلدون الا بالاكياس الجلدية المفوفة وهكذا تم الاحتلال بلا حرب وبلا جرح اصلا الا ما لا يذكر وقد تعجب بعض الناس من هذه السهولة ولكنهم لو كانوا عرفوا فساد الوازعين الديني والخلقي من هذه القبائل فسادا غريبا لما تعجبوا والرجولة لا تنبني الا على هذين لا غير وقد لاطفت الجيوش غاية الملاطفة فلا اسر ولا نهب ولا تعدي حتى ان بعض المأخوذين بجرائرهم المتقدمة نحو الحكومة — وهم قليلون جدا — لم ينلهم الا نفي ما شاء الله ثم رجعوا الى مراكزهم وهذا الرئيس من ايت وبلتي. الملقب بأزتكض قد كان جاذب الحبال مع اهل اقا مجاذبة عنيفة . ثم هرب الى هذه الجهة في ابتداء زحف الجيش الاقاوي فصادفه يوم تقديم سملالة الطاعة ان كان عند السيدة تعزي فذهب به بلا تعنيف الى بعض قبائل القبلة ثم رد الى بلده رئيسا والحاصل ان الله سلم ولقي اللطف وتم ما لابد منه بلا عنف ولا مشقة ثم صارت الحكومة تنظم المراكز فأسست مركز بوزاكارن وما تفرع عنه في تخوم تلك الجهة كمركز قصبة أحنداذو في افران ومركز اذ ابرهيم بتاغنجيجت ومركز امي اكادير المسمى (فم الحصن) رسميا ومركز تافراوت بأملن ومركز أتزي الولتيتي فاطلت سنة 1353 هـ وقد اشتغلت الحكومة بتنظيم ذلك وبتسوية الطرق . والاهالي يلزم كل واحد منهم ان يخدم

اياما معاومة فى السنة فى مقابلة الضريبة الشخصية ولا يزال الحال على ذلك الان 1358 هـ فاصاب الناس كلهم ذهول من تبدل الحالة والهدوء والطمانينة مستمران من الحكومة فمرت سنة 53 ـ 54 ـ على ذلك والناس يستروحون الامن وقد بدأ النشاط يعتريهم فى اشغالهم وتجاراتهم ولم يتبدل الحال بعض تبدل الا بعد ان وقعت واقعة الفقيه الوَاغزَنِي سنة 1354 هـ فالقي القبض على كل من يكون معه او قيل انه زاره او له به ادنى اتصال حتى اتسع الخرق واصيب من كان بعيدا ومجمل القول ان الواقعة هي التي قلبت اوضاع السياسة فى ارباب الزوايا فى كل الرؤساء الدينيين فى سوس كله بل فى الجنوب اجمع فجرى تفتيش شديد عن السلاح فوقع السجن والتنكيل حتى استخرج عجائب من المدخرات فصار الرعاع يشى بعض ببعض فعم البلاء فكانت القضية اول سياسة بعد الاحتلال عركت تلك الجهات وما اليها وصار كل الناس يتقولون فى هذا الفقيه ولكنني انا كمؤرخ يتحرى الحقائق اقول ان فكرة الثورة على الاحتلال فكرة متأصلة فى الافكار غاية فلم يكن احد ليردها بتكذيب ومن ردها عندهم صار احمق فلعل امثال هذه الوقائع ينسيهم اياها او تقلل على الاقل اطماعهم وراءها

على ان تلك الشدة لم تشمل المساكين وانما مست من كانوا رؤساء او كانوا قبل من ظلمة المساكين فكأن الله اراد ان ينتقم منهم بذلك السبب واما المسكين فلا يزال فى الراحة التامة الى الآن وقد بدأ يشكر الامن السائد والطمأنينة التي يتمتع بها وماله مصون لا يخاف عليه شيئا. وقد مرت هاتان السنتان جوعا 56 ـ 57 ـ ولولا يد الحكومة لما علم الله ما يزهق فيها من نفوس وينهب فيها من اموال ولكن المساكين وجدوا من معونة الحكومة فيهما ما يشكرونه والملاطفة محمودة وان من عدو والحالة الآن على ما ذكرته باختصار وتلك هي النظرة العامة اقولها بانصاف وانا هو المختار المؤرخ الذي لا يغمط الحقائق ولا يغفل عن احسان محسن او اساءة مسيء وان كان ربما يشير ان لم يمكن فى المقام التصريح اكتب ذلك 23 ـ 8 ـ 1358 هـ.

اما مربيه ربه فقد قيل ولا اخاله صدقا ـ ان له يدا مع اسبانيا الجمهورية باختياره ثم كانت له يد اعظم منها مع رجال فرانكو باضطراره.

وقد جال على يدها وحج (1) 1357 هـ . واسترسلت حياته هناك ولا يصل الينا تفاصيل اخباره على اننا نودعه يوم ودعنا ونفارقه منذ اقلع عن هذه البلاد التي نؤرخها فقد دخلت تلك البلاد التي هم فيها فى حالة جديدة كما دخلت هذه البلاد ايضا فى حالة جديدة تخالف تلك. فكأن ما بينهما مابين مشرق ومغرب ثم انه بقى هناك يراد منه ان ينادى به كأمير يؤدي له البعمرانيون كل عام اعشارهم مع هداياهم فماشى هو ما يحاول حوله وان كان لم ينشط له وقد تمتع بمئونة الحكومة وبالامان الى ان وصلنا خبر وفاته وسط ربيع الثاني 1361 هـ فاستراح رحمه الله وقد كان طبقة وحده فى العلم والمطالعة

الآن نطوي صحيفة امراء ءال ماء العينين لقد كانوا العلماء الادباء الفضلاء المومنين الذين يقنعون بشظف العيش اعزاء ولا يرضون بالرفاهية وبلهنية الحياة اذلاء . فقد صاحبناهم منذ 1330 هـ من تزنيت الى ان فرق الدهر بيننا يوم ينزج مربيه ربه فى تلك البلاد ءاخر ذي القعدة عام 1352 هـ فثلاث وعشرون سنة جمعتنا الى ان فرقنا الدهر وقد تتبعنا اخبار سوس معهم ونحن نتتبع ما يجري بحسب الامكان ولا يحسبن القارىء انني اغمط الحقائق أو ان فى قلبي نحو ءال ماء العينين شيئا قد يتوجسه ما بين السطور وانما اريد ان ابين حالتهم وانهم منذ فارقوا كتبهم قاموا بالجهاد على قدر جهودهم. وعلى عقلية بيئتهم ولو المـوا بالفكرة الجديدة لتوقع من ورائهم نفع كثير للبلاد فتصوير الحالة كما هي بكل دقة هو الحامل لي حتى سلكت ما سلكت لانني ارحمهم وارحم كل من اليهم لانهم يخوضون فيما لم يخلقوا له وتعبوا ايضا وان بعد اليوم غدا وقد يظن قارىء ان ليس للقوم مقاصد عليا وعزم اكيد على نفع الامة فجعلت كل ما كتبته كالمرءاة لئلا يغلط غلطا فاحشا من يسىء ظنه فيهم فقد حسبتني وفيت بما اعرفه من اخبارهم منذ قاموا وهم يتقاصون امام الحكومة حتى تم الاحتلال وتبدلت الاحوال وكان امر الله قدرا مقدورا ولم يبق لنا الآن الا ذكر من كانوا على شرطنا من اهل ماء العينين ثم نستطرد ايضا من كانوا كذلك من اصحابهم وحاشيتهم ممن له بال فاننا اخترنا ان تجتمع صفحات الجميع فى ساحة واحدة من الكتاب فتشتيت الاخبار مما يذهب طراوتها والا فان محل هؤلاء الآتين فى (القسم الخامس)

1) كان معه ماء العينين بن العتيق فكتب رحلة فى جزء يوجد مصور منها فى الخزانة العامة فى الرباط

الشيخ النعمـــة

علامة مدرس مؤلف يغلب عليه الخشوع والترهب ولد 1300 هـ وكان في ايام ابيه معلوما بذلك وقد الف في ريق شبابه تئاليف بعضهـا مطبوع بفاس من بينها مذكرات عن كل ما يسمعه عن والده حياته ولم اعلم كيف متقلبه في حياة والده، وانما اعلم فقط انه من البارزين من بين اخوته في الادب معه ، ومع كل اخوانه ، فكان ذلك هو الحادي حتى تعين خليفـة اخيه الهيبة على تزنيت حين توجه الى الحمراء وقد تقدم ما وصفه بـه اخوه من التغفل وغلبة العبادة عليه ومعنى ذلك انه بعيد من النباهـة والحذق وفهم الامور كما هي وقد اخبرني الاستاذ سيدي علي بـن الطاهر تلميذ المترجم انه اخبره وجها لوجه انه لوكان اراد الله بالمسلمين خيرا لولوني قال الحاكي لانه كان دائما يندد بعدم قيام الهيبة من اول يوم باقامة الحدود بالشريعة قال كان يسر الى ذلك ، وقد تقدم ما راج بينه وبين التزنيتيين ، فان دل ذلك كله على شيء فانه يدل على انه لم يخلق لذلـك الميدان كما لم يخلق له غالب اخوته فقد غادروا بما قاموا به التدريـس الذي يعرفون كيف يشتغلون به. بعلمهم الجم. وادبهم الواسع. منذ تسنموا العروش وقلبوا صولجـان السياسة مع كونهم ابعد الناس عن تـذوق معنى السياسة. المبنية على المهارة في الكذب والنفاق والمغامرة على ان الرجل كريم الطبع حي لطيف المعاشرة سهل الانقياد سمح جواد وكان من الكرماء الذين ينخدعون حكى لي بعض طلبة تزنيت من اصحاب الحيل انه دخل عليه قبل عيد الفطر وهو هناك ، فقال له ان عيد الفطر قد اظـل والعادة المخزنية تقضي ان نتوصل بما نخرج منه صاع الفطرة لنا ولاهالينا، فقال له كم يكفي ؟ فقال خمس غرارات شعيرا فارسل رسوله الى امين الزرع ، فامره ان يعطي له ذلك فقال الطالب للرسول قل بفضلك للامين يعطيني عشرة ولك حظك فعادت عشرة ، ثم لما كالها الامين قال لـه الطالب بفضلك زدنا الان فوق ما امر به الخليفة فنعرف لك ذلك فزاده ثلاث غرارات اخرى فحاز الطالب كل ذلك في وسط فيه هذه الحيل ومملكة رؤساؤها وامناؤها ورسلها على هذه الحالة قل لي بربك كيف يكون فيها النجاح لامثال الشيخ النعمة الهين ، والوديع العابد القانت الذي لا يعاشر السفلة ليعرف كيف يسوس السفلة ، وهم اكثر رعيتـه وقد حكى لي ان الحاج التهامي الاكلاوي قال يوما بلغنا ان في اولاد الشيخ

من يسمى النعمة وهو رجل عجيب بينهم ثم ان النعمة فارق تزنيت فاقام بوجان اربع سنوات وقد اكب على التدريس مع اعراب وطلبة من جزولة ، انتفعوا بمعارفه ، منهم استاذ رسموكة اليوم سيدي علي بن الطاهر ومنهم الشاعر عبد الرحمن الازاريفي الذي وقفنا له على قصيدة فى النعمة سنذكرها قريبا هكذا سرعان ما رجع النعمة الى علمه وقد نفض يده مما سواه وقد مسه هناك ما مسه من تلك الحروب التي تدور على راسه ، منها حرب حيدة الاولى وقد اقتحم الجند ابوابا فى تلك القرية (اِدْ عَلِي اُوبِلاَّ) التي يقطن فيها الشيخ وكاد يؤخذ باليد ، لولا ان ارتد الجند خزيان ثم جاءت الحرب الكبرى يوم الزحف الجنرالي فحضر ذلك اليوم الجهنمي المشهور هناك وفى الليل غادر مع اهل البلد تلك القرية المنحوسة الى سوق الثلاثاء الاچمارية ، ثم الى مدرسة ايت رخا ، وقد انتبذ فى ناحية منها ساكنا باهله راضيا بما ساقته الاقدار ومعه والدته العالمة المدرسة وبعض اصحابه فكان الكريم المشهور الفقيه احمد ابن ابي الطعام استاذ تلك المدرسة لا يغفل عن اعانته ، فدأب الشيخ رضي الله عنه على التدريس فى سنوات ـ 35 ـ 36 ـ 37 ـ وقد حافظ على ما كان عليه فى الصحراء من عدم الادخار والاكتفاء بالحليب فى غدائه فى كل وجبة وقد خوطب مرة بان يحرث فقال معاذ الله ان اخرج عن حالتي التي كنت فيها مع الشيخ والدي وقد كانت له عند والده مكانة فاليه امر حجابة اهله دائما ولم يكن من الذين يزاولون امواله وقد كان يتقن علم الجدول والزناتي لكنه يترفع عن تعليم مثل ذلك قال لم اعلمه الا لمحمد بن عبد العزيز وحده ، وحين توفى الهيبة حضر فى كردوس فكان الناس اليه اميل لولا انه لا يلتفت الى تلك المظاهر فسلم الامر لمربيه ربه ، ثم رجع الى ايت رخا ، وفى ذي الحجة 1339 هـ زار اخاه مربيه ربه فى كردوس ، فاصبح ميتا ، وذلك فى ـ 29 ـ 12 ـ 1339 هـ فدفن الى جانب الهيبة فهما الان هنالك مدفونان جنبا لجنب رحمهما الله والغربي منهما للنعمة

قــول الرفاكي فيـــه :

ومنهم الشيخ النعمى ابن الشيخ ماء العينين شهرته تغني عن تعريفه فقد ابتلى بالولاية فى تزنيت

اخرجوه منهـــا وآواه غـــار وقلـــوه ووده الغـربـــاء

سكن فى وجان الى ان اخرجوه منه ، ثم سكن برخاوة الى ان اتاه الحمام ، وتاذنه بالختام ، فزار اخاه مربيه ربه صحيح الجسم فاصبح ميتا ، ولعله سقاه على ما يقال . لان الناس قدموه عليه تبجيلا لعلمه وصلاحه. توفى رحمه الله بدار اِدْعَدْ أحْمَد ببعقيلة فدفن حذاء اخيه السلطان مولاي احمد الهيبة فى 29 . 12 . 1339 هـ انتهى ما قاله مؤرخنا الرفاكي . ويكفي القارىء من ذلك ان يعلم منزلة الرجلين فى نظر الرفاكي وامثاله فالنعمة صالح عالم مسلم له عند الناس اجمعين لا يشار اليه الا بكل خير ،فى حين ان مربيه ربه يتقولون فيه بما لانحسبه فيه نحن

بعض ءاثـار النعمة وامداحه

كان للرجل ءاثار علمية ككل اخوته فبيت القوم بيت علم لا يعرفون الا القراءة دائما وتعليم كل ناشيء او ناشئة منهم فنساؤهم فى العلم كرجالهم وهناك سيدة مدفونة فى كردوس تسمى ربيعة ذكروا انها بنت الشيخ ماء العينين عالمة مذكورة . واذكر ان امرأة منهم يوما طرقتنا فى الدار فذاكرها الفقيه سيدي موسى بن الطيب ، فجرى فى عبارته ان قال واحِدان فقالت له السيدة بديهة ان واحدا لا يثنى . فقال شيخنا سيدي سعيد التناني رحمه الله لسيدي موسى : خذ العلم يا فقيه موسى من أمرأة ثم ان واحدا راجعه بعض علمائنا فوجد ما قالته السيدة هو المشهور ، وان كان هنالك من يقول بانه يثنى على قلة .

كان ابرز علومهم الادب واللغة والحديث والتفسير والفقه والاصول يخوضون كل ذلك ، ففي كلها ءاثارهم المبعثرة

اما ءاثار الشيخ النعمة فلم يسقط الي منها الا قليل ولم يكن لنا قبل اليوم همة اليوم قال يتغزل كما نسب اليه :

برزت فقلت البدر فى وجناتها	وعطت فقلت العين فى عطفاتها
وبدت ذوائبها فكانت ليلة	ليلاء لا نجم على جنباتها
وتبسمت فاذا نهار مشرق	والشمس ترفل فى حلى ضحواتها
ثم انثنت فرايت اغصان الربا	غارت فشقت كفها ورقاتها
فلجاء فى الشهدات بين شفاهها	روحي لو اني ذقت من رشفاتها

بيني وبين القلب بين اضالعـــي — يوم التقى لحظاي مع لحظاتهــا
بعشية فصل الربيع خرجت كـي — ابغي لنفسي بعض ما رغباتهــا
فلمحت سربا كنت احسبه نسـا — فاذا به الظبيات فى سرحاتهــا
فعطت فتاة بضــة رعبوبـــة — غطت ذيول جفونهــا وجناتهـا
بدر على غصن على دعـص تمــ — ـيس ترنحا فأجن من ميساتها
فرعت جمالا وافتنان محاسـن — وحلاوة وطــلاوة فتياتهـــا
ثم التقت عيني وعيناها فكـــا — ن القلب متروكا لدى مقلاتهــا
عجبا لمرء ليس يسحـــر بالمهـا — والسحر منفوث لدى لفتاتهـــا
أنى التفت رايت فتنـــة ناظـــر — ماذا الذي ينجيك مـن فتناتهـا
صدغ ووجه مشرق وحواجــب — تقويسها عجب على جبهاتهـــا
ونهود رمان وصدريـا لـــه — صـدرا صقيلا مثلمـا مرءاتهـا
كيف الشفاء لمغرم صب المهــا — ان لم يعانق قط مـــن قاماتهـا

وقال ايضا فى ذلك المعنى

لعبت بقلبي بالغـــرام حســان — فى كل لحظ ضربـــة وطعـــان
خود خرائد فى جفون عيونهـــا — نفاثة او صـــارم وسنـــان
ما اكثر القتلى واسرى العشق ان — يلحظ لليلى طرفها الوسنـــان
ما كنت ادري ما الهوى حتى رنت — نحوي فهيج الوجد والاشجـان
فسقيت عشقا اسكرتني كاسـه — بل اسكرتني من طلاه دنـــان
لم ادر ما فوقي وما تحتي ومـا — داء كداء اصلــه الاجفـــان
هتك الوقار فلا وقار فاننـــي — مجنون ليلـى ذلـك البرهـان

الى ءاخرها وهي ضعيفة النسج فى الجملة   وهذا ما عندي الان مـن اقواله التي يمكن ان تكتب وله ارجاز فى الدعوات . رايت من بينها رجزا اوله·

يا ربنا انت الوكيل والكفيـــل — لنا ونعم انت والله الوكيـــل

كلها توسلات ودعوات   ولا نطيل بسوقها وقد رايت عند الفقيه تلميذ المترجم سيدي عبد الله العويني كناشا طافحا باراجيزه

أما ما قال فيه الجزوليون من الامداح فانني سقت فيما قبل ما كـان شيخنا الافراني قاله فيه   وازيد الان مساجلة وقعت فى مجلس حضر فيه

شيخنا سيدي الطاهر ومربيه ربه وسيدي علي بن عبد الله الالغي والمترجم نصها

انقلها من خط سيدي محمد بن الطاهر الافراني ، تساجلوها وهم جالسون على شرب الاتاي فى كردوس

الشيخ سيدي النعمة :

هذا الاتاي علا صناعة وعلا   بل طاب لذزها بمن له صنعا

سيدي الطاهر بن محمد

وزاد فى حسن معناه ولذته   ما ضم ناديه من زهر وما جمعا

مربيه ربه

يجري بالبابنا جري المدام وان   اخفاه شاربه فى وجهه سطعا

سيدي الطاهر

فكيف لا ونداماه جَحَا جِحَة   نزري وجوههم بالبدر ان طلعا (1)

سيدي مربيه ربه

شرب ولم يتقدم مثل صانعه   والشرب مصنعه فى الصدر ما صنعا

سيدي الطاهر

بل انت مولاي اولى ما يقال له   (اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا) 2

سيدي على بن عبد الله الالغي :

ماذا اقول لشرب سر به طلعوا   زهرا وكلهم ثدي العلا رضعا

مربيه ربه

هذا وان طلبوا لم يعدلوا كرما   عن اذن طه وما عن دينه شرعا

سيدي الطاهر

صلى الاله عليه سرمدا وعلى   اصحابه ءاله ومن لهم تبعا
ما هب شمأل لطف الله واتفقت   على الرشاد قلوب المومنين معا

---

1) الجحْجحُ كجَعفر السيد
2) بيت قديم

ثم كتب بعدها هاتين القطعتين من غير ان ينسبهما ـ ولعلهما لسيدي الطاهر او لولده سيدي محمد ـ

ليت المجالس رقــة وظرافــة ... فى أي ما زمن كهذا المجلـس
لاعيب فيه غيــر ان حماتــه ... انف المعالي وهو انف المعطـس

*

يا راية العلم والاعلام والعمـــل ... هنئت ما الحال نلت غاية الامــل
وما المصلى وهب قد لز فى قــرن ... مع المُجلى ، او البسيط كالرمــل

وقال فيه ابو زيد عبد الرحمان الحامدي البزي رحمه الله

خليلي سلما على اربـع تنسـى ... عرائس يصبين الحليم الى الانـس
ربوع لو المجنون مـر بهـا لمـا ... تذكر ليلى او يحل مـن الرمـس
مغان بها سلـوان كـل متيـم ... عن الاهل والاولاد والمال والنفـس
عهدنا بها شمس الفضائل والهـدى ... وغيثا وغوثا فى البُؤوس وفى الابس(1)
تروح له الزوار سـود صحائـف ... فتصبح بيض الصحف طرا بلا وكس(2)
يسالونه اقتباس نوري حقيقـة ... وشرع فيرضى الكل من فضله الرغس(3)
يشافهنـا بمنطـق ذي طـلاوة ... يخامر منه القلب احلى من الكـاس
لنعم الحمى المعهود (وِجّان) مذرست ... به در قطب بان للناس كالشمـس
تكاثر مدعـو الولايـة قبلـه ... فلما بدا عاد الجميع الى الطمـس
هو الشمس مذ لاحت طلائع فضله ... فلا نور يبدو للنجوم ولا الطوس (4)
تمـر بقطبانيـة لـه السـن ... تواتر ما فاهت بظن ولا حـدس
فوِجّانُ أن تفخر به فهـو اهلـه ... حقيق به والله ما فيه من لبـس
هو الفوث والاكوان خادمـة لـه ... ومخدوم اهل الملك والتاج والكرسي
يفيـد شمائـل النبـي محمـد ... ويورد ما عين الشريعة والقدسى
على انه يوم الدراسـة والوغـى ... امام فوارس البسالة والـدرس
دعتني الى ازدياره اليوم رغبـة ... تهون عني ما الاقي من الوهس (5)

---

1) الابس كفلس : الجـدب
2) الوكس كفلس النقصـان
3) الرغس كفلس النعمة والبركة والخيـر .
4) الطوس كفلس القمـر
5) الوهس كفلس شدة السيـر

تقول الى هَيْس هَيْس (1) عساكان ... ترى الشيخ هذا اليوم من قبل أن تمسي
فاسعفتها لما رايت حثيثها ... وقلت لنفسي العجز يفضي الى اليأس
وشمرت عن ساق العزيمة موقنا ... بوصل مرادي فى ذراه بلا بخس
هو البحر حاذه تنل بركاته ... الست ترى العافين من حوله ترسى؟
فكم خص من قصاده بحبائه ... فساعده الاقبال مِلْجِنِّ والانس
ابا سيدي هذا العبيد اتاك فى ... مساري الهوى المردى الذي طوعه يقسى
لانك انت الرأس والناس كلهم ... ذُنَابَى وكم بين الذنابة والراس
تمن عليه سيدي بشفاعة ... له فى غد كيفما ينجى من اليأس
فلا زلت غيثا للبرايا وكهفهم ... وغوث أسارى النفس من كل ما بؤس
بجاه نبينا الذي وهبت له ... شفاعته الغراء فى كل ذي نفس
عليه صلاة الله ما ذكر اسمه ... مع اسمك ربي من يؤذن للخمس

ولبعض الجزوليين ولم يذكر اسمه فيما نقلت منه حين كان النعمة فى تيزنيت صاحب امر ونهي، كما يظهر اثناء القصيدة ــ ثم قيل لي انها لسيدي الحبيب السكرادي وان كنت فى شك من ذلك لان النفس غير نفسه ــ

فؤادي باشجان الصبابة فى نهب ... فوارحتما للعاشق الهائم الصب
غرام وسهد فى مناجاة انجم ... لها وحدها نجوى بني الوجد والحب
لقد دلهتني الفاترات لواحظا ... وأوقعنني بين اللواعج والكرب
تعرضن لي يوم الرحيل فلم اؤب ... بعقل وقد جد الوداع ولا قلب
يناثرنني دمع الوداع فكان دمـ ... ـعهن الى نحو الحشا مرسل الشهب
ايوم النوى لا كان يوم نوى ولا ... به امتحن العشاق من بعدنا ربي
اخلفت فى صدري الهوى ام تأججا ... من النار تلظى فى الغضا اليابس الحطب
الا فى سبيل الحب ما كنت لاقيا ... من الحب مذ تنأى اليعامل بالحب (2)
اذوب اذا هب النسيم تجاهه ... كما يفتدى زبد على النار فى ذوب
فلولا رجاء فى الخليفة رد لي ... حياتي لكنت اليوم اذهل من ضب
ولكن احسان الخليفة والرجا ... بنظرته انجى ذمائي من العطب (3)
هو (النعمة) المولى الذي هو نعمة ... على اهل كل القطر فى العجم والعرب
تولى امور المسلمين خليفة ... عن افضل منصور اخيه الرضا القطب

1) هيس هيس بكسر السين كلمة تقال عند امكان الامر والاغراء به .
2) اليعامل : النياق .
3) الذماء بالفتح : بقية الروح .

فكشف وجه العدل يشرق واضحا وابدى يد التنكيل للظالم الخب
اذا جاءه المظلوم نال مراده وشيكا كلمح العين بالجفن والهدب
ويردى ذوي العيث الذي قدضرواعلى الـ ـمساكين بالحيف المشتت والغصب
ولا عجب فالشيخ والدهم وءا لهم كلهم مثل القساورة الغلب (1)
تزينت الصحراء حينا بعلمهم وما لهم فى القاطنين من السيب (2)
فشاء اله الناس رفعة قطرنا فساقهم سوق المغيث من السحب
فحلوا بتزنيت الشريفة مثلما تحل بها شمس الظهيرة فى جنب
فقام بهم صلب الحنيفية التي تكاد ترى بالكفر مقصومة الصلب
فكان امير المومنين وامره يويده نصر من الله فى الغيب
وكان اخوه (النعمة) المرتضى له الـ ـخليفة وهو الطهر من كل ما عيب
فرد لنا روح العدالة بعد ما تقوض عدل الناس بالقهر والضرب
ايا سيدي اني اليك لرافع اليك محيا طالما سيم بالسبّ
واني فتى همي هو العلم دائما ولكن اخو امي يمزق بالثلب
لاني ذو ارث من الخال صح لي من امي وذار سمى بذلكم ينبى
فنلت من الاخوال منعا وسبة اجر بها ذيل المهانة فى صحبي
وذلك حين الناس (من عزبزً) ما لهم من امير ياخذ الناس بالذنب(3)
وفى اليوم حين الحق حق وتزهق الا باطل جهرا جئت مفتتحا جيبي
افتش عن حقي واطلب سيدي لينظر فيه فى ابتعادي وفى قربي
فان صح قولي وهو لاشك معتر لصحته يعدى على خصمي الخب
فيجزيه ما كان استحق فانه عدا طوره جدا وعن قدره يربي
فما كان اهل العلم فى عصر سيدي ليمتهنوا بالشتم والغصب والنهب
فاني الى ظل الخليفة ملتج ومنتظر ما ارتجيه من الـذب
فان ينصفني سيدي فهو صانع لاعظم قربى قربته من الـرب
على سيدي مولى البرية كلهم سلام اخى ود لجانبكم عـذب
وصلى صلاة دام فى الكون وبلها على المصطفى مع ءاله الغر والصحب

وللاستاذ ابراهيم بن مسعود المعدري فيه

تراودني سلوان زينب عترتي واهوى سواها من بدور محلتي

---

1) القساورة الغلب الاسود الغلاظ الاعناق .
2) السيب العطاء .
3) من عـز بـز اي مـن غلب سلب .

وانّى لي السلوان والصبر دونهـا — وروحي غدت ولهى بها قبل نشأتي
ووجدي بها فى كل يوم مضاعـف — كما حسنها يزداد فى كل لمحـة
يضيء بلا بدر به افـق السمـا — اذ اكشفت عن وجهها فى الدجنـة
وتعبق بالعبير والمسـك والكِبـا — بقاع بها تلك الغزالة حلـت (1)
فلم تر عبني فى الملاحة مثلهـا — ولا سمعت اذني بها فى البسيطـة
كما لا ارى شبها لنعمـى ولا بـه — سمعت لغوث الخلق اثناء شـدة
حوى قصبات السبق فى الزهد والتقى — وبذ البرايا فى معـارف جمـة
فاحيا طريقة الجنيـد وحزبـه — وجددها من بعد ما قد اميتـت
مجالسة صينت عن اللغو هل يرى — مجال للغو فى مقاصيـر جنـة ؟
تذكر من جالت عليهـا عيونـه — مجالس مختار الورى خير امـة
عليـه صـلاة ربنـا وسلامـه — وءاله والاصحاب ما الريح هبـت

اقول . رأيت انتقادات على هذه القصيدة فكتبناها وفق ذلك الانتقاد . وكان للاستاذ الالغي بالشيخ النعمة اعظم اتصال حين كان فى تزنيت وقد صاحبه هناك نحو شهرين وهو من اعظم القضاة حواليه ، فكان يكتب اليه بطائق رايت مجموعتها بخط الاستاذ وغالبها عادي وفيها قليلات تتضمن ءادابا لا يليق بسببها ان تضيع ثم كتب اليه رسالة من الغ فى اول شوال 1330 ه كانت بينها ايضا واليك ما كنا انتسخناه منذلك مما يستحق الذكر.

يـا ايهـا الخليفـة الاجـل — مـن ظلـه للمحتميـن الظـل
وكفـه للمعتفيـن الـوبـل — وقولـه فى المشكـلات الفصـل
وخلقه روض عراه طـل — وعزمه ما قط لا يفـل
عبـدك فى مسعـاه لا يمـل — فى كـل ما حماك قد يحـل
لكـن بـدا اليـوم اليـه صـل — عضـده فيمـا ادعـاه عبـل
تَـاوَّن فى قضيـة تسـل — مـن غمده شرعـا فلا تنسـل
سـب وقال مـا رواه الكـل — لكـن لمثلـه يكـون غـل
والجامعـات حولـه والكبـل — فلينظـرن سيدنـا مـا الفعـل
ليكبـح المستاسـد المُتـلُّ

سيدي الخليفة النعمة الذي هو للضعفاء النعمة وعلى المستعصين

1) الكِبـا بالكسر العـود الذى يتبَخر بـه

على الانقياد للشرع النقمة فعلى الحضرة افضل السلام واعطر التحايا والاكرام اما بعد فقد كان فى علم سيدي انني زاولت القضية التي كنت شاورت فيها مقامك السامي . ومشيت بها على حسب الحجج امامي ، ثم لما تعين الحق على المدعى عليه ابى ان ينقاد اليه فبعد ان تمنع اياما والد خصاما اثر الحكم عليه بعد كل ما يجب من الاعذارات قام يناوىء فى القضية نواء اداه الى هتك سجف حرمة الشرع فوقع فى السب بعد التمرد والمنع. ولم يبق الان الا ان يحضره سيدي لينفذ الحكم عليه مرغما فليسخ اذن فى الارض او ليرمحن السما فحقوق الضعفاء . لا تستخرج من الاقوياء. الا بضغط وعنف . لا بدعاء ولطف فلكل مقام مقال . كما لكل مقام رجال . والسلام

2 ـ هذا فالحمد لله الذي جعل هذا الملك مظفرا والقى اعـــداءه منبوذين على العراء فأهنئك يا سيدنا الخليفة صاحب الاخلاق المنيفة بفتح مراكش لسيدنا . فهو والله فتح انفتحت به مفاليق المنى :

فتح تفتح ابواب السماء لـــــه وتبرز الارض فى اثوابها القشــب

والسلام عليكم طالبا الدعاء منكم

3 ـ انعم الله صباح سيدنا الخليفة المرتضى. صاحب الخلق الرضى. أما بعد فاحب من سيدي ملاقاة خصوصية للافضاء بشيء لا احب ان يحضره ثالث ايا كان فقد كتبت الى سيدي وانا على جمر الغضا وقد ضاق بي الفضا من اجل هو ان مس الجناب ممن يتخذ التجارة فى السبـــاب . فسافضي الى سيدي بما فى قلبي . وان كان قلبه عني ينبى . فان لي فى هذا المكان سبقا لخلوص طويتي لجنابكم ولظهور اعمالي لكل من زار من بابكم فلا اتحمل وانتم حاضرون ما ينفد معه الصبر ويحلولي معه الصبر فقد وجد القبيح لا الحسن ما هو به على غالب ولقد ذل من بالت عليه الثعالب . فليتفرغ لي سيدي . الذي هو سندي .

فلا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك او يسليك او يتوجــع

والســـلام .

والحسن المذكور هو العفياني احد فقهاء تزنيت وكانت له مع ابـي الحسن وقائع ومواقف . وقد ذكرنا ذلك فى احد اجزاء (من افواه الرجال)

4 ـ يا قوته ابناء الشيخ ماء العينين بعد صنوه السلطان هو المجلى في كل مكرمة بدون مين سيدي ومولاي وسندي النعمى الخليفة الاجل زاد من اقام عنده ومن رحل السلام العبق المستطاب على ذلك الجناب اما بعد فان العبد يا سيدي عازم على ما كان ذكره لكم قبل ايام من تفقد اولاده وداره . وتعهد اخوانه وجاره . فان التعييد فيها حقوق للاهل ولان عيد الغريب حزن غير سهل وان كانت الغربة معدومة في بلد انت فيه مقيم والمفيض فيه لكل نعيم وكان المقتضى لو خيرنا ان لا نفارقكم لحظة طرف من العينين وان ننشد قول ابن الحسين

فان لم يكن الا ابو المسك ام هم فانك احلى في الفؤاد واعذب

ولكن نحمد الله الذي لم يبتلنا في عصرنا بما ابتلى به المتنبي من مصاحبة اسود باطش الكف يرتعد منه من الخوف فقد اسودت بشرته وخلقه فكيف يقول في مدحه من كان حقا يصدقه فسيدنا والحمد لله بضعة نبوية . وسلالة هاشمية خلق ابيض في جبين صقيل كانهما في جبهة الدهر وقوائمه غرة وتحجيل فلو سكتنا عن اداء حقوق الاهل لندبنا اليها سيدنا جزاه الله عن امته خيرا ووقاه من حساده واعدائه ضيرا كتبت الى سيدي هذا تذكيرا لما عسى ان يتذكره سيدنا حين اطرقه للوداع غدا

لا مرحبا بغد ولا اهلا به ان كان تفريق الاحبة في غد

والسلام .

5 ـ من الضعيف علي بن عبد الله جبر الله كسره وفك اسره الى الخليفة الذي اودعناه قلوبنا عند وداعه وهي هنالك بين رباعه فقد استرقها بانعمه فابت الا ان تربض عند قدمه سيدي وسندي وكنزي ومعتمدي وراحي المعتقة وشمسي المشرقة سيدي النعمى السلام على سيدي ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد وصلنا اهالينا والحمد لله فوجدنا الكل ببركتكم على خير وقد تلقانا الجيران والاخوان بالفرح الكبير وكل يستقصي خبر تلك الحضرة وما لها من النضرة فاثنينا مقالا وحالا وحسبنا السننا مقصورة وان اسهبت مقالا

فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وقد عيدنا امس والحمد لله على نعمة الاسلام ويعود السلام على كل من شملته تلك الحضرة الكريمة والسلام .

تلك الرسائل هي ما كنت استحسنته من المجموعة فانتسختها والحمد لله الذي يسرها من حيث لا نحتسب فلا ندري ايشكو القارىء من تفريط الاعراب فى المراسلات بينهم وبين الناس حتى توزعتها الايدي هكذا فتتسرب الى اناس هم ابعد الناس عن الاعراب ام يشكر ذلك لانه لولا ذلك التفريط لكانت الرسائل اول ما يوكىء عليه الشيخ النعمة يوم يغادر تزنيت فلا يتركها للايدي المختلفة . اما انا فاني على كل حال من الشاكرين والا فانني اعلم ان كثيرا مما اوكا عليه اربابه لا اجده الان باي وجه كان ، فلا هدية تنفع ، ولا تذلل ولا استشفاع ولا ينبئك مثل خبير

هذا ما استحضره الان مما يتعلق بالشيخ النعمة رحمه الله . ولم اقف على مرثية من الجزوليين حتى من شيخنا الافراني الذي كان لامثال هذه المواقف دائما بالمرصاد وامه العالمة الصالحة طار عمرها بعد ولدها سنين

محمد الامــــام

شاعر مفوه لا اقدم عليه وعلى ابن العتيك احــدا من اهلهمـــا فى الفصاحة ولد اواخر جمادى الثانية 1311 هـ

لم اكن اعرف هذا السيد من ابناء الشيخ ماء العينين الا من بعيــد كما اعرف بالسماع اخوته المتقدمين حتى وقفت له فى مجموعة قصائد اعرابية على منشئات له قرأتها فتجلى لي من نسجها ان الرجل شاعر حقا ممن يعرفون كيف يقولون فيجيدون كنت رأيت ذلك عند صاحبنا سيدي المحفوظ سبط الشيخ ماء العينين ولكن لم اكن اذ ذاك معنيا كل العناية بهذا الذي اعنى به اليوم فلم انسخ من عنده شيئا وبعد ان جرت الافلاك بنفيي الى الغ وقد وجهت وجهتي للبحث عن كل ما يتعلق بالالغييــن كنت اتطلب من الطلبة الالغيين ومن غيرهم ما تصل اليه ايديهم فكانوا يعيرونني فانتسخ. فكان مما وجدته بعض اشعار لمحمد الامام وبعضها مقول فى اهله وبعضها مقول فى الالغيين فسرنــي ان وقعت له على نقطة من بحره يمكن لنا بسببها ان نذكره بين اهليه الذين لهم اتصال ما بالالغييــن

لم اعرف من اوليته شيئا ولا كان عندي عنه من الاخبار ما يمكن ان اقدمه به الى القراء لكتابي هذا غدا واني لآسف لذلك وانما كل ما اذكره

انني لم اعلم له جولانا فى مجالات اخوته من الرياسة كأنــه من اصاغرهم فلم تطل يده الى ذلك فى مبدأ امرهم حين برقت لهـم بارقة يبتدر اليهـا الاكابر منهم وهو الى الآن 1358 هـ حي وقد انسحب الى الجهة التـي انسحب اليها اخوه مربيه ربه كجميع اهله (ثم لما اتصلت به بعد الاستقلال حدثني انه اخذ القرءان عن الشيخ الحضرمي والنحو عن الامجد الانباري والفقه عن محمد البيضاوي والادب عن محمد بابه ثم استتم عند والده)

بعض اقــوالـــه :

قال فى اخيــه مربيه ربــه فى المحرم 1342 هـ

الا من لليـــل حالكـات غياهبـــه كما احلولكت من ليل فرع ذوائبه
واومض فيه البرق من بعد هــداة كما اومضت من ظلم ثغر مشانبه
فئاونـــة يخفــي ويخفق تـــارة كقلب محب يوم بانــت حبائبـــه
فما زال يزجي صيب المزن رعــده فينحط اعلاه وترخـى جوانبـه
ويبعث من قرب تباشير قطـــره متى صافحت كف النسيم هيادبه
فما هو الا ان تحلـب ودقــــه كما سح من كف الامير مواهبـه
فليس اذن الا الخليفــة مــن بـه تقشـع من ليل الضلال غياهبـــه
واحيا مــوات الديــن بعــد دثوره فنيطت عراه واستنارت كواكبـه
واخرج ضب الكفر من نافقائـــه فسدت عليه عن حماه مساربـــه
مقــانبـــه فى كــل ثغر تســــــده كما فتحت كل الثغور مناقبـــه
محاربه ما لم ينـل منــه سيفـه تنلــه اذا جــن الظـلام محاربـه
وان رامت الاعداء منه كتابـــــة اجابتهم تحت العجاج كتائبــــه
وان سايسوه يبتغون خديعـــــة راوه لبيبـا احكمتـه تجاربـــه
حواليه حزب من سراة ذوي الهدى كثيــر معاليه قليـــل معايبــــه
متى دارت الحرب العوان بقطبهـا تفوق صميم الفير فيها اشايبـــه
يذكرنا الشيخين شيخي صحابــة علوا وتطهيرا اذا مــا نصاحبـــه
فلا زال منصورا للّواء مظفـــــرا يعــز بــه انصــاره واقاربـــه
ولا زال ميمون النقيبة اينمـــــا تجاذب اطراف العنان نجائبـــه
بيمناه مفتاح الفتوح متى انتحـى بلادا لها نصر من الله صاحبـــه

هذه القصيدة وحدها كل ما عندي الآن لهذا الشاعر المفلق من الشعر فى اخيه وشعره كما رأيت متين ثم وقفت ايضا من شعره على ما خاطب به من اسمه الطاهر لعله شيخنا الافراني

يا طاهر العرض يا كنز الوداد الم يان الوصال فبالقلب الغرام الـم
فالقلب بعدكم ما انفك ذا وصـب رهين شوق للقياكم وحلف الـم

اما اتصاله بالالفيين فانه وفد مرارا على الغ فينزل على الأديب ابى الحسن الالفي فى ندوة الادباء العجم والعرب وكان مرة فى رفقة الأديب ابن العتيق فخاطبهما شيخنا الاستاذ عبد الله بن محمد بقوله

اهـلا اسيدنـا الامـام والعلـم ما العين من بهما قد ضاءت الظلم
اقبل والله لي السعد المبين بطلـ عة محيبكما وزالـت الفمـم
فمرحبا بكما خير الورى كرمـا فانتما خير من وفـت لهم ذمـم

فأجابه ابن العتيـق بقولـه

جزيت بالخير يامن دابـه الكـرم لا يعتريك ونى عنـه ولا سـأم
فمن ينخ بك عبد اللـه راحلـة عن قلبه ينزح الايحاش والغمـم
دامت بنا وبكـم موصولـة رحـم وانما رحـم الاداب ذي الرحـم

واجابه محمد الامام بقوله

فبوركت عبد الله نجل محمـد كريم السجايا طيب الاصل ماجده
تلقيتنـا بشـرا فتلكـم فيكـم ايا ءال عبد الله الـزم قاعـده
ابوك الذي عمت مزاياه فى الورى ولا عجب ان شابه النجل والـده

وقال محمد الامام يجيب الاستاذ ابا الحسن الالفـي عـن قطعـة لا نستحضرهـا

ازهر نجوم ام بـدور تمـام ازهر اكـام ذا احـب غمـام
ام الدر من بحر الهدى قذفت بـه قريحة حبر لا يـرام همـام
على انه ابهى من الـدر منظـرا ويفعل بالالباب فعـل مـدام
على المقام اسما على مثل وسمـه كريم الفروع ينتمـي لكـرام
حوى فضلهم مع فضله ولو انهـم سواهم لسودته نفس عصـام
فكن لامير المومنين مـوازرا فقد قل من يدري حقوق امـام

فطب خاطرا فالرأي رايك عنـده | فما القول الا ما تقول حـــذام
فلا زلت في عين العدو قـــذى لها | ودمت لجنب الدين خير حسـام

ثم وقفت على قطعة ميمية موازنة لهذه وفي قافيتها يرحب بها الاستاذ الالفي بربك فهو اذن ركب محمد الامام

طلعتم طلوع الشمس بعد غمـام | فابرئى جرح القلب بعد كِلام
حللتهم محلا مستطيرا بنزلكـم | فاشكر دهري اذ رعى لي ذمامي
اتاني بخير الفاضلين على جـوى | اليهم وشوق ضاق عنه حزامـي
فلم يك احلى من وصال أخايـر | محياهم في العين بـدر تمـام
انيخوا انيخوا فالديار دياركـم | وهذا العبيد خادم كفــلام
عليكم سلام الله ساعة وصلكـم | ايا من لقاهم كان كل مرامـى

وقد تقدمت في القسم الاول في ترجمة الفقيه عبد الله بن مسعـود التِّيِـيُّوتِي قطعة ميمية يخاطبه بها المترجم مطلعا

ايا صاعدا للمجد اسنى العزائـم | وليس جهول العلم يلفى كعالـم

وورد محمد الامام مرة مع رفيقه ابن العتيق الى المدرسة التانكرتية فصادفا هنالك الاديبين الاستاذ محمد بن الطاهر وصاحبه محمد بن علي الالفي فقال ابن العتيق يخاطب الاديبين وذلك في اول المحرم 1332 هـ :

الا يـــا حبـذا سفـر حدانـي | الى من يدعيـــان محمــــدان
رضيعى ثـدي ءاداب وعلــم | بتقصـــار العـــلا متقلـــدان
تَجِيِّي طاهر العرض المجلـــى | فمن ذا في الرهان لـه يدانـــى ؟
انخنـا عنـده فقـري وثنـــى | وكانـا للنزيـل يســاعـــدان
فباتـا في نـوادر كـل فــــن | شهـــى بيننـــا يتــــواردان
فان تنشدهما استمعا ومهمــا | اصخت يحدثـــان وينشـــدان
سمـاء المجـــد مـذ يتقارنـان | تقـارن في السمـاء الفرقـــدان
ولا عجـب اذا الولـــدان يومـــا | اشادا ما بنـــاه الوالـــــدان

ثم خاطب الاديب محمد بن علي المذكور محمدا الامام اذ ذاك كمـــا حدثت به بما نصـه

سلام يـزدري زهـــر الكمـــام | علـى مثـوى محمـد الامــــام
علـى فـرد حوى كـل المعالـــي | وســاد فمـا لـه ابـدا مســام

سليل الشيخ ما العينين قطب الـ ـمكارم والعلا شمس الظـــلام
وبعـد فــان ودك فى فـــؤادي رســا فلـه بـه اسنـى مقـــام
ادام الله فضلــك فى اعتــــزاز وصيتك يزدري مسك الختــام

ونقلت من خط المترجم محمد الامام ما يلي

سيرى امامك بالذميل وبالعنـــق او ما شممت اريج وصل قد عبق
لا يشغلنك عن تايــدك الونـــى وشجوب لونك فى هجيرك والعرق
حتى تناخي عند نجل محمـــد ذي المكرمات الغر والطبــع الارق
ذاك الذي اتخذ المكارم حلــة ورفا الذي منها تمزق او خلـــق
لما جرت حلبات ارباب العـــلا فى شأوها ولكلهم منهـــا نســق
جاريتهم حتى اقــرئوا كلهـــم انك الذي للغاية القصوى سبق(1)
هذا وان عهودكــم مرعيــــة ووداكم اصفى من المــاء الفــدق
منع المنام فراقكـــم فكأنمـــا يعتادنـــا لفــراقكـــم داء الارق
ثم الصلاة علــى النبـي وءالـــه ما ضاء صبح بعد ما جن الفسق
واذا نبا سيف النهى عن مشكـل يلفى لذلك سيف ذهنك قد صدق

خاطبت بهذه العلامة سيدي الطاهر بن محمد فاجابني بقوله

يا مرحبا بك من امام قد سبـــق فى المجد حتى لا يجاري فى طلـــق
يا ابن الالى حازوا الفخار وفتحوا من كنز اسرار المعارف ما انفلـق
يا سيد احيا فاحيــا وصلـــــه صبا امض فــؤاده داء القلـــق
ياشمس فضل اشرقت من مطلع الـ ـعليا فجلى نورها ظلم الغســق
هذا قريض صفته ام روضـــــة فاحت شذا اذ جادها ماء غـــدق
لفظ كما رق النسيـم لطافـــة وبلاغة اجلى وابيــن مــن فلــق
ابدت معاني معجزات صاغهـــــا طبع قد اصطبح المعارف واغتبـق
لله منك قريحــة مـــا ان دعـــت الا ولبتهــا المعانــي بالعنـــــق
فليهنك العلم الــذي اعطيتـــه عفوا فانت بكل مكرمة احـــق
قد زرتنا متفضلا فشفيت مـــن داء النوى المضنى واحييت الرمق
فالفضل فضلك والعلا رتب سمت بك والسيادة جمعت لك فى نسق
فلانت وارث سر والدك الــذي هو جامع من كل فضل ما افتــرق
لا زلت بدر الكمال مجـــددا بالعزم من رسم الفضائل ما خلق

1) بتخفيــف انــك

وعليك تسليم يبــــاري نفحـــه ريح الصبا هبت على روض عبق

كما اجاب ايضا الاديب سيدي محمد بن علي يخاطبني انا وابن العتيق:

اهلا بمن جمع المكارم فى نســـق وغدا بنور هداه يرشد فى غســق
من بذ فى كل الفنـــون ومـــا له فى النظم من ند ينـــازع ان نطــق
من عز قدمـــا وهـــو بز بفضلـــه وجنى الفخار الجم اول ما انفتق
من قد رسا فى القلب مني ما رسا من وده اكـــرم بـــه ودا صـــدق
بدر الدجى المولى الامام السيد الن ـــدب الذي حاز العلا عمن سبق
وكذا الامام الفرد ما العين الذي بنظامه يـــدري بأنـــه قد حـــذق
ازكى الســـلام عليكمـــا من قائـــل اهلا بمن جمع المكـــارم فى نســـق

وله قصائـــد وطنيـــة كثيـــرة منها

بني وطني قوموا على اسوق الجد فبالجد نحظى بالسعادة والجـــد
وان مسكم قرح فقد مـــس مثـــاله عداكم وفزتم بالجميل وبالحمـــد
ويوم بيوم عـــادة الدهـــر هكـــذا يداول بين الناس بالنحس والسعد
فلا تخضعوا مهمـــا اديـــل عليكـــم ولا تفرحوا ان تثلموا مرهف الحـــد
لئن ساءنا ما قد لقينا مـــن العـــدا لقد سرنا انا علـــى منهـــج قصـــد
لقد احسنوا من حيث ظنـــوا اساءة علينا فما الاحســـان منهم على عمـــد
فقد نبهونا عـــن خبيئـــة سرهـــم فلا نغترر بالعقد منهـــم ولا العهـــد
فلا تبتغوا عن منهج الحـــق منهجا ولا ترجعوا عود البدء عن القصـــد
ولاتجزعوا انشبت الحرب والتظت فكم بين سيدان المعامع والاسد (1)
وما دام شبر تحت سيطرة العدا فلا تجمعوا بين الصوارم والغمـــد
فبرق العدا مهما استطـــار فخلب وما تحته غيـــر الســـراب او الرعد
فلا تسأموا من ضرهم وضرارهـــم وحربهم فى الهزل كنتم او الجـــد
وخوضوا لهم بحر الخطوب وان طما ولا تعبئوا فى الجزر كـــان او المـــد
فعزما وحزمـــا واعتزامـــا ونجدة فما غيرها يغني فتيلا ولا يجـــدي
فكم قوض العزم القوى من البني وكم ثل من عرش وكم هد من ســـد
الستم بني القوم الذين بسعيهـــم تحررت الاوطان من وصمة الطهـــد

(1) السيـــدان الذئـــاب جمـــع سيـــد بالكســـر

مئاثرهم فى كل ارض ومجدهم ... كما نقش المرسوم فى الحجر الصلد
وان ذكرت انباؤهم فخلا لهم ... تضوع بنشر المسك والعنبر الوردي
فكم سايروا فى البيد هادية المها ... وكم عرسوا بين المطافل والربد (1)
وكم وصلوا ديجورها بهجيرها ... وكم واصلوا الاسئاد بالنص والوخد
فما ان يبالوا بالرياح عواصفا ... ولا باحتدام القيظ فى وهج الوقد
الى ان اناخوا حيث مشتجر القنا ... وحيث يصم الاذن زمجرة الاسد
فالقوا عصى التسيار فيها وفرقوا ... هناك اداة الرحل عنهم مع اللبد
فما انتجعوا ارضا سواها وحولوا ... عجاف المطايا من سعيد الى سعد
فاضحوا وامر الحل والعقد عندهم ... وكلهم فى القطر واسطة العقد
واضحى بهم صرح الديانة شامخا ... كما استحصدت جدلاء محكمة السرد (2)
واضحى بهم بند الشريعة خافقا ... يلوح على الارجاء كالعلم الفرد
الى م نرى كل الشعوب تحررت ... واخواننا مهضومة الحق والمجد ؟
فهل يستلذ النوم من كان قومه ... مشردة تحت الاجانب فى سهد ؟
وهل يستسيغ العذب من كان قومه ... شرابهم الملح الاجاج مع الكد ؟
فما العز الا فى مجابهة العدا ... وذب عن الاوطان بالصارم الهندي
ونصبك حر الوجه للحر ضاحيا ... ونصبكه للبرد فى زمن البرد
فلم يدرك الاهداف الا مشمر ... ركوب على الاخطار فى الفادح الاد (3)
يعيد ويبدي فى الصنائع ناسجا ... بمنوالها ما قد ينير وما يسدي
ولم يصطحب الا كريما مهذبا ... فان طباع الجار من جاره تعدي
وان هو ابدى للصديق مودة ... اكنّ له فى القلب اضعاف ما يبدي
ومن يطلب العيش الرغيد مرفها ... فلم يلف كالتحرير من عيشة رغد
فطعم الهنا بالذل للحر علقم ... وطعم الاذى بالعز احلى من الشهد
الم تعلموا ماذا راى السلف الاولى ... من الاسر والتشريد والقتل والطرد
فما وهنوا فى دينهم واعتزامهم ... ولم ينثنوا عن خطة المجد والجد
وما اعتصموا الا بحبل الاههم ... وما اكترثوا لا بالسلاح ولا الجند
يخوضون ليل النقع تحت أسنة ... تنمنمه وشيا كنمنمة البرد

---

1) المهَا جمع مهاةٍ : بقر الوحش . والمطفل : التي لها ولد . والربد جمع ربداء التي لها رُبدة : لون الى الغبْرة . وتلك اوصاف الغزلان .

2) المقصود بالجدلاء الدرع

3) الإدّ بالكسر الفظيع والفادح الشديد

سماها عجاج والاسنة شهبها ... ووقع القنا رعد اذا برق الهندي
وظنوا بان الرعد والبرق فى السما ... لما كان من وقع الصواعق كالرعد
لقد قرت الاحشاء بعد اضطرابها ... بخفق البنود الحمر مع اسد ورد
وتحت لواء النصر جيش اذا ارتمى ... الى الحرب يرمي الطرف للهند والسند
يطيرون عقبانا الى رنة الوغى ... بعزم يصير الشيب منهم من المرد
لقد ضعضعوا صرح الاكاسرة الاولى ... وقد طحطحوا ما بين غرب الى الصغد
وقد ارغموا انف القياصر عنوة ... فقادوهم تحت السلاسل والقد
وشادوا بناء للحضارة سامقا ... على اسس تهدي الانام الى الرشد
عليهم سلام الله ما ذر شارق ... وما طلعت فى افقه انجم السعد

وله اخرى يصف بها الطائرة :

الا فاعجب متى امتطى الهواء ... على جوفاء جؤ جؤها هواء (1)
لها فى الصدر ان حميت ازيز ... وغيطلة يضيق بها الفضاء (2)
فتجري اولا بمحركات ... تساعدها القوى والكهرباء
فتعجل عن رحا العجلات وثبا ... وشيكا فالامام بها وراء
فتصعد فى الهواء صعود باز ... وتسبح فى الفضاء كما تشاء
فئاونة تسف سفيف صاد ... تراءى بالحضيض اليه ماء
وءاونة تحلق فى مداها ... فيحجبها عن العين الفطاء
وتحسب تحتها مهما تسامت ... سماء فوقها سمكت سماء
فلا يدري الذي قد كان فيها ... اصبح كان فيه أم مساء
فمن حلل السحاب لها ازار ... ومن نسج الغمام لها رداء
لها ريحان عاصفة واخرى ... بمتن الجو طيبة رخاء
وتعمد بعد ما بلغت مداها ... الى حيث المطار له استواء
فتهبط صوبه تهوي رويدا ... على التدريج ليس لها التواء
فتنزل مثل ما ابتدأت برفق ... فطاب لها النزول والارتقاء
فتقبل نحو مركزها تهادي ... يقارنها اختيال وازدهاء
فمن لم يدرها من قبل هذا ... يقول توهما ماذا الهِداء ؟ (3)

---

1) الجؤجؤ الصدر .
2) الغيطلة : اختلاط الاصوات
3) الهِداء بالكسر مصدر هدى العروس الى زوجها كرمى

فتجشم بعد مـا تجشـو قليـلا ... وينفض الجميع بحيث شـاؤوا
الا اطيـب بـه سفـرا لـذيـذا ... فـلا وعثـاء فيـه ولا عنـاء
فنسألك السلامة حيـث كنـا ... ولطفـا لا نضـر ولا نسـاء
فسبحان الـذي فطـر البرايـا ... وسهل فى الصعاب كمـا يشـاء

ولـه ايضا

لابدع ان حن ذولب الـى وطـن ... اوهاجـه دارس الاطلال والدمـن
عوجا علـى طلـل محـت معالمـه ... هوج الرياح وصوب الصيب الهتن
وقفـت بالرسـم لأيا مـا ابينـه ... لولا ارتسام الهوى بالقلب لم يبن
ماذا اثارت من افنان الغرام بـه ... ورقا ترجـع الحانا علـى فنـن
كانما افصحت عما اجمجمـه ... او تشتكي مثلما اشكو من الشجـن
تحمل القلب وجدا لو تحملـه ... لانهد شم الذرى من جانبي حضن(1)
شوقـا الى زمن لم ينس طيبـه ... ما قد جرى بعده من حادث الزمن
فاستبـق ويك على قلب تياسـره ... ما يعلم الله من بث ومن حـزن
هـي المنازل كم اذكى تذكرهـا ... جمر الاسى بفؤاد الواله الشجـن
ذكى قروح الهوى من بعد ما اندملت ... شيم البروق تزجي دلح المـزن
تترى كخنق فؤاد الصب وامضها ... لما استطارت اطارت واقع الوسن(2)
دعتـك ريحانة الاشواق مسمعـة ... قلب داعيها بل عندهـا فكـن
اخو الهوى من متى داعى الغرام دعا ... القى اليه يدا وانقـاد بالرسـن
رحمى لاهل الغـرام المبتليـن بـه ... كـل يطالبهـم بالذحـل والاحـن
وكلمـا شربـوا مـن منهل شبـم ... صاف سقوا بعده من منهل اجـن
وكلما ظعنت عيـس بظاعنـة ... تغدو القلوب اسى اسرى مع الظعن
لا شيء يصدع قلب الصيد أوجع من ... زم المطايـا غـداة البين للظعـن
واحر قلبـاه لمـا استـن دونهـم ... رقراق ءال ضحى يجري على سنن(3)
كأن احـدا جهـم والئـال يرفعها ... مواخر الفلك او معرورق القنن (4)
قولا لمن رابـه وقفـى على الدمن ... اما سمعت مقـال الشاعر اليمني
(لا تكثـرن ملامـي ان عكفت على ... ربع الحبيب فلم اعكف على وثـن)
ماذا يريبك مـن الف يصب الـى ... الف ومن سكن يصبو الـى سكـن

---

1) حضن محركـا : جبل فى بلاد العـرب .
2) الوسـن محركـا النـوم
3) الال السـراب .
4) اعـرورق : ارتفـع .

فربما اتحد الوصفان واشتبها ... كحذوك النعل حذو النعل فى قرن
وكل شرع له اهل وغيرهم ... ما ان يميز بين الفرض والسنن
وكل فن له اهل به عرفوا ... والكل من فنه يجري على سنن
(ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشن)
فكيف لم يذكروا من كان يألفهم ... دهر السرور وعند المنزل الحسن
اضراب قومي الاولى دهر (الصمارة) فى ... مستقبل السن فى مستقبل الزمن
دهر (الصمارة) ما ادراك ما زمن ... حدث ولا حرج عنه فلم تمن
دهر مضى فغدا كالحلم غابره ... حتى كأن الذي قد كان لم يكن
يا رب لطفا وتوفيقا ومغفرة ... فى كل ما بلد او كل ما زمن
وامنن علينا بفضل لا انقطاع له ... يا دائم الفضل والعواد بالمنن

وله ايضا يخاطب اخاه الشيخ النعمة

سلام فى المزار ينوب عني ... وينبئي عن صميم الود مني
لمن فى القلب منه جنان انس ... جناها صين عن انس وجن
ضياء المسلمين ومن ترقى ... مراتب ليس تدرك بالتمني
ويحسب ذو الغبا ان المعالي ... تربُّع جلسة او كاس بُنٍّ
فليس المجد يدرك بالهوينى ... وتوطئة الارائك تحت كن
ولكن باستنام ذرى المزايا ... واتعاب الجوارح والتعني
وبسط الوجه والكفين دأبا ... ومنٍّ تبرع من غير من
ونصب الوجه دون حمى المعالي ... الى وجه الغزالة دون كن
وشج العيس ناصية الموامي ... ينقر عن خبايا كل فن
فئاونة على قود المهاري ... وكل عُذافر وَهْمٍ عَبَنٍّ (1)
وءاونة على الافراس قُبًّا ... وكل طِمِرَّة جردا رِفَنِّ (2)
يسن مكارم العَلْيا ويخطو ... على متن الطريق المستسن
تقدم من صباه ومن قديم ... كبير القدر وهو صغير سن
يعف على المطامع حيث عنت ... ويحمل عنهم الامر المعني
وفى الاراء والتفكير حر ... ولكن للشريعة اي فن

---

1) من اوصاف الابل العذافر بضم العين العظيم الشديد والوهم الجمل الذلول والعبن بفتحتين ونون مشددة الغليظ
2) الاقب من الخيل : الضامر والرفَن بكسر الراء وفتح الفاء وتشديد النون الطويل الذنب

وقـور لا تزعزعه الـدواهـي ... لدى الهيجاء والخطب المرن
وسـل عنه المقارئي والمقـارى ... وسل عنه مدارس كل فن
ولا يبدي الدراية عند بحث ... ويلمح بالفراسة والتظني
ويمهلهم يخوضون المعاني ... وتحقيق المسائل فى تأن
فـان نثلوا كنائنهم جميعا ... يوضح غامض المعنى الاجن
بعـزو فى روايته صحيح ... وفهم ثاقب وصفاء ذهن
وان ساء الصديق يقابلنه ... بحسن تجاوز وبحسن ظن
بقلب مشفق لاحقد فيه ... سليم من طوايا المستكن
ويحنو للمضيم اذا اتاه ... حنو الوالد البر الاحن
ومن اكدت قريحته كلالا ... فمدحك للقرائح كالمسن
اذا اصغى اليراع على يملى ... لفكري فى مناقبه كأني
ارى بيد الحجا درا نثيرا ... فينظم ما يشاء بلا تعني
وتزدحم القوافي فيه حتى ... اقول لها وراءك ويك عني
ابا لاطناب بالغة مداه ... رويدك فاربعى ولتطمئني
صلاة اللـه ما طلعت ذكاء ... على الهادي الامين وكل سني

والمترجم حي الآن 1380هـ وهو الكبير فى اسرته الماجد المتبوع حفظه الله

مـاء العينين بن العتيق

امه العالية بنت الشيخ ماء العينين ولد نحو 1306 هـ ثم اخذ القرءان عن الاستاذ زيني والنحو عن الاستاذ محمادو بن سيدي والادب عن خاليه الهيبة والنعمة ثم استتم عن جده الشيخ فيرد الى الغ والى افران. فتعاطى القوافي مع اهلهما. وقد تقدم (1) بعض ما حضر عندنا من اقواله كنت اسمع به من عند الادباء الالغيين ومن عند ابن خالته المحفوظ بن الحضرمي حتى جرت قافية فى مراكش حوله قبل ان نعترف به. وهاك ما جرى. جلسنا جماعة من الادباء فوق سطح الزاوية فى (الرميلة) وبيننا الاديب المحفوظ ــ الاتي ــ وءاخرون فصار كل واحد يقول بيتا فيجيبه ءاخر حتى استتم ما ستراه قلت انا مفتتحا بالبيتين الاولين

انشدن لي من مرقص ابن عتيق ... فهو احلى من الشراب العتيق
وارو لي من قريض شنجيط اني ... اتسلى بكل شعر رقيق
من قريض كأنه الجوهر المنـ ... ـظوم فى نحر ذات خصر رقيق

1) فى خطبة الكتاب ، وفى ترجمة محمد الامام .

أم رياض مخضلـــة فوفتهـــا زهـــرات محمـــرة مـــن شقيـــق
أم ثغـــور مفلجـــات تبســـ ـــمن فتسبـــى مغـــاز لا يبـــريـــق
بل هو المنعش القلـــوب اذا مـــا حل فيها بكل معنـــى رشيـــــق
استلـــذ النشيـــد منـــه كأنـــي اتحســـى مروقـــا من رحيـــق
أي فكـــر فيـــه وأي ابتكــــــار واقتدار وءايـــة التنسيــــف
وانسجـــام كانـــه النهـــر الفـــ ـــياض يرمـــي بلـــؤلـــؤ وعقيـــق
هكـــذا الشعـــر رقـــة وبيـــانـــا من افيق سليل كـــل افيـــق (1)
مـــن فصيـــح سمـــا باي لســـان هو فى الشعـــر عمـــدة التحقيـــق
ينتقـــي كل رائـــع من عتيـــق ولهذا سمـــوه بابـــن العتيـــق
فاتـــى بالقريـــض غضـــا طريـــا مثـــل ورد على الفصـــون فتيـــق
يخلب السامعين فعل العيون الـ ـــنجل فى قلب كل صب مشـــوف
ينشد المنشدون منـــه فيحيـــو ن الذي قد رووا عن ابن رشيـــق
اتخذنـــاك يا عتيـــق وان لـــم نتعارف مـــن بعد خير صديـــق
وبنـــو الشعر اخـــوة تشـــج الا داب مـــن بينهم بخيـــر عـــروق
فمتـــى يسعد الزمـــان فنلقـــى منـــك اي مفـــوه منطيـــق ؟
فنـــرى بلبـــلا يغـــرد عفـــوا كلما مســـه امـــرء بعقـــوق
فنـــرى خير شاعر مفلق قـــد نفق الشعر منه فى خير ســـوق

ولـه يخاطبنـي

الى من له فى السادة المنصب الاسمى محمـــد المختـــار متصفـــا واسمـــا
تحايا تحاكي طيـــب اخلاقـــه التـــي بها خلق المختار اضحـــى لـــه وسمـــا
فهـــذا وانـــا لا يـــزال اجتماعنـــا على حاله روحا وان نفترق جسمـــا

وله يخاطب خاله الشيـــخ محمد الامام

طاف الخيال فحيانـــي الا ادّكـــرا وهنا فولى وخلى السهـــد والذكـــرا
ماذا اجنت من الشجو الجوانح اذ سرى وقد جن جنح الليل واعتكـــرا
فبت اذا رمت اغفو كي يعاودنـــي كاننـــي بالتفافـــي اجلـــب السهـــرا
كم ارق الطيف ءاماق المحب وكـــم اراق من دمعه ما كان مدخـــرا

1) الافيق البالـــغ النهايـــة فى العلـــم

اثار وجدي بلبني طيفها ومنى ... من لا يرى الحب عينا ان يرى الاثرا
باحت بما من هوى لبني أسرّ به ... مذارفي حيث لي منها الخيال سرى(1
قل للالي بكروا يلحون في شغفي ... بها ان اتصل الاصال والبكرا
انى وان لمتم في الحب اعذركم ... بجهله اجميل لوم من عذرا ؟
اما درى ويحه اللاحي ليالينا ... معا نثير كؤوس الانس حول درى (2)
تلك الليبلات في سوق الزمان وفي ... جباهه كانت الاحجال والغررا
مهلا رويدا فما يغني ادكارك من ... عهد الشبيبة والاهواء ما غبرا
فلا تعول على دهر تجهم او ... وفى ولا تبتئس ان صدا وغدرا
فما صفا لبنيه الدهر اونة ... الا وابدلها من صفوه كدرا
ومن تضمه من الايام حادثة ... مسته لم يلف من ضرائها وزرا
يلذ باعتاب استاذ الانام محمـ ... ـد الامام يحد عن صوبه الضررا
الثابت المثبت الروع المروع والـ ... جاري مع السنن السني حيث جرى
المشرق الغرب من انوار منظره ... اذ اخجل النيرين الشمس والقمرا
من زانت العصر والاقطار طلعته ... وصيته المالئان السمع والبصرا
ومن اباد العمي بادي هداه ومن ... عمت ايادي نداه البدو والحضرا
للناس راحته نفع وراحته ... ان يتعب النفس فيما ينفع البشرا
يرعى البرايا وان نامت نواظرها ... من حيث لا عين الا مقلتاه ترى
ما انفك دون يد الباغين جنتها ... طرا وجنتها حيث ابتغت وطرا
لا تذكر الدهر ان تذكر عزائمه ... هي الصوارم بله الصارم الذكرا
وان تصل او تصل يومي وغى وندى ... يداه لا تذكر الضرغام والمطرا
وبابن قيس وقس والسموأل لا ... تقسه مهما وفى اوفاه او غفرا (3)
ترى الوفود الى ابوابه زمرا ... تقدمت زمرا قد اتبعت زمرا
لما تحلى من الذكر الجميل ومن ... يخبر به يلفه خيرا اذا اختبرا
فكم لديه اهتدى من ضل عن عجل ... وعز من ذل واستغنى من افتقرا
دهى النهى ما درت من حمده وروت ... اذ لا شبيه له فيما روى ودرى
جلالة الشرف الديني والشرف الطيـ ... ـني نورهما في وجهه ظهرا
يا اعرق الناس في بيت الولاية يا ... من لا لغير المزايا يصرف النظرا

---

1) المذارف المدامع
2) درى : درعة هكذا ينطق به في الشلحة يعني (الصمارة) ازاء مصب وادى درعة .
3) الاحنف بن قيس الحليم ، وقس بن ساعدة المفوه ، والسموأل بن عاديا المشهور بالوفاء

والى بك الله قطـــب الاوليـــاء كمـــا والى باسلافك الافراح والبشـــــرا
ابوك (ماء العيون) الغوث قدوتنـــــا لم يعد اخلاق خير الخلق والسيـــرا
وجدك الفاضل القطب المجدد مـــــن بهديه عم ضوء الدين وانتشـــــرا
وجـد والـدك الميمـون طالعــــــه (ما مين) مامن كمـال نالـه بهـــرا
و (الطالب اخيار) جد الشيخ جدك خـ ـــر من تردى ثياب المجد واتـــزرا
حكى اباه ابـا الانـوار محمـــــدة وجده (الجيه) من صدع العلا جبرا
وهكذا لم تزل تسمو الـى حســـــن سبط النبي الجد ود السادة الكبرا
اولاء ءاباؤك الشم الالى مهـــــدوا نهج الهدى وأجدوا منه مادثـــــرا
يا بون فى الفضل الا ان تكـون نـــوا ديهم امـام وانـداء الصـــدور ورا
من داب ءادبهم ان يدعو الجفلـــــى بل فى مئادبهم لا تسمع النقـرا (1)
فاخر بما من سماء المكرمات بنـــــوا فمـن يفاخـر بمـا يبنونـه فخـرا
وان هم بك مجدا فاخروا فخـــروا اذ زدت ما من مزايا اورثوا اخـــرا
قرت مشاهدة منك العيـون بمـــــا يشنف السمع من اخلاقهم خبـــرا
فياله من نظـــام كنـت درتـــــه ودوحة كنت فى اكمامهـا الثمـــرا
انت الامام الذي فى فلـك همتــــه بحر الصعاب لتسهيل العلا عبـــرا
خاطرت فى مبتغى القدر العظيم ومن يبغ العظائم يستحقر لها الخطـــرا
هي السيادة ما فى شهدهـا طمـــع الا لمحتمل من دبرها الابـــــــرا (2)
سموت عن ان تسامي فى الكمال ومن بالانجم الزهر سوى النجم والشجرا
احييت من ميته دامت حياتك مـــا اعييت فى نعته الافواه والفكـــــرا
ما زال عندك مرعى المجـد مرتبعـــا والحق متبعا والدين معتبــــــرا
والمال مقتسما والحمد مغتنمــــــا والعلم محترما والجهل محتقـــــرا
لم تحك يا حسـن الاخلاق فى خلـــق الا أبا حسـن ــ عُمِّرْتَ ــاو عمـــرا
احسن بئاثارك الحسنى وما قـــدم لك اقتفت غير اثر المصطفى اثـــرا
لا زلت عصماء نظم الدين ناظمــــة در البلاغة فى امداحـك الشعـــرا
ولا برحت وعيـن اللـه ناظـــره فضلا اليك عديم الشكل والنظـــرا
صلى الاله على المختار جدك مـــــا اولى به الفوز بالمامول والظفـــرا

كان أوى الى منطقة (اِفنِي) مع اهله ثم تقلبت به الاحوال فحج مع مربيه ربه سنة 1357 هـ فكتب رحلة حسنة رأيناها ثم صار قاضيا

1) الجفلى محركا الدعـوة العامـة للطعـام ، على عكس النقـــرى
2) الدبـر كفلـس : النحـل .

فى (طَنْطَان) وقد تيسر له ان يزور مرارا هذه المنطقة فتعرفت به فى مراكش نحو 1367 ﻫ ثم لما جاء الاستقلال ورد على الرباط فجالسناه فوجدناه عالما محصلا فتيسر له ان يعين استاذا فى الجامعة اليوسفية بمراكش ولكن سرعان ما توفى رحمه الله فعظم المصاب به وصدر مرة عن الغ فقال

بنو الغ اهل العلم والمجد والفضل يصدق فيهم كل ما مسهب يملي
علوم وءاداب وجود وخلة صفت كرحيق الكأس او شهدة النحل
ودين ودنيا والشهامة كلما يثار اذا جد النضال الى النصل
وجود فمن يلمم بهم يرانه وان لم يكن من اهلهم احد الاهل
نسيم الصبا سلم على الغ من فتى يرى كل الفي له مخلص الخل

وولد للاديب محمد بن على الالفي ولد 1339 ﻫ فتسابق الادباء فى تهنئته فقال بينهم

هلال الدجا بالبدر مللان ينبيء وءاية طيب الفرع انطاب ضيضيء(1)
وكل على الاصل ديدنه الى طلاب العلا فى نشئة متنشىء
لذلك تنباع التباشير كلما بدا لعلي نير متلا لىء
ولما بدا من نجله البحر لؤلؤ لقفو خطا اجداده متهيىء
قمير بافق اليمن والسعد طالع بمعراج ميمون السعادة يرقأ
كاني به فى المكرمات تقفيا لآبائه يشفى الغليل ويبرىء
هممت باني حينما شمت برقه اهني بما عن صادق الود ينبىء
اذا بتهاني البشر من كل وجهة بدائعها ثم الخناذيذ تنشىء (2)
فلم يبق لي الا الدعاء وانني برائق هاتيك التهاني اهيىء
فلا زلتم مرمى العصى وكلكم هلال بافلاك الهدى متبوىء

وقد كان خاطبني حين زارني بمراكش. ثم فى الرباط بقواف هي بين ثنايا الكتب لم اجدها الآن وله مؤلفات شتى رحمه الله وديوان شعر لم يحضر عندي الآن منه ما نختار منه ووفاته بعد عصر يوم الثلاثاء 26 من رجب 1376 ﻫ بمراكش

---

1) اصله من الان . وذلك لغة . والضئضيء الاصل
2) الخنذيذ هنا : الشاعر المجيد المفلق

محمد بن عبد العزيز

العلامة الورع كاتب الهيبة وقاضيه وكذلك كان مع مربيه ربه ولد نحو 1290 هـ. فكان كل اخذه عن الشيخ (ماء العينين) وكان له فى تقوى الله والورع اوصاف يتناقلها الناس بالاعجاب صبر مع اولاد شيخه فى كلما تتقلب به احوالهم الى ان سكنوا (افني) فلزم خويصة نفسه يدرس فى المسجد ويخطب الى ان توفى وقد كان له اتصال بالالغيين يلم بهم احيانا فكانت حوله قوافي الترحيب من الالغيين ومما خاطبه به بعض الالغيين

انما المرتضى ابن عبد العزيز	مثل تِقْصَارة من الابريز (1)
كل فضل وكل خير لديه	كان رغم العداة خير محوز
ميزته العلياء والدين والفضـ	ـل وخير الخصال بالتمييز
عالم حافل المجالس بالبحـ	ـث المصطفى كخلقه المفروز
حل الغا فحل فيه سحاب	جاد فيه بعامه المكنوز
نهز المكرمات طفلا فبات الـ	ـمجد فى كفه من المنهوز
نطلب الله ان يمد علاه	فيرى فى يديه كل عزيز

وهذه الابيات على ما فيها ـ ما اخترناه من قصيدة فهيه ممن لا تخلو من امثاله حتى الغ الادبية وفى ترجمة الاستاذ علي بن عبد الله الالغي ما خاطبه به (وقد بلغنا وفاة ابن عبد العزيز بعد 1370 هـ بعد ما كان خطيبا فى (افني)

المحفوظ بن الحضرمي

سبط الشيخ ماء العينين من بنته وابن عالم كبير من اصحاب الشيخ ماء العينين ـ كان المحفوظ يرد على الغ فينزل عند الاستاذ علي ابن عبد الله كما كان يرد علينا فى مراكش . اذ كان لا يزال شابا بين شبان اهله بسوس وهو من افاضل اسرة ءال (ماء العينين) خلقا وتحببا الى الناس وقد اخذ كما احسبه يذكره لي عن الشيخ محمد بن عبد العزيز وعن اخواله ابناء الشيخ ومدركه فى العلوم غير متسع وكذلك ءادابه الا انه ولوع ذو ذوق سليم فى الشعر خصوصا الغزل فان الرجل يكاد يخرج من اهابه عند ما يسمع الشعر الرقيق من النسيب وامره فى ذلك

1) التقصارة بالكسر : القلادة .

غريب وعنده رأيت اشعارا كثيرة لاهله كما رأيت ذلك عند غيره وقد ذكر لي انه ورد مرة الى الغ فنزل عند ابي الحسن الاستاذ الكبير فصادف عنده مولاي عبد الرحمان البوزاكارني الاديب يسرد من كتاب (الذهب الابريز) فقدمه له الاستاذ معرفا له بمقامه وشأوه وكان المحفوظ ممن اعتاد ان لا يذكر احدا الا بخير شيمة تخلق بها فكان بها يتقرب الى القلوب فيحتلها ثم لا يغادرها وكان من احفظ من رايت لقصائد المتقدمين ولاشعار اهله واكثر الناس انشادا فى المناسبات للابيات وللقطع وقد يتعاطى نظما فقد قال يخاطبني فى الحمراء بقوله فى 6 رمضان 1355 ه:

امن سلك النصيحة فى الدروس ويا زين الدفاتر والطروس
ومن حاز الفضائل من صباه بنشر العلم فى فاس وسوس
وفى مراكش الحمراء تبدى علوما جملة وسط الدروس
فانت الحافظ الاستاذ من لا يسامى فى الفهوم لدى الجلوس
جليس العالم المختار ابشر فيا لله درك من جليس
هو العقد النفيس من اللئالي فشديدا على العقد النفيس
فدم للعلم والعليا جميعا لتخليد المفاخر من طروس

نثبت مثل هذا المدح محافظة على فكر قائله لا اننا ــ حفظنا الله ــ من المتبجحين فان المدح او القدح كلاهما لا يؤثر فى الواقع والحقيقة بنت الواقع وكان يوما المحفوظ قد زارنا هناك هو ورفيق له متأدب يسمى بالفاضل وذلك فى 26 صفر 1354 ه فرحبت بهما بهذه الكلمة الساذجة بديهة

اهلا بمحفوظ وبالفاضل منية كل طالب ءامل
الحائزي معارف جمة وراثة الكامل عن كامل
والطاميين اد باعاليا يا فوز كل واردنا هل
حلا بنا فنشر احلة موشية فى مجلس حافل
فذكرا المنسى قبلهما من بيننا فى جيلنا الجاهل
ماشيت من قصيدة فذة الفاظها كالشهد للقائل
وحولها مقطعات لها طلاوة العذار فى السائل
بيناهما فى غزل مرقص اذا بمدح منجز النائل

كأننـا والشعـر فى مـوجـه — مختلـط الحابـل بالنابـل
ينشدنـا الاخطـل مستجمعـا — امـداح كـل ملـك صـائـل
والبحتـري وصـف ايوانـه — واحمـد فى فخـره الهائـل
وابـن الملـوح يناجـي الهـوى — وهو عن الجـلاس فى شاغـل
فاختلسـت سويعـة عذبـة — يحرسهـا السعـد عن الواغـل
حتـى حسبنـا اننا فى الصبـا — فىزورة مـن رشـاءٍ واصـل
ثم تفرقنـا وانـا علـى الاعـ — ـجاب بالمحفـوظ والفاضـل

قلت ذلك وقد مرت لنا مع الزائرين جلسة لطيفة ملئاها انشادا من كل انواع الشعر غزلا ومدحا ووصفا وكانت لهما محفوظات فمما حفظته اذ ذاك من المحفوظ ما نسبه للعباس بن الاحنف

اقمنـا كارهيـن لهـا فلمـا — الفناهـا خرجنـا مكرهينـا
ومـا حـب الديـار بنـا ولكـن — امر العيش فرقة من هوينـا
خرجـت أقـر ما كانت لعينـي — وخلفـت الفؤاد بها رهينـا

وانشد ايضا لبعضهم فى تلك الجلسـة

تشوقتكم سمعا ولم اجتمع بكـم — وسمع الفتى يهوى لعمري كطرفه
وشوقنـي ذكر الجليـس اليكـم — فلمـا اجتمعنا كنتم فوق وصفـه

وهذا ماخوذ من قبـول بشـار اعني البيت الاول

يا قوم اذني لبعض الحـي عاشقة — والاذن تعشق قبـل العين احيانا

واما البيت الثاني فمن قول ابن هانىء الاندلسي وهو شعر مشهور حفظناه عن شيخنا الشيخ شعيب رحمه الله

كانت مساءلة الركبان تخبرنـا — عن جعفر بن فـلاح احسن الخبر
ثم التقيـا فلا واللـه ما سمعـت — اذني باحسن مما قـدر أي بصري

وللمتنبـي ايضا فى هذا المعنـى

واستكبر الاخبار قبـل لقائكـم — فلما التقينا صدق الخبـر الخبر

ذلك هو الاخ سيدي محمد المحفوظ بن الحضرمي الشريف النسبة.
كما كتبه بخطه وكان من الفرائب انه كان بات عندنا فى زاوية الرميلة ليلة 28–12–1355 ه وقد تعشيت انا والاستاذ الاخ الشقيق ابو المزايا سيدي ابراهيم الكتاني وهذا السيد ثالثنا ثم اوى الى غرفة يضطجع فيها فبقينا نحن ما بقينا ثم مشيت مع الاخ الكتاني الى مبيت له عند الشريف الاصيل مولاي احمد المنجرة فرجعت فنمت وفى الصباح قبل متسوع الضحى كانت سيارة الحكومة تغذ بي صوب مولاي ابراهيم منفيا الى الخ فكانت ذكرى المحفوظ ممزوجة بذكرى ذلك اليوم وكأني به وقد انطلس وحده ثم قعد ينتظرني ليودعني على حين انني انزج فى وادي النفيس وقد طالت المسافة بيننا فيا لحياة كلها اطياف وذكريات تستحيل خيالا بعد ما كانت ملموسة بجميع الحواس

كان سيدي المحفوظ يقطن فى (وجان) واخاله قد شب هنالك فالفه. ووالده ما مات الا بعد 1328 ه وهو علامة كبير مذكور بين ءال ماء العينين ولكن لم استحضر الآن ما اذكره به
وبعد فهذا ما تيسر لنا ذكره حول هذا البيت الكريم ءال الشيخ ماء العينين فرضي الله عنهم واعاد علينا من بركتهم ءامين

ولنختم ذكر رجالات هذا البيت الجليل بقصيدة الشاعر الفحل محمد الامام الذي خلد فيها مئاثرهم وانها لقصيدة طنانة طافحة بالفخر وتدل على مكانة القوم فى استحضار اللغة وكيف لا وهم ابناء شنجيط

الا حيهل بالقوم مربعهم خصب	لمن امهم والبيت منفسح رحب
اذا نزلوا محلا تروَّض جد به	وتدنو الى الجاني الفواكه والاب (1)
وتهتز اكناف البسيطة تحتهم	فيثرى الثرى نبتا ويختلط العشب (2)
اولئك ءال (الجيه) اكرم معشر	من ءال رسول الله يممه ركب
الم يك (ما العينين) منهم ومنهم	ابوه ابو الاقطاب سادتنا النجب
هما قمرا افق السيادة والعلا	واما بنوهم فالا هلة والشهب
ودوني من قوم مرابعهم جدب	وليس لهم واد مريع ولا شعب
اذا اقبلوا لا يطمح الطرف نحوهم	وان ذكروا لا يشرئب لهم قلب

---

1) الاب النبات الذى ترعاه البهائم
2) ثريت الارض كفرح : نَديَت ولانت بعد الجدوبة .

وان فقدوا لم تبق فى القوم ثلمـة فسيان من حاليهم البعد والقـرب
بعكس بدور تشرق الارض ان بـدوا وان ذكروا فالمسك والمندل الرطـب
وان ظعنوا لا يبرم الامـر دونهـم عليهم يدان السلم او تعقد الحـرب
يقومون بالعبء الثقيل على الـورى ولم يـك منهم لا رياء ولا عجـب
فلم يمرحـوا والناس تنسل اثرهـم ولم تخضعوا والناس فى حربهم الب(1)
لهـم جُدَد بيض بكـل ثنيـة من المجد لم ينحت حجارتها صلـب
تسامت على من قد يروم صعودهـا علـوا فلم يفرع اعاليهـا نحـب
اصاروا طريق القوم ميثاءَ لا حبـا فلا يختشي سارٍ ضلالا ولا يكبـو
اقروا عمود الديـن فى مستقـره فما زعزعته من عواصفهـا النكـب
عتادهـم أيـد طـوال الـى العـلا وصارم عزم لا يفل له غـرب (2)
ايـادي ايـد لا تقصـر عن نـدى واسياف مجد فى المكـارم لا تنبـو
منازلهم فـوق اليفـاع مشيـدة ونيرانهم فـوق المحجة لا تخبـو
متى يمموا للشرق يزدد شروقـه وان يمموا الغرب فالمشرق الغـرب
مطاياهـم للمجـد نجـب عزائـم تزيد نشاطا كلما حسـر الركـب
فلم يثنها عن مورد العـز مهمـه ولم تثنها الحزان كلا ولا السهب (3)
فمـا برحـت تقفو طرائق للعـلا قد اندرست قدما فمسلكها صعـب
الـى ان اناخوها بمجتمع العـلا ولم ينتقص منها سنام ولا صلـب
ولـو كان بعد المجد للمرء غايـة لما قنعوا حتى تناخ بهـا النجـب
يلـم اختلال السنتيـن نوالهـم متى ما الم بالورى الحجج الشهـب
كـأن عطايـاهـم تباعـا وكثـرة غنائم فى طـرق المكـارم او نهـب
هم الخصب للبلدان ان اخلف الحيـا فلا يخلف البلدان من خصبهم خصب
وقد صيـروا نفل المكارم واجبـا عليهم فلا استحباب فيها ولا نـدب
وقد سلبوا بالفضل ايجاب بذلهـم الا هكذا الا يجاب فليك والسلـب
اداروا على الاعراض سداعن الخنـا فلم يستطع للسد ظهـر ولا نقـب
يذبـون عـن مجـد قديـم تراثـه وعن مثل ذاك العلق يستحسن الذبّ
وقـد علم الاقـوام ان طريقهـم هي الحـق لا زيـغ هناك ولا شغب

1) هم عليـه الْبّ" كفَـلس وحِمل مجتمعون عليـه
2) غـرب السيف : حـده
3) المهمـه القفر . والحـزّان من الا رض الشديد الحزونة ، وهي ضد السهولـة والسّهب كقـفـل : المستـوى مـن الارض

وقد علم الاقوام ان ليس غيرهم يرجى لدفع الخطب ان فدح الخطب
فما ابتدعوا فى جانب الشرع بدعة تؤولها كتب وتنكرها كتب
وما عد لواعن واضح الحق جانبا فمنهجهم لحب ومشربهم عذب (1)
بهم ينجلي ليل الريون عن الحجا وترفع عنهم بعد اسبالها الحجب
فيعتاض بعد القبض بسطا ويحتسي رحيق شهود ليس يشبهه شرب
فتسري حميا الذوق فيهم وتنتشي قلوبهم حتى كأنهم شرب
وتنفى رعونات النفوس بقربهم ويحصل قرب لا يكيفه قرب
وما زالت الاقطاب منهم ولم تدر لمجد رحى الا ومنهم لها قطب
متى جيئتهم لقوك اهلا ومرحبا ويلقاك فى مغناهم الاهل والرحب
بيوتهم لابن السبيل مشاعة فلا يزجر المولى ولا ينبح الكلب
وقد سالموا اعراضهم غير انهم لاموالهم فى كل مكرمة حرب
ولم ينزعوا عن جذم عرضهم اللحا خطاب من الفرع الخلاصة واللب (2)
يساميهم بعض من القوم ضلة وياعجبا هل يستوي الانف والعجب(3)
فهلا يساميهم مكانا ورفعة وفى علم ما جاءت به الرسل والكتب؟
وهلا يساميهم اذا اغبرت البرى (4) وضنت على البادي بمعروفها السحب؟
وهلا يساميهم بكل فضيلة لها طرق عنها رجال الورى تكب ؟
لقد حملوا ما لو تحمل بعضه ذرى الهضب من رضوى لمادت به الهضب
وشادوا لكل العرب عزا بأمة يعز عليها ان تعز بها العرب
لهم راحة فى ضمنها راحة الورى وسيف حجى فى كل مشكلة عضب
وقد نزل المرتاد منهم سيادة مواهبهم سهل وغاياتهم صعب
ثقال لدى النادي خفاف الى الندى متى ثوب الداعي لمكرمة هبوا
مجالسهم وقف على الحلم والحجا فلا تسمع العوراء فيها ولا السب
اساتذة فى مجلس العلم والهدى واما ترافقهم فاهلك والصحب
اذا ما جواد رام ادراك شأنهم ثنته الرعان الشم والامعز الصلب (5)
قد اكتسبوا بالمجد كل مزية فكسبهم فضل وفضلهم وهب
فما منهم الا ولي مقرب مرب لادواء النهى كلها طب

---

1) لحب : واضح
2) اللحا بالفتح : قشرة الشجرة ، وجذم الشجرة جذعها
3) عجب الذنب : منبته
4) البرى بالفتح : التراب
5) الرعن كفلس انف يتقدم الجبل . والرعان جمعه والامعز المكان الصلب

اولئــك ءاباءي وذلــك نهجهـــــــم	ولست الى نهج سوى نهجهم اصبو
فــلا زلتـــم للدهـــر انســـان عينـــه	بكم يرفأ الثأي ويلتئم الشعب (1)
ولا زلتـــم حـــرز البـــلاد واهلهـــــا	ولا زال يقفو اثر اسلافه العقـــب
بجـاه شفيـــع المذنبيـــن محمـــــد	عليه صلاة الله ما انهلت السحــــب

خـاتـمـــة

رأى القارىء فيما تقدم ما كنا كتبناه عن حياة الشيخ ماء العينيـــن رضي الله عنه وقد قلنا اننا كنا نخاف ان تضيع اخباره ان لم يعتـــن بها ثم ذكرنا اننا وقفنا على كتاب لولـــده مربيه ربه فاختصرنا منــــه اشيــــاء ثم بعد ان تقدم الجزء في الطبع اراني صاحبنا البحاثة الشيخ ابراهيم بن احمد الكتاني ابو المزايااسماء جميع مؤلفات في الشيخ وهـــا هـــي ذي

1 ـ (سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينيـــن الحسان) لمـــاء العينيـــن بن العتيـــق

2 ـ (مؤلف) للفقيه محمد سيدي ابن مولود من ءال الفاغ الخطاط وهو اول ما الف في الشيـــخ

3 ـ (نبذة من فوائد الشيـــخ) لاحمد التكرور اليعقوبي اثناء كتاب له

4 ـ (مؤلف) ءاخر لمحمد بن الاميـــن بن عبيدات

5 ـ (مؤلف) ءاخر لتقي الله ابن الشيـــخ

6 ـ (منظومتان) اخريان في الموضوع لتقي الله ايضـــا

7 ـ (مجمع البحرين في مناقب ماء العينين) لمحمد العاقب بن الشيخ سيـــدي عبد الله المايابـــي

8 ـ (خاتمة كتاب النبذة الاحمدية) للشيـــخ احمد بن الشمس

9 ـ (الفواكـــه) للشيخ النعمة بن الشيخ في كلامه الذي سمعه منه

10 ـ (الابحر المعينيـــة في بعض المداح الماعينيـــة) له ايضـــا

11 ـ (قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينيـــن) لمربيه ربه وهـــو المذكور فيمـــا تقـــدم

12 ـ (مؤلف في اولاد الشيخ) لماء العينيـــن بن الحضرمي بن بنت الشيخ

وهذه المؤلفات ذكرها كلها ابن العتيق والكل موجود الى الآن عنـــد اهل الشيـــخ رضي الله عن الجميـــع

---

1) الثأى محركا : الافساد . ورفا الثوب المخرق : خاطه . وانشعب الاناء : انصدع

سيدى سعيد بن همو المعدرى

نحو 1215 هـ = 2 - 2 - 1300 هـ

هنالك فى المعدر أُسَرٌ كثيرة استوطنته . منتقلة اليه من قبيلة سملالة من الشرفاء السملاليين من بينها اسرة ءال همو والد المترجم الذي نبغ فى التصوف فى اواسط القرن الماضي . ثم لم ينشب ان كان مع اميته رئيس طريقته الدرقاوية التي تضم بين يديه كثيرا من العلماء المشهورين اذ ذاك يقول الشيخ الالفي ان طريقة الصوفية العليا المؤسسة على الاصطلاح المنتخب عند ارباب الفن قد أَفَلَتْ شمسها عن سوس منذ توفى الشيخ احمد بن موسى التازاروالتي الى ان شرقت ايضا على يد الشيخ سيدي سعيد بن همو المعدري ثم ان من سعد المترجم ان اهتم بترجمته اقلام صوفية هي التي يمكن ان تجلو حقيقته كما هي بلسان التصوف الذي لا يعبر عن الصوفية مثله واقر انني احس عندما اترجم احد هؤلاء الصوفية بقلمي بأنني المس التقصير كثيرا فى العبارات التي يألفها قلمي وتألفه ولذلك ابتهجت كثيرا اليوم حين وجدتني مكفي المئونة فى ترجمة هذا الشيخ فبين يدي الآن فصل كبير من رحلة الشيخ الالفي يحوم حول هذا الشيخ المعدري كما وقعت ايضا على خطبة كتاب ابتدأه الشيخ الالفي بقصد ترجمة شيخه هذا ولكنه كبا دون المقصود على انه ان كان الشيخ الالفي كتب خطبة فى الشيخ المعدري بلا كتاب فللاستاذ العلامة محمد بن مسعود المعدري كراسة هي كتاب بلا خطبة ولذلك اسوق انا الآن كل ذلك بين يدي القارىء فاكون فقط ناقلا لما قاله الصوفية فى شيخهم الصوفي وعادتهم ان يملأوا تراجمهم بذكر احوال ربما يعدها غيرهم مما لا يليق ان يهتبل به فابدأ بما قاله الشيخ الالفي فى رحلته ثم اثني بتلك الخطبة التي ظفرت ببعضها بقلمه فانها على ما هي عليه لا تخلو من فائدة ثم اثلث بما كتبه العلامة ابن مسعود ، وبعد ذلك الحق ما سقط الى مما تعلق بالشيخ المترجم مما لم يذكر فيما تقدم .

قول الشيخ الالفي في رحلته

قال بعد ما ذكر مبيته في (أَسَاكَا) عند الايبلاغيين ، يذكر نزوله بالمصدر

ثم الى منبع عين سرنا — وجنة تلألأت في دهرنا
ومركز السر وخير الامكنة — وزهرة الدنيا بهذه الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد — شيخ المشايخ الامام الاوحد
شيخ لاهل راية الصوفية — في سوس فاق غيره كيفية
وقدوة الانام في الارشاد — الى طريق الله والرشاد
تاج لاهل الله والعرفان — حجة من بحضرة الرحمان
صاحب ذكر السر ليس يلهو — عن ذكر مولاه وليس يسهو
فوحد الاله بالعيان — مع الشهود في حلى الاكوان
فصار يجتني جنى المعارف — وهي تنسي جنة الزخاف
وكل من عرف حق المعرفة — الاهه فغيره لن يعرفه
اذ ليس موجودا على الطريقة — بل انه المعدوم في الحقيقة
ولو رايته مع الاكوان — بظاهر فهو مع الرحمان
لانك الذي رايت الكونا — بنفسك التي كستك البونا
فالكل لم يوجد بغير الله — ولم يقم الا به يا ساهي
فاعتبر الايجاد والامدادا — من اين كان ودع العنادا
فهذه الرتبة للخواص — من الخواص فاستمع للقاص
ولم تكن لغير ذي اخلاص — من كان بالتسليم في الصياصي
وشيخنا احرز ذا المقاما — لزهده وتركه الاناما
قد صار بدء عمره حلف الخمول — حتى حوى كل الكمال والوصول
بصحبة الاشياخ اهل الفن — بالصدق والشوق صغير السن
فتارة ياوى الى السواحل — وتارة ياوى الى المنازل
الى ان انطوت له الاكوان — وشهدت بقدره الاعيان
فانشرحت به قلوب الخير — وانقبضت عنه قلوب الشر
ولست تعرف من المشايخ — الا الذي تدرك في الرواسخ
هذى جبال متشابهات — وهم رجال كلهم ذوات
فكيف يعرفهم من لا يرى — بنظرات صدقه ما استترا

وكل معدن فليس يظهر   ما لم تكن فى الترب عنه تحفر

الحفر فى السادات بالتصديق   ان كنت من ايد بالتوفيق

فمذهب الفقر على التصديق   ومذهب الفقه على التحقيق

فاسرعت لنحوه القصاد   واذعنت لزهده الزهاد

ووفدت وفود كل من اراد   ان يعرف الله مريدا ومراد

فاكتسبوا بالصحبة المراما   ووصلوا فخالطوا الاناما

فرسخوا لديه فى العرفان   ولم يروا سواه فى الاكوان

قد جمعوا الجذب مع السلوك   وقد رضوا بمالك الملوك

جم غفير قد تلمذوا له   فحاز كل قصده وسوله

جزاه ربنا على الانام   ارشدهم بالحال والكلام

ونصر الدين بقدر الجهد   بالجد والحزم وفيض الوجد

سيرته الارشاد والاذكار   شهد ذاك الليل والنهار

وليس ينظر الى الاولاد   والاهل والاموال والبلاد

يداوم الاسفار للارشاد   لكل من لقى فى العباد

الى ان التقى مع الرحمن   وهو يسيح فى قرى افران

تعرفه الايام والاعوام   بذا كما يعرفه الاقوام

مكتفيا بالله فى الامور   مجانبا صاحبة الغرور

مقاله يجلو صدى الاغيار   لما اكتسى من كسوة الانوار

تبدو لنا من فيضه علوم   تجل ان تصطادها الفهوم

كم عالم جالسه بالصدق   وحسن ظن نحوه والشوق

سمع علما لم يكن بعارفه   ولم يكن فى كتبه بئالفه

وغيره لم ير الا الزندقة   متى تشم العنبر الفويسقة

لان سوء الظن اعظم حجاب   كفى الذي ورد فيه من عتاب

صاحبه حاو جميع الشر   وسد عنه باب كل خير

وقد روى فى سائر الصحاح   اياك منه طالب الفلاح

صاحبه لم ير فى الانام   اخا ولاية على الدوام

فمن راى صلاحه صباحا   ففي مسائه يرى الطلاحا

فصار يبرم وينقض على   كر الزمان عاسفا وسط الفلا

قد جاءه الخطأ من قياس   اركانه اختلت من الاساس

قد وزنوا بوزنهم فاخطأوا   ان قياس ذا على ذا خطا

كيف يقاس حكم روح بالشبح فهل تكايل دنان بقدح
من قاس بالشاهد كل غائب فانه يخبط فى المذاهب
ثم رمت بهم قذائف الجحود حتى راوا ان لاولي فى الوجود
ومع ذا فكلهم يقول الاولياء عدد منقول
وبعضهم يرون ان قد كثروا لكن اذا ذكر فردا نكروا
وليس يصعب سوى التسليم لواحد من خلقه معلوم
لكون وصف بشر يقهرهم وحسن ظن لم يكن ينصرهم
فكل من لم يكن الصديانا لم يك من شرابهم ريانا
قد كنت فى غياهب الغباوة على شفا يورثني الشقاوة

الى ءاخر ما تقدم فى ترجمة الشيخ الالغي وقد ذكر فيه كيف التقى معه وفنى فناء مطلقا فيما ءانسه من عنده وقد قال فى ءاخر ذلك :

ولم يزل بنا على الارشاد الى وصول خالق العباد
فزال ما بنا من الالام ومن غيون النفس والاسقام
ورجعت ارواحنا للاصل من التأنس برب الكل
ولذة الحضرة ليست تحكى بشبه ولا بفهم منكا

الى ان قال

رزقنا الله سلامة الصدور من كل ما يقطع عن سنا ونور
والصدق والتصديق والظن الحسن والختم بالحسنى وكثرة المنن
بجاه سيد الورى محمد عين الوجود قطب كل مدد
صلى عليه الله ما لاح القمر والال والصحب ومومنى البشر
وجاه شيخنا السعيد الاسعد فريد عقد الواصلين الاوحد
جزاه ربنا الجزاء الاوفى ازاء خير المرسلين الاصفى
اثنى العنان للذي فيه الكلام من المراحل الى خير الانام
بدار شيخنا نزلت ظهرا فانتعش القلب لديه جهرا
بمعدر قبيلة السملالة وقاه ربنا من الضلالة
ومذ نزلنا فرحت اوطانه بنا ورحب بنا ولدانه
وكثر الفرح والاحسان حسنا ومعنى واضا الزمان

فصادفت نزولنا الافراح	والبشر والحبور وانشراح
بولد الخليفة المسدد	للفقراء سيدي محمد
مدته لم يلد الذكورا	فامتلأ الاهل بذا سرورا
انبته الله نباتا حسنا	وليسبلن عليه منه مننا
متبعا لسنة العدناني	مجتنبا طريقة الشيطان

هذا ما قاله الشيخ فى رحلته التي هذبناها وسميناها (اصفى الموارد فى الرحلة الحجازية للشيخ الوالد)

الخطبة

وقعت فى اضبارة من الاوراق فى خزانتنا امكن لها ان تسلم من الحريق المسلط على كل الاوراق المبعثرة فى خزانتنا على بعض هذه بخط الشيخ وفيها اربع صفحات فقط وقد سقط ما وراءها ولا يعلم الا الله كم سقط من الصفحات وراء ما وجدناه والعجيب انني ما سمعت بهذا المؤلف قط . حتى وجدت هذه الخطبة فجاءني ذلك عجبا ولو لم تبق الصفحات الاربع لما كان لذلك ذكر ولكن ان اراد الله الابقاء على اثر شيء ابقى منه ما يدل عليه فهاك ذلك كما هو

الحمد لله الذي اعطى اولياءه من الكرامات عوض ما اعطى انبياءه من المعجزات وزينهم بخصائص يخص بها من يشاء من عباده ويفيضها على اهل محبته ووداده والصلاة والسلام على سيدنا محمد ياقوتة الاسرار والانوار ومعدن كل خير يكون فى الاخيار والابرار ومنبع علم تجلى به الاصداء والاغيار . وعلى ءاله واصحابه وتابعيهم باحسان ما دام الليل والنهار . وما جرت بخمر لذة للشاربين وعسل مصفى فى الجنان الانهار وطلعت فى وجوه المتحابين على سرر متقابلين الاقمار وتفتقت عن الحلل على ما اشتهت نفوسهم فيها الازهار وتغردت فى دوحتها الفينانة بالحان تنعش ارواحهم الاطيار وحطت عنهم فى دار الهناء والامان والخلود التكاليف والاوزار وعلت بالحور العين عند ورود الحبيب واحبابه الى باب الجنة الاسوار. يرحبن شوقا وعشقا بمحمد واتباعه وفيهم المهاجرون والانصار وتنافسن فى حبهم وعشقهم ولا كعشق اهل الدنيا الذي تحكيه الاشعار وهي هدايا لهم ازواجا لكن مهرها ليس كمهر

بنات الدنيا الذي تغليه الاسعار وهي ذوات الغنج والدلال قاصرات الطرف اتراب على كراسي تطير بهن ابكار . لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ولا حل من حللهن لاحد الازرار وقضيت لاهل الجنة رغبة ومحبة وعشقا من جميع الاشياء الاوطار ووافتهم بالدخول فى اي صورة حسناء اعجبتهم فى اسواق الجنة الاطوار وجادت بائمار اصلها من السماء وفروعها متفرعة على رؤوسهم الاشجار وتطيب بعابق المسك الذي هو تراب لها كما تلألأ الدر الذي هو لها احجار وتنعمت للعارفين بالله فى جنات المعارف لا الزخارف فى مقعد صدق الافكار وغابوا عما تزخرفت به الجنة من الحور والولدان والويدان والكيسان والاواني بمحبوبهم اذ اسبغ عليهم من نعمه ما لم يسبغ على غيرهم مما لم تحط به الاقلام والاحبار وكانوا مع الله وفقدوا عن اهل الجنة كما فقدوا عن اهل الدنيا فلم يوجد لهم خبر ولا ءاثار وذلك لمن كان ظاهره وباطنه لله وبالله ومن الله وفى الله من الكبير المتعالى اكرام لهم وايثار وانقطعت عنهم بلذة شراب كأس التوحيد والتفريد الليالي والايام والاعصار وتدفقت عليهم حياض المعارف واللطائف بلا تكييف وتتابعت عليهم بها الامطار لما نالوا فى الدنيا من مناجاة الله تعلى لما هجروا الاوطان والاخوان والولدان وهاموا فى البلدان والويدان وسلبتهم المحبة والشوق والاذكار وانتبهوا اذ غفل الانام واستيقظوا اذ ناموا وارتحلوا اذ اقاموا واحسنوا اذ اساءوا وشكروا اذ كفروا وصبروا اذ حقروا واقلعوا اذ كان للناس فى المعاصي المراتع والاصرار واشتاقت اليهم لما تجلى فيهم حسن الكمال الارض والسماء والاشجار والاحجار والاطيار والاقمار والامطار والاسحار وتزاحمت عليهم بالكرامات الظاهرات الباهرات النيرات الاشفاع والاوتار. وتولاهم بولايته اذ صدقوا فى محبته وخدمته لما ابتلاهم بما فيه لهم الاخطار، ومنهم من سجن او قتل مصبورا او هجرا وحقر مقهورا وجلب عليهم بخيله ورجله الانكار . وطابت لهم بلذة محبة الحبيب التي غيبتهم بسكر شرابها فى كيسان الالحان بحانها النار فقرأ لوح الكون كما قراه خير البرية باسم ربه اذ نزل عليه جبريل وحواه الغار وتوجوا بتاج الوراثة النبوية الباطنية التي لم تفشها الاخبار وما ذلك على الله بعزيز انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير وبعد فيقول العبد الفقير الذليل المحتاج الحقير . علي بن احمد الدرقاوي طريقة غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى من

تبعهم باحسان الى يوم الدين قد تكررت علينا اشـارة الى تقييد مناقب شيخنا الاسعد وقدوتنا الاوحد فريد عصره ووحيد دهره مربي المريدين وموصل السالكين الجامع بين الحقيقة والشريعة والجذب والسلوك والفناء والبقاء . والسكر والصحو . على احسن احوال الواصلين سيدي سعيد بن محمد المعدري وطنا السملالي قبيلة وقد كان اخونا في النسب الفائق في الادب الاغر النزيه محب اهل الله حيث كانوا وباذل جهده في اصول المعالي اذ بعد الناس عنها وبانوا الذي سلمت لـه في زمانه الاجادة وأوت الى عرصاته الافـادة وشاد من قصور الدين مع قلة عمره ما لم يشد غيره مع كثرته على خرق العادة وخلف ما يجري عليه من تعليم العلم والاحباس والولادة . سيدي ابو عبد الله ابن عبد الله بن صالح رحمه الله تعالى ورضي عنه قال لي انـا اعمل لكم اسم كتـاب مناقب شيخكم وهو (المبدىء المعيد) ومضى عليه ثلاث سنيـن او اربـع الى الآن وكان في حياته يحرضنا على تأليفه جدا لما فيه مـن المحبـة الراسخة والمودة الشامخة وتأنيت لما رأيت في نفسي من عدم الاهلية لذلك. وبعد امثالي عماهنالك الى ان رأيت الاذن من الغيب الذي لا يجيء منه شك ولا ريب. واخبرني بعض من اثق به من اخواني انه رأى ذلك فأكد عليَّ في تقييد مناقبه فجمت رجلي في طريق التقييد واخليتها من التغميض والتعقيد . لتنعش بذكر احواله ارواح جميع الاخوان ، الذين شربوا الخمرة الربانية على يده على رؤوس الاشهاد والاعيان وحصلت لهم منه رتبـة الصحبة التي بها تنال المنن من المنان فان اصحاب الاولياء كأصحـاب الاخيار يرثون الاسرار والانبياء بقدرهم والاولياء بقدرهم ولذلـك قيل من كفر بولي زمانه فهو كمن كفر بنبي زمانه لانه يحرم ما عنده مـن الخير ومن صدق ولى زمانه فهو كمن صدق نبي زمانه فانه يغنيـه حياة ومماة وما خص من خصه شيء الا من عدم التصديق وعـدم التصديق يكون من عدم التحقيق وعدم التحقيق يكون من عدم حسـن الظن وعدم حسن الظن يكون من عدم الرغبة في الشيء وعدم الرغبة في الشيء يكون من عدم المعرفة بانه اجود ما يكون واما من علم افضلية شيء فلم يمكن ان لا يرغب فيه) هذا ما وجدناه محفوظا في تلك الاضبارة ولا يخلو من فوائد حسنة وقد انقطع اسفل الورقة ما في تلك الاضبارة

لكن الذي تيسر له أن يخلف لنا اثرا لا بأس به فى ترجمة الشيخ المعدري هو الاستاذ محمد بن مسعود فاصخ اليه وتنبه لتثبته فى النقل لتعلم مقدار ما له من التحري قال (هذا ذكر ما تيسر من الاخبار المأثورة) على السنة الفقراء عن الشيخ الكبير العارف الشهير ذي القدم الراسخة والاثار الشامخة فى طريق القوم رضوان الله عليهم ابى عثمان سيدي سعيد بن محمد السملالي ثم المعدري قدس الله روحه مما تعلق بما اظهره الله على يده من الكرامات او بما يحتاج اليه فى علم الطريقة من سنى المذاكرات وسردته سردا على حسب الوقت من غير ترتيب ولا تبويب فالله ينفع بذلك الواقف عليه ءامين فمن ذلك ما اخبرني به ولده ابو عبد الله قال : اخبرني بعض الفقراء ان الشيخ رضي الله عنه ذهب الى قرية فخرج اليه صبيانها فأعطاهم ما يفرحون به وجعل يباسطهم فخرج اليه بعض اهل القرية وقال له اذ كان لا يعرفه هل انت طبيب فان لي ولدا مشرفا على الموت بحال غير مرضية فقال الشيخ نعم انا طبيب فذهب معه الى ذلك المريض فجعل يده عليه وجعل يقول الله الله قال ولده ابو عبد الله وكان يعني الشيخ من عادته انه انما يرقى باسم الجلالة قال ففي الساعة شفي المريض وجلس ثم انه جاء من عرف الشيخ فقال لهم هذا فلان فقال لهم الشيخ اني طبيب للقلوب ايضا فتبركوا به اعني اهل القرية وتلقنوا منه الذكر وظهرت عليهم بركة ذلك والحمد لله تعالى (ومنها) ما اخبرني به ولده ابو عبد الله ان الشيخ سيدي سعيدا قال لزوجته السيدة خديجة رضي الله عنهما من اراد ان يربح اليوم فى سيدي عبد الله بن سعيد يعني الشيخ المدفون خارج البلدة فليذهب ليصرف الماء عن رأسه وكان اليوم مطيرا جدا وبين محل سكناهم ومدفن الشيخ المذكور مسافة بعيدة لها بال قال فذهبت السيدة زوجته بمكتل وءالة حفر فوجدت سقف القبة التي عليه اذ ذاك قد دخل منه ماء المطر وقرب ان يدخل الى رأسه من جهة رأسه فاصلحته وكان الموضع خاليا لا عمارة به. قال فقال لها الشيخ سيدي سعيد ان سيدي عبد الله بن سعيد من الصوفية وهو محبنا فى الله او من احبابنا فى الله قلت وكذا سمعت بعض الاخوان ممن صاحب الشيخ سيدي سعيدا يذكر عنه انه قال فى

سيدي عبد الله بن سعيد المذكور انه من الصوفية او ما يودي معنى ذلك والله اعلم (ومنها) ما اخبرني به ولده سيدي ابو عبد الله عن بعض الفقراء ممن صحب الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه انه قال الشيخ ان سيدي فلانا يعني بعض الفقراء المعاصرين له زعم ان الذي فيمغربنا هذا من اولياء الله تعالى خمسة وسبعون وليا ، فقال له الشيخ سيدي سعيد ذلك هو العدد الذي اطلعه الله على عدده . بل ذلك القدر موجود في خصوص هذه القرية يعني المعدر من الاولياء الذين لم يكتب القلم عليهم شيئا يعني من خصوص الصبيان . يعني فضلا عن غيرهم وغير من في القرية ثم قال له الشيخ ما معناه يمكن أن يجتمع الف ولي لله تعالى يتساءلون فيما بينهم عن ولي مخصوص فلا يعلم احد منهم بولاية غيره وقد لا يعلم بها هو ايضا في نفسه وقال ايضا ان الاولياء على وجه الارض مثل النجوم في السماء في الليلة المصحية . يعني في الكثرة والله اعلم (ومنها) ما اخبرني ولده سيدي ابو عبد الله عمن اخبره من حضر وفاة الشيخ من الفقراء ببلدة افران ان بعض الفقراء سأله وهو مريض مرض موته هل يحملونه الى بلدته بعد موته ليدفن فيها ؟ فاجاب بما قال في ءاخره العبد لله، والارض لله يشير لهم الى دفنه حيث يتوفى قال ومما جرى على لسانه قرب الوفاة من المذاكرة انه قال خرجت روحي من محلها منذ يوم الجمعة وما بقي يخاطبكم ويجاوبكم الا الروح فوق الشبح بقدرة الله تعلى وقال اذ ذاك ايضا قد اجتمع يعني في تلك الحال عليه اولياء الله تعلى الاحياء والاموات وقالوا لي يا فلان ما استخرج احد في بلاد المغرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم ما استخرجته فيها من المياه يعني اسرار القلوب وما يفتح الله على اربابها من انوار الايمان والعرفان والحكمة الربانية والمعاني الوهيبة وقال ايضا كل من رزقه الله لقاءنا قد كحلنا عينه يعني انه استمد منه كل من صحبه حتى استنارت بصيرته كل على قدره وهمته وقابليته وقال ايضا كل محل زرعنا فيه البذر قد انبته الله تعالى وما خيبنا الله فيه حتى ما زرعناه في دمنة المزبلة يشير بذلك الى من ضعفت قابليته وتوجهه واخبرني ولده ابو عبد الله المذكور ايضا قال سمعت بعض من صحبه من الفقراء يحكي رؤيا حاصلها انه رأى في النوم بعض اعيان قبيلة الشيخ في حالة حسنة وثياب مستحسنة وهو بين جماعة من الفقراء فقال له كيف انت ؟ فذكر خيرا قال فقلت له بأي شيء نفعك الله ؟ قال بهؤلاء السادات الذين انا

بينهم قال وقص الرؤيا بعد تلك الليلة على الشيخ سيدي سعيد فقال له الرؤيا صحيحة . فأن الرجل المذكور ممن ينتسب الينا ولقناه الذكر
وقال ايضا ومما قاله الشيخ سيدي سعيد فى مرض وفاته للفقراء : ان كان ما نحن عليه بالله فلا ترون فيه الا الزيادة فوق ما رأيتموه وان كان من الظلمة فانه سيخمد ويضمحل . قلت يشير الى أن ما هو عليه من ارشاد العباد ودعائهم الى الله تعلى ان كان حقا من حق فلا يزداد الا سموا وانتشارا بانتشار نور الاتباع رضوان الله عليهم وان كان باطلا فللباطل جولة ثم يضمحل وهذا نحو ما فى حديث البخاري الذي فيه ان هرقل سأل ابا سفيان عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ايزيدون ام ينقصون؟ فقال بل يزيدون الحديث وذلك مما عرف به هرقل صحة نبوته صلى الله عليه وسلم من العلامات قال ولما تحقق منه الفقراء قرب الوفاة بكوا فقال ما يبكيكم ؟ قالوا كراهة الفراق فقال ان عرفناكم الله فالله باق وان عرفناكم نفوسنا فقد ظلمناكم يعني ان احلناكم ودللناكم على التعلق بالله والانحياش اليه والتوكل عليه كما هو فائدة الصحبة فلا يضركم مفارقة غيره وهذا نحو ما قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فى خطبته المعروفة للصحابة لما طاشت الاحلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل (الاية) قال وقال الفقراء حينئذ للشيخ سيدي سعيد ما معناه انهم يسئلونه تعيين من يقوم بامر الفقراء بعد فقال لهم ان طلعت الشمس فكل احد يراها حتى الاعمى يحس بحرها فى ظهره . قلت يشير رضي الله عنه الى ان المدار على ظهور الانتفاع فى الطريق فكأنه يقول لهم من ظهر انتفاعكم بامداده وكلامه لا تنكرونه انتم ولا غيركم اي لا يخفى عليكم وهذا كقول بعض العارفين شهود النفع بهم يحصل القطع بخصوصيتهم وقد قرروا هذا المعنى بما يراجع فى محله . وهذه هي الكرامة فى الحقيقة . والبرهان الساطع على انتهاج محجة الطريقة . واخذه بعض الصوفية من حديث عرفت فالزم. قلت وهو نحو قولهم من فتح له فى شيء فليلزمه والله تعلى اعلم ولله در من قال :

فمن سرى سره فى سر تلميذه   فذاك هو فلا تبغ به بدلا

فاذا استبان السالك وتحقق من نفسه الاستمداد من نور من رزقه

الله صحبته . فليعلم انه رزق البغية فليشد عليها يد الضنين فانه باب الله تعلى فى حقه فان فارق الباب فقد اساء الادب وانتهج طريق الهلاك والعطب واستوجب سوء الحرمان ولو اتى الحضرة من غيره من الابواب والله تعلى يلهمنا حسن الانابة والمثاب ويأخذ بأيدينا ءامين قال ولما توفى الشيخ رضي الله عنه اجتمع الناس للصلاة عليه من اسفل وادى افران . بسبب اخراج البارود فى قراه فى كل جهة . على ما هو العادة عند ارادة اجتماع الناس من بعيد . مع انه لم يأمرهم بذلك احد. ولا اعلموا بوفاته حينئذ وكأن صائحا صاح فيهم بذلك مع كون الوقت مظنة ان لا يجتمع مثل ذلك لكون الوقت وقت سحاب ومطر وقد قال بعض السلف يخاطب المبتدعة : بيننا وبينكم الجنائز يشير الى ان كثرة الناس فيها امارة على حسن حال الميت وصلاح سريرته وهذا امر معروف وفى كتب التاريخ موصوف واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله المذكور عن والدته السيدة خديجة رضي الله عنها انها رات رؤيا والشيخ سيدي سعيد اذ ذاك مريض مرض وفاته فى افران وهي فى بلدة الشيخ (المعدر) حاصلها انها رات عروسا ارادت الركوب على شيء فرفعت السيدة رجل العروس بيدها لتعينها على الركوب قالت وكنت اظن ان المركوب هو الفرس فنظرت فاذا هو النعش الذي يحمل عليه الميت فقالت لولدها ابى عبد الله المذكور وقصت عليه الرؤيا لعل والدك قد مات ثم اخبرت بعض الاخوان الافاضل ممن حضروا وفاة الشيخ سيدي سعيد وقالت له رايت بعد ذلك النعش مطروحا على الارض والناس يحفرون القبر للميت الذي عليه . وتلك الارض من صفتها كذا وكذا فقال لها ان الارض التي دفن فيها هناك هي على تلك الصفة قلت ذكر العلامة العياشي فى (الرحلة) ما اظن ان حاصله ان بعض مشايخ العجم اصطلاحهم فى التعبير عن وفاة مشايخ الطريق انهم يقولون اعرس فلان وقت كذا ولا شك ان اكبر الافراح عند اولياء الله تعالى هو فرحهم بلقاء مولاهم فان الدنيا انما هي سجن لهم واشباحهم فيها قفص لارواحهم وان كانوا فيها فى نعيم الشهود فزال بقية الحجاب بالرحيل عن الاشباح وهو غاية نعيم الارواح ولما كانوا هم صفوة الله من خلقه وواسطة سلك المتقين من عباده وهم محل نظر الله من العالم وبهم يرحم الناس ويمطرون وهم احباؤه المقربون صاروا فى التشبيه التقريبي كالعروس فى النساء المهديات فى الزفاف ولذا جاءت الرؤيا فى عالم النوم على نمط

التشبيه المذكور وجرى الاستعمال على ذلك ايضا فى كلام اهل الطريق كقولهم اولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون وكما فى نحو ما ذكره بعض المؤرخين ان الشيخ العارف الكبير الشهير سيدي احمد الرفاعي رضي الله عنه . لما مرض مرض موته . قال له خادمه تجلى العروس فى هذه المرة قال نعم قال فقلت له لماذا ؟ قال جرت امور اشتريناها بالارواح اقبل بلاء عظيم على الخلق فنحمله عنهم الى غير ذلك والله اعلم واخبرني سيدي ابو عبد الله المذكور انه حضر لما استخرج والده الشيخ سيدي سعيد رضي الله تعلى عنه من قبره بعد عامين الا نحو شهرين من وقت دفنه وقال انهم وجدوه كما دفن لم يتغير منه شيء قال : ولما اردنا حفر قبره . وقعنا على قبر ءاخر نظنه قبره فشرعنا فى حفره فانقبضت من ذلك قلوبنا فتنبهنا الى انه ليس قبره قال ففتشت فوجدت قبره فحصل لنا حينئذ بسط وفرح ونور انس وانشراح نحو ما يقع عند ملاقاة ارباب القلوب من الاحياء فما شككنا انه من تلقائه قال وفى غد الليلة التي رفعناه فيها من قبره رأى بعض الفقراء من اهل افران رؤيا حاصلها انه رأى الشيخ وهو كالقمر باعلى افران. وهو يقول ما جرت به العادة فى التوديع ويخاطب اهل افران ويقول ما معناه. استودعكم الله هاانا ذا ذاهب الى بلدتي. او ما يقرب منه. وقص الرؤيا على الفقراء بالزاوية هناك وبمجرد ما قصها عليهم جاءت امرأة واخبرتهم ان على قبر الشيخ اثر النبش فذهبوا فنبشوه بفتوى بعض الفقهاء فلم يجدوه فى القبر قال الراءي المذكور . ولما نبشنا القبر تلقتنا منه رائحة طيبة لا اعلم لها نظيرا واخبرني السيد ابو عبد الله ولد الشيخ انه لما قرب رفعه من قبره الى بلدته . راته زوجته السيدة خديجة فى النوم. وهو يقول لها قد اتفق اولياء الله تعلى الاحياء والاموات على ان ننتقل من هنا الى هناك يعني من بلدة افران الى بلدة (المعدر) باذن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قالت فقلت له ألست بميت ؟ فكيف نفعل بك فقال لها اصنعوا صندوقا من هذه الخشبة من الارز التي فى مربط الدواب هناك اي فى داره بالمعدر واغسلوا الصندوق قال ولده ابو عبد الله وكانت هناك خشبة مطروحة فوق الزبل بمربط البهائم فيسر الله تعلى صنع الصندوق منها فى اقل مدة على وجه جزم صانعه انه من خرق العادة مع انه لم يعلم ما اريد من الصندوق واتفق ان الطرف الموالي من الخشبة لزبل الدواب كان داخل الصندوق فاحتيج الى غسله وظهر ما اشار

اليه الشيخ فى الرؤيا رضي الله تعلى عنه ورات زوجته ايضا قبيل رفعه من افران . رؤيا حسبما اخبرني ولده ابو عبد الله المذكور حاصلها انها رات انه امتد من بلد افران الى مدفن الشيخ الآن بالمعدر قوس قزح. وهو الذي يسمى بلسان عامتنا عروس المطر ثم انقلب انبوبا عظيما يجري منه ماء صاف ابيض من الثلج وينصب فى تلك البقعة التي هي مدفن الشيخ فى المعدر والماء يجتمع ويرتفع الى جهة السماء ولا ينتشر فى الارض ثم رات الشيخ سيدي سعيدا اتى من الانبوب المذكور ووقف فى الموضع الذي ينصب فيه الماء وقال ان الماء قد جمعناه جميعه هنا وهذه الرؤيا هي سبب تعيين السيدة للبقعة المذكورة التي دفن فيها الشيخ رضي الله عنه . واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله قال حاكيا عن والدته المذكورة ان سبب رجوع الشيخ الى طريق الصالحين فى بدايته وهو شاب انه كان لهم جار صالح فى مسكنهم اذ ذاك وهي القرية التي تسمى (بوتومئيت) خارج المعدر . فورد على ذلك الجار الصالح بعض اخوانه الصالحين فجعلا يتحادثان والشيخ سيد يسعيد يسمع محادثتهما ومذاكرتهما فيما يتعلق بطريق الصالحين فأحب الاجتماع على تلك المذاكرة الا انه لم يتيسر له الجلوس معهما وكان ذلك الجار فقيرا فذهب اليه سيدي سعيد ببعض ما عندهم من الاوطاب الكبيرة المعدة لمخض اللبن . وهو مملوء لبنا مخيضا . وفيه من الزبد ما خرج من ذلك اللبن فنقر باب الجار المذكور . فخرج اليه فأعطاه ما ذهب به اليه فلم يقدر على رفعه من الارض . فقال له احمله معي الى داخل الدار . فحمله له . فوجد زوجته وكانت صالحة ايضا قد هيات لزوجها وضيفه طعاما بلا ادام فلما رات ما اتى به الشيخ سيدي سعيد دعت له بأن قالت يا اخي يا سعيد سقاك الله من عين النبي صلى الله عليه وسلم . وجعل عينك من عينه صلى الله عليه وسلم تستقي منها الامة . او ما يقرب من هذا قال الشيخ : فاحسست اذ ذاك بذاتي لها ارتعاش . وورد علي من دعوتها حال . فخرجت فوجدت ضيفهم الرجل الصالح فى دهليز الدار فخفض راسي وضرب بيده بين كتفي ثلاث مرات ودعا لي بمثل ما دعت به المراة المذكورة سواء . وخرجت من عنده . فلبثت بقية الليلة ساهرا وانا بحال خشوع وبكاء . وتوجه الى الله . والقى الله فى قلبي كراهة من كنت اصاحبهم على الغفلة واللهو وكان له اقران يشتغل معهم بما هو العادة فى الشباب . من اللهو والصبوة . قال : وفى غد تلك الليلة راى ناقة لبعض جيرانهم وجد

امرأته اخرجتها للرعى وكان الوقت صيفا ولها طفل رضيع يخشى عليه من حرارة الهواء فأمرها سيدي سعيد ان ترجع بالطفل وكفاها مئونة رعي الناقة فدعت له بمثل تلك الدعوة ايضا قال فأحسست بذلك الحال . وقد زاد علي جدا قال وفى غد ذلك اليوم وجد زوج تلك المراة صاحبة الناقة المذكورة وقد رعاها ولحقه من رعيها ضرر الشوك فى الغابة اذ ذاك ولا نعل له . وكان اعرج يمشي بظاهر قدمه . فاعطاه الشيخ سيدي سعيد نعلا ينتعلها قال فدعا لي بمثل تلك الدعوة ايضا واحسست ايضا بزيادة ما ورد على قلبي . ومن حينئذ كرهت الدنيا وما انا عليه من رعي البهائم . وجئت انا وصاحب لي الى بيت فى دارنا بالمعدر. وانقطعنا الى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى ادرك منها صاحبي حلاوة العسل . بحيث كان فمه يجري بها وهو لا ياكل ولا يشرب . استغناء بذلك عن الاكل والشرب . قال ثم بدا له فلحق اعني الشيخ سيدي سعيد بالصالح المشهور المتبرك به الفقيه سيدي ابراهيم (1) الولياضي رحمه الله فتلقن منه ذكر السادة الناصرية وجلس عنده فى بلدته ليتعلم القرءان ثم اتاه والده واتى به الى المعدر كرها فقعد فى المعدر يتعلم القرءان . وكان فى (المعدر) اذ ذاك الصالح المشهور المتبرك به صاحب الكشوفات المشهورة . ابو عبد الله الفقير محمد بن عبد الله . دفين (المعدر) رحمه الله تعلى فذهب سيدي سعيد اليه ونيته الاخذ عنه واتخاذه شيخا فاجابه مكاشفة بمثاله بان قال له هذا الماء القليل الذي عندي ليس لك فيه مقنع . هذا يسير . ما استخرجت انا منه الا ما ينقذني من العطش . قال فقلت له كيف وقد سجنت نفسك فى هذه الخلوة اربعين عاما قال فقال لي هذا ما وصل اليه مقامي . واما انت فالعين التي تشرب منها وتاتي منها بالماء وتسقي بها الى السودان هي فيما وراء وادي ام الربيع يعني النهر المعروف وانما انا شيخ نساء يزار لطلب الاولاد وتدفع اليه نذور يسيرة كالدجاج ونحوها وانت شيخ بقر واكباش يعني تنذر لك النذور المعتبرة وهذا على عادة السيد الفقير ابي عبد الله محمد بن عبد الله المذكور من خلطة الجد بالهزل مع ان كلامه اشارات كما هو معروف من حاله رضي الله تعلى عن الجميع قال وكان سبب اتصال الشيخ سيدي سعيد بشيخه الامام العارف الشهير الفقيه ابى

---

1) توفى نحو 1248 هـ

العباس سيدي احمد بن عبد الله المراكشي رضي الله عنه مريد الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه . انه كان مع زوجته السيدة المتقدمة فى خدمة حصاد فمر عليهما بعض تلامذته من فقراء المعدر ممن كان يرد عليه فى مراكش فسأله الشيخ سيدي سعيد هل تعرف يا فلان شيخا يأخذ بايدينا ويوصلنا الى الله تعلى فانك سلكت البلاد بالسياحة . فقال له ذلك الفقير : متى تهيأت لذلك ذهبت معك الى حاجتك فقال له سيدي سعيد : نذهب غدا فذهب ساعته واتى بدين له على رجل قدره ثمانون مثقالا وضمه الى شيء ءاخر من نحو امتعة ولباس فذهب وانفق ذلك كله عند شيخه المذكور فى مراكش وبقي عنده تلك المرة الاولى اكثر من عام . قال وسمعت يوما الفقراء هناك يقولون ما حاصله: من لم ينقطع الى الله . ويتخل عن الاهل والمال والولد فليس له من هذا المعنى نصيب قال فهممت بما اشاروا اليه واردت تطليق الزوجة والتخلي عن الاولاد والبلدة بالكلية . فكوشف الشيخ سيدي احمد بن عبد الله بما فى نفسي فناداني وقال يا سيدي سعيد يا سيدي سعيد لا لا يا سيدي سعيد اترك زوجتك بحالها ومالك بحاله وامش وجيء فما ملّكك الله من هذا المعنى ورزقك سياتيك يعني تردد الينا ولا تتخلف عن صحبتنا بحسب الامكان مع قضاء حق الاهل والولد ايضا فقبلت راس الشيخ قال سيدي سعيد وهذا هو ملاك الامر وهي بقاء المريد تحت نظر شيخه ولا يعمل باشارة كل فقير وما يسمعه من مذاكرتهم قلت ونحو هذا مذكور فى رسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله تعلى عنه . ووجهه ظاهر لاختلاف الانظار والافهام . وكل احد لا يشير الا بحاله. والمتطبب قد يفسد اكثر مما يصلح اللهم الا فيما تتفق عليه الجماعة من غير شوب ولا حزازة او فيمن يوكله الشيخ على التعيين يقدمه للنظر فى الامور جملة والله تعلى اعلم وسمعت ان الشيخ سيدي سعيدا زجر فقيرا امره الفقراء بخرق العادة فى المعدر . على وجه يخاف عليه فيه من الرجوع الى وراء . وقال له لا تفعل الا ما ءامرك به ولا تنظر الى ما يقوله لك الفقراء فى غيبتي او كما قال قال ولده سيدي ابو عبد الله حاكيا عن والدته انه لما رجع من تلك السياحة الاولى وجد ولده ابا عبد الله طفلا رضيعا يقوم على قدميه فقال لزوجته اخبرني الشيخ سيدي احمد بن عبد الله لما ودعني انك ستجد ولدا يزيد عندك فسموه محمدا او كما قال . وقد وجدتكم سميتموه كذلك . وسألته زوجته هل يخطر فى قلبك

في سياحتك امر ما تركته من والديك وزوجتك ومالك فقال لا ولو طرفة عين الا مرة واحدة كنت في خلوة الذكر عند الشيخ سيدي احمد بن عبد الله وكان الوقت وقت مطر كثير فتذكرت مطمورة لي مملوءة من الشعير وخفت ان يدخلها ماء المطر لكونها تحت ميزاب ماء المطر فارسل الي الشيخ في الحين وقال لي هل خطر امرمن بلدتك في قلبك ؟ فقلت نعم يا سيدي فقال اذهب اليها وارجع الينا قال فجئت الى البلدة فوجدت المطمورة سالمة. واخبرني ولده ابو عبدالله عن الشيخ سيدي سعيد انه لما حضرت الوفاة الشيخ سيدي احمد بن عبد الله سأله فقراؤه من هو وارث سرك؟ فترك الجواب. فلما الحوا عليه. وقالوا خفنا الخلاف فيما بيننا ان لم تعين لنا من هو الوارث فقال لهم : هو سيدي سعيد السوسي يعني المعدري وبذلك يعرف عندهم فقالوا ما حاصله : ماذا يفعل اهل سوس بطريق الصوفية ؟ فانهم اهل شح وبخل لا كرم لهم فقال لهم والله والله ان الشمس ظهر ضوءها في سوس باذن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على رغم انف من أبى اوكما قال مما يؤدي هذا المعنى فقالوا له الى متى يبقى هذا السر عنده ؟ فقال لهم الى وفاته فان ورثه عنه اولاده فقد بقى لكم هناك والا رجع اليكم ولما توفي الشيخ سيدي احمد بن عبد الله صار الشيخ سيدي سعيد رضي الله تعلى عنهما يتردد بالزيارة الى الشيخ العارف الشهير مولاي الطيب ابن العارف الشهير البدر المنير القطب الاشهر السر الازهر ابى حامد مولاي العربي بن احمد الدرقاوي رضي الله عنهما وذلك بوصية من شيخه سيدي احمد بن عبد الله المذكور وامره له بذلك وقد جاء مع الشيخ سيدي مولاي الطيب مرة الى المعدر ومكث في دار سيدي سعيد ثلاثة ايام ثم ذهب الى زيارة ضريح الشيخ الشهير سيدي احمد بن موسى السملالي نفعنا الله به في (تازاروالت) فزاره ورجع وكان الشيخ سيدي سعيد تلقن ذكر الطريقة الدرقاوية اولا من الشيخ العارف بالله سيدي الحاج محمد ابى البيضات الهشتوكي البلفاعي رحمه الله تعلى وهو عن الشيخ سيدي احمد بن عبد الله المذكور ثم ندبه بعض الفقراء الى الاخذ عن سيدي احمد بن عبد الله المذكور واخبرني بعض الفقراء ان سيدي سعيدا زار سيدي احمد بن عبد الله في جملة فقراء في صحبة سيدي الحاج محمد البلفاعي فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق سألهم سيدي الحاج محمد وقال لهم ايها الفقراء اي طريق نسلك من هاتين ؟ فقال له سيدي سعيد يا سيدي انت شيخنا

فاي طريق امرتنا بها سلكناها فقال له كيف أكون شيخك وقد استبدلت بي ؟ قال سيدي سعيد ما حاصله : انما حفظني الله تعلى والا فقد خيف علي وعلى حالي ان يكون هباء منثورا او كما قال يشير الى ما قيل فى مثل ذلك غر فسلم وواقعة الشيخ زروق مع شيخه الزيتوني رضي الله عنهما معروفة واخبرني سيدي ابو عبد الله عن والده الشيخ سيدي سعيد قال ان سيدي الحاج محمدا المذكور كان يستشير النبي صلى الله عليه وسلم فى كل امر يريد ان يفعله قلت وسمعت من بعض الفقراء ان سيدي الحاج محمدا المذكور كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وكذلك كان الشيخ سيدي سعيد وحكى لي قصة تدل على ذلك وذكر مع ذلك ما يفيد ان سيدي سعيدا اكبر منه مقاما جدا وهذا المخبر من فضلاء الفقراء المصاحبين للشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه واخبرني ولده ابو عبد الله عن الفقير الفاضل المعروف بالكشوفات الصادقة سيدي مبارك بن بكة التزنيتي رحمه الله تعلى انه قال له : كنت مع الشيخ سيدي سعيد مرة فى مسجد فرايت المسجد ممتلئا برجال كلهم على صورة سيدي سعيد الخاصة به .بحيث تقول فى كل منهم انه هو قال فاخبرت سيدي سعيدا بما رأيته من ذلك فقال يقع للولي اكثر من ذلك بحيث يتفرع عن ذاته من الذوات الموافقة لها ما يملأ الكون واخبرني ولده ابو عبد الله عن امه انها قالت ذهب الشيخ سيدي سعيد مرة الى الجبالة بلدة الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه فاخبرنا الجيران بعد ذلك بمدة انهم رأوه فى سوق (المعدر) فانتظرناه وقت الرواح فلم يجيء الى الدار وبعد ذلك بمدة مديدة جاء من سفره فاخبرته بما قال الجيران من رؤيته فى المعدر فقال يقع للولي خروج ذوات من ذاته ويظن كلواحدة منها انهاهو. ويرى فى بلد بعيد منه(1). وقد لا يشعرالولي بذلك كله. واخبرني ولده ابو عبدالله عن الفقيرالفاضل سيدي مبارك بنبكة المذكور ان بعض الشرفاء قال للشيخ سيدي سعيد اخبرني اين يلتقي اولياء الله تعلى فى الليلة الآتية وان لم تخبرني وضعت التراب على اذنك واخبرتك وهذا على لسان عامتنا يعبرون بوضع التراب على الاذن عن الاشعار بالغلبة. واعتراف المرء على نفسه بالاذعان للخصم فقال له الشيخ سيدي سعيد هذه اذني ضع عليها التراب فوضع الشريف التراب على اذنه وصار

1) للسيوطي مؤلف فى (تطور الولى والملك) وفى اِسْپَارْتِيزْم - علم الارواح - اليوم ما يؤيد هذا

الفقير سيدي مبارك المذكور ينفض التراب عنه ثم قال له سيدي سعيد ما الذي اردت بالاولياء عامتهم أم خاصتهم ؟ فان اردت عامتهم فمجتمعهم اي فى تلك الليلة هو مسجد المعدر واما خاصتهم فهم فى الاجتماع دائما لا يتفرقون قال بعض الافاضل من الفقراء يعني ان اهل الخصوصية دائما مجتمعون فى حضرة الله تعلى لا ينفكون عنها ولايتفرقون . واخبرني ولده ابو عبد الله عمن اخبره من الفقراء المصاحبين للشيخ سيدي سعيد ان رجلا قال له فى سوق تزنيت : ارني هذا اليوم اولياء الله فى هذه السوق. فأشار الشيخ سيدي سعيد الى رجلين يبيعان الفخار . وقال هذان منهم اما احدهما فمتسع الصدر واما الآخر فضيقه فذهب ذلك الرجل اليهما ووقف على الضيق الصدر منهما يساومه الفخار فأظهر انه سقطت من يده فخارة من اوانيه فانكسرت فطالبه ذلك الولي بشدة بغرم قيمتها فغرمها ثم ساوم الآخر المتسع الصدر وفعل معه مثل ما فعل مع الاول وكسر من اوانيه فخارتين فلم يبال ذلك الولي وكلما انكسر له اناء منها قال له انقضى اجله فارفع ءاخر غيره وقلبه ثم بعث الشيخ سيدي سعيد الى الرجل وامره بالانتهاء عن كسر اوانيه واخبرني ولده ابو عبد الله انه قال له والده الشيخ سيدي سعيد مرة ان الاولياء سيجتمعون هذه الليلة فى مسجد المعدر قال ولده ابو عبد الله فذهبت سحر تلك الليلة الى المسجد المذكور فلما رجعت قال لي من لقيت فى المسجد ؟ فقلت فلان وجدته فى ميضاة المسجد وكان يتظاهر بنوع تغفل وبله. فقال هو منهم. قلت وسمعت مثل ذلك عن غير الشيخ سيدي سعيد فى حق فلان المذكور والله اعلم واخبر ولده ابو عبد الله عنه انه اخبر جماعة من الفقراء انه لما لقي الفقيه الصالح المتبرك به ابا علي سيدي الحسن ابن احمد التيمڭيدشتي رحمه الله تعلى سأله ابو علي المذكور وقال له من بلغ مقام ان تصرف ارزاق جميع الخلق على يده هل بلغ مقام ان يدعو العباد الى الله تعلى ؟ يعني بالتسليك والتربية المتعارفة قال له سيدي سعيد انما هو بمنزلة من جعله السلطان على علف بهائمه فهو الذي تعرفه البهائم واما السلطان فيمر بينها ولا تلتفت اليه فقال له ابو علي فمن يصلح لدعوة العباد الى الله تعلى ؟ فقال له من يلقى واحدا منهم وقلبه مسود كقدر الطباخ فينظر فيه نظرة فتخرج تلك الكدرة كلها والظلمات منه قلت وهذه النظرة باطنية كما يخفى وهي فى الحقيقة همة الولي العارف المخصوص تقلب بها الاعيان وتنفعل لها اشياء بقدرة الله تعلى وراثة نبوية

كـل امـر تعنى بـه تقلـب الاعـــــيان فيه وتعجب البصـــــراء
رب عيـن ثقلـت فى مائهـا الملــــح فاضحى وهو الفرات الـرواء

وكـأن ابا علي يشير بما ذكره من ذلك الى نفسه رحمه الله تعالى
واخبرني ولده ابو عبد الله عمن اخبره من افاضل الفقراء انه لما لقى الفقيه الصالح العارف بالله تعالى ابو علي سيدي الحسن التملي ثم الايرازانـي براس الوادي سكنى ومدفنا . الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه وتلقن منه الذكر حصل له الفتح الرباني اذ ذاك من غير عناء ولا تعب قـال ابو عبد الله اخبرني الفقيه المذكور انه ختم القرءان الكريم اربعين ختمـة فى اربعين يوما بنية ان يأتيه الله تعلى بشيـخ عارف مسلك يلقـي اليـه قياده وفى يوم اتمام العدد المذكور ورد عليه الشيخ سيدي سعيـد وهو لا يعرفه فسمعه وهو جالس مع بعض الفقراء فى مسجد الفقيه المذكور يتكلم على مسئلة من الحقائق فالقى الله تعلى فى قلبه ان هذا هو البغية المطلوبة. فتلقن منه اذ ذاك واخبرني ابو عبد الله المذكور عن الفقيه التملي المذكور ان الشيخ سيد سعيدا رضي الله عنه راوده على مصالحة الفقيه ابى علي التيمجيدشتي المذكور قبل اذ كان بينهما من التنافر والمهاجرة ما هو معروف وكانت مدة ذلك سبع سنين وقد الم بعض الفقهاء الفاسيين فى تاريخ له بذلك ولم اثبت على تفصيل ما ذكره فوافق الفقيه التملي علـى ذلك واجاب الى ما ندبه اليه الشيخ سيدي سعيد. فذهب سيدي سعيد الى الفقيه ابى علي التيمجيدشتى فعرض عليه امر المصالحة ايضا وقال له ان احدكما قريب الوفاة (1) فان لم تتوبا من هذا كانت وفاته على سوء خاتمة والعياذ بالله . فقال له ابو علي التيمجيدشتي نشاور من كنا نشاركهم فى هذا الامر. فقال له الشيخ سيدي سعيد لا هذا الامر انما هو لله فلا يحضره الا انـا وانتما فاجابه ابو علي الى ذلك فقال سيدي سعيد والملاقاة هنـا فى بيتك فسئاتيك بالفقيه التملي فذهب الى التملي فامره بالذهاب معه الى دار التيمجيدشتي لاتمام الامر فكأنه خاف من الذهاب اليه فى داره وقال له ما يؤمنني من القتل فقال له الشيخ سيدي سعيد فأي شيء يقع ان قتلت الست بشيخك ؟ فقال بلى فذهب معه وتصالحا وانطفأ ما بينهما من ذلك الوقت وكذلك ما بين اتباعهما ببركة سيدي سعيد رضي

1) كان التيمجيدشتى هو المتوفى وشيكا 1297 هـ . واما الاخر فلم يتوف الا 1308 هـ

الله عنه قال ولده ابو عبد الله اخبرني الفقيه التملي المذكور عن الشيخ سيدي سعيد انه قال اطلعني الله تعلى على ملائكة السموات السبع فى تلك الساعة التي التقى فيها الفقيهان المذكوران وتصالحا وتسامحا فرايتها فى غاية من الفرح بذلك السرور واخبرني ولده ابو عبد الله ان بعض الافاضل من الفقراء جلس مع الشيخ سيدي سعيد على شراب اتاي . فقال فى نفسه سأطلب من هذا السيد ان يعطيني الله تعلى السر الرباني بلا مجاهدة ولا عناء . وذلك اول ما لقي الشيخ وكان له جليس حاضر فى ذلك المجلس فقال فى نفسه ايضا حاجتي من هذا السيد ان كان وليا لله ان لا اعدم ما اصرفه على الشراب فى شراء ما يحتاج اليه وكان ذلك فى دار الاخير قال فاعطى الشيخ سيدي سعيد الفاضل الاول كأسا من الشراب وقال له هاك المعنى الرباني الوهبي بلا شرط ولا مجاهدة واعطى الاخير كأسا اخرى وقال له هاك ما تنفق على الشراب فلا تهتم به ابدا وكأنك تغرف من النهر قال الفاضل الاول وكان من الفقهاء وقد كمل الله مرغوب كل منا . على ما اشار اليه الشيخ رضي الله عنه واخبرني ولده ابو عبد الله انه جلس مع الشيخ سيدي سعيد وزوجته فى داخل داره بالمعدر واشتغل واحد منهم ببعض خدمة الدار فورد على الشيخ حال عظيم اضطربت منه ذاته وقفت شعر راسه ولحيته وصوتت ذاته من شدة الاهتزاز والاضطراب وصار تختلف عليه الالوان. وصاح صيحة بمد فقامت السيدة زوجته هاربة ودخلت الى البيت فلما سكن منه ذلك الحال رجعت اليه وقالت له ما الذي دهاك ؟ افزعتنا فقال لها الآن رأيت سيدي علي بن احمد دفع الباب ودخل الى حضرة الله تعلى . وقد جعله الله تعلى فى مقام الشيخ سيدي علي الجمل رضي الله عنه يعني بسيدي علي بن احمد شيخنا الامام العارف بالله القطب الرباني والغوث الصمداني ابا الحسن سيدي الحاج علي بن احمد الجعفري ثم الالفي رضي الله تعلى عنه وعنا ءامين وكان اذ ذاك ارسله الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه فى طائفة من الفقراء الى زيارة الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه بالجبالة وغيره وذلك فى ءاخر حياة سيدي سعيد ولما رجع شيخنا ومن معه وجده توفى الى رحمة الله تعلي ووفاته رضي الله عنه صبيحة يوم الاربعاء الثاني من صفر عام 1300 هـ ثم قالت له السيدة زوجته سمعتك تقول اطلعني الله على مقام بعض فقرائنا فرأيته فوق مقامي فهل تحب ان يكون

احد اعلى منك مقاما ؟ فقال لها ما معنـــاه اليس ان المرء يحب ان يكون ابنه اعلى منه ويذكر بين الناس بخير فقالت بلى قال فكذلك اولاد القلوب ثم قال لها ما معناه : كما ان الامراء يحب كل واحد منهم ان يكثر ما يقدمه بين يدي السلطان فكذلك الاوليـــاء العارفون كل واحد منهم يحب ان ينصلح على يده ويهدي الله به ما يعظم به جاهه عند الله تعلى يوم القيامة.

والمرء فى ميزانــه اتبـــاعـــه فاقـــدر بـــذا قدر النبي محمد

صلى الله عليه وسلم واخبرني ولده ابو عبد الله عمن رافق من الفقراء الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه لما ذهب الى (ايليغ) بتازاروالت عام 1299 ه لما قدم سلطان المغرب مولانا الحسن بن محمد رحمه الله تعلى فى العام المذكور الى بلاد سوس. وكان الشريف الرئيس الاجل سيدي الحسين بن هاشم التازاروالتي يتوقع من قبل السلطان شرا وعزم على الرحيل والهرب الى الجبل . بل نقل اليه بعض ثقله . فذهب الشيخ سيدي سعيد مع الفقير المخبر عنه بهذا الى ايليغ مسكن الشريف المذكور فادركتهم القائلة بقرب (ايليغ) فنزلا عند السدرة المعروفة بالوادي هناك ليقيلا تحتها ويناما للاستراحة ثم قام سيدي سعيد بمجرد اضطجاعه منزعجا وقال لرفيقه قم فقد انزعج باطني واشتعلت فيه النار يشير الى قوة الوارد عليه بذلك فقاما ليدخلا الى (ايليغ) فلقيا بعض الفقهاء خرج من دار الرئيـــس الشريف المذكور فأخبرهما انه تركه يتهيأ للسفر والرحيل بنفسه الـــى الجبل فدخلا فوجداه يريد الركوب فرحب بالشيخ وقال له وجدتنا نريد الرحيل فقال الشيخ انما اتيت لاكفك عن الرحيل فان اولياء الله اتفقوا على ان لا يصل السلطان الى موضعك هذا ولا يقربه ثم قال لـــه وهذا الذي قلته لك انا اعلم انه لا يطمئن اليه قلبك ولكن سترى صدق قولي فى المستقبل وكان الامر كما قال الشيخ رضي الله عنه قال وكان الشيخ سيدي سعيد قبل ذلك قال لرفيقه المذكور : اجتمع اولياء الله تعلى. وجعلوا امر التصريف فى السلطان بيدي لانظر فى امره حتى يرجع من سوس واخبرني ولده ابـــو عبد الله عنـــه انـــه قال فى زوجته السيـــدة خديجة بنت محمد الايسية ثم المعدرية ولم يكن له زوجة سواها رضي الله عنها ان مقامها اعلى من مقام الصالحة المشهورة ببلاد هشتوكـــة المعروفة بتَاوَاعلائت باللام المفخمة الا ان الله تعلى حجب عنها ذلك السر. واظن ان الشيخ سيدي مَحمد بن احمد الحضيكي ذكر فى تاريخه ترجمة

للصالحة المذكورة (1) فلينظر واخبرني ابو عبد الله عن والدته المذكـورة انها قالت له قرب مرض وفاتها ما معناه. كنت قبل هذا اخاف من الموت وسؤال القبر وظلماته واهوال الآخرة واهتم بامر الرزق واخاف على الاولاد والآن اذهب الله عني ذلك كله بالمرة وزال عني ذلـك بالكليـة فلم التفت الآن الى الدنيا ولا ما فيها وليس عندي الآن الا الغيبة والفناء فى عظمة الله وهيبته والاستغراق فى حضرة الله والفرح بالله والانس به والغنى به ولا اعلم شيئا يفرح به فى الدنيا اشبه به هذا الذي انـا عليه الآن مما لم اشاهده قط فى عمري ولم يمض الا يسير ثم مـرضت مرض وفاتها قال ولما قرب خروج روحها كنت فى بيت قريب من موضعها فذكرت الله تعلى فورد على حال الفناء وغبت عن الكون ولم يبـق عندي شيء اشعر به الا ذكر اسمعه بصوت ما سمعته قط وكنت اظـن اذ ذاك انه ذكر الملائكة ثم غبت عن ذلك الذكر ايضا وتخللتني برودة كحال من رش بماء بارد فافقت من تلك الغيبة ورجعت بعض الرجوع الـى احساسي وشعوري بالكون ووجوده فرايت والدتي حينئذ على جبـل مشرف على الدنيا كلها فقالت هـذا هو مقامي وانا فى الحياة فى دار الدنيا اشرفت منه على جميع الامة النبوية وكنت اسأل الله تعلى فيـه ويستجيب لي والذي اسأله هو المغفرة للامة المحمدية ثم اشارت الى بحر فى جهة الجنوب وقالت هذا هو البحر الذي اعطاه الله والدك قال فنظرت الى ذلك البحر وله سور محيط به يشبه قوس قـزح وهـو المسمى بلسان العامة بعروس المطر ولذلك السور باب وعلى الباب رجل لا اتحقق من هو وكل من قال لذلك الرجل خذ بيدي لله دفعه الى ذلـك البحر ورد ذلك الباب الى داخل السور قال وماء ذلك البحر ابيض من اللبن والثلج ورايت المحرمات وهي ما نهى الله عنها قد ردها ذلـك السور خارج البحـر قال فقلت فى نفسي حينئذ من سلك هذه الطريـق وولج باب هـذا السـور فقـد نجـا مـن المحرمـات قـال ثم سرى عنى بالكلّيّة ففكرت فيما وقع لي وقلت لعل والدتي قرب خروج روحها فدخلت اليها فوجدتها بحال النزع فسألتها عن حالها فقالت الجسد كما ترى . والقلب فى فرح بلقاء الله تعالى ثم خرجت روحها فى تلك الساعة ولم يظهر عليها اثر الشدة ولا مقاساة سكرات الموت

---

1) ذكرها عرضا ولم يترجم لها . وقد توفيت بعده سنة 1207 هـ وتوفى هو 1189 هـ

واخبرني ولده ابو عبدالله عنه : انه لما ابتدا بناء الدار التي سكن فيها اخيرا ودفن فى شرقيها قال ما معناه نبني هنا باذن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم دارا تقضى فيها حوائج الامة المحمدية الى قيام الساعة وذكر عن جدتي للام رحمها الله السيدة (تعزي) (1) البعقيلية وكانت مشهورة بالصلاح والكشف انها قالت فى بقعة الزاوية القديمة المبنية فى تلك الدار التي بناها الشيخ سيدي سعيد : انها مجمع الاولياء وانها موضع تجاب فيه الدعوات وتقضى الحوائج وذلك قبل ان يبني سيدي سعيد رضي الله عنه تلك الدار هناك واخبرني ولده ابو عبد الله عمن اخبره ممن حضر وفاة الشيخ سيدي سعيد من الفقراء انه قال حينئذ ما حاصله اعطانا الله الشفاعة فى كل من دخل دارنا او دخلنا داره او اكل طعامنا او اكلنا طعامه او نظرنا فيه او نظر فينا ولو نظر فينا نظر سوء هذا او قريب منه هو الذي اظن انه ذكره لي ولده ابو عبد الله واخبرني ايضا واظنه سمعه من والده الشيخ سيدي سعيد انه سافر مع جماعة من الفقراء واظنه الى زيارة الجبالة بلدة الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه . وكان الشهر رمضان كانوا يصومون ويتعبون فى الطريق وسيدي سعيد يفطر ويخدمهم بما يحتاجون اليه ويقوم على دوابهم قال فراى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له انت الذي على سنتي يعني حيث افطر فى سفر يشق فيه الصوم يشير الى الحديث ليس من البر الصيام فى السفر واخبرني سيدي ابو عبد الله المذكور عن والدته انه لما ورد الشيخ العارف الشهير البدر المنير سيدي مولاي الطيب ابن الشيخ سيدي مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنهما الى بلد سوس (2) وكان مع طائفة من الفقراء ونزلوا فى دار الشيخ سيدي سعيد واتى بقبضات من العسل من عند بعض اهل القرية اما تسلفه واما اشتراه والقبضة مكيال معروف عندهم وطحنت السيدة زوجته المذكورة مكتلا كبيرا من القمح فصارت تطعمهم من ذلك القمح وذلك العسل ودقيق القمح بحاله لم ينقص منه شيء الا قدر مرقد الهر. حتى صار من يعينها من النسوة على الطبخ يسألنها هل هذا المكتل هو عين الاول ؟ وكأنهن فطن لتلك الكرامة فما زال على حاله حتى ذهبوا وهم جماعة اكثر من عشرة بل نحو عشرين وكذلك العسل وكان الشيخ

---

1) توفيت 1288 هـ
2) سنــة 1273 هـ

سيدي سعيد يفرغه على الخبز الرقيق حتى تمتلىء الاواني ولما انصرفوا كال العسل فوجده بحاله لم ينقص منه شيء فرده بالكيل الاول الى من قبضه منه قال ولم اتحقق المدة التي مكثوا فيها عند الشيخ سيدي سعيد ولا اظنها تنقص عن الثلاثة الايام واخبرني الفقير الفاضل الخير المرابط الاصيل سيدي الحاج العربي بن حمو بن احمد الافراني الاصل من ءال يعزي وهدى انه شاهد من بركة دار الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه مرة مما جاء به بعض الفقراء من ذبيحة هدية للشيخ فتطعم زوجته منها الفقراء نحو نصف شهر ثم تعمل منها بعد ذلك قديدا واخبرني ايضا انه بات مع الشيخ سيدي سعيد رضي الله عنه عند بعض الطلبة ممن كان يرد عليه سيدي سعيد كثيرا فالح عليه ذلك الطالب ان يظهر له بعض ما يذكر من سر الكيمياء فى كتب اهلها او نحوها واقسم عليه فى ذلك فساعفه بان كتب بعض اسمائه تعالى فى جدول ووضعه فى قدر فيه ماء فوق نار وقرأ عليه ما شاء الله ساعة يسيرة ثم امره ففتح القدر . فوجد فيه شيئا من الدراهم وقطعة من الفضة ثم قال له هذا لا ينبغي الاشتغال به ولا ءاذن لك فيه وحذره منه وقال ان اشتغلت به اهلكك الجن قال وكذلك وقع للطالب المذكور اعاذنا الله من كل سوء وفتنة ءامين. وقال الشيخ نحن انما ندل على الله لا على نحو هذا. او ما يقرب من هذا الكلام واخبرني ايضا انه ورد مع الشيخ سيدي سعيد على بعض الاشراف نفعنا الله بهم وكان فى بلد معطش بعيد من الماء فوجداه لا ماء عنده نفد ما عنده من الماء فامر الشيخ الفقير المذكور بالذهاب الى الوادي وكان بعيدا ليستقي منهم ببهائم الشريف المذكور ويأتي بالماء منه فى ظروفه فبينما هم فى التهيؤ لذلك وكان الوقت ليلا وذلك وقع فى المصيف اذ جاءت سحابة فأمطرت فى الحين ما ملأ ما عنده من الضفائر والحفائر فجعل الشريف يقول هذه كرامة ظاهرة يا سيدي سعيد فقال له سيدي سعيد اذكر الله يا سيدي فلان واخبرني ايضا ان الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه ارسله مرة وقال له اذهب الى فلان يعني بعض رؤساء القبائل بسوس ممن ظهر منه الجور والفساد وقد كانت القبائل قامت عليه وقاتلته فقال له الشيخ ما حاصله ان اهل الله اشاروا بان امره فى انحلال وشأنه الى اضمحلال. وكأنه اشار له بأن يذهب اليه ويفعل ما ينتج ما اشار به فذهب الفقير المذكور الى الرئيس المذكور فوجده مشتغلا بالجموع ورؤساء من تحزبوا

لنصره بين يديه فقال له اعطني عشرة مثاقيل لله فلم يفعل وكرر
عليه السؤال وانصرف عنه فلم يمض الا قليل وانفضت جموعه وخربت
دياره وقبض عليه ومات مسجونا والعياذ بالله وسمعت من غير
واحد من الفقراء ان الشيخ سيدي سعيدا وطائفة من فقرائه باتوا بموضع
من بلاد الشرچ يقال له (ايچيواز) فلم يطعمهم اهل القرية . وفي غد تلك
الليلة تكلم معه بعضهم في شأن عدم مبالاة اهل القرية بجماعة الشيخ
وكأنه اعتذر عنهم بأن قريتهم تتأخم الصحراء ويرد عليها الواردون كثيرا.
واهلها لم يزالوا في غرامات من ينزل عليهم بالجور من رؤساء الاعراب
ونحوهم او ما يشبه هذا من الكلام فقال لهم الشيخ سيد سعيد من
لم يقم بعمارة موضع فليخرج منه فلم يمض الا قليل حتى خربت القرية.
وانجلى عنها اهلها مدة واعلم ان اهل الله ينطقون لا عن هوى ولا عن حظ
نفساني بل هم بالله في كل شيء فيه يتكلمون وبه يفعلون وبه
يتحركون ويسكنون فلا اعتراض عليهم ممن كان محجوبا قاصرا فلا
تغتر (وما يعقلها الا العالمون) واخبرني ولده سيدي ابو عبد الله انه اعتنى
الشيخ سيدي سعيدا رضي الله عنه خرج مدة الى السياحة وقال
لبعض الفقراء اخرج معنا الى السياحة . وكان الوقت وقت الحرث . والناس
يتهيئون للحراثة فقال له ذلك الفقير وكان من خيار اصحابه ليس
عندي دابة احرث بها ولا عامل يحرث بها فلا محيد عن المكث في البلدة
لذلك ثم اعاد عليه الشيخ الاستدعاء الى السياحة مع الفقراء فاعاد
الفقير الكلام الاول وظن ان الشيخ لم يسمعه فأجابه بما حاصله انكم لا
تعتقدون الا في الاموات الذين تمشون على قبورهم دون من كان حيا
بين ظهرانيكم سيأتيك الله بدابة الحرث وبمن يقوم بالحرث بها قال
فكان الامر كذلك وسخر الله له رجلين من جيرانه جاءه احدهما ببعير
وقال له احرث به وجاءه الآخر بنفسه وقال له ان شئت الذهاب الى
الفقراء حرثت لك بنفسي فاني فارغ لا شغل لي الآن وكان الفقير
المذكور ببلدة بعيدة عن بلدة الشيخ خاملا لا دنيا له وهو ممن اشاد
الشيخ سيدي سعيد بالفتح عليهم من فضلاء اصحابه واخبرني ولده
ابو عبد الله قال بات الشيخ في قرية بدار فقير فاجتمع مع الفقراء في
مجلس الذكر فدخل عليهم نسوة في زي الرجال ليحضرن مجلس الذكور
لورود وارد جذب وقاهر حال عليهن بذلك وكان ذلك ليلا وكان مجيئهن
من قرية اخرى . فاخرجهن سيدي سعيد . وذهب معهن ليلا الى قريتهن

ثم جع الى القرية التي ترك بها جماعة الفقراء فبات فى أنْدَر او نحـوه
فى وسط شعير محصود مجموع فاصابته الجنابة من الاحتلام تلك الليلة.
قال فأحسست بنفسي يثقل عليها علم الفقراء باغتسالي خوف اتهامها بسوء
فى حق من ذهب معهن من النسوة المذكورة فجاء واغتسل بحيث يرون
موضعه واظهر ان عليه جنابة فتشوش بعض الفقراء من ذلك وظـن
به السـوء حتى اظهره والقاه اليه فلم يجب الشيخ عن نفسه ولـم
ينتصر لها ولم يكذب ظان السوء به . نظير ما اوصت به العجوز ذا النون
المصري فى قصة المصريين المعروفة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا مـن
حيى عن بينة) وهذا احق ما وقع لبعض المشايخ من الامتحان بنظيـره
فى حكايات مشهورة سلمنا الله من الانتقاد وسوء الاعتقاد ءاميـن
قال وكان تلك الواقعة سببا فى انكسار بعض الفقراء الحاضرين وهـو
مضيفهم تلك الليلة والامر بيـد الله

نبـذ اخـرى من حياتـه

ذلك ما تيسر كتبه للعلامة ابن مسعود وقد تيسرت لي من اخبـاره
نبذ اخرى تستتم بها الترجمة كما هي واذ تمشى فيما تقدم بلا تنظيـم
حسبما اتفق فلنقتفه فى ذلك محاولين ما امكن التظيم وجل اعتمـادي
على ما اخذته عن الفقير سيدي مَحمد الزكري الذي انخرط بيـن يـدي
الشيخ الالفي سنة 1304 ه بعد وفاة الشيخ سيدي سعيد بخمس سنوات
فقط وقد ادرك كل اصحابه فامكن له ان يسمع منهم كثيرا مما يتعلق به.

كان همو والد الشيخ من كبار اغنياء قريته ومن رؤسائهم فنشـأ
ولده كما ينشأ اولاد الاغنياء سادرا فى الاعبيه منغمسا فى ملاهيه ثم
لما اتصل بشيخه احمد بن عبد الله المراكشي مع فقراء سوسيين صـاروا
يخدُمون عنده فى بستان فى صفة عملة كما يفعل الفقراء المتجردون عنـد
اشياخهم ثم اشار الشيخ الى اصحابه ان يفعلوا شيئا يضيقون به على
صاحبهم سيدي سعيد. فاقترحوا عليهان ينزع ثيابا له صحيحة جيدة من
الصوف مما صاحبه معه من سوس ليغسلوها له فاعاره فقيـر منهـم
مرقعته فلبسها الى الغد ثم تطلبها منه فاستمهله حتى يوتى اليـه
بكسوته التي ذهب بها الفقراء لتغسل ولم يدر ان الفقراء باعوا كسوته
فأقاموا بها بينهم حفلة كان سيدي سعيد ممن حضرها من غير ان يعرف

على حساب من اقيمت ثم لما الح عليه الفقير صاحب المرقعة فى ان ينزع له مرقعته فتش عن كسوته فأعجله الفقير فاتاه بعضهم بكيس من القنب ضيق فلبسه كقميص. ثم بعد ذلك عرف ما صنع بكسوته فطابت نفسه بكل ما فعله به اخوانه فكان ذلك امتحانا من شيخه صادف منه تثبتا ورسوخا فى حسن النية فاستحق بذلك ما استحق وكان يتردد الى مراكش مع اخوانه الفقراء السوسيين الذين اخذوا عن ابن عبد الله وهم سبعة

1 ـ الحاج مبارك البعريري
2 ـ الحاج محمد بُونْچَلاَيْ ـ ابى البيضات ـ البلفاعي
3 ـ الحاج الأمين المعدري ـ وبهذا يعرف ولا ادري اسمه الحقيقي ـ
4 ـ الساحلي ولا يعرف من حكى لي اسمه
5 ـ الحاج محمد بُونْچَارْف الرسموكي ـ ثم صاحب سيدي سعيد بعد ذلك
6 ـ سيدي الحسن الهشتوكي الشهير
7 ـ الشيخ سيدي سعيد هؤلاء السبعة هم المعروفون بانهم اصحاب الشيخ ابن عبد الله. وينتابونه بالزيارة. وقد اوصاهم ان يبنوا زاوية فى المحل الذي يتوسط قبائلهم فبنوها فى قرية وسط هشتوكة وفى اثر مرجعهم من مراكش مرة دخل سيدي سعيد الخلوة بداره باذن شيخه فبقي فيها اربعين يوما وكانت ازاءه دجاجة ربضت على بيضها قال فكنت اقول لنفسي لا تسبقنك الدجاجة فتقضي حاجتها قبلك وكانت زوجته السيدة خديجة اذ ذاك تنكر عليه كل الانكار فيما زج فيه نفسه وقد اعرض عن مزاولة شؤون داره وعن اقامة اسباب المعاش لاهله ففي اخريات ايام الخلوة جلست السيدة فاطمة زوجة الشيخ سيدي مسعود المعدري وام العلامة محمد بن مسعود مع امرأة فى سطح دارها تنقيان زرعا للطحن فسمعت السيدة مناديا ينادي باعلى صوته على ما عهد من البراحين ـ المنادين فوق المسجد اذا اريد اعلان شيء عام للناس ـ فبعد ان هلل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم على العادة اعلن ان سيدي سعيدا قد امره الله على البلاد وجعله على العباد فقالت لصاحبتها اتسمعين ما يقال ؟ فقالت ما ذاك ؟ انني لا اسمع شيئا

فعرفت ان ذلك امر سري ما اطلع عليه غيرها وقد كانت صالحة ذات روحانية ورثتها من امها تعزي المشهورة المتوفاة 1288 ه فجمعت عليها كسوتها لدار جارها الفقير سعيد فاستأذنت على زوجته فطلبت منها ان تزور من زوجها فقالت لها يا هتناه . اتزورين احمق مأفونا قد ربض في دكانة بالمطبخ منذ اسابيع والناس في اشغالهم وهو جاثم هنالك بلا فائدة فقالت لها لابد ان اراه على كل حال فدخلت عليه فافضت اليه بما سمعت بعد ان استأذنته ثم طلبت منه ان يلقنها الورد فلقنها اياه فكانت اول من اخذ عنه والسابقة الى معرفة ما اعطاه الله اياه

ثم انه كان منذ دخل في الطريقة يدور في الاسواق متكففا مما يسميه الفقراء » خرق العادة) وكان ابوه الغني الكبير القدر بين قومه يمتعض لذلك فربما يدخل سوقا باحمال من الحبوب ليبيعها فان رأى ولده يتكفف الناس . يجمعها في الحين فيخرج حياء من الناس ان يظنوا به انه يبخل على ولده حتى يحتاج الى ان يسأل الناس ما يسد به رمقه — وكان يفعل ذلك في سوق الخميس بتزنيت وكان ما بين التزنيتيين والمدريين غير ملتئم فقال له تزنيتي نطلب الله ان يجعل كل المدريين امثالك فقال له سيد يسعيد ءامين يقصد التزنيتي ان يكونوا كلهم حمقى حتى يكفي التزنيتيين مئونتهم ويقصد سيدي سعيد ان يرجعوا كلهم الى الله فامن على دعائه وكان له اولاد منهم محمد بن سعيد وهو الذي يحكي عنه ابن مسعود فيما تقدم وءاخران احدهما عدا عليه انسان من المدريين فقتله فأمر سيدي سعيد ان يخبز الخبز الكثير وان يذبح كبش فامر زوجته ان تجعل ذلك في قفتها وهي تظن انه سيفد على بعض اهل رحمه على عادة الناس فاذا به يسير معها الى باب القاتل صباح يوم فارادت زوجته ان ترجع فحلف لها لئن رجعت لا تكونن لي زوجة بعد اليوم فذهبت معه مرغمة فدق الباب على اهل القاتل فيطلون فيجدونه فيتصارخون هذا احمق ءال همو والد القتيل فيكثر دق الباب متطلبا فتحه ولابد فبعد لأي خرج اليه بعض ءال القاتل فقال له سيدي سعيد اننا وفدنا اليكم فلابد ان ندخل الى داركم فدخل فقال اين فلان القاتل فلابد ان يحضر امامي ؟ فاختبأ الآخر وقد عراه من الخجل ما عراه فألح سيدي سعيد انني جئت اليك اتطاب من فضلك ان تحيي لي ولدي فقال له القاتل لا قدرة لي بذلك فقال له اذن لست بقاتله فلم يقتله الا الذ ي يقدر ان يحييه وهو الله فلم تخاف مني

حينئـذ ؟ فمد اليه قرطاسا فيه تبرئته ومسامحته فى الدم لوجه اللـه الكريم فكان ذلك عجبـا عجابا فى الناس فانطفأت نائرة كادت تستعـر بين اسرتي القاتل والمقتول ومما يؤثر ايضا من سعة صدره انه كـان يختلف الى بعض المتصدرين لارشاد الناس فكان يذاكر فى الذوق الصوفي العالي بعض من يجدهم عنده فيستولي على البابهم فينحشرون اليـه تباعا وهو فى كل ذلك يكثر الترداد الى ذلك المرشد ومن بين من انحشر اليه اذ ذاك الفقير مبارك بن بكـة التزنيتي الشهير ففي يوم دخل ايضـا مجاس ذلك المتصدر فقابله بمخاصمة عنيفة وقـد سمـاه الشيطان ووسمه بكل وصف ذميم فسكت سيدي سعيد حتـى افـرغ جعبته والقى كـلـ ما فى صدره فقام اليه فقبل راسه فقال له لقـد صدقت يا سيدي ولم يعرفني حق المعرفة سواك وما خفي عنك من اوصافي المذمومة اكثر مما ظهر لك فشده الرجل فقال له اين منك النفس يا هذا الرجل ام انت جماد ؟ والا فمن ذا الذي لا يستفز اذا سمع ما سمعته مني فقال له : لم اعدُ ان كنت بشرا أتأثر بكل ما يتأثر به البشر غيـر انني رأيتك اكثرت الوقود لقدرك حتى كثر غليانها ففاضت بما فيها فاردت ان افوز بما فاضت به قدرك لتمتلىء به قدري فتعجب الرجل والناس من هذا الدرقاوي الغريب العجيب وقد دخل مرة على العابد الشهير علي بن عبد السلام من الرجيلات فى خلوته فاراد ان يقبل رأسه فابى العابد من ذلك كأنه يخاف ان يسلب ما عنده من الاسرار ـ كما يعتقده كثير مـن العباد من ان الكبير يسلب ما عند الصغير ـ فقال لـه سيدي سعيـد فاذا ابيت ان اقبل راسك فقبل انت راسي فانتفض العابد فقال له ايـة داهية اتت بك يا عفريت ؟ فقال له انما اتيت اليك لازيل منك تلك الحمّة التي تلسع بها الناس وكان مشهورا ان الناس يصابون منه كثيرا ثم قال له : ايأتي الشيطان الناس من جهة ويأتيهم امثالك من جهة اخرى ؟ وسمع بان الشريف محمدا المكي نزيل رباط ماسة فى اواخر القرن الماضي يزعم انه المهدي فذهب اليه فقال له اما العلوم الظاهرة فمسلمة لك ـ واما سوى ذلك فليس لك وكان مرة يعظ تلميذه الفقيه الحبيب السكراتي فقال له التواضع التواضع فيكرر عليه ذلك وهو يحنو براسه الى الارض. حتى مست لحيته التراب وكان يحفظ كثيرا من المنظومات الغراميـة الشلحية فى ايام صبوته فساح مرة مع طائفته فنزلوا فى قرية لا تعتاد الا الاجتماع فى ملعب (اَحنوَاش) ـ الرقص البربري ـ فاقترح عليه اهـل

القرية ان أراد الضيافة هو ومن معه ان يرقصوا لهم فامر الفقراء ان يصطفوا في الملعب فابتدأ يتغنى بالاهازيج الفرامية والدف في يده وكان ذا صوت رقيق مؤثر حتى استولى على المشاعر ثم افتتح المواعظ الدينية بمنظوماتها ثم الاذكار فلم ينشب ان استتاب كل الحاضرين فتابوا عن ءاخرهم فراجعوا الديانة ثم كانت قريتهم من احسن القرى دينا وقد استبدلوا بمجالس الاذكار ملاعب (احواش)
وكان من عادته ان يستخدم فقراءه في شئون زاويته فاتفق مرة ان خرج في حمارةٔ قيظ الى بسيط امام زاويته يحصد فيها الفقراء. فوقف عليهم. فوجد ضعفتهم من الطلبة كسيدي الحاج الحسن التامُودْيزني والشيخ الالغي والحاج صالح الاكماري وامثالهم قد نال منهم ما يزاولونه ما نال واصابعهم تتشقق وتسيل دما فاغرورقت عيناه بالدموع فقال لهم ءاه يا اخواني لو لا ان الذي تطلبونه لا يحصل لكم الا بهذه المشقة لما كان مني قلب يستسمك مع ما اراكم عليه ووقع لتاميذه الفقيه مَحمد بن المحفوظ التازيمامتي الشهير انه ركب مرة بغلته الى زيارته فخرج صباحا فوجد الفقراء ذهبوا بها الى الحطب فثار ثائره فكان ذلك مما اخرجه من بين الفقراء ولكنه مع ذلك لا يزال متمسكا بحبل شيخه وبعضهم ينسب تلك الحكاية للواعظ سيدي ابراهيم الساموچني الشهير فكان ذلك سبب نفض يده من طريقة سيدي سعيد وشاع ايضا ان ابن المحفوظ المذكور تراءت له مقامات حتى حسب ان مقامه اعلى من مقام شيخه فقال له يوما أو ليس يمكن ان تلد الشاة خروفا ثم يكون اكبر منها ؟ فقال الشيخ يمكن ولكن متى اراد ان يرضع فلابد ان يبرك على ركبتيه ليتأتى له ان يمتص من ضرع امه يعني لابد من التواضع من التلميذ للشيخ على اية حالة كانت وكان سيدي عبد الله النجاري الحاحي من المنقطعين الى الشيخ فكان يتردد الى الشيخ في الوداع. فكان الشيخ يقول له ان استطعت ان تذهب فاذهب فبقي كأنه مربوط وحكى النجاري ان الفقراء مرة اشتغلوا ببناء حائط فكان هو الباني صاحب اللوح وكذلك يُبْنَى في (المعدر) فيأخذ المركز فيركز التراب فوق الحائط وفي وسط نهار مشمس والحرارة كأنها زفير اتون تباطأ الفقراء الذين يطلعون بالتراب الى النجاري البناء الواقف في وسط اللوح فخرج الشيخ من داره فوجد النجاري واقفا فوق الجدار متكئا على المركز وقد ابطأ عنه التراب فناداه ان انزل لئلا تطحنك الشمس حين لا يأتيك التراب قال فنزلت بسرعة

فاهويت عليه تقبيلا اقول له ما دمت يا سيدي تدعو لي بالمغفرة فانني لا ابالي بكل ما الاقيه من مشقة فقال له الشيخ الا تزال انت هنالك ؟ بل نطاب الله لك مقامات فوق مقامات واما المغفرة فربما تكون اقرب شيء لكل من معنا او كما قال مما يؤدي مثل هذا المعنى وخرج ايضا يوما فى وسط نهار حار فوجد فى ظل حائط تلميذه الشيخ الالفي وقد وصلته الشمس فمد فوقه رداءه يظلله به والآخر مستغرق فى نومه لا يشعر

وكانت تربية سعيد مزدوجة فاما المتسببون اي الذين لم ينقطعوا اليه فانه يلقنهم الورد ويأمرهم بملازمة الطريق واداء الفرائض والعمل بقدر المستطاع مع قيامهم بشؤون اهاليهم ثم لا ينقطعون عنه يتعهدون زاويته فينة بعد فينة واما المتجردون الذين انقطعوا اليه فانهم يكونون عند نظره فى الشاذة والفاذة فيستخدمهم فيما اراد ويرقيهم بالاذكار وكثيرا ما يدخل اصحابه الخلوة ويأمرهم بذكر الاسم الذي هو الله بشروطه عند ارباب الفن وذلك محور عبادة المتجردين عنده وراء مجالس الاذكار الجهرية التي يجتمعون عليها فى اوقات معلومة . وكثيرا ما يأمر ذوي الهيئات منهم بخرق العادة فى الاسواق. وعلى ذلك تدور تربيته وكان التواضع لب الطريقة فى نظره والاقبال الكلي على الله وكان يفهم من كل ما سمعه ما يحثه على ما هو بصدده دخل مرة مع اصحابه مسجدا فصادفوا فيه هداويين فجلس اليهم فوجدهم يدخنون ويمعنون فى ذلك فقال لاحدهم اي لذة تجد لهذا الدخان الذي اولعت به فقال له وقد ملأ فاه فنفخ الى جهته نفخة طويلة هيهات هيهات ان يدرك غيرنا ما فى هذا الدخان ولا يدل على ما فيه من اللذة الا هو نفسه فاشرب منه تجد ما هناك ففهم هو من ذلك ما فهم فكان يقول لاصحابه هيهات ان يفهم غيرنا ما فى هذا الذي نحن فيه ومن اراد فهمه فليشرب معنا فى شرابنا وكان مع انه امي يستحوذ على الباب العلماء اذا لاقوه وجل حياته امضاه فى السياحات بين القرى يدعو الناس الى الله فيستتيب اللصوص والدعار فكم لص خطير رجع بسببه الى الهداية وكم ظالم جبار ارعوى بسبب مواعظه عما هو فيه وقد انتشرت به الدرقاوية فى جوانب سوس اكثر من غيره من معاصريه كالحاج مبارك الهواري فا ناصحابه قليلون لم يعدوا جيرانه بخلاف سيدي سعيد الذي انتشرت زواياه فى قبائل ازغار ووادي نون وافران ومجاط

واقـا وراس الوادي وهشتوكة وادَاوتَنان وحاحة ففي كـل هـذه القبائل اصحابه الكثيرون ويقيم لهم موسما عاما فى زاويتـه بالمعـدر فاخذ عن رؤساء المعدر ان تكون لزاويته حرمة . يأمن قاصدها ولا تمتد اليه يد . فاعلنوا بذلك فوق مسجدهم الكبير . وكذلك اناله مثل هذا رئيس (ايليغ) العظيم فى ذلك العصر سيدي الحسين بن هاشم فكان اصحابـه يردون على موسم تازاروالت فلا يمس واحدا منهم احد ولا يوخذ بجريرة من اجرم من قبيلته . وفى اول موسم اقامه بالزاوية المعدرية اقبلت الطوائف من كل جهة فكان الفقراء مئات فلما دخلوا جميعا الى الزاوية . وحطوا رحالهم ، دخل على زوجته خديجة وكانت الى ذلك الحين لا تزال تجاذبه الحبل فى الذي يشتغل به وتنكر عليه فيما زج فيه نفسه فقال لها هل هيأت شيئـا للفقراء ؟ فقالت له من اراد ان يتهيأ لهؤلاء الجماهيـر فليشتغل بالحرث والحصاد والاسباب واما انت فقد نفضت يدك من كل شيء وليس عندنا الا طحين قليل فقال لها انصبي المعصدة فصارت تعصد ويملأ بيده القصاع حتى ملأ 25 قصعة من نحو صاع من دقيق فاذ ذاك فقط اكبت زوجته على راسه فتابت الى الله فرجعت من ذلـك اليوم عن الانكار عليه . حكى ذلك سيدي محمد ابن الشيخ عن امه وحكاه عنه الزكري وجها لوجه وكان سيدي سعيد كثيرا ما ينشد بالشلحة

لفْضَلْنْكْ اْكَانْ اْسِدِ رَبّي   دْلْبَرَكْتْنُونْ اْسِدِ رَسُولِي

(ليس الا فضلك وحده يا رب ❋ وبركتك يا سيدي يا رسول الله)

كان لا يتظاهر بالدعوى ولا يرفع بما عنده الراس بين الناس بل كان دائما متواضعا يمثل الصوفية بجميع اوصافهم وكانت لبسته لا تتجاوز قميصا يكون غالبها من الصوف الغليظ ورداء عليه ويعتم وله لحية طويلة مديد القامة عريض ما بين الكتفين ياخذ الامـور بالتوسط لا يجهد نفسه ولا اصحابه بكثرة المجاهدات الا اذا انشرحت نفس احدهم لذلك فقد قال للفقيه سيدي ابراهيم بن الحسن التناني وقد وجده فى مشقة فادحة فى العبادة انا نريد ان نريحك فلقنه الورد بالتوسط قال سيدي ابراهيم ففتح لي على يده بما لم يفتح لي بسبب المجاهـدات الهائلة التي كنت اقوم بها وكان يركب على بغلة . ويقدم اصحابه . ويكونون غالبا نحو العشرين فيتقرون القرى وكـان متـى اراد المذاكـرة يقـرب اليه العلماء من اصحابه. ليأتوه من الاستدلال بما شاء منالقرءان والحديث

وهذا ما فعله حين التقى مع سيدي الحسن التملي الايرازاني فقد استدعى اليه العلماء بعد ما لقنه الورد . فاراد ان يذاكره فى معنى التصوف فقال الآخر انني لك منذ الآن فافعل بي ما تشاء في حكاية سنذكرها ان شاء الله فى ترجمة سيدي الحسن الايرازاني فى (القسم الخامس)

وكان الشيخ الالفي يقول ان من اطل على المعدر فدعا بما شاء فان ذلك الوقت مظنة الاستجابة وكان يقول لاصحابه ليس العجب فيمن احنى هامته لمن يظن به علما وانما العجب فينا حين احنينا هاماتنا لشيخنا الامي وكان الشيخ الالفي احد الفقراء الذين نبشوا قبر سيدي سعيد من افران ليلا فذهبوا به الى المعدر . ثم جعل قبره مجصصا حتى كسر عليه الجص وازاله سيدي الحاج الحسن التَامُودِّيزْتِي وقد كان الرئيس سيدي الحسين الايليغي يحسن ظنه فى سيدي سعيد وفى اصحابه. فاستخبر عمن يعرف عنه منهم الكشف فدل على سيدي مبارك المجذوب فجالسه فظل يسأله عن امور غيبيّة ففتح الآخر طوق قميصه فأزاله عنه فبقي كما ولدته امه فتبادر الاعوان فاخرجوه وقد القوا عليه ما يستر عورته فكان ذلك سبب ان تقززت نفسه من هؤلاء الناس فذهب اليه سيدي سعيد يوما باصحابه فجلس معه والفقراء فى ناحية بمعزل عنهما ثم استدعى سيدي سعيد مباركا المجذوب فقال له ماذا عملت ذلك النهار امام الشريف سيدي الحسين ؟ فقال استدعاني الشريف بقصد ان اميط الستار عما فى الغيب فاخترت ان اميط عني الستار عن ان اميطه عما فى غيب الله . فأدرك سيدي الحسين اذ ذاك ان الغلط منه فتاب من مثل ذلك فرجع الى حسن ظنه باصحاب سيدي سعيد

كان يقول فى ولده سيدي محمد ان له مقاما حسنا ولكن ليس من ارباب هذا الشأن . وقد سأله سيدي الحسن الايرازاني عمن يقتدى به ان توفى قبله فاشار الى الشيخ الالفي وهو معه فقال له بهذا فلتقتد فبقى كذلك الى ان مات يصرح به على رؤوس الاشهاد

هذا ما تيسر لي الى الآن مما يتعلق بهذا الشيخ الغريب الاحوال فلم اعد ان نقلت ما اسمعه من ثقات الفقراء والغالب اخذته عن الزكري. وهو ثقة عقول واع لما يسمع عارف لما يقول وولده سيدي محمد تأخرت وفاته الى 1330 هـ سقط من سطح فقضي عليه . وكان من افضل

الناس عبادة واقبالا على شانه لا يدعي لنفسه مقاما وقد سلم لاصحاب والده الذين تصدروا وام يمد معهم اصبعا ولا عرفت منه دعوى فحفظه الله مما يبتلي به ابناء المشايخ غالبا وللشيخ اخ لابيه يسمى بريك وهو الرئيس على المعدر ايام الكنتافي وعلى يده تسربت تلك المغارم الباهظةالى الكنتافيوهوملازم للصف. ويمكث بعد الصبح فىالصلاة فىمصلاهالى ان يصلي الضحى غالبا وله احوال تنبني على ذلك ولم يرزق الاولاد وماله متسع فرزق الله ذلك المال المجموع ، لانسان تزنيتي خلفه فى الرياسة كما خلفه على زوجته فامتص كل ذلك ووفاة الرئيس بريك سنة 1350 ه فى المحرم منه وقد ذكره المؤرخ الرفاكي فى روضته بكلمة قليلة . ومعنى ما قال فيه انه لم يخلف خيرا ولا شرا

شيوخ سيدي سعيد

رأينا فيما تقدم ان للمترجم شيوخا ثلاثة

1 ـ سيدي ابراهيم الولياضي

2 ـ محمد بن عبد الله العابد المعدري

3 ـ احمد بن عبد الله المراكشي

اما الولياضي فسيأتي ذكره فى فرصة اخرى (1) واما محمد المعدري فليس عندي الا انه رجل اعتكف فى بيت سنوات كثيرة يقصده الناس بالزيارات وتوثر عنه الكشوفات الكثيرة يخلط فيها الجد بالهزل كما تقدم عن العلامة ابن مسعود . ثم لما توفى دفن فى ذلك البيت نفسه فىالمقبرة المتوسطة بقرية المعدر . وقد اشتهر بسيدي محمد صاحب البيت وقد عمي ءاخر عمره ووفاته بين السبعين والتسعين فى القرن الماضي ولا ادري هل ادركه ابن مسعود فتكون وفاته فى النصف الاخير من العقد التاسع اولا هذا ما اعرفه عنه الآن

واما الشيخ احمد بن عبد الله المراكشي فهو من اصحاب الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وممن لا شهرة له عظيمة بين اصحابه وناهيك

1) ذكر فى معرض تلاميذ الاستاذ سيدي الحاج عابد البوشواري فى (الفصل الثاني) من (القسم الرابع)

فى ذلك انه غير مشهور بالمشيخة فى وطنه مراكش وكان عالما حسن الفهم يشتغل فى دكان العدالة شاهد من الشهود الرسميين . حكى لي الفقيه سيدي ابراهيم اليزيدي المشهور ببِيبي ان عدلا سماه ادركه يحكي له انه كان يجالس سيدي احمد بن عبد الله . فيعطف احدهما على الآخر ويحكى عنه امورا لم اتثبت فيها حق التثبت فتستحق التسطير ومسكنه بمراكش فى (أزْبزْضْ) وتلك الزاوية الدرقاوية الموجودة هنالك اليوم كانت داره . يسكن فيها فوصى بها ان تكون بعده زاوية فنفذت وصيته لانه لا عقب له. وشاع عند الفقراء السوسيين ان الشيخ مولاي الطيب بن مولاي العربي قال له رد اليّ السر الذي اعطاكه والدي فقال له اما والدك فلم يعطني شيئا ولكن المعطي هو الله . ولكن ان اردت ما عندنا فكن لنا مثل ما كنا لوالدك هذا ما سمعته يحكى والله اعلم بصحته ووفاته فى نحو 1270 هـ حزرا وزاويته محل فسيح طالما كنا نتدارس فيه مع صاحبنا العلامة سيدي عبد الجليل بن القزيز من سكان تلك الحومة بعض انصبة مما كنا نتدارسه اذ ذاك حوالي 1340 هـ

هذا ما امكن مما يتعلق بسيدي سعيد المعدر رحمه الله الذي تخرج به الشيخ الالفي فى التصوف كما تخرج به ءاخرون كمولاي محمد البوزاكرني والحاج الحسن التامودْيزتي وغيرهم من مشايخ الطريقة الدرقاوية بسوس

الآخذون عنه

1 ــ العلامة التَامُودْيزْتِي
2 ــ الشيخ الالفي
3 ــ الحبيب السكْرادي
4 ــ الحسن بن عبد الله البُوزَكارْنِي
5 ــ الطيب بن خالد الأجْمَارِي
6 ــ عبد الله بن الطيب
7 ــ احمد بن صالح الاجماري
8 ــ الحاج صالح الاجماري
9 ــ محمد بن ابراهيم التامانارتي

10 – الطيب الاغضياوي

11 – محمد بن المحفوظ السملالي الافراني

12 – الحسن الايرازاني

13 – احمد التامنچونسي

14 – الحسين التامنچوتسي

15 – علي الدمناتي

16 – سيدي احمد بن مبارك التزنيتي

17 – احمد بن عبد الله بن محمد الادوزي العوينني

18 – الحاج محمد البوزاكارني

19 – الحاج احمد اليزيدي

20 – محمد بن مبارك الدنشيري المعدري

21 – عبد الله النجاري الحاحي

22 – محمد ايحيصر المعدر

23 – ابراهيم بن الحسن الايسقالي

24 – سيدي ابراهيم بن سعيد العواد الاسقالي التناني

25 – سيدي خالد الترچينيني البعقيلي

26 – احمد بن عبد الله التمراوي الرسموكي

27 – محمد بن احمد الاسچاوري الكرسيفي

28 – البشير بن الصديق الفاسي الاقاوي

29 – سيدي الطيب البوشيكري الاچماري

30 – سيدي علي بن عدي الافنفلالي الاچماري

31 – اخوه محمد بن عدي

32 – الطيب السكرادي

33 – سيدي احمد بن عبد الله الاساكي الافراني

34 – سيدي ابرهيم بن المحجوب الساحلي

35 – عبد الله بن محمد التمراوي

36 – سيدي ابرهيم الايعندانى المجاطي

هم العلماء الذين عرفنا اسماءهم الآن ممن اخذوا عنه وهناك ءاخرون لم نستحضرهم واما كبار اصحابه الذين لم يضربو فى العلوم بسهم مع كونهم حظوا عنده بما حظوا به فمنهم – ممن نستحضر –

37 – مولاي احمد الوادنوني
38 – سيدي محمد بن الحسين المجذوب الاچماري
39 – الفقير محمد بن بكّي الافراني
40 – مبارك المجذوب الماسي
41 – سيدي احمد المجاطي الساحلي
42 – مولاي بيهي
43 – الحاج محمد التامانارتي
44 – الفقيرة عائشة الحامدية
45 – فاطمة زوجة سيدي مسعود
46 – الحاج العربي الافراني
47 – الحسن الاعِنداني المجاطي
48 – سيدي حامدون التزنيتي
49 – فاطمة مْوهادتوز الشريفة من اِغنبولا
50 – سعيد بن همو الحندقي التنكرتي
51 – مولاي بنلا الاسغاركيسي
52 – سيدي ابرهيم بن الحسن العداني المجاطي
53 – عائشة البعقيلية
54 – القائد محمد الجراري
55 – محمد امغار ايت عبلا البعمراني
56 – مبارك بن بكة التزنيتي

انتهى (الجزء الرابع)
ويليه (الجزء الخامس)
بحول الله

الفهـارس اربعـة

* اولا اسمـاء المترجميـن اصالـة او تبعا
* ثانيا الفهـرس العـام
* ثالثا فهـرس القـوافـي
* رابعا فهـرس الرسـائـل

الفهـرس الاول

الصفحـة

الفهـرس الثـانـي

وهـو الفهـرس العـام لعناويـن ما فى الجزء الرابع من (المعسول)

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الفهرس الثالث

للقوافي مرتبة على حروف المعجم . ويقتصر على الشرط الاول ان كان المطلع مصرعا . والا فيوتى بالكلمة الاخيرة من البيت الاول ايضا . لتعرف القافية

ــ الهمزة ــ

الصفحـة

ـ البـــاء ـ

ـ التـــاء ـ

ـ الثـــاء ـ

ـ الحـــاء ـ

الصفحة

ـ الطاء ـ

ـ العين ـ

ـ القاف ـ

ـ اللام ـ

الصفحة

ـ الميم ـ

ـ النون ـ

الفهرس الرابع

فى الرسائل المذكورة فى هذا الجزء . ذكرت الارقام التي كانت فيها . وقد يكرر الرقم ليدل على وجود اكثر من رسالة واحدة

طبع بمطبعة فضالة ـ المحمدية
المغرب الاقصى
عام 1380 هـ. الموافق سنة 1960